المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم

من سورة المـــــائدة

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

مجلد (٤)

سوره المائده

التعريف بالسوره

أن عدد ايات هذه السوره (١٢٠)ايه وهي مدينة بالإجماع

وقد ذهب البعض للقول انها نزلت بعد الفتح وقال البعض انها نزلت بعد الحديبيه وبالرجوع الي المواضيع التي تناولتها السوره نجد أن فيها ايات نزلت بعد الفتح مثل قوله تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم..الخ

اولا

ارتباط السوره بما قبلها أن من ضمن الأغراض التي تهدف إليه السوره هو بيان كيفيه اجتناب الإفراط والتفريط والابتعاد عن كل أسباب الانحراف عن الطريق المستقيم حيث أن اسماء السوره المائده نسبه الي المائده التي طلبها الحوريون من الله والتي تضمنت التهديد لهم بالعذاب الموجع الذي لم يعذب به أحد أن هم خالفوا أو نقضوا عهد الله معهم

وسوره العقود والمنقذةلقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سوره المائده تدعي في ملكوت الله المنقذه تنقذ صاحبها من ايدي ملائكه العذاب)

ولهذا كان مناسبا أن تأتي بعد سوره النساء التي اختتمت بقوله (كذلك يبين لكم إن تضلوا والله بكل شي عليم)

فقد تناولت سوره النساء احكام العديد من العقود من عقود النكاح والحلف والمعاهده والأمان والوصيه والوديعه والاجازه والوكاله ومهدت لتحريم الخمر فجاءت سوره المائده مشتمله علي بيان احكام العقود والذبائح والصيد والاحرام ونكاح الكتابات والطهاره والرده والسرقه والبغي والافساد في الأرض وتحريم الخمر والميسر وكفاره اليمين وقتل الصيد اثناء الإحرام والبحيره والسائبه وحكم من ترك العمل بشريعه الله والوصيه عند الموت وكذلك اشتملت علي قصه بني إسرائيل ونقضهم العهود كنموذج لمن ينقض عهد الله وميثاقه وقصه موسي معهم في مساله رفضهم دخول الأرض المقدسة وكيف أنهم نقضوا العهد برفضهم الدخول نتيجه جبنهم ثم ذكر نقض العهد من قبل ابن آدم بقتل أخيه نتيجه الحسد والتسرع ثم بين وسائل يستعان بها للوفاء بالعهد وهو تقوي الله والجهاد في سبيله (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا ...الخ والنهي عن مولاه اليهود والنصاري والمستهزين بالدين وعقاب المرتد والاعتداء علي سلطه الالوهيه في التشريع بتحليل الاطعمه أو تحريمها وكأنها متممه للنساء ولأن سوره النساء قد ذكرت انحراف أهل الكتاب وأشارت الي داء الغلو بالا فراط والتفريط وبين الله أن النجاه هو باالايمان بالإسلام فهو منهج الله الذي فيه النجاه فالاعتدال بالسير علي منهج الصراط المستقيم اي القران فيه النجاه وان من ابتعد عن منهج القران وقع في تيبه الضالين ولعنه المغضوب عليهم

ولهذا نجد تركيز السوره علي الصراع مع اليهود حيث يفهم من سياق الآيات التي وردت للتحذير من المغالاةوالافراط والتفريط فذلك هو سبب هلاك اليهود والنصاري وإلا فما الحاجه لهذا الاعتناء اذا كان نزولها بعد إجلاء اليهود من المدينه ولم يعد لهم قوه تذكر فإن هذا يعود إلي أنها تهدف إلي تفصيل المسائل والقضايا الكليه التي تحدثت عنها سوره النساء بشأن الغلو في الدين بالافراط والتفريط وبيان البواعث والأسباب التي تودي الي الغلو وتربط ذلك باصلها العقائدي التوحيد فهي اجمع سور القران لفروع الشرائع من التحليل و التحريم والأوامر والنواهي وقد تضمنت ثمانيه عشر حكما لم يذكر في غيرها منها سبع احكام في الايه الثالثه (والمنخنقه والموقوذه و المترديه والنطيحه وماأكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب) وقوله (وما علمتم من الجوراح مكلبين ..الخ وقوله (وطعام الذين أوتوا الكتاب.... والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وتمام الطهور (واذا قمتم الي الصلاه...الخ اي تمام احكام الضوء التي لم تذكر في سوره النساء ..وقوله السارق والسارقه والنهي عن قتل الصيد في الحرم وقوله (ماجعل الله من بحيره ...الخ وقوله (شهاده بينكم) وقوله (اذا حضر أحدكم الموت) وقوله (واذا ناديتم للصلاه ...الخ فليس في القران ذكر الاذان للصلاه الا في هذه الايه

ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله هي اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرمها

فأراد بهذا الحث علي الاهتمام بها بشكل خاص مثل ما قال تعالي (أن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعه حرم ذلك الدين القيم فلاتظلموا فيها أنفسكم)

فلا يعني هذا أن الظلم في غير الأشهر الحرام مباح وانما خص بالنهي عن الظلم فيها زياده الاعتناء بها وكذلك خص الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السوره بقوله فاحلو خلالها وحرموا حرمها ...لغرض طلب زياده الاعتناء بها لأن فيها تفاصيل تبين طريق الوسيطيه والا عتدال ويمنع الوقوع بما وقع فيه اليهود والنصاري من الغلو في الدين بالافراط والتفريط ولهذا افتتحت بقوله تعالي (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

والعقود هي العهود وذكر فيها من التحليل والتحريم والايجاب مالم يذكر في غيرها كما اشارنا من احتواءها علي ثمانيه عشر حكما لم يذكر في غيرها

فاهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم وتخصيص هذه السوره باعتناء ه بها في قوله فاحلوا حلالها وحرموا حرمها مرتبط مع هذه المقدمه واغراض السوره فهي تهدف بهذه الافتتاحيه إلي الاتي:ـ

اولا

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يربي المومنين علي أسس عقيده الاسلام التي فيها الوسيطيه والاعتدال من خلال بيان الطريق الذي يتجنبون فيه الضلال والانحراف والتيه فجاء الأمر بالوفاء بالعقود بعد عرض صور نهايه الغلو في الأديان أنها تنتهي الي ما انتهت إليه اليهود والنصاري من الانحراف والافساد في الأرض فصار وا اشد انحرافا ووثنيه من أصحاب الفكر الوثني ولهذا بعد أن بين لهم مهمه القران والايات التي ينزلها الله فقال تعالي في اختتام سوره النساء (كذلك يبين لكم إن تضلوا والله بكل شي عليم)

بأنه ينزله علي رسوله الكريم الذي امره بالرد علي سوالهم عن مساله الكلاله المتعلقه بشأن من يتوفي وله اخوان اشقياء أو لأب وليس ولد ولا اب هل حكمها مثل ماذكر في اول سوره النساء بشأن الكلاله الذي يتوفي وله اخوه لام وليس له ولد ولا اب ولا ام فقال تعالي (قل الله يفتيكم في الكلاله...الخ

ثم بين أنه انزل القران لإنشاء امه الاسلام أفرادا وجماعات ودوله فهذه التشريعات والأحكام تلبيه احتياجات المسلمين لتربيتهم وإعدادهم وتاهليهم لحمل امانه الخلافه والاضطلاع بالمهمه في قياده العالم فالمسؤوليه كبيره ومناسبه سؤالهم بعد التحذير من الغلو هو أن الجماعه المسلمه التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينه المنوره ورباها بالقران الكريم كانت قد أدركت حقيقه ذاتها ودورها وطبيعه طريقها وأن هنالك أعداء يقطعون الطريق عليها فهم يدركون الازمات والتحديات التي سوف تقف عائقا أمام حركتهم وعملهم ولهذا كانوا يطلبون معرفه الأحكام الشرعية لمواجهه التحديات كانوا يريدون أن يفهموا الاحكام من جميع جوانبها المختلفة يريدون الاحاطه بها ولهذا تأتي النصوص مبينه أن يكون عرض الاسلام في الأذهان بصوره ترتبط الجزئيات مع الكليات وترتبط باصلها العقائدي التوحيد ولهذا قال تعالي (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمه الانعام الا مايتلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرام أن الله يحكم مايريد)

الأمر الأول

افتحت الايه بالنداء الإلهي للمومنين بالصله التي تربطهم بالله تعالي أنها صله الايمان وهذا الابتداء بالخطاب لابد أن يغرس في النفوس الشوق لمعرفه ما بعده من الأوامر أو النواهي فيه حث رابطه الايمان التي تربطهم بالله للحضور والانصات والاستماع فهم المعنيون بالنداء أنهم التنظيم الذي يعول عليه النهوض بتكاليف المنهج الرباني وحمل أعباء مسؤولية الانتماء إلى الإيمان فهم الحريصون علي إنجاح المشروع الرباني في الأرض وهم اللبنه الاساسيه التي كلفت بحمل امانه العلم وأمانه الخلافه وقياده البشريه ولاشك أن الأ وامر التي خصهم الله بها في هذا النداء تحمل في طياتها تزويدهم بالقدرات والمهارات والخبرات اللازمه للاضطلاع بمهمه الخلافه قياده البشريه خاصه وان هذه السوره هي اخر ما أنزل الله من القرآن الكريم وهذا النداء (يايها الذين آمنوا) ورد في القرآن الكريم (٨٨)مره منها (١٦)مره في هذه السوره وسر هذا الاهتمام أنها اخر سوره نزلت في القران وبالتالي فإن هذا النداء المتكرر في هذه السوره وفي كل سوره مرتبط بأهداف عليا فيها أما التحذير من مسالك المغضوب عليهم والضالين أو بيان الطريق المستقيم الذي يمنع الوقوع بالضلال

الأمر الثاني

جاء الأمر في النداء الاول بالوفاء بالعقود بمقتضي الايمان فقال تعالي (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

والعقود تشمل عقد الايمان الذي ارتبط به المومنون بالله سبحانه وتعالى من التزام العبوديه لله فأنت عبدا لله وهذا العقد ينبثق عنه سائر العقود فعقد الايمان يلحق به لزوم طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه فالإيمان بالله يعني معرفته ومحبته وعبادته وتوحيده والله أخبرنا أن نيل محبته تكون باتباع الرسول فقال تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ومن ذلك أيضا فإن عقد الايمان يوجب الوفاء بحق الله بالتعظيم لأمره وطاعته وعبادته والوفاء بحق العباد بالاحسان إليهم وحسن استخدام ملكات العدل والإحسان واتياء الحقوق للآخرين فالانسان له عقود مع ربه وعقود مع نفسه وعقود مع الآخرين المحيطين به من بني جنسه سؤاء كانوا أقارب أو اصدقاء أو أعداء والوفاء أن يأتي بها علي اكمل وجه دون نقصان علي ماعقد عليه دون غدر أو خيانه

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن اللازم عليك ايه المومن وانت تقرا هذه الآيات إن كنت مومنا حقا مصدقا بالله وبالرسول صلي الله عليه وسلم وبالقران والكتب السماوية واليوم الآخر والجنه والنار والملائكه ..أن تعلم انك انت المعنئ بالخطاب عليك أن تشعر ان الله يناجيك بهذا النداء فتعيش مع ا لآيات بكل احساسك وتحس بنعمه الحديث مع الله الذي يخصك بهذا النداء دون سائر الناس تحس انك محل رعايةالله
وعنايتةوعطفةوانعامة بهذا النداء كانك انت الذي ينزل عليه الوحي لتذوق حلاوه العيش مع القران وانت تستمع توجيهات الله التي يخصك بها بكل جوراحك واحساسك وعقلك وملكاتك كلها تقبل عليها بشوق ورغبه واستعداد وصفاء الذهن فمن المعيب أن يغيب ذهانك كليا أو جزئيا بالانشغال باي شأن من الشؤون وانت في حضره الله وهو يدعوك للاقبال الي مائدتةفهل ترضي انت من خادمك أو ابنك او احد العاملين لديك ان يكون شارد الذهن وانت تلقي عليه المواعظ والنصائح والتوجيهات اللازمه للقيام بالمهام التي تكلفهم بها فأنت عندما تخاطب ابنك فتقول ياابني لابد أن هذه الرابطه التي تربطه بك تجعله يرد فيقول كلي اذان صاغية فكيف إذا جلس امامك وهو شارد الذهن الا يغضبك ذلك وتلجاء الي اسلوب تزجره به فتقول له انتبه ياغلام تحقيرا لشانه كما يفعل المدرس أثناء إلقاء الدرس فهو يقول للتلميذ المهذب ياتلميذي يخصه بهذا النداء فإذا لاحظ منه أنه غير مقبول عليه بذهنه فإنه يغضب ويقول له ايه التلميذ أو ينهره وينظر له نظره تنقص من شأنه غير النظره الاولي فهل تراضي أن ينظر اليك الله نظره يراك فيها أقل من المنزله التي خصك بها فعليك الإ نتباه عندما تسمع هذا النداء ثم إن الابن البار بابيه والتلميذ الناجح الذي يريد أن يحصل علي المرتبه الاولى أن يفرح عندما يسمع أبيه يناديه ويكلفه بمهمه ويعلمه السبل الكفيلة بتحقيق الفوز والنجاح وهذا الفرح يجعله حاضرا بقلبه ليفهم وبعقله ليستوعب الخطوات التي يجب عليه أن يقوم بها ليصل إلي الهدف وماذا عليه أن يحذر ليتجنب الفشل وأسبابه ولهذا عليك ايه المومن أن تكون حريصا علي حضور قلبك وعقلك وملكاتك كلها وانت تقف في حضره محبوبك الحق سبحانه وتعالى وتستوعب ما يلقي عليك من توجيهات

المفهوم الثاني

يقول الحق أن الوفاء بالعقود أمر يحتاج الي رجال قادرين علي أداء ها بكمالها واتمامها وعدم النكوث أو النقص منها أو نقضها

ولهذا فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال

(علموا رجالكم سوره المائده لما فيها من أحكام وماجاء فيها من الوفاء بالعهود والمواثيق)

فخص هنا تعاليم الرجال لايعني إعفاء النساء وانما أراد بيان حاجه الوفاء بالعهود الي خبرات ومهارات وقدرات للوفاء بها وهي أمور فنيه مرتبطه غالبا بمساله الادراه التي تجعل الإنسان متصفا بالرجوله فأنت تقول لمن يكون وفيا فلان رجل لبيان انه عند كلمته كما قال تعالي (من المومنين رجال)

فليس المراد بها الذكوره فضلا عن أن القوامه من العقود التي اختص بها الرجال ...

فاداره الرجل لأسرته يعود إلي عقد النكاح ولهذا فعلي الزواج أن يشعر بمسؤليته عن قياده الاسره وان عقد الزواج يوجب عليه أن يعامل زوجته بالمعاشره بالمعروف والتسريح بإحسان وعلي المراه الحفاظ علي اسرار الزوج والحفاظ علي بيتها وعرضها فلا تخون بافشاء اسرار زوجها فنحن نعلم أن خيانه امراه لوط أنها نقلت لقومها وجود الضيوف عند لوط وكذلك خانته بأنها كانت مشركه مثل حال زوجه نوح وليس خيانتهما في العرض

وكذلك فإن الوفاء بحق الاخوه بين المومنين الذين ارتبطوا مع بعضهم برابطه الايمان هو أن تنصره وتاوزره وترفع عنه الظلم وان تنصحه إذا ارتكب منكرا

وكذلك فإن من الوفاء بعقود الاجتماع التعاون علي البر والتقوى والوفاء بعقود البيع والشراء والوكاله والشركات وغيرها من العقود ترك المضار والوفاء بشروط العقود دون انتقاص منها وهكذا سائر الاتفاقات طالما أنها لم تحرم حلالا ولم تحل حراما حتي تلك المعاهدات مع الأعداء يجب الوفاء بها

المفهوم الثالث

أن الآيات جاءت لبيان ان الحياه لابد لها من ضوابط لتنظيم حياه الانسان مع ربه ومع بني جنسه ومع الكون من حوله لابد من ضوابط تنظم حياه الفرد والمجتمع والدوله والعلاقات التي بينهم والعقود فيها الضابط الذي يضبط مركز الإنسان ودوره في الحياه لمنع الفوضي والعشوائية والاضطراب في الحركه لأن الفوضي والعشوائية هو سلوك أهل الشر واتباع الشيطان ولما كانت سوره النساء قد اختتمت بذكر نعمه الله في انزال الأحكام الشرعية التي تبين لك كيف تتعامل مع الحياه فقال تعالي (كذلك يبين الله لكم إن تضلوا والله بكل شي عليم)

فمنهج الله هو الذي يضمن الحصول علي النور الذي يضي لك الطريق في مسيره العمل الايماني فلا تنحرف عن الطريق المستقيم لتكون حركتك منضبطه بخط مستقيم تصل الي أهدافك ولهذا جاءت هذه السوره متضمنه هذا العدد من النداء (يايها الذين آمنوا) لسته عشره

مره من اصل ٨٨جمله ما ذكر فيه النداء بالقران تضع المعالم في طريق حركه المسلمين في كافه التعاملات في الحياه فالقران هو دليل العمل والتعامل فالمسلم يحتاجها في تعامله مع نفسه ومع الآخرين وزملائه في الوظيفه ومع الحكام وتنظم العلاقه بين الحاكم و المحكوم وكذلك فإن الدوله تحتاج الي قواعد تضبط تعاملها مع الرعيه ومع الدول الأخري ومع الكون وحتي مع الحيوانات وتربط تلك الضوابط بالله وحده لاشريك ولما كان الكون منتظم في حركاته فكذلك الإنسان فلابد له أن يكون منظم في حركته وفق منهج ثابت ولهذا يقيم الاسلام هذه الضوابط في حياه الناس من خلال غرسها في الضمائر والعقول ويصوغها في قوالب ويحددها بدقه ووضوح لمنع الالتباس فلا غموض فيها ولالبس فهي ضوابط منزله من الحق سبحانه وتعالى الذي أخبرنا أنه (والله بكل شي عليم) في نهايه سوره النساء

فعليك أن تعلم أن أحكام الله فيها الضابط المانع من الفوضي والعشوائية والاضطراب فالله يعلم أحوالنا وظروفنا وما يناسب الإنسان وبما يحقق الانسجام في حركته مع حركه الكون فربط هذه الضوابط بعلم الله تغرس في النفس انها فيها المصلحه للفرد والجماعه و الدوله وغيابها تعني ضياع المصلحه وانتشار الفوضي والعشوائية والمضره ولهذا فإن المسلم عندما يسمع النداء يدرك أن ما يأمره الله به فيه المنفعه والمصلحه له ولهذا يقمع شهواته ورغباته ويقدم أمر الله علي كل رغباته ويقدم المصلحة العامة علي المصلحه الذاتيه فلا يتجرأ أحد علي تحطيم هذه الضوابط التي تمثل قيود تضبط الأهواء والشهوات وتخلص الإنسان من الانانيه وحب الذات لأن قياده الإ نسان خاضعه لمنهج الله تعالي فلايستهزا بها ولاينتهكها ويحترم هذه القيم والمبادئ ولهذا سميت هذه السوره بسوره العقود وبالرجوع الي مضمون النداء المتكرر في السوره يايها الذين آمنوا نجد أنها تضمنت كما ذكر صاحب تفسير التيسير بالآتي

النداء الاول

(يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ...)

وهذا له معني واسع لمدلول العقود حيث أن العقود هنا بمعني العهود وأول هذه العقود هو عقد الايمان الذي انبثقت عنه سائر العقود وهذا العقد يعني انطلاق المسلم في حركته من التوحيد لا اله الا الله..يعني تخليص الإنسان من كافه القيود التي تستعبد الإنسان و الضغوطات التي تمنع الوفاء بالالتزامات ويمثل هذا العقد أساس الوجود الإنساني علي الارض وشرف الإنسان وكرامته وترتبط به سائر العقود باعتبار أن لفظ العقود بجمع عقد واصل العقد من عقد الشي بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل بالحبل اذا وصل به أي عقده وشده بغيره فيقال عقد فلان بينه وبين فلان عقد يشده إليه اي وجود يشي يربط بينهما وهو يستعمل في المعاني والإجسام

فأمر الله بالوفاء بالعقود لأنها مرتبطه بعقد الدين الايمان فجميع العقود من المناكحه والحكم والاقتصاد والبيع والشراء وماعقد ه علي نفسه من الطاعات جميعها مربوطه بعقد الايمان فمتي استقرت هذه الحقيقه في النفس يكون عرض الاسلام وتطبيقه يكون فيه ربط الجزئيات بالكليات وباساسها الاعتقادي التوحيد والوفاء بها يكون بالتزام منهج الله وعدم الخروج عن منهج الله فأنت تربط كل حركه بشرع الله في كافه مجالات الحياه

دون أي اعتراض علي أوامر الله ونواهيه فلا مجال لأعمال العقل فالله يحكم مايريد لامعقب لحكمه فكل مومن يجب عليه أن يفي بما عقده وارتبط به من قول أو فعل كما أمر الله في كتابه

النداء الثاني

يايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله...الخ

فالايه تحث تعظيم أوامر الله فهذا هو حق الله ثم انتقلت الايه الي الحث علي أداء حقوق العباد باحترام مبادئ الانسانيه والعدل ووحده المجتمع واحترام الحصانه المقرره للمكان والزمان التي يجب فيها احترام حقوق الإنسان والحيوان فكل مخلوق لابد أن يامن علي نفسه في منطقه الامان وكذلك في الأزمان التي لها حصانه كالاشهر الحرام التي يحرم فيها القتال ومكه باعتبارها منطقه امانة

النداء الثالث

(يايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه فاغسلوا ...الخ

احكام الوضوء بعد ذكر الطيبات من الاطعمه والمناكح وهي أمور متعلقه باحتياجات البدن فناسب ذكر ماهو متعلق بالارواح أن يحظي بـ الطهاره وايضا فيها اهميه أن يكون هنالك ترتيب في أحوال الإنسان وتقرر بضروره الوفاء بالعهود والمواثيق فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي وثقكم به ..الخ

النداء الرابع

تحث علي احترام حقوق الإنسان في اقامه العدل في حياته بغض عن دياناته فحكم المسلم يقوم علي العدل فقال تعالي (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .....الي قوله ولايجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا ..الخ

النداء الخامس

يذكرهم بنعمه الله للاشاره الي واجب هذا العهد بالشكر وتعظيم المنعم (يايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا ..الخ

النداء السادس

بيان وسيله تعين علي الوفاء بالعهود فقال تعالي (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله)

النداء السابع

(يايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصاري أولياء)

النداء الثامن

(يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه)

النداء التاسع

النهي عن مولاه الذين يستهزون بالدين (يايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا)

النداء العاشر

النهي عن تحريم ما أحل الله (يايها الذين آمنوا لاتحرموا ..الخ

النداء الحادي عشر

النهي عن الخمر (يايها الذين آمنوا انما الخمر ..الخ

فهي أيضا من العهود

النداء الثاني عشر

احكام الصيد (يايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد)

النداء الثالث عشر

من رحمه الله بنا أن جعل لنا ضوابط في الاسئله فلانسال عما لايعيننا (يايها الذين آمنوا لاتسالوا عن أشياء)

النداء الرابع عشر

يضع الحق لنا ضبط أن علينا الاهتمام بأنفسنا ولا يضر نا من حولنا فعلينا أن نحفظ العهود مهما كانت (يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

النداء الخامس عشر

حكم الوصيه والشهادة (يايها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت شهاده بينكم)

فالسوره ابتدأت بالحث علي الوفاء بالعقود (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

وفي وسطها (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ...الخ

ونهايتها (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ...الخ

واخرها مرتبط باولها بأن الذين يصدقون هم الذين يوفون بالعهود وهم الموفون

ولهذا فإن هذه السوره تحفظ المقاصد الخمسه (الدين _والمال _والعرض _والنفس _ والعقل)

تضع الضوابط الشرعية لها بما يحفظها حيث نجد

حفظ الدين قال تعالي (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ...الخ

وحفظ العقل (يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر)

حفظ المال قال تعالي (السارق والسارقه فاقطعوا أيديهما)

حفظ النفس قال تعالي (من أجل ذلك كتبنا علي بني اسرائيل....من قتل نفس بغير نفس ..الخ

وحفظ العرض (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

ثانيا

التحذير من الغلو في الدين الذي وقع فيه اليهود والنصاري حيث أن السوره تضمنت ذكر العقود التي وهي العهود لأن من صفات اهل الكتاب نقض العهود ولهذا ابتدأت النصوص بالتحذير من ذلك السلوك فقال تعالي (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

وهذا فيه تحذير من سلوك اليهود الذين أخبرنا الله أنهم ينقضون بالعهود فقال في البقره (اوفوا بعهدي اوف بعهدكم)وقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل...الخ

ثم بين نقضهم وبين اللعنه فقال تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم) وقال ايضا هنا (ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم)فذكر لنا هنا قصه بني إسرائيل كنموذجا الذين ينقضون العهود ففصل التفريط والافراط منهم يعود إلي التهاون بالعهود والمواثيق وعدم احترام العهود نتيجه ثقافه فكريه فاسده فذكر قولهم المبين عن ذلك وادعاءتهم الباطله بأنهم أبناء الله واحباءه ثم ذكر قصه بني إسرائيل مع موسي عندما أمرهم أن يدخلوا الارض المقدسه نتيجه الجبن وعطف علي ذلك قصه ابني ادم بالاشاره الي اول جريمه قتل في الأرض نتيجه الحسد فكان نقض العهد فكان متناسبا النهي عن مخالفه حكم الله فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون)

ثم ذكر الحق قوله (يايها الذين امنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين)

وقد ذكر أن أسباب نزولها ما كان من عثمان بن مظعون والذين معه حيث قال أحدهم أما أنا فاصوم ولا افطر وقال الثاني أما أنا فاقوم و لا انام وقال الثالث أما أنا فلا اتزوج النساء وقال الرابع أما أنا فلا اكل اللحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني اصوم وافطر واتزوج النساء واكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيشبه والله اعلم أن يكون قوله (لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

فيمن حرم الحلال علي نفسه بقول أو عزم علي تركه مثل الذي قال لا اتزوج النساء ولا اكل اللحم وهي الرهبانيه المتبدعه فإن الراهب لا ينكح ولايذبح

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله وقوله (ولاتعتدوا)فيمن قال اقوم ولا انام وقال اصوم ولا افطر لأن الاعتداء مجاوزه الحد فهذا مجاوز للحد في العباده المشروعه كالعدوان في الدعاء في قوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه أنه لايحب المعتدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور فالاعتداء في العبادات وفي الورع كالذين تحرجوا من أشياء ترخص فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفي الزهد كالذين حرموا الطيبات وهذان القسمان ترك فقوله (ولاتعتدوا) أما أن يكون مختصا بجانب الأفعال العباديه واما ان يكون العدوان يشمل العدوان في العباده والتحريم وهذان النوعان هما اللذان ذم الله المشركين بهما في غير موضع حيث عبدوا عباده لم يأذن الله بها وحرموا مالم ياذان الله به فقوله (ولاتحرموا) (ولاتعتدوا) يتناول القسمين

والعدوان هنا كالعدوان في قوله (ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان)

أما يكون أعم من الإثم وأما أن يكون نوعا آخر وأما أن يكون العدوان في مجاوزاه حدود الماموارت واجبها ومستحبها ومجازواه حد المباح وأما أن يكون في ذلك مجاوزاه حد التحريم أيضا

فناسب هذا البيان بعد تناول سوره النساء في المقطع الاخير النهي عن الغلو في الدين ولهذا نجد اتساع نطاق المجادله فيها مع النصاري

واختصار مع اليهود ولهذا سميت السوره المنقذه ولهذا بالوقوف علي ماورد في المقطع من مفاهيم اضافه الي ماسبق نجد الآتي

(يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمه الانعام الا مايتلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم أن الله يحكم مايريد)

أشتملت الايه علي مسائل الاول النداء للمومنين والثاني الأمر بالوفاء بالعقود والثالث تحليل بهيمه الانعام والرابع استثناء مايتلي بعد ذلك والخامس تحريم الصيد حال الإحرام أو في الحرام بأسلوب استثناء بعد استثناء والسادس أخبر الله عن قدرته وحكمته

والملاحظ في هذه الايه انها فيها

الأمر الأول

الأمر بالوفاء بالعقود والعقود جاءت بال التعريف جنس العقود للاستغراق يشمل مطلق العقود والتي اصلها عقد الايمان الذي ينبغي الوفاء به والتي قطعوها مع ربهم أن لايشركوا به شيئا ومنها ايضا عقد البيعه مع الرسول صلى الله عليه وسلم علي السمع والطاعه ومنها العقود المبرمة مع المشركين في الحديبيه مثل قوله (فسيحوا في الأرض اربعه اشهر) وقوله هنا (ولا امين البيت الحرام)

ويدخل في ذلك قواعد الحرب والسلم واحترام الحصانه المقرره للمكان والزمان أثناء الحرب ومعامله الأسري والعلاقات الانسانيه بين الناس في المجتمع المسلم ومع الآخرين من الذين لايعتنقون الاسلام والقوانين في المعاملات الدوليه والقواعد الماليه العامه والخاصه وحقوق الإنسان وكافه المعاملات علي جميع المستويات

فلماذا جاء الحث عليها وذكر هذه التفاصيل وتحديدا بعد صلح الحديبية وفتح مكه ؟

المساله الاولي

أن هذا له ارتباط بوصول التشريع الي مرحله اكتماله ومع المرحله التي انتقل فيها المسلمون من مرحله التحرير الي مرحله التطور فقد مثل فتح مكه أمرين الأول اكتمال مرحله التشريع وكمال الدوله بتحرير مكه وجزيره العرب

من الشرك حيث صار ت مكه خاضعه للإسلام وفي ذلك اشاره الي تحقيق الشق الأول لمهمه رساله الاسلام كما قال تعالي (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته) والاميون هم العرب قاطبه فهم شعبا لم يحظي باي نصيب من الشرائع بعد أن تم فصل اسماعيل عليه السلام عن بني إسرائيل والذي فصلهم ابراهيم نفسه فكان ظهور هذا النور الاخير في بلاد العرب الاكثر بلدان العالم تخلفا فهي تجهل تعاليم الأديان وتجهل الانظمه والقانون فلم يكن فيها دوله وانما كانت تخضع لحكم القبيله ولهذا فإن سر اختيارهم واختيار مكه نقطه الانطلاق في هذه الفتره الزمنيه تحديدا هو لأجل أن تنال دورها بعد الجميع فالأمور تعرف بخواتمها فقد كانت نبوتها عامه لتشمل العالم أجمع فقد كان مهمه القران تربيه العربي المتوحش وتعليمه الاداب الانسانيه ليكون قادرا علي حمل هذا المشروع للعالم أجمع فخص ابتدأ قريشا والعرب ثم يعم سائر البشر فقال تعالي (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) تكمله الايه (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)

وهذا يتناول ضروره حمل رساله الاسلام للعالم أجمع ليكون الانتساب للدين الإسلامي الذي يجمع بين الناس فقد ورد في الصحيح انه لما نزلت الايه سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان معلقا في الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولهذا الخصوص بأن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأميين يوجب قيام الحجه علي العرب لأن الرسول جاء بلسان عربي مبين ولا يوجب الفضل الا بالإيمان والتقوي لقوله تعالى (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

فنظره الاسلام تقوم علي احترام كرامه الانسان والمساواة بين أفراد المجتمع المسلم في الحقوق والواجبات وكذلك تقوم فلسفه الاسلام ونظرته للإنسان علي اساس التكريم بغض النظر عن ديانته فلا يجوز احتقاره أو هضم حقوقه أو الانتقاص من كرامته وحريته

ولهذا فقد مثل فتح مكه اتساع دور المسلمين للانطلاق في حمل المشروع الإسلامي ومافيه من قيم وعرضها علي العالم أصبح مهمه المسلمين السعي لتأسيس نظام عالمي جديد يقوم علي احترام حقوق الإنسان وكرامته وصيانه حريته ومعتقده وضبط العلاقه بين الحاكم والمحكوم علي اساس عقد الشوري في اختيار الحاكم والعدل والمساواة وسياده القانون ومنع الظلم للإنسان أو انتهاك حقوقه و السعي الي تحقيق الاستقرار علي الارض بازاله كل المشاريع التي تهدم وتفسد فيها وضبط المعاملات والعلاقات بميزان وضابط ثابت هو ميزان العدل وازاله كل أشكال الفوراق والامتيازات التي تشكل اركان الوثنيه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه فهي نوع من أنواع الشرك وصنم لايقل شأنا من الأصنام التي عبدتها قريش ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول بعد فتح مكه بشأن ازاله الشرك ورمزه من الجزيره العربيه بأن الغرض من ذلك (حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله) بينما تحدث بشأن القتال لرفع الظلم عن الناس وضمان حريه ممارسه المعتقد في إطار تناول اماكن الحصانه (حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله) بدون كل لأن المراد بهذا يختلف عن ذلك

المهم هنا أن الأمر بالوفاء بالعقود ورد بالتزامن مع إعلان انطلاق قياده المسلمون للعالم كله بحضارته الانسانيه لتغيير شكل العالم وانظمته من خلال اقامه نظام منضبط في كافه المجالات الاقتصاد والسياسة والحرب والسلم ومبادئ الشوري والحريه والعداله و المساواة واحترام المعاهدات

المساله الثانيه

ولهذا فإن تكرر النداء يايها الذين آمنوا ١٦مره في هذه السوره وتفرد هذه السوره بالاحكام التي لم ترد في غيرها لانتقال المسلمين من مرحله التحرير الي مرحله التطور فكان التكرار متناسبا مع الحاجه للاهتمام بالطليعه (المومنون)لتلبيه احتياجات المرحله المقبله بناءا علي الظروف الجديده التي حدثت في كيان الحضاره الاسلاميه وأهدافها المستقبليه ليكون قادرا علي التعامل مع مرحله التحول في دوله وحضاره الاسلام بعد الحديبيه وبعد فتح مكه كان القضاء علي بؤر الشرك في جزيره العرب فبدأ ت مرحله تشكيل اتساع دور المسلمين في نقل حضاره الاسلام للعالم كله فيها الخير للعالم في مضمونها وشكلها لإخراج البشريه من الظلمات بما تقدمه من قيم للا نسانيه فيها الرقي والتقدم في مسيرتها والمقصود منها اعاده خلق الانسان والأنظمة البشريه في الأرض علي الصوره التي يريدها الله تعالى ويرضاها

فالمقصود التحول الجذري في العالم أفرادا وجماعات ودول في حياتهم وفي مضمون الحكم وفي أسلوبه وصولا الى استقرار أوضاع العالم من خلال ضمان حريه المعتقد وحريه اختيار الحاكم والعداله الاجتماعيه والمساواة بما يضمن صيانه عقل الإنسان ونفسه وماله وعرضه ودينه من خلال ازاله كافه اشكال الظلم والديكتاتوريه والهجميه والفراعنه السياسيه التي كانت سائدة قبل الاسلام في تلك العصور الظلاميه

ولهذا كان الحث للمومنين بالوفاء بالعقود في هذا الوقت تحديدا مرتبط بهذا التحول في دور المومنين فالمسؤوليه الكبيره عن نقل حضاره الاسلام الانسانيه للعالم تتحملها الطليعه باعتباره قاعده الحكم في المستقبل القريب والنموذج الذي يقدمه الاسلام للتعبير عن حضارته الانسانيه للبشريه كلها حتي يكون القبول لهذه الحضاره وإدراك مافيها من خير في مضمونها وشكلها وتطبيقها فكان توجيه الخطاب للمومنين

المساله الثالثه

ولأن مرحله تحول قيادات التحرير الي قياده تطور يجعل

من السهل أن يظهر بينهم منظرون في السياسة والاقتصاد يفرضون امزجتهم علي المجتمعات تحت ذرائع حمايه اهداف الثوره وايضا فإن غياب الضوابط ينتج عنها غوص هذه القيادات في دوامه المفاجآت السياسيه والاقتصاديه في التعامل مع الدول الأخري أو حتي في ادراه الدوله نفسها باعتبار أن ذلك يقوم علي شروط اختيار الحاكم فهي من ضمن العقود ولهذا ربط الاسلام مساله تنفيذ أي هدف ان يكون مسبوقا بدراسه تكلفه تنفيذه من حيث الكلفه الماديه والقيميه معا فلا يجوز التفريط بالوفاء بالعهد وعدم الغدر لأن هذا فيه التزام قيمي يعود بالنفع علي المكاسب المادية لوجود ارتباط بين المصالح جميعها حسب الرؤيه التكامليه في الإسلام

ولهذا نجد الأمر جاء بصيغه (اوفوا بالعقود)

والوفاء ضابط قيمي متعلق بعدم جواز الغدر فالعقود التي بين المسلم وربه أو بين المسلمين بعضهم البعض أو مع المسلمين وغيرهم ممن ليس علي الاسلام يجب الايفاء به غير منقوص ولما كان تحقق ترك النقص لايحصل الا بالزياده ثم علي قدر الواجب صار الايفاء مراد منه عرف العدل الذي يلزم ايفاء المتعاقد ضروريا لحق عليه فالعقود شرعت لسد حاجه الناس فهي من القسم المتناسب الحاجي أيضا فيكون إتمامها حاجيا ولان مكمل كل قسم من اقسام المناسب الثلاثه يلحق بمكمله أن ضروريا أو حاجيا أو تحسينا فالخلل الذي يصيب الضروري يصيب الحاجي والتحسيني قطعا ولهذا فإن المحافظة علي الوفاء بالعقود من الأمور الضرورية التي اذا اختلت كان اخت لالهما وان من حافظ علي الضروري سوف يحافظ علي الحاجي والتحسيني فالتحسيني يخدم الحاجي وكلاهما يخدم الضروري وزوال أحدهما ينذر بازامه وكارثه تهدد الضروري ولهذا كان ربط العقود بعقد الايمان الذي تنبثق منه سائر العقود فإذا التزام المسلم بعقد الايمان كان عليه الوفاء بالعقود الحاجيه في تعامله مع الناس لأن ذلك يقتضيه عقد الايمان ويلزم الوفاء بما يحقق العدل ومن هذه العقود العقود الدبلوماسية مع الدول الأخري والمصالحات فيما بين المسلمين أو مع الأعداء مثل صلح الحديبية التي نزلت بعض الآيات فيها اوبعدها وفي الحروب والسلم وفيما بين المسلمين من البيع والشراء والوكاله والشركات وغيرها

ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من الغدر فقد ورد عن مالك بن عوف في صحيح البخاري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبه من آدم فقال اعدد ستا بين يدي الساعه موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ منكم كعقاص الغنم ثم استفاضه مال حتي يعطي الرجل مائه دينار فيظل ساخطا ثم فتنه لاتبقي بيت من العرب الا دخلته ثم هدنه بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فياتونكم تحت ثمانين غايه تحت كل غايه اثنا عشر ألف)

فالغدر من اشراط الساعه وهو عند كل امه مذموم قبيح وليس من صفات الرسل الغدر لحديث ابو سفيان عندما استدعاه هرقل وسأله عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله(من قتل معاهدا لم يرح رائحه الجنه وان ريحها توجد من مسيره أربعين عام)

وذمه المسلمين واحده كما ورد في الأحاديث بهذا الخصوص

الأمر الثاني

لما ذكر الله الأمر بالوفاء علي ما أوجب علي المومنين من تكاليف شرع في ذكر التكاليف مفصله فقال تعالي

(احلت لكم بهيمه الانعام)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

المساله الاولي

ابتداء بذكر التحليل قبل التحريم ...وهذا فيه امتنان من الله عليك فالمراد منك أن تشعر بهذه النعمه والرحمه من الله فلفظ (لكم) اي لأ جلكم ابحنا الانعام رحمه بكم فالشعور بهذه النعمه تولد طاقه ونشاط لتحمل التكاليف بنفوس مطمئنة

فالمعني اننا أن حرمنا عليكم اشياء فقد ابحنا لكم اكبر منها وان الزمناكم باشياء فقد جعلناكم في سعه من أشياء أكثر منها

المساله الثانيه

أن الحق يقول لكم إن هذه الاباحه التي هي أصل والتحريم استثناء لتعلموا ان الله مايريد منكم بالتحريم لبعض الاشياء الا مافيه صلا حكم واستقامتكم بجمله مستانفه أحلت لكم استناف يبين بعد تناول العقود والانعام ليس عقد يجب الوفاء بها إلا باعتبار مابعده (الا مايتلي عليكم) أو باعتبار ابطال ماحرم أهل الجاهليه بما ذكر (ماجعل الله من بحيره ولا سائبه ...الخ

وهي جمله تمهيدا لما سيرد بعدها من المنهيات (غير محلي الصيد) وقوله (وتعاونوا علي البر والتقوى)

فأراد بهذا الاشاره الي ان مساله التحليل والتحريم أنه خاص بالله تعالي في كل أمر ومن ذلك الاطعمه والذبائح

المساله الثالثه

لفظ بهيمه الانعام لم تذكر ولم تحدد هنا ماهي ؟

وقد ورد بشأنه عده اراء فذهب البعض للقول إن اللفظ لعموم الانعام فيدخل في ذلك ماورد في سوره الانعام الثمانيه الأزواج البقر والابل والغنم والضان

و قالوا إن المراد بهذا االانعام والاجنه التي توجد في بطون امهاتها والبقر الوحشي والضباء والحمر الوحشيه لان العرب لاتمتنع عن تسميه جميع ذلك بهيمه وبهائم وأنها لم تخصص وان النعم هي التي تكون مخصصه فتطلق علي الإبل والبقر والضان والغنم ...واستدلوا علي عموم ذلك بقوله تعالي (والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها تأكلون)

أما الذين قالوا انها خاصه بالضان والابل والغنم والبقر فقط فقالوا إنه ليس في الاجنه مايستثني لأن ذكاه الذبيحه ذكاه لجنينها اذا نبت شعره ....وايضا أن الخطاب للمومنين هنا علي وجهه وكماله للتقرب منه فنزلت الايه لابطال الآراء الفاسده والعادات الباطله التي كانت سائدة لدي المشركين من البحيره والسائبه والوصيله والحام

وان الوحشي والضباء تدخل ضمن الصيد الوراد حكمها بعد ذلك

الأمر الثالث

يأتي الاستثناء (الا مايتلي عليكم)

جاء الاستثناء بعد تناول حاجات ضروريه في حياتهم متعلقه بمساله التحليل والتحريم لما يؤكل من اللحوم فابتداء بالاباحه ثم جاء الا ستثناء يشي بأن هنالك أنواعا محرمه عليهم في إطار تربيه المومنين والارتقاء بهم من الهمجيه والتوحش الي التمدن والإنسانية والا

انضباط ولم يذكرها هنا لأن الجمله تمهيد لما بعدها وايضا لبيان اسلوب تهيئه الظروف لنمو الحضاره لأجل تحقيق عناصرها ومافيها من قيم ومبادئ فتاخر ذكر البيان هنا وهو الذي سوف يرد بعد ذلك بقوله (حرمت عليكم الميته والدم ....الخ

هو أن وقت الحاجه لم يحن بعد فيه ارشادهم الي اهميه ترتيب الأولويات فأراد بهذا أن يبين أن مساله التحريم والتحليل افعل أو لاتفعل خاضعه لضوابط يحددها الحق سبحانه وتعالى في كتابه القران الكريم وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم سواء كان التحريم مطلق في كل زمان ومكان أو حرمه وقتيه اومكانيه

الأمر الرابع

(غير محلي الصيد وانتم حرم)

أنه من خلال التمعن والنظر في هذا الاستثناء الذي ورد بعد استثناء (الا مايتلي عليكم) يجد بديع في نظم الكلام في القران وايجازه في بيان احكام الاباحه والتحريم متعلقه بالتحريم المؤقت والمتعلق بحال الإحرام وبحال كونكم محرمين بشأن تحريم الصيد في الحج و العمره وفي مكه يتضح من خلال الآتي

المساله الاولي

أن الواقع حالا من ضمير الخطاب في قوله أحلت لكم بهيمه الانعام)وهو حال يفيد معني الاستثناء في عموم أحواله وامكنه لأن الحرم جمع حرام مثل رداح علي ردح

والمحرم وصف لمن أحرم بحج أو عمره وهو وصف أيضا لمن كان حالا في الحرام

والحرم المكان المحدد المحيط بمكه من جهاتها علي حدود معروفه وهو الذي لايصاد صيده ولايحل صيده والذي حدده هو ابراهيم عليه السلام ووضع له المعالم ونصب حدوده فاحترمه العرب وكان قد حدث تغيير لهذه المعالم من قبل قريش ثم أقام الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعالم فبعث تميم بن أسد الخزاعي فحددها ثم احياءها عمر في فتره خلافته وأوضحاها فحدد حدود الحرم الاربعه محرم فيها الصيد حيث كلف سعيد بن يربوع وازهر بن عوف وآخرون فوضعوا علامات لحدود الحرم حسب ما حددها الرسول صلى الله عليه وسلم يكون احترام حرمتها من تلك المسافات وتبدي من الكعبه

فجعلوا مسافه اربعه أميال من الكعبه الي منطقه التنجيم وتمتد من طريق الراهب ومن جهه العراق ثمانيه أميال تنتهي الي موضع يقال له المقطع ويذهب من طريق الطائف تسعه أميال تنتهي الي الجعرانه ومن جهه اليمن بنحو سته اميال تنتهي الي اضاءه ومن طرق جده عشره أميال تنتهي الي اخر الحديبيه والحديبيه داخله في الحرام

المساله الثانيه

فهذا الحرم يحرم صيده كما يحرم الصيد علي المحرم بحج أو عمره

ولهذا فإن التحريم ينبطق ابتداء علي عمليه الصيد ذاتها

فقوله (وانتم حرم)

الواو للحال والصيد اسم ما يصطاد سؤاء تحريم الصيد أو كل مايحل من الصيد في حاله الإحرام أو كنت في منطقه الحرم الذي يحرم فيه الصيد

وهذا فيه بيان تربيه المومنين وقياس مدي تحقيق كل عناصر الحضاره الانسانيه التي حملها الاسلام الانسانيه بما فيها قيم ومبادئ فيها الارتقاء بالإنسان لانه لاتقاس هذه الحضاره الا بمدي توفر الظروف التمهيديه التي تهيوها الثوره لنمو الحضاره ومبادئها والتي منها احترام الاماكن والازمنه التي تحظي بحصانه الامان حتي في الحروب واحترام حقوق الإنسان وسياده القانون وبمدي الوسائل والإ جراءات التي تصوغها لتعويد الجماهير علي احترام هذه القيم ولهذا نجد أن النصوص تبين اهميه التزام هذا الحكم في مكه ومناطق الحرم لأنها منطقه امان واحترام الفتره الزمنيه المتعلقه بالحج لأنها فتره تزكيه النفس بالترفع عن مألوف الحياه وتتطلع الي آفاق الروحانيات ولهذا كان إسناد الحكم الي حاله الإحرام تربيه المومنين وتقرير للحاجه ببيان علتها القريبه فإن تحريم الصيد عليهم إنما توجبه حاجتهم الي إحلال ما يعينهم علي الانضباط واعتقاد حرمته عملا واعتقاد وفيه أيضا اظهار نعمه الله عليهم لأن حرمه الصيد في حاله الإحرام ليشعروا حينئذ بنعمه الله ولهذا جاء الاستثناء في الاول باداه الاستثناء الا مايتلي عليكم...بينما في الثاني بغير الداله علي مغايره الحاليه المأذون فيها والمعني الا الصيد في حالكم محرمين أو في حاله الإحرام وتعرض لحكم الصيد للمحرم بمناسبه كونه

مستثني من بهيمه الانعام في حال حاجي

فذكر هنا لانه تحريم عارض غير ذاتي ولولا ذلك لكان ذكره من الممنوعات المتعلقه بحكم الإحرام والحرام الوراده في قوله تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله)فيكون المعني غير محلي اصابه الصيد ويشمل ذلك البهائم الوحشيه وهذا من نسيج بديع نظم الكلام استفيد منه اباحه وتحريم فالاباحه في حاله عدم الإحرام والتحريم يتم في حاله الإحرام والله اعلم

الأمر الخامس

(أن الله يحكم مايريد)

ان سلطه التحليل والتحريم حق خالص لله تعالي فهو تعالي يقضي في خلقه مايشاء من تحليل او تحريم فعلي المومنون امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه بموجب التكليف والحكم أردته

والايه فيها الآتي

المساله الاولي

تقويه لهذه الاحكام الشرعيه بربطها باساسها الاعتقادي التوحيد لاهميه هذا الربط في نمو الحضاره الاسلاميه واستمرارها لأن قياس امكانيه تحقيق عناصر الحضاره الاسلاميه هو مدي القوانين واللوائح والقرارات التي تستحدثها لحمايه هذه الحضاره من الموجات الطارئه التي تسعي إلي استبدالها بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر والقسوه والخداع والصداقات المرحليه ولهذا فإن السامع عندمايسمع هذا التعقيب الذي يتوجه الي قلب المومن يقول له انك عاهدت الله وبالتالي فعليك الوفاء بالعهد فلا تنقض الميثاق ولاتنكثه وهذا مايولد قوه في النفس تدفع الي سلوك الوفاء وامتثال أمر الله مايجعل إمكانية تحقيق عناصر الحضاره ونموها ثقه بمن يتولي الحكم قادر علي قياده مرحله التطور لانه يحترم هذه القوانين فهي تستمد قوتها من عقيده المومن وهذا يزوده بالطاقه والنشاط فيكون له أثر كبير في نمو الحضاره واستمرارها فهذه الميزات التنظيمية التي تهدف إلي إقرار العدل واشاعه الخير فيه ضمان النجاح لهذه الحضاره وتميزه عن غيره بعرض النظام الإسلامي مرتبطا باساسها العقائدي الذي يثبت اصوالها وينظم مجرها ويحكم وضعها فهذا الأ ساس المميز هو الذي أخرج امه وصاغ حضاره قادت العالم في عصور الظلام

المساله الثانيه

أن هذا العرض لقيم الاسلام وإقامته في أذهان الطليعه المومنون بربط الجزئيات بالكليات في ميادين الحياه وربطها باساسها الاعتقادي دون فصلها عن بعضها فإن هذا يمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه ويصوغ روحها وقيمها وموزانيها ولهذا نجد أن جمله (أن الله يحكم مايريد) تعليل لقوله تعالي (اوفوا بالعقود)

فربطها باساسها الاعتقادي التوحيد فيه سد الثغرات التي تهدد الحضاره كما هو حال المذاهب العصريه والحضارات الماديه التي ادت الي عدم الايفاء بشعارات الانسانيه وحقوق الإنسان والحريه فهم عند الامتحان يفشلون فنحن نشاهد انهيار وسقوط هذه الشعارات أمام المذابح في غزوه فشاهدنا السقوط الأخلاقي لأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا...الخ

وهم يتجاهلون قتل أكثر من ستين الف فلسطيني أغلبهم من الأطفال والنساء ولهذا فإن الإسلام يربط كل قيم الإسلام بالله وهو مايضمن نمو الحضاره الاسلاميه واستمرارها

وذلك هو الروح الذي يعطي الحياه لقيم الاسلام ونموها وهذا دليل تحقيق كل عناصر الحضاره الاسلاميه لأن ولاده اي حضاره لايحدث لها النمو والاستمرار والتطور الا مع تهئيه الظروف الصحيه المناسبه لها ولهذا فإن معني الايه لايصرفكم علي الايفاء بالعقود التي امركم الله بها مشقه هذه التكاليف فعليكم إن تتذكروا انكم عاهدتم الله علي السمع والطاعة وعلي عدم العصيان ولهذا فإن اللازم عليكم امتثال أمر الله فيما تحبون ومالا تحبون فالوفاء بالعهد يقتضي منكم الصبر علي مشقه التكاليف فاصبر علي بذله والوفاء به وان عليك أن تقبل علي التنفيذ برغبه وارداه وحب فالله يحكم مايريد لاما تريدون والله اعلم بمايصلح لعباده وهو يقرر من الأحكام مافيه مصلحتكم وليس هنالك مجال لأعمال العقل طالما أن الحكم هو حكم الله فليس لأحد الاعتراض على حكم الله وهو يعلم بما فيه منافعكم وبالتالي لايجوز طلب معرفه الحكمه لما يحرم الله فالله لايسال عما يفعل

القسم الثاني

(يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرم ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم و

العدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير ومآأهل لغير الله به والمنخنقه والموقوذه والمترديه و النطيحه ومااكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم يسلونك ماذاأحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا ممآامسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي اخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الاخره من الخاسرين)

المبحث الاول

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله....الخ

أن أول مايتبادر الي الذهن عندما يسمع السامع النداء أن المراد بهذا هو شعائر الحج والعمرة التي تبدأ من الإحرام الي النحر الذي ساقه للبيت الحرام فقال ابن عباس أن المراد بهذا هو مناسك الحج والعمره وقال مجاهد أن في هذا شعائر الصفاء والمرواه والهدي والبدن لأن الله أخبرنا أنها من شعائر الله

وذكر البعض أن المراد بهذا النهي عن استحلال حدود الله التي نهي تجاوزها من أوامره ونواهيه

وهذا الخلاف شكلي لأن النصوص تدل علي كلا الآراء لأنها فيها التوجيهات من الله للمومنين بتعظيم أمر الله ونهيه ومانزل في كتابه ويدخل في ذلك مناسك الحج للاتي

الأمر الأول

أن النداء موجها للمومنين في اطار تناول بناء الحضاره الاسلاميه والحرص علي نموها وتطورها واستمرارها ولما كانت قضيه تهيئه الظروف الصحيه المناسبه لنمو الحضاره واستمرارها أمر في غاية الأهمية لعمليه الصعود في سلم التطور والرقي الذي يجعلها اهلا لقياده العالم ولهذا حرص الإسلام من بداية نزول الوحي علي تحقيق السمو الروحي لهذه الحضاره من خلال تزويد الطليعه بقوه دافعه تجعله قادرا على تحويل المعتقدات الي واقع فعلي بازاله الفجوه التي تباعد بين مساله غرس المبدأ وبين تحويله الى واقع فعلي يترجم هذا الإ يمان بإدخال هذا المبدأ في مختلف العلاقات السائده في العالم وهذا يحتاج الي ازاله العوائق التي تشكل حواجز تعيق هذا الهدف أمام الطليعه خاصه أن من اخطرها مايكون ناشئا عن عوامل داخليه ناتج عن بواعث نفسيه او سؤء فهم لحقيقه المقاصد من هذه القيم وانعدام وسائل تحقيق عناصره ووجود قوه تسعي لتطويع المبدأ لمصالحها وأفكارها وتقدم فلسفه تنحرف به عن أهدافه خاصه في المجتمعات التي يسودها التخلف والعادات والتقاليد الموروثة التي تتعارض مع هذا التطور وهو مايضاعف أعباء النخبه فلابد لنمو الفكره من ارضيه تمتع بخصوبه تسمح لها بالنمو والتشكل وفقا لما يريد الله ولهذا وردت الايه بعد أن بينت الايه قبلها أن الله يحكم مايريد لاما تريدون ايه المومنون فقال تعالي (أن الله يحكم مايريد)

وهذا فيه

المفهوم الاول

أن الحق بهذا يريد منك أن تحول هذا المبدأ الي ثقافه يعاد بها تشكيل المجتمع المسلم وخلقه وفقا للصوره التي يريدها الله تعالى لا حسبما يريد الناس فاصل الخير والشر من قبل التفكير لأن الفكر كما يقول ابن القيم رحمه الله هو مبدأ الارداه والطلب والزهد والترك و الحب والبغض ولهذا فإن معرفه الله وانعامه وأمره ونهيه هو الأساس الذي ينطلق منه المومن فهذه المعرفه تجعلك تقتنع بمايريده الله فهو سبحانه وتعالى يعلم ما ينفعنا وما يضرنا فإن هذا الفكر يعيطك قوه المحبه لأمر الله والمعرفه التي تدفعك الي التخلص من الأفكار الردئيه التي تمثل خطرا يقلل من امكانيه تحقيق عناصر الحضاره ونموها واستمرارها ولهذا نجد أن الخطاب للمومنين فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله)

اي لاتجعلوا شعائر الله حلالا لكم تتصرفون فيها كما تشاون بل اعملوا وفقا من بينه الله لكم وفق اراده الله ولاتتهاونوا بحرمتها فانتم تومنون بالله واليوم الآخر وكتابه وجنته وناره وبالتالي فإن هذا الإيمان يوجب منكم النظر إلي ماعند الله فالوقت ينفذ منكم فعليكم اغتنام الأوقات ولهذا جاء النص فيه الاشاره الي تعظيم ماعظمه الله تعالي من الأوامر والنواهي فالله يحكم وفق مايريد سبحانه وتعالى لا ماتريدون انتم

المفهوم الثاني

يقول الحق عليكم تعظيم ماعظمه الله تعالي من الزمان والمكان فالله قد فضل الأشهر الحرم علي سائر الأشهر وفضل المكان مثل مكه علي سائر الامكنه وفضل بعض الأيام كما فضل الرسل بعضهم علي بعض لتتسارع القلوب الي احترامها وترغب الخلق الي فصائلها وفضل بعض الامكنه لتعظيم الاجر بالاقامه فيها فأراد بهذا ازاله كلا من قيود القصور الذاتي وقيود السياق التاريخي المكون للعادات والتقاليد الموروثة السلبيه لأنهما تمنعان نمو الحضاره واستمرارها اذا حصل غياب الرؤيه التكميليه وغياب النماذج العمليه في مرحله التاسيس عندها يسلبها فعاليتها وتذبل البذره لأنها تستمد القيم من ذاكرتها السابقه ولهذا قال تعالي في سوره البقره (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله)

فهذه هي الثقافه المراد غرسها في الضمائر والعقول فعليك عند الطواف والسعي بين الصفا والمروة أن تستحضر انك تقوم بذلك طاعه لله هذا هو الخلق الجديد المكون لفعلك لا ماكان سائدا في الجاهليه فأنت تستحضر النموذج التاريخي المتعلق بهذا الأمر وهو أن هاجر حملت المشروع الرباني الذي كلفت به فقبلت بأمر الله واختياره عندما تركها ابراهيم وابنه الرضيع في هذا المكان الذي لاماء فيه ولا طعام وعندما تركها ابراهيم عليه السلام قالت له لمن تتركنا في هذا المكان فلم يرد عليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت لن يتركنا الله فطالما الله اراد هذا فالله يحكم مايريد وبعدها كانت تبحث عن الماء كما أوضحنا في تفسير الايه في سوره البقره فعندما تطواف وتسعي بين الصفاء والمرواه أن تعظم أمر الله فلا تتحرج ولاتتهاون فيه فالعبره بما تسكبه هذه المشاعر في النفوس عليك وان تنحر أن تستحضر موقف ابراهيم عليه السلام واسماعيل حينما أخذه ليذبحه تنفيذيا لأمر الله فلم يعترض ايان منهما فالله يحكم مايريد وبعد اخرج ابراهيم من قلبه كل حب ولم يبقي الا حب الله فداه الله بكبش وهو من الشعائر التي أمرنا أن نقوم بها والعبره بما تسكبه في الضمائر الحية

الأمر الثاني

أن مايشد الإنتباه هو أن الأمر جاء بقوله تعالي (لاتحلوا شعائر الله)

ولفظ شعائر نكره وهي تشمل المناسك في الحج والعمره وأمر الله ونهيه فالله يقول لنا لاتتعدوا حدود الله في أي أمر من الأمور ويدخل في ذلك مناسك الحج والعمره التي هي تجسيد لمعاني الشعائر التي هي جمع شعيره علي وزن فعليه والشعيره البدنه تهدي واشعارها أن تجر سنامها حتي يسيل الدم فتقدم هدي والاشعار الإعلام عن طريق الاحساس يقال شعر هديه اي جعل له علامه ليعرف أنه اهدي ومنه المشاعر والمعالم ومفردها مشعر وهي المواضع التي قد استقرت بالعلامات

وهذا يطلق علي كل أمر ونهي فله حد لايتجاوزه المومن

والشعائر جمع شعيره وهي علي وزن فعليه من قول القائل قد شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به فالشعائر المعالم فالله يقول لاتستحلوا معالم الله فيدخل في ذلك مناسك الحج والعمره مما أمر به المحرم ومانهي عنه وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه لأن كل ذلك من معالم دينه وشعائره التي جعلها امارات بين الحق والباطل

الأمر الثالث

أن اتجاه الأذهان الي مناسك الحج والعمره عندما يسمع السامع النداء يعود لارتباط اللفظ به لخصوصية المناسك وارتباطها بلفظ الشعائر لانه النموذج العملي لثقافه الخضوع لأمر الله تعالى دون إعمال العقل ولكن هذا لايعني عدم عموميه السبب للنزول للايه فليس هنالك مايمنع عموم المعني حيث بالرجوع إلي خصوصيه سبب نزول الايه نجد أنها تخدم أهداف تتجاوز مساله مناسك الحج والعمره في المفاهيم التي تحملها الايه قبل أن نبينها سوف نذكر الواقعه التي ساقها المفسرون لبيان أسباب النزول حيث ذكر انها نزلت في شخص اسمه شريحة البكري الذي دخل المدينه قادما من اليمامه وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما تدعو الناس إليه فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يدعوهم الي الشهادتين والصلاه والزكاه والحج...الخ

فقال الخبيث للرسول صلى الله عليه وسلم أن لي امرء لا اقطع امرا دونه لعلي اسلم واتي بهم مسلمين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال قبل قدوم هذا الشخص لأصحابه يدخل عليكم رجلا من ربيعه يتكلم بلسان الشيطان ..ثم خرج شريح من عنده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا منافق فمر بسرح المدينه فأراد البعض من المسلمين اللحاق به فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه هدي عظيمه فقال المسلمون هذا الخطيم قد خرج حاجا فاردوا أن يبادروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم أنه قد قلد الهدي فقالوا يارسول الله كنا نفعله في الجاهليه فابي النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه

يأمرهم بعدم الاستهانه بشعائر الله ...فأراد الحق بهذا بيان اهميه احترام أوامر الله ونواهيه فلا يكون استحلال حدود بحجه أن المنتهك حقوقه شخص كافر ونحوه

فالله يقول انه لايجوز تعدي حدوده مهما كانت المبررات فاللازم استقبال أمر الله بالتعظيم والاجلال وعدم التهاون بها فلا يجوز الغدر فاللازم الوفاء بالعهود والمواثيق وعليك اعلان العدو فلا توقع بهم حتي تعلمهم أن العهد انتقض ليصير وا مثلك في العلم بذلك ولهذا ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم عليا ابن ابي طالب وقيل ابوبكر ليعلن في مكه أنه لايسمح بالحج لمشرك بعد عامهم هذا ولايسمح بالحج عريان وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرمه يحرمه الله الي يوم القيامه وأنه لم يحل فيه القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الساعه من نهار فهو حرام يحرمه الله الي يوم القيامه لايعضد شوكه ولا صيده ولايلتقط لقطته الا من عرفها ...فقال العباس يارسول الله الا الا ذخر فإنه يعينهم قال ألا الا ذخر ...الخ

فالمراد بهذا تربيه المومنين علي احترام المناطق التي يكون فيها الامان فلا يجوز الاعتداء علي هذه الحصانه المقرره للمكان حتي يتم إعلان الناس بذلك

وفيه أيضا تغليظ الغدر لاسيما من صاحب الولاية العامه لأن غدره يتعدي ضرره الي الكثيرون ولأنه غير مضطر الي الغدر لقدرته علي الوفاء

وهذا فيه ذم الغدر خاصه لمن كان لهم الولاية العامه لأن الآخرين يدخلون ضمن الرعيه الذين التزم حمايتهم فمن خان اوترك الرفق بهم فقد غدر بعهد الله والايه نزلت قبل نزول ايه براءه التي كان إمهال المشركون اربعه اشهر لتصفيه تجارتهم وأعمالهم

ولهذا فإن الايه امتداد لما قبلها من الأمر بالوفاء بالعقود

وهكذا فإن اللازم الوفاء بالعهود والمواثيق التي بينك وبين الله أو بينك وبين الناس فالايات تهدف إلى تربيه المومنين التمدن والإنسانية والانضباط والتعامل بأخلاق القران الكريم وبسنه الرسول صلى الله عليه وسلم واهميه الاستعانه بسنه المواقف للرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل

المبحث الثاني

مما سبق يتضح لنا أن ابتدأ الأمر بتعظيم أمر الله تعالى وحدوده التي وضعها للناس وعدم انتهاك ايان منها يتناول التحذير من الغدر بعقد الايمان الذي تعاقدوا عليه مع الله يقول لهم الحق (لاتحلوا شعائر الله)

هو حكم عام مرتبط بماقبله من الأمر بالوفاء بالعقود ليكون القران الكريم ومافيه من قواعد وقيم ومبادئ هو الذي يحكم المومنين ومن يدينون بدين الإسلام ومن ينطون تحت رايه الدوله الاسلاميه ويدخل في ذلك العقد الذي بين من يتولي السلطه السياسيه في النظام الإسلامي فهذا من أهم العهود والمواثيق بين الحاكم والمحكوم فالقران هو الدستور الذي ينظم كافه أوجه الحياة والعلاقات بكافه اشكالها بين الناس أفرادا وجماعات ودول وان مخالفه هذا الدستور في أي أمر من الأمور يعني السقوط في مستنقع في التخلف والانحطاط و الخروج من دائره الايمان فهو الوثيقه التي ترسم شكل الدوله ونظامها وسلطاتها ومهام كل عضو فيها ابتدأ من رأس النظام الإسلامي الي الفرد المسلم فالكل مشارك في بناء السلطه ومساهم في أداءها هكذا هي فلسفه الحضاره الاسلاميه فالحاكم يخضع لعقد بينه وبين المحكوم يستمد قوته من ارتباط هذا العقد بالإيمان وينشي من قاعده التراضي التي توسس السلطه العامه بأن يختاره الشعب أو الفئه التي لها حق اختيار الحاكم ومبايعته فعندما يحصل علي هذه الشرعيه تصير بمنزله حد من حدود الله توجب طاعته ما التزم بشروط العقد باقامه حكم الله فيهم ولأن طبيعه العربي وما اعتاد عليه في بيئه القبيله من طباع التمرد علي الدوله فقد حرص الإسلام علي تربيه المومنين علي الانضباط في الصف بتحذيرهم من استحلال أوامر الله ونواهيه في هذا المقام وغيره وايضا لأن الانظمه التي كانت تحيط بجزيره العرب كانت ترسم لنا صوره للحاكم المستبد في أداءه للسلطه وهذا مايطلق عليه الوثنيه السياسية لهذا جاء الإسلام لتحذير كلا منهما من الغدر بالقيم والمبادئ المعترف بينهما فلا تتصرف القياده وفقا لاهواها بل هي تخضع لمبادئ الشريعة في أداءها وكذلك فإن بناءها يقوم علي الأراضي بالوسائل السلمية فلا تخون السلطه الامانه لأن ذلك يعد غدر للقيم والمبادئ التي تمثل حدا من حدود الله تعالي ولايجوز أن تصل الي السلطه بالقوه وبما يهدم قيم البناء ولهذا قال تعالي (أن الله يحكم مايريد)

فيه بيان أن القرآن فيه حكم الله الذي يحكم الحكام والرعيه وهذا النظام فيه التطور والرقي للإنسان وضمان حريته وكرامته فقد شرع الإسلام للرعيه سلطه اختيار الحاكم وخلعه اذا خالف المنهج الرباني وجعل للحاكم حقا عليهم ما التزم منهج الله فلا يوجد تقدم مادامت الجماهير مغلوبه علي أمرها ويفصلها عن السلطه الحاكمه حواجز وخرسانه تحجب عليها مراقبه أداء السلطه كما هو حال المسلمون في الوقت المعاصر فإن ذلك يعني أن يكون الحاكم متسلطا علي رقاب الناس فهو يتصرف فيهم وفق مايريد هو وبالتالي فإن هذه الجماهير لاتعطي طاقاتها الخلاقه التي تصنع التقدم لأنها تدرك أن السلطه لاتعمل لمصلحتها التي تومن انها فيها السعاده في الدنيا والآخرة والتقدم لايتحقق الا من خلال التكامل بين الحاكم والمحكوم بتعبئه طاقات الجماهير صاحبه المصلحه في التقدم لتصنعه وتحبه

جاءت الشريعه بهذه التوجيهات ولهذا نجد الآيات ابتدأت بالأمر (لاتحلوا شعائر الله)

بالنهي عن التهاون أو التضحيه بشعائر الله معالمه التي جعلها أساس هذه الحضاره التي فيها الخير للبشريه كلها سؤاء كانت هذه المعالم والحدود في جانب الطقوس الدينية من العبادات أو في المعاملات بين الأفراد أو العلاقات الاجتماعية أو تعامل الحاكم والمحكوم أو التعاملات الدوليه

ولهذا ارتبطت الآيات بالحج ومناسكه كما يتضح من الآتي

لغرض بناء الشخصية الاسلاميه والحضاره الاسلاميه واستمرارها ونموها بمراعاة عوامل تقدمها بالوقوف علي النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

تربيه المسلمين علي الانضباط والتشجيع علي السلام واشاعته في التعامل مع بعضهم البعض ومع البشريه جميعا ولهذا حرم الله القتال في الأشهر الحرام وهي رجب وشؤال وذي القعده وذي الحجه أنها اربعه اشهر في السنه يمنع فيها ابتداء القتال أنها اشهر يكون فيها الا مان بين الدول المتحاربه وهذا فيه ترويض الناس علي قمع قوه الغضب والابتعاد عن أجواء الحرب والخوف واستبداله بأجواء السلام وا لأمان فقال تعالي (أن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعه حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)

فالحث علي حرمتها لايعني اباحه الظلم في غيرها وانما أراد بهذا التشديد بشأنها اهتماما واعتناء بشأنها ليعيش عالم البشريه أوقاتا بسلا م وأمان لازاله بواعث الدمار والقتال والاحساس بقيمه السلام وأنه افضل من القتل

ولهذا قال تعالي (فإذا انسلخ الأشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)

لكن لايعني هذا الافراط بالتمسك بالسلام الساذج الذي بذل الإنسان ويقتل فيه قوه الغيره والحميه للحق فقد منح الاسلام الامان لمن التزم بذلك ولهذا اذا خرق العدو حرمه وحصانه الزمان فعليك أن ترد بالمثل دون أن تتجاوز الحد فقال تعالي (يسالونك عن الشهر الحرم قتال فيه قل قتال فيه كبير....الخ

فهذه هي الوسيطيه والاعتدال في شريعه الاسلام فلم تأتي لتعظيم قوه الغضب كما هو حال اليهود ولا تعظيم قوه الحب والتسامح المذموم كما هو حال النصاري الذين بالغوا في ذلك لدرجه الساذجه فقالوا اذا لطمك عدوك بخدك الأيمن فادر له الخد الايسر

الأمر الثاني

تربيه المومنين علي تجريد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام من اغواش التاريخ الذي عاشه اهل مكه بامتثال أمر الله في جميع مجالا ت الحياه فلابد من تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية من ركام الفكر الجاهلي ليكون القران الكريم وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم هي التي تحكم الحياه كلها للوصول إلي الصوره التي يريدها الله تعالي من خلال اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وآثاره الا حساس التي تجعل المسلم قادرا علي القيام بأمر الله ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى جعل من الحج مدرسه لتدريب المومنين علي كيفيه امتثال أمر الله وتجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ الفاسد

و يتضح هذا من خلال الآتي

االمساله الاولي

جاء الأمر بالنهي عن استحلال حرمه الأشهر الحرام بالأمر بالاعتراف بتعظيمها وترك مانهي الله عنه ومنها الابتداء بالقتال كما أوضحنا للحث علي تجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ لأن العرب كانت تحرمها ولكنها تتلاعب بها حسب اهواها ورغباته والتي منها أنهم كانوا يوجلونها بفتوي الكهانه أو بأمر زعماء القبائل فقال تعالي (إنما النسئ زياده في الكفر ....الخ فكانت هذه الاغواش الفاسده المورثه من بيئه الجاهليه تشكل ثقافه فكريه فاسده فأراد بهذا الحق أن يربي المومنين علي تجريد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام من اغواش التاريخ لما تمثل من ازمه تفسد قيمه المبادئ فلا يجوز التضحيه باالمبدا فلا بد من استعياب فعل الزمان في قيم الإسلام يربيهم من خلال هذا السلوك الذي يتجرد من غواش التاريخ الفاسد لأن القيم تسعي لتحقيق الهدف منها كي تحل محل الواقع فلابد من تكوين الثقافه لحضاره الاسلام في المجتمع باعاده تشكيله وفق الصوره التي يريدها الله تعالى بعد غرس المبدأ فهذه المساله المتعلقه بأمرهم بترك سلوك المشركين المتعلق بالاشهر الحرم تدريب لهم علي كيفيه غرس المبدأ وإدخاله في مختلف العلاقات السائده في العالم فعليا فليس الأمر محصورا علي احترام الأشهر الحرم فقط بل هو نموذج لتزود المومنين بالقدرات والمهارات والتراث لكيفيه تحويل قيم الإسلام الي واقع فعلي وكيف يكون التخلص من اغواش التاريخ الضار ليكون لمبادئ الشريعة دوها في واقع الحياه سؤاء كانت هذه المبادئ متعلقه بأمور السياسيه والحكم والاقتصاد والعبادات والمعاملات في كل شأن من شؤؤنه فلا يكون التفريط ولا الإفراط باي من هذه المبادئ الاتحت حكم الضروره وبقدرها دون التجاوز لها فقال تعالي في سوره البقره (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما

اعتدي عليكم واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

ولهذا فإن الأمر بتجرد القيم والمبادئ من غواش التاريخ المتعلق بما عاشه اهل مكه قبل الاسلام أمر عام وليس النهي محصورا بمساله النهي عن سلوك أهل مكه باستحلال الأشهر الحرم وانما هذا نموذج لتربيه المومنين وإظهار مفاسد الموروث الذي لايستند الي اصل من الشرع الإسلامي ونحن نعلم اليوم كيف صار حال غواش التاريخ في النظام السياسي الإسلامي الناتج عن التضحيه بشرعيه اختيار الحاكم نتيجه تزاحم هذا المبدأ مع مبدأ الخوف علي وحده الامه بعد صفين كما ذكر مالك نبي قد ادي الي إضفاء الشرعيه علي سلطه الاستبداد التي كرست الوثنيه السياسه حيث صار الحاكم يتخذ من فتاوي العلماء التي أفرزتها حاله الاضطرار بنظرهم الي أن صارت لها دور سلبي في عرض فلسفه الاسلام وحضارته فقد استباح المستبدين حقوق المسلم في اختيار الحاكم وصار القهر ومصادره ارده الشعوب المسلمه لها تأصيل شرعي وادي الي تعطيل القيم وتشويه صورتها وهذا ماحذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (لتنقض عري الاسلام عروه عروه اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه)

فتبرير هولاء لثقافه القبول بالاستبداد والتعايش معه وتبريره يعود إلي استحلال حدود الله نتيجه غواش التاريخ للفقهاء الذي صار ينظر إليه أنه منزل منزله القران فحصل هذا الانحطاط الذي نعيش فيه

المساله الثانيه

ان الإسلام يهدف من هذه الأوامر تربيه المومنين علي كيفيه تنقيه التاريخ الموروث من الاوساخ فليس كل ما يعود للماضي مرفوض بل اقتصر النهي عن غواش التاريخ الذي يلوث المبدأ وأما ما كان فيه الفائده فيجب الأخذ به مع فارق بين فعلك وفعل السابقين فأنت تمارس ذلك اقتداء بالقدوه الصالحه النبي صلى الله عليه وسلم عن علم بمشروعيه هذا المبدأ بينما غيرك يفعل ذلك دون التزام ديني وانما عباده المألوف الذي وجد عليه أسلافه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

فالأمر تضمن لاتتركوا الاهداء الي البيت الحرام فإن من تعظيم شعائر الله ولاتتركوا القلائد والهدي هي الانعام التي تهدي لبيت الله فتخصص كي تذبح في الحج والعمره فلا يجوز اعتراضها ومنعها من الوصول إلي محلها ولايجوز نحرها لغير الغرض الذي خصصت له و لايجوز أن تذبح في غير يوم النحر ولايجوز أن يأكل منها من أهداها ولا الانتفاع لاشعارها بشي بل يجعلها للفقراء وعطف عليها بقوله (ولا القلائد) هو نوع خاص من الهدي يفتل له قلائد أو عري توضع في اعناقها لتعرف انها خصصت لبيت الله حيث كان أهل الجاهليه يفعلون ذلك فتعرف فلا تتعرض للنهب فيقول الحق أن هذا الأمر مما يلزم عليكم امتثاله لكن يجب عليكم تصحيح النوايا بأن تقصدون من ذلك اظهار لشعائر الله ولهذا عطفها علي الهدي للاختصاص بأنها من أشرف الهدي فالتعظيم هنا لشعائر لقوله تعالى

(لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله تقوي القلوب)

وفي هذا بيان أن القصد من الهدي هو تطهير النفس من الشح وتزكيتها حتي تتحقق بالتقوي

ولهذا عطف بقوله (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

يامر باحترام حق كل من يدخل مكه لأجل الحج والعمره أو التجاره الحلال وطلب رضوان الله فقد اعطاءهم الله الامان فلا يجوز الا عتداء عليهم

والايه انفردات بقوله (يبتغون فضلا عن ربهم) عن سائر ماورد في القران في هذا الأمر حيث أنها ذكرت (فضلا من الله)

والفرق بينهما أن الاولي متعلقه بعطاء الله الذي منحه المومن والكافر فالله رب كل الناس ومن ذلك احترام كرامه الانسان وحريته وعدم استباحه دمه أما (فضلا من الله) وهذا خاص بالمومنين لأن هذا العطاء متعلق بنعمه الايمان والمنهج الرباني الذي استهل به الآيات (لا تحلوا شعائر الله)

وهذا فيه أن تحقيق مراد الله والوفاء بالعهد إنما يكون بالوسيطيه والاعتدال واول خطوه تحقيق ذلك هو تنقيه الاوعيه الذهنية و النفسية والعقلية من سلوك المشركين بشأن استحلال الأشهر الحرم والهدي والقلائد وأمين البيت الحرام. وربط ذلك بقيم ومبادئ الشريعة المتعلقه بنظام الحكم والاقتصاد...الخ

وبالوقوف علي مدلولات النصوص وربطها بما أشرنا إليه نجد الآتي

المدلول الاول

يخبرنا الحق أن في الحج منافع كثيرة في الدنيا والآخرة نتعلمها فهي مدرسه تربويه من الرب لعباده في جميع المجالات فالحج مدرسه تدريب عملي علي امتثال أمر الله تعالى يقول الشيخ ابو الحسن الندوي الحج بمناسكه وأركانه وأعماله كله تمرين وتمثيل للاطاعه المطلقه وامتثال الأمر المجرد وتلبيه واجابه وطلب فالحاج يتقلب بين مكه ومني وعرفات ومزدلفه ثم مني ومكه يقيم ويرحل ويمكث وينتقل ويخيم ويقلع إنما هو طوع اشاره ورهين أمر)

فهي تستوعب عنصر الزمان والمكان واختلاف الأفعال عما هو مألوف

ثم إن كثير من أعمال الحج قد لاتدرك بالعقل ومنها تقبيل الحجر الأسود كما ورد عن عمر بن الخطاب والله اني لاقبلك واني لااعلم انك حجر وانك لاتصر ولاتنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)

فما دام العقل لايدركها فإن الطبع لايميل إليها إلا امتثالا لأمر الله واقتداء برسوله صلي الله عليه وسلم وبذلك يظهر كمال عبوديه المسلم لربه وترويض نفسه لطاعه الله وهذا إنما يكون نتيجه قوه حب العبد لله والله يقول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وإ لا ما الذي يدفعهم الي أن تتهوي قلوبهم الي مكه وبيته الحرام الذي جعله للناس قياما حيث وبالنظر الي موقعه نجد أنه خالي من كل مظاهر الحياة فلا ماء ولا انهار ولامناظر سياحيه ولاوديه ولا انهار وجبالها خشنه ورمال يصعب السير فيها والاستنبات فيها ومن هنا تظهر لنا قيمه الحب كقمه من قمم العباده ولهذا ابتلاء الله عباده بهذه الاحجار التي لاتنفع ولاتضر فلو شاء لاجعل الكعبه في منطقه عامره فيها انهار ومناظر سياحيه وفيها احجار كريمة لكن سنه الله أن يبتلي عباده بالمكاره اخراجا للكبر من قلوبهم وإسكانا للتذلل في نفوسهم ليجعل من ذلك أبوابا مفتوحه وواسعه لفضله واسبابا معبده لعفوه فقال تعالي (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

وابتغاء رضوانه سبحانه وتعالى إنما يكون بقوه الحب لله التي تقطع بها الطريق الي الله تعالي التي لها جناحان المعرفه والحب لأن المعرفه للإنسان نسبيه ولهذا فإن المعرفه وحدها بدون الحب تجعل من العباده ناقصه وغير صحيحة لأن المعرفه النظريه تحتاج الي قوه تحويلها الي معرفه تطبيقيه وهكذا فإن التقرب الي الله تحتاج الي القوه النظريه العلميه بمعرفه الله واسماءه وصفاته وأفعاله وكماله و الطريق الموصول إليه سبحانه وتعالى ثم الي قوه اراده في الجانب العملي ..والقوه الاخيره تتفاوت من انسان لآخر لأن الطالب عندما يتعلم الهندسه مثلا يكون قد حظي بالعلوم النظريه لكن لايمكن القول إن يقول فن الهندسه حتي يقطع شوطا في العمل الميداني ف المعرفه النظريه لاتنفصل عن التطبيق ساعتها يمكن القول إنه تعلم الهندسه لكن لايصبح سيد ا في هذا المجال حتي يتفاني في الاهتمام بعمله ليصبح بارعا في هذا المجال بحيث لايصير في العالم كله شئيا اهم عنده من الهندسه وهكذا لايكون الوصول إلي رضوان الله الذي تبتغيه حتي تبذل كل جهد وتبذل وتعطي وقتك ومالك وكل شي طاعه لله فتشعر انك عندما تعطي انك تاخذ رضوان الله ولأن العطاء يحتاج الي رقي الإنسان لأن معظم الناس يحبون أنفسهم فحسب ولهذا فإن الوصول إلي رضوان الله يبدأ فيه المسلم بالخروج من ذاته وحب الله وحب الآخرين طاعه لله ويزداد هذا الرقي كلما نضجت شخصية المسلم ووجدانه وهذا إنما يكون بالوعي بانك جاءت الي الدنيا بغير اردتك وستذهب منها بغير اردتك وستذهب لاتملك شيئا إلا الكفن ولن يستطع أحد أن ينقذك ولهذا نجد أن رحله الحج تبدأ بلبس الاحرم وهو قماش ابيض مثل الكفن تتجه بالنداء لبيك اللهم لبيك تخرج من سجن الذات الي الاتصال بالله تشعر انك لست وحيدا ولاغريبا فأنت متصل بالله تعالي فلا تخاف الا الله

المدلول الثاني

مما سبق أن الغرض من الحج هو التقرب من الله فالحاج يوقن أنه ليس وحده في الكون لاتصاله بالله من لحظه الإحرام ولهذا

و فإن العبره بماتسكبه الشعائر في أغوار النفس والضمير من مشاعر الحب لله فالجانب التطبيقي للحج هو تعظيم مشاعر الله التي أقامها ابراهيم عليه السلام وإبراهيم هو النبي الذي اتخذه الله خليلا وأحياء شعائره احياء لشعائر حب الإنسان لله ولهذا فعندما ينحر المسلم بالاضاحي فإنه يحتفل بذلك ولكن في نفس الوقت يستحضر قصه النبي ابراهيم الذي امره الله أن يذبح ولده اسماعيل فاطاع فتكون طاعته اشاره الي أن المسلم هو يحب الله اكبر وأكثر ممايحب نفسه وأبناءه

وبهذا يكون تجريد الشعائر من غواش التاريخ الفاسد الذي حول الذبح الي عاده ورغبه في كسب المال في موسم الحج كما كان يفعل المشركون ولهذا كان لابد من ازاله غواشي التاريخ من الادران التي لحقت بالقيم لتكون هذه القيم قادره علي تحقيق حركه التقدم الي الا مام وهي حركه محكومه بظروف موضوعيه في اتجاه مستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية ظروف تتاثر بسلوك المجتمع وتوثر فيه وتتحرك بعمل ارداي ولهذا نجد أن مخاوف المشركين من زوال امتيازاتهم العائده من موقع مكه المكرمه الذي صار وسيله جلب المال فقالوا (فقالوا إن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا)

ولهذا فإن ازاله غواشي التاريخ مهم لتوفير الاراده التي تحرك قوه التقدم بالعمل علي تمكين القيم من أداء ها لدورها ولهذا فإن التقدم مرتبط بالظروف الموضوعيه بمستوياتها تدفع الي ان تتحرك بعمل ارداي لكنه لايحقق غاياته المقصوده الا إذا انبعث عن إدراك يصقله العلم وتهذبه خبره حتي تتوجه حركته وفق ضوابط مقدره ومحسوبه وصولا إلي الهدف ولهذا فإن تغيير الظواهر السلبيه يستلزم إدراك كيفيه احداث ذلك إلي جانب الاخلاص في اراده أحداثه ولهذا فإن الحج مدرسه لتدريب المومنين علي تجريد القيم والمبادئ من

غواشي التاريخ الفاسده التي إذا لم ينتبه لها بحسن نيه أو بسؤء نيه عند تحريك مستويات الظروف الموضوعية في إطار التطور والرقي فإنها تولد نتائج عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون ولهذا فتشويه المواقف من قبل الأعداء لايعني أن تهمل هذه القيم بل عليك ازاله الغبار الذي لحق بها وإظهار الوجه الحسن لهذه المواقف ولهذا يقول الله (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله...الخ

يقول الحق لايكون اساءه المشركون لهذا الموقف بتصوير صوره مغايره لحقيقه هذه المشاعر باعثا علي هدم هذه المشاعر لازاله تحرج المسلمين من الطواف والسعي بين الصفا والمروة لانه كان في الجاهليه الناس يسعون ويطوفون حول صنمين فأخبرهم الله أن يكون الطواف والسعي منهم هو استحضار لموقف هاجر وكيف أنها حملت المشروع الرباني ونفذت أمر الله

يقول الحق لك أن عليك أن تدرك الغرض من الحج هو التقرب من الله تعالى وتقرب الناس بعضهم البعض إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض وهدف واحد وفي ذلك تجديد الالفه والاجتماع والتعارف مما يقوي الاسلام

فهو بمتابه اجتماع الامه من كل مكان يلبسون الابيض لافرق بين غني ولافقير ولا عربي ولا أعجمي فهذا يجسد مبدا المساواه وفيه تجسيد الاجتماع علي طاعه الله فهو موتمر عالمي يجمع المسلمون حول وحده الهدف ووحده المشاعر ووحده الاتجاه تجمعهم اخوه الا سلام علي طاعه الله ويكون التعارف والتآلف وتتطهر النفوس من الأحقاد والانانيه والتكبر وتعوض بالتواضع والمحبه والبذل والايثار حتي تترتقي النفس وتسمو وبهذا يكون تجريد القيم من غواشي التاريخ الفاسده نظرا لأن المشركون كانوا قد اتخذوا من الحج وسيله الا ستعلاء بالباطل علي الناس فخصوا أنفسهم بشريعه الحمس التي تميزهم عن سائر الناس حيث منعوا الناس من الحج بملابس إلا أن تكون من ملابس قريش أو يحجون عرايا لاملابس عليهم فاردوا بذلك استغلال موقع مكه وحب الناس لها وسيله لكسب مكاسب ماديه وسياسيه واقتصادية واجتماعية وامتيازات بدل المساواه والإخاء فقد اندفعوا تحت حاله نفسيه من التعصب للسلاله والجنس وبهذا ادخلوا علي القيم أفكارا فاسده وهو مايجب الحذر منه فكان الحج لتحرير نفس المسلم من الكبر والعصبيه

ففي الحج تدريب علي الحياه الفاضله التي يريدها الاسلام وتحمل مشقه السفر وغذاء للروح واستحضار التاريخ الذي يربطك بموكب المومنون من الوقوف علي مشهد ابراهيم واسماعيل وهما يقومان ببناء الكعبه ومشهد تحمل هاجر لمسؤوليه التكليف الإلهي لها بالمكوث في هذا الوادي الذي لم يكن فيه ناس ولاماء ولا زرع خالي من كل مظاهر الحياة وغيرها من الأمور التي ترتبط بجميع جوانب الحياة

ولهذا يختم الايه بقوله (واذا حللتم فاصطادوا)

أنه بعد الانتهاء من الحج فإنه يجوز لك العوده الي الحياه الطبيعيه بزوال العارض فيجوز لك الصيد فالإسلام لايسرق الإنسان من الدنيا وانما هي مرحله تربيه وتهذيب للمسلم وإصلاحه بأخلاق الاسلام الإيجابية فهي اخلاق السماحه واليسير وليست انفعالات التعصب و التزمت ولهذا يقول الحق بعدها (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام...الخ

المبحث الثالث

تبين الآيات الصور التطبيقيه التي يكون بها تجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ الذي يلوث المبدأ الذي عاشه اهل مكه قبل الاسلام مبينا أن الخطوه الثانيه هي نقل المبادئ والقيم التي احتوائها الدستور الرباني من حيز الالتزام الأخلاقي للفرد في العباده والعلاقات الي حيز الالتزام القانوني للجماعه كدوله وتفعليها في واقع الحياه ليوكب التطور والرقي الذي انتقلت إليه البشريه من مرحله الطفوله الي مرحله النضوج والرشد بنزول القران الكريم لترجمه قيم الإسلام الي مؤسسات وإجراءات تعبر عن شكل النظام الإسلامي وأهدافه وعن التطور والرقي الذي جاء به الإسلام ليرتقي بالإنسان من الهمجية والتوحش الي التمدن والإنسانية والانضباط ولهذا كان الخطاب للمومنين باعتبارهم المعنين بهذا التطور والرقي الذي يحقق الكمال والرقي المعبرون عن قيم الإسلام الحنيف الذي يقع على عاتقهم الدفاع عن ليصبحوا من بعد ذلك علامات مميزه عن هذه المرحله فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي وسنه الخلفاء المهدين من بعدي)

فقال تعالي (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

يقول الحق لك ايه المومن ان العز والتمكين للمسلم في الأرض لايعني أن تمارس التشفي والانتقام من عدوك فأنت عندما يكون لك القوامه والقياده علي الناس عليك التعامل بالعدل وان تتجرد من الانفعالات النفسية والتعصب فأنت ملزم بالوفاء بعهد الله بالتعامل بأخ لاق الاسلام فالتزم حدود الله ومنهجه والاستقامه علي هذا المنهج والتزم العدل حتي مع عدوك الذي أساء إليك فقال تعالي (ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) اي لايحملنكم ماكان من الكفار من أفعال واذيه والتي منها ماحصل في

الحديبيه من منعكم من زياره البيت الحرام التي أظهروا فيها البغض والعدوان وسؤء الاخلاق علي أن تعتدوا عليهم والتشفي منهم وهضم حقوقهم بعد أن صار لكم التمكين والعز في الأرض وصار حالهم الذل والهون والضعف والاذعان لحكم الاسلام فاعلموا أن القوامه لكم علي البشريه قائمه علي العدل وهو ميثاق الله الملزم عليكم الوفاء به

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن النصوص تهدف إلي خلق مناخ تشريعي ونفسي ملائم للمرحله لمرحله الصعود والتطور والرقي الذي انتقلت إليه الجماعه الاسلاميه كي تتمكن الجماعه من الاستمرار في إرساء قواعد وقوانين الحضاره الاسلاميه واستمرارها ونموها المتواصل لتجسيد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام للبشريه كلها وقيادتها نحو العداله والمساواة والتقدم والرفاهيه يعلمهم القران أن عليهم مسؤوليه تحويل القيم الي واقع فعلي في الحياه فمهمه الثوره التصفيه الجذريه للعقبات التي تحول دون التقدم ولتمهيد طريق الشعوب نحو التقدم فالقيم ليست مجرد شعارات ترفع بل لابد من الانتقال بها من حيز الالتزام الأخلاقي للفرد الي الالتزام القانوني للجماعه كدوله وتفعليها في واقع الحياه ولهذا جاء الأمر بترك الانفعالات السلبيه التي تدفع للانتقام من الذين اساوا اليك عندما تصل الي مرحله التمكين فالإسلام يعترف بحق الإنسان أن يغضب لكن لايمنح له الحق في استخدام قوه الغضب بما يفرط قيم العدل طالما صار لك القياده فعليك أن تدرك الانتقال لمرحله التطور والرقي الذي انتقلت إليه وإن قياده التطور تتطلب منك التعامل بأخلاق الاسلام الإيجابية التي تحكم هذه المرحله فلا تنجر وراء الانفعالات لأن ذلك يعني التفريط بقيم العدل فالتمكين يعني أنك في مرحله ابتلاء جديده لينظر الله كيف تتصرف ولهذا يقول الله لك مرحله القياده والقوامه تستوجب منك أن تلتزم طاعه الله وان تترفع إلي مستوي الدور المناط بك في قياده البشريه فلا تتأثر بـ الملابسات العارضه فأنت الاتغضب الا لله فعليك الشعور بالمسؤولية والمرحله الجديده التي انتقلت إليه بالارتقاء الي مستوي هذه المسؤولية بالتعامل بأخلاق الاسلام فعليك التخلص من الانفعالات السلبيه التي تقلل من قدراتك علي استعمال ملكات العدل

المفهوم الثاني

يخاطب الله المومنين بهذا الخطاب في ظل الجو الذي وردت فيها النصوص من الحث علي الوفاء بالعقود واعطاء الامان لتربيه المومنين علي اخلاق الاسلام في مرحله قياده التطور وإصلاح حالهم بما يتناسب مع المرحله يقول لهم أن المرحله تتطلب وجود أشخاص محددين ذوي قدرات معينه قادرين علي التعبير عن حقيقه القيم والمبادئ التي تمثل طموحات وأماني الشعب ويتطوعون للدفاع عنها وان هذا الدفاع يبدأ من قمع انفعالات النفس ليصبحوا من بعد ذلك علامات مميزه لهذه المراحل فذكر قبلها الأمر بعدم التعرض لمن يزور البيت الحرام فقال (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

فهو تعالي استخدم لفظ الربوبيه ولم يقل (من الله) ومعلوم أن عطاء الرب يعم الكافر والمومن علي حد سواء فهو رب العالمين فأراد بهذا أن يزيل العصبيه من نفوس المومنين حتي لا يكون الخضوع لله لاعلاء دتكاتوريه باسم الإسلام فليس فيقول لهم ليس هذا هو التعظيم لأمر الله (عطاء الألوهية) الذي هو متعلق بافعل ولاتفعل في قوله (لاتحلوا شعائر الله)

فعطاء الله الذي تحتاجونه وهو المنهج الرباني افعل ولاتفعل خاص بكم أما عطاء الربوبيه فيشمل المومن والكافر

ولهذا فإن الذي يميزكم عن الكفار هو هذا المنهج الرباني الذي هو عطاء الله الذي اختصكم به وحدكم ولهذا فإن واجب هذا العطاء أن تمتثلوا أمر الله وتقدروا الله حق تقديره والله قد وصاكم بحسن معامله الزائرين للبيت الحرام حتي وان كانوا كفار لأن الايه نزلت قبل النهي عن دخول المشركين مكه المكرمه فيقول لهم الحق لاتعتدوا عليهم انتقاما لما فعلوه من قبل في الحديبيه فانتم قد انعم الله عليكم بالقوامه علي منهجه في الأرض والقائم علي منهج الله يجب أن لايكون فيه عصبيه فمن غير اللائق علي منهج الله أن يسعي الي الانتقام من الكافر لأن هذا يتنافي مع القوامه ولايلتقي معها

الأمر الثاني

أن مجي الأمر بحسن التعامل مع المشركين في إطار حرمه الزمان والمكان التي قررتها النصوص هو لبيان ان هنالك فرق في تعامل المومن مع الكفار ودولتهم عندما يكون لهم دوله وبين تعامل المومن مع رعايا الدوله المسلمه الذين لايدنيون بدين الإسلام حيث أنه قد عرفنا في سوره البقره أنه إذا حصل اعتداء علي المومنين في الشهر الحرام أو البيت الحرام فإنه يجب رد العدوان بالمثل فليس للزمان والمكان حصانه في حاله قيام العدوان وهذا ماحصل في بيعه الرضوان بالحديبيه ولهذا يبين للمومنين أن المرحله التي هم فيها من العز والتمكين فقد اذعنت مكه لحكم الاسلام فعليك أن تدرك أن فلسفه الاسلام أن الحكم يقتضي عدم التميز بين المومن والكافر يقول لهم عليكم أن تكونوا اهلا لهذه المسؤوليه والتي هي امانه في أعناقكم فجاء النهي في إطار اعاده تشكيل عقولهم وصياغه قلوبهم والارتقاء بنفوسهم بما يتناسب مع المرحله التي انتقلوا إليها

المفهوم الثالث

يقول لك الحق انك مكلف بإيصال الخير للناس ولهذا فإن من أوجه الخير أن الالتزام بقيم الاسلام وإصلاح أحوال الناس وترجمه القيم و المبادئ الي اجراءت وموسسات فأول هذه الإجراءات أن تكونوا مثالا يقتدي به يعرف الآخرون من خلالكم

سماحه الاسلام ليكون انتزاع الإنسان من طباعه الهمجيه وتوجيه الي لوزام الانسانيه ومبادي التمدن وهذا الأمر يحتاج الي الاقتناع منهم بهذا التطور الذي جاء به الإسلام لانه لايحصل التطور لأي مجتمع الا عندما يقتنع أبناءه بفلسفه التغيير وترك ما اعتادوا إليه وهذا الأمر يحتاج الي اراده قويه ومعرفه بفضائل ومنافع الخلق الجديد ويشعروا بإخطار واضرار الخلق القديم ليكون طرد ودفع الأفكار الردئيه التي تمنعه من القبول بالتطور

ولهذا عندما يجد الكافر منك التعامل معه بالعدل لابد أن يسأل ماالذي منعك من عدم التعامل معه بالاساءه التي تعامل بها معك كما حصل من المشركين للمسلمين في الحديبيه لابد أن يسألك عن ذلك فإذا أظهرت له السبب أن ذلك ليس عائدا الي تسامح ناتج عن نسيانك ما حل بك وانما هو امتثالا لأمر الله الذي اوصي بحسن التعامل معهم لابد أن هذا الكافر يلمس في أعماق نفسه الطاف الرب وعنايته وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان سؤء كان مومن أو كافرا عندها يعلم أن الله يحميه ويرد عدوان المومن فإذا شاهد الكافر امتثال المومن لأمر الله سوف يري منافع الايمان ويري فائده الحضاره الاسلاميه عندها بترتيب علي ذلك اصلاح حاله وشعوره بنقص وفظاعه وشناعه ودناءه سلوك الجاهليه وعصبيتها المقيته فيكون ذلك اظهار لشعائر الله ونقلها الي الآخرين الذين لم يتمكنوا من حضور موسم الحج أما لخوفهم من الانتقام الذي يتوقعه من المسلمين لما فعله بهم وبهذا يكون الأخبار التي ينقلها عنكم الذين حضروا موسم الحج شاهدا علي ما أحدث فيكم الاسلام من تغيير أعاد صياغتكم بما حقق لكم هذا السمو العقلي والنفسي والتعالي علي الضغائن والأحقاد دافعا قويا لقبولهم بالحضاره والشعور بنقص الجاهليه وبذلك تصبح هذه الحضاره محل اهتمام الكثيرون فمن حضر وشاهد حسن التعامل معهم رغم مافي نفوسكم من الالم والمعاناة التي تسبب بها المشركون سوف يكون بمثابه داعيه يبعث في نفوس السامعين الشوق للالتحاق بالإسلام ونبذ العصبيه والهمجيه التي تحيط بحياتهم فيسهل عليكم بعد ذلك الدور المناط بكم

الأمر الثاني

أن عليك أن تفهم حقيقه دورك في تعرف الناس بقيم الإسلام الحنيف وحضارته فأنت مكلف بإصلاح أحوال الناس ونقلهم للانطواء في حضاره الاسلام والحق لم يكلفك بما يفوق طاقاتك فهو سبحانه وتعالى يعلم حقيقة المشاعر التي في النفوس ولهذا يقول لك الحق من حقك أن تغضب وان تكره من يسئ اليك بفعله العدواني لكن انتبه أن يحملك البغض والكره علي العدوان فقال تعالي (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا)

وكلمه (لا يجرمنكم) تعني لا يحملنكم لانه يقال اجرمني فلان علي أن أفعل أو صنعت كذا اي حملني وكلمه (شنئان) اي شده العدواه وفعلهم مثل الذي صدر من المشركين في الحديبيه من (صدو كم عن المسجد الحرام) حيث منعوا المسلمين من زياره البيت الحرام مستغلين مالهم من سياده علي مكه التي فيها البيت الحرام واعلنوا الحرب لأجل ذلك ولهذا يحذر الحق المومنين من أن يتحول الغضب الي نزعات اجراميه فالحق لايكبت مشاعر النفوس لكن لايسمح أن تتحول الي سلوك اجرام

فالإسلام لايتدخل في العمليه النزوعيه الا عندما يدخل في الحركه الانسانيه فيكون كبحها حيث أن الشعور له مقدمات قبل وصوله الي النزوع (إدراك ..وجدان ...نزوع)

فالإسلام لايمنع الإدراك الذي يحصل لك وانت تشاهد فظائع المذابح التي يتعرض لها اهل غزه في لحظات كتابه هذه السطور أثناء غزو اسرائيل لغزه بعد طوفان الغضب مثلا أن تكره سلوك الصهاينة وان تجد في نفسك حب الانتقام منهم فهذا أمر مطلوب للتشفي منهم في ما إذا تمكنت من المشاركه في قتالهم بمعركه الجهاد ضدهم فهذا أمر مرغوب به فليس مباحا وهذا الإدراك الذي أغضب المسلمون في الحديبيه وانتقل الي وجدنهم والنزوع للانتقام منهم عندما أشيع مقتل عثمان فكانت بيعه الرضوان فلو حصل قتل عثمان فعلا وحصل القتال معهم فإن لهذه المشاعر اهميه عظيمه للاقتصاص لعثمان وهو أمر يرضي الله بدليل أنه سماها تعالي بيعه الرضوان فقال تعالي (لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجره)

فهذا هو مجال التشفي من ظلم الكفار في فتره الحرب أما عندما يكون عقد مصالحه معهم أو بعد أن يحصل للمومنين الظفر عليهم وصار لك الحكم كما لو كان لنا تحرير فلسطين وأصبح الحكم للإسلام وصار اليهود رعايا الدوله الفلسطينيه فإن البغض لهم والكراهيه سوف يبقي في النفس لكن لاينبغي أن تدخل النزاعات في الحركه في مثل هذه الأحوال فدخولها في الحركه إنما تكون في أوقات الحرب لتشكل قوه دافعه للتحرر وازاله الظلم فيكون استخدام قوه الغضب في محلها وزمانها ولهذا نجد أنه مثلا في الاحصان من الزنا يحرم فيها جميع مراحل الشعور فيأمر بغض البصر لأنك إذا شاهدت امراه جميله مثلا لابد أنك سوف تدرك أنها جميله وسرعان ماينتقل هذا الإ دراك الي الوجدان الذي سرعان ما يتحول الي نزعه اجراميه ترغب بجريمه الزنا ولهذا جاء الإسلام بضوابط للمشاعر تضبطها فلا يكون استعمالها الا في المجالات المسموح بها وازمانها فالانفعالات ينبغي أن تكون خلاقه ولهذا يقول تعالي (لاتجد قوما يومنون بالله واليوم

الآخر يودون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وابناءهم)

ويقول في موضع آخر (وان جاهدك علي أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا)

فأراد بهذا أن تحسن استعمال ملكات حب الأقارب أو غيرهم فلا تكون هذه الموده التي لها أصل في النفس قوه سببا يضعف اردتك في الحركه العمليه التي تتحرك بها في حركه المساهمه في حمل امانه حمل منهج الله فالحق يضع لنا الضوابط الشرعية العواطف والمشاعر

الأمر الثالث

تبين النصوص أن القوامه والقياده التي اختص بها الله تعالي هذه الامه تستهدف الي تحرير الإنسان لينطلق في حركته في الأرض لتحقيق المراد الرباني الذي فيه اسعاد البشريه كلها من خلال اعمار الأرض وفق منهج الله وهذا لايتحقق الا من خلال الحركه والفاعليه ا لايجابيه الذي يجعل المسلم يشعر بالمسؤولية عن كل معاناه البشريه فماحملته الحضاره الاسلاميه من قيم ومبادئ فيها التقدم والتطور والرقي للبشريه في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهي متشابكه مع بعضها وتتداخل فيها المهام حيث أن مواجهات التحديات التي تتعرض التطور والرقي من التخلف والجهل تخلق أنواعا من الارتباط التبادلي بين السلطه والجماهير بحيث يكمل كلا منهما الآخر وأن قياس نجاحها من خلال ممارسه الشعب واستعداده وتفاعله مع القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام ولهذا ابتدأت النصوص بالأمر بالتعاون علي البر والتقوى وتأخر النهي عن التعاون عن الإثم والعدوان مسارعه الي إيجاب ماهو مقصود ب الذات فإن المقصود إيجاب ترك التعاون علي الإثم والعدوان لانه إنما يكون تحصيله بالتعاون علي البر والتقوى لأن التقدم يتطلب تجميع الطاقات كلها في قالب واحد يعطي معيارا اكبر واسرع للتقدم في شتي مجالات الحياه كلها ولهذا قال تعالي عطفا علي ماسبق (وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان)

وهذا فيه تحديد الآتي

المفهوم الاول

بيان اهميه التفاعل والمشاركة والمساهمة في حمل المشروع الرباني والقيام بالخلافة علي الارض وفقا لمراد المطلب الرباني فالجميع تقع علي عاتقه مسؤولية الاعمار في الأرض وفقا لمنهج الله ولفظ (تعاونوا) علي وزن تفاعل فالحق يحثهم علي المساهمه والمشاركة ب الفاعليه الايجابيه في جميع مسائل الحياه

لتحقيق إنجازات حقيقه من خلال الالتحام بين هذه القوي فيما بينها لتقف صفا واحد في معركه التقدم والتطور والرقي الذي يرسم مستقبلها ومعركه مواجهه التخلف وهذا يتطلب أن تخمد نيران الأحقاد والانانيه وان تطفي بأعمال البر والتقوى الصراعات فلا يكون التحرك بعقول متشنجه فوضويه لتوزيع العدل بين المظلومين لايحل وحده قضيه التطور لان التطور يعني الترابط بين جميع فئات المجتمع وطبقاته واتحادهم بعد هدم الانظمه الظالمه لأجل اقامه مكانه نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا جديدا يحقق العداله و المساواة بين أفراد المجتمع يسوده الاخوه بالاشتراك في تأسيس دوله العداله والتنميه وتكافؤ الفرص والحصول علي الفرص المتكافئه كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده البناءه المتناسقه والمتكاملة والمتعاونه والمنسجمه مع بعضها البعض وفقا للقدرات المتفاوتة والتي تكمل كلا منهما الأخري والتي يجمعها الاسلام في إطار نشر الخير والذي يتطلب تجميع الطاقات نظرا لوجود فوراق بين أصحاب التخصصات المختلفه الذين تنقسم الأعمال فيما بينهم بحكم تطور عمليات الإنتاج وايضا الحاجه الي هذه الكفاءات المتنوعه فنحن بحاجه الي المهندس والعامل والمقاول والسباك والوسطي لبناء مشروع من مشاريع بناء مدرسه تحفيظ القرآن مثلا وهنا لابد أيضا من ممول لها ولهذا فإننا نحتاج الي كافه الطاقات لتشيد هذا المشروع

وهكذا إذا أردنا نشر الإسلام في بلد ما يجهل تعاليم الإسلام فإننا بحاجه الي الاعلامي الذي يعرف الناس بحقيقة الاسلام ويرد علي من يحاول تشويه صورته وبحاجه الي الداعيه الذي يقوم بتربيه الذين يلتحقون بالإسلام حديثا لتاهليهم ليكونوا قادرين للاضطلاع بالمهمه بعد تزويدهم بالمعلومات والقدرات اللازمه وبحاجه الي التمويل المالي وغيرها من الأمور الفنيه والسياسيه التي توفر لك القيام بهذا الدور دون مضايقات وهكذا يكون التعاون والتظاهر

المفهوم الثاني

أن اللازم أن يكون التعاون مربوطا بالإيمان فكل نشاط يجب أن ينسب الي الدين الاسلامي مثل الجميعات الخيريه لاغاثه الفقراء كما هو الحال لما تقوم به بعض الدول الإسلامبه حيث نجد غياب هذا الأمر تقليدا للغرب فلا ينسب هذا التعاون لأمر الدين وأمر الله للمسلمين باغاثه الجائع

فانتبهوا من تجريد القيم من مقومات الايمان ومايتفرع من الإيمان من اخلاق كريمه كالتعاون والمحبه والتسامح والبر والإخاء والتضامن والاتحاد وما الي ذلك من علاقات انسانيه وصفات بشريه ايجابيه

فاللازم أن تضعوا الخير باسم الدين فهذه الأمور من شعائر الله التي يجب إظهارها واشهارها ليري العالم حقيقه خث الاسلام علي اعمال الخير والتسامح ولأجل أن تستقر في أذهان الناس صوره لما تحمله الحضاره الاسلاميه من خير فيه اسعاد البشريه كلها ولهذا جاء الأمر (وتعاونوا علي البر والتقوى)

والبر هو اسم جامع لما يحبه ويرضاه الله تعالي من الأعمال التي فيها رعايه حق الله وحق الناس

والتقوي اسم جامع لترك كل مايغضب الله من الأعمال الظاهره والباطنه فالمومن مأمور بالتفاني بأعمال الخير وايصاله لكل الناس ومامور بترك كل سوء وعدوان ولهذا أمرهم الله بالتعاون علي فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات فالتناصر إنما يكون علي الحق لا علي الباطل فأنت ملزم بالتعامل بأخلاق الاسلام حتي مع الخائن فلا تخنه اذا ائتمنك

ولهذا يقول الله (ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان)

انتبهوا من الأفكار الردئيه وسلوك أهل الجاهليه التي تتسع للغدر والعنف والخداع والظلم حيث أنهم كانوا يتعاضدون علي التازر والتناصر علي العصبيه لنصره القبيله والقريب سؤء كان ظالما أو مظلوم فيقول لهم انتبهوا من عقليه الجاهليه وعصبيتها فهولاء لايعرفون الانظمه ولا فيم ولامبادي لدي هولاء

المفهوم الثالث

يبين الحق لعباده أن حركه الحياه واجتماع الناس لابد أن يقوم علي التعاون لتحقيق الفاعليه الإيجابية وتكاتف الجهود بعيدا عن الصراعات والتنافس الذي لو وجد مجالا فإنه يحول المجتمع الي فئات متناحره وانقسام الي طبقات كما هو حال الأفكار الردئيه التي نشاءت في القرن السابق حيث انتهي بهم الحال الي الانقضاض علي السلطات من قبل طبقات الفقراء واراقه دماء الأغنياء بالعنف الدموي اللانساني واللامعقول فصار استحاله التعاون علي البر أو حتي التفكير فيه فخلقت وحوش همجيون متعصبون وتم إهدار الطاقات فهذا ليس تعاون في عماره الأرض وانما هو هدم وإفساد فيها ولهذا فإن غياب المنهج الرباني الذي يحدد كيف التعاون وأوجهه ينتج عنه تعاون علي الافساد في الأرض وهو مانهي الله عنه وربط ذلك بمساله المشاعر والتحذير من أن تدخل في الحركه لأنها تولد فاعليه ولكنها سلبيه هادمه

الأمر الرابع

يقول الحق لعباده انه ليس في الخضوع لله محاباه الخاضعين كطائفه ولاتحامل علي المنكرين كطائفه فليس الخضوع لله إعلاء لدكتاتوريه فرد اوسيطره حزب أو احتكار طبقه أو تغلب جنس أو امه أو تحكم قبيله أو اسره فالأمر ليس كذلك فعليكم الإنتباه من هذا ا لأمر ولهذا نجد أن التعقيب فيه تهديد للذين يتخذون العصبيه وسيله للتعاون حتي ولو كان ذلك التعصب بين المسلمين فقال تعالي (واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

يربط القلوب في تنفيذ الأحكام بخوف الله واستشعار حضور الله ورقابته علي ذلك فيقول انتبهوا فإن خالفتم أمر الله بالاعراض عن امتثال أمر الله من تبعيئه ذلك فإن عقاب الله شديد لاقدره لك علي تحمله

فخوف الله والشعور بوجوده هو الذي يحقق الفاعليه الإيجابية في الحركه وبهذا كان تطور المسلم بالشعور بوجود الله فكان منه تحري الحق في كل حركه يقوم بها وايضا فإن علي كل فرد من أفراد المجتمع المسلم الوقوف بوجه كل من يسعي الي العبث بنظام المجتمع ف الذين يتعاونون علي الباطل يجب أن ينهض المجتمع لردعهم فعندها سوف يجدون أنفسهم منبوذون وبالتالي فسوف يتوقفون عن فعلهم القبيح لكن إذا لم يقوم المجتمع بواجبه فإن هذا يشجع الظالمون وعندها يحل الغضب الإلهي وعقابه علي الجميع

ثالثا

(حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير ومآأهل لغير الله به والمنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه وماأكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينافمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

الموضوع الاول

أن أول مايشد الإنتباه أن الايه جاءت بصيغه النهي التحريم (حرمت عليكم) بعد أن تناولت النصوص قبلها النهي عن استحلال أوامر الله ونواهيه وحدود احكام وعطف علي ذلك النهي عن استحلال حرمه الشهر الحرم وشعائر الحج والعمره وحرمه استحلال الامان للزائرين لمكه (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) عطفا علي ماسبق من احترام الشهر الحرم والهدي والقلائد والتي من ضمن

حرمتها عدم التعرض لها بمنعها من الوصول إلى المحل الذي سوف تنحر عند قدومها ولهذا وحتي لايتصور البعض أن الحرمه المنوحه للزائرين لمكه أنها تنتهي بعد انقضاء الفتره الزمنيه المتعلقه بحرمه الأشهر الحرم او عد تجاوز الزائر حدود الحرم المحدد لمعالم الإحرام التي تحد مكه من الجهات الأربع نجد أنه سبحانه وتعالى أشار بعدها الي مساله رفع الحظر عن الصيد بعد الانتهاء من مراسيم الحج وسكت عن مناطق الإحرام التي يحرم فيها الصيد التي تحد مكه من الجهات الأربع ثم عطف علي ذلك النهي عن استحلال حرمه حدود الله بشكل عام وحرمه استحلال الامان للزائرين بعد الاحلال من الحج والعمره وضمان سلامتهم من الاعتداء في طريق عودتهم الي ديارهم سؤاء كان ذلك اثناء فتره الأشهر الحرم أو بعد انتهاء ها وسؤء كانوا في المساحه التي جعلت منطقه امان ومعالم لحرمه المكان أو بعدها فجاء النهي بصيغه مشدده(ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

فالتعاون علي البر والتقوى هو امتثال منهج الله وتأمين سلامة الزائرين للبيت الحرام من ضمن أعمال البر وأمرهم بمراقبه الله في تنفيذ أوامره ونواهيه للوفاء بالعهد لقوله تعالى (اوفوا بالعقود) ولقوله تعالي في موضع آخر (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم جاء النهي عن تعاطي المحرمات من االاطعمه فقال تعالي (حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير ومآأهل لغير الله به والمنخفضة و الموقوذه والمترديه والنطيحه ومااكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق) وهذا فيه الآتي

المبحث الاول

شرع في بيان المحرمات التي أشير إليها في الايه الاولي التي افتتحت بها السوره (الا مايتلي عليكم) فذكرت النصوص

المساله الاولى

١_الميته:_

وهي التي تزهق روحها رغم أنفها من غير تذكيه

٢الدم المسفوح:_

وهو الدم الذي يتدفق أثناء الذبيحه اي السائل الذي يخرج منه

٣لحم الخنزير

٤ المذبوح لغير الله(وما أهل لغير الله به)

وهو الذي يذبح الطاغوت أو الأصنام أو الكواكب أو غير ذلك من المخلوقات بأن يذكر اسم عليها أثناء الذبح غير اسم الله والاهلال رفع الصوت حيث يقال أهل فلان بالحج اذا رفع صوته بالتلبيه (لبيك اللهم لبيك) ويقال أهل الصبي اذا صرخ عند ولادته والمراد به ما ذلك علي ذكر غير اسم الله

االمساله الثانيه

١

المنخنقه:_وهي التي تموت بالخنق بحبل أو غيره

٢

الموقوذه:_هي تموت بالضرب أو عصا أو حجر ومارمي بالبندق فمات هي في معني الميته وفي معني المخنقنه لأنها ماتت ولم تسيل دمها

٣

المترديه :_ الساقطه من علو مثل الجبل أو التي تسقط في بئر ويدخل في ذلك ما إذا أصابه سهم وهو في الجبل فسقط الي الأرض فإنه يحرم اكله لانه لايعلم هل مات بالتردي أو بالسهم ولو رمي صيدا في الهواء بسهم فأصابه فإن سقط علي الارض ومات حل لأن السقوط

علي الارض من ضروریاته أما إذا سقط علي شجره أو جبل ثم تردي منه فمات لم يحل لانه من المتردیه إلا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل لأن الذبح حصل قبل التردي

٤

النطيحه:_ هي التي ينطح بعضها البعض فتموت

٥

وما اكل السبع:_ الذي يأكل منه السبع أو الذئب أو الطير التي تفترس ويستثني من ذلك ما اصطاده الكلب أو الصقر أو الفهود المعلمه ولم يأكل منها حيث أن أهل الجاهليه كانوا إذا جرح السبع شيئا واكل بعضه أكلوا مابقي منه

المساله الثالثه

قوله تعالى (الا ماذكيتم)

رجع إلي الي ماقبله بشأن حكم المنخقنه والموقوذه والمتردیه والنطيحه وماأكل السبع)

بمعني أنه إذا ادركت ايان منها بالذبح سريعا قبل موتها ..اي أن يكون أدركها وفيها بقيت حياه مستقره فإذا كان الغالب أن ماأصابها سوف يودي حتما الي موتها فإنه لافائده من تدركها للتذكيه فيها فقد قال الفقهاء لو إبان السبع أو غيره حشوتها أو قطع حلوقمها كان وجود حياتها كعدمه لعدم فائده التذكيه منها

االمساله الرابعه

١

ما ذبح علي النصب :_البعض قال إن النصب هي الأصنام التي كانت في الكعبه فقد كان المشركون يذبحون عند اقدامها ولو أخذنابهذا المعني فإن هذا القول مكرر لأن الله قد قال في تحريم الذبح للاصنام (وما أهل لغير الله به) الا أن يراد بالتحريم أنه حرام وان ذكر اسم الله عليها لما فيه من معني الشرك لاعتقاد تعظيم النصب

أما الراي الثاني هو لابن جرير الطبري الذي قال إن النصب ليس باصنام لأن الأصنام احجار مصوره منقوشه بينما النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبه وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بالدماء ويضعون عليها اللحوم ويعدون تلك الذبائح قربه فقال المسلمون يارسول الله أن أهل الجاهليه يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه فأنزل الله تعالي قوله (لن ينال الله لحومها ولا دماءها)

وهذا الأقرب للصواب

١

١الاستقسام بالازلام

هذا أمر متعلق بعده اشياء منها أنها سهام العرب والتي كانوا يتفاخرون بها ويستعملونها في الميسر والقمار لقوله تعالي (يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)

وقال البعض أن ألمشركون كانوا يجمعون تلك الازلام عند الأصنام ويضربون القداح معتقدين أن الأمر والنهي علي تلك الازلام فيها ارشاد الأصنام ولهذا كان ذلك سببا لفسق هولاء وشركهم وجهلهم

وايضا كانوا يضربون القداح لمعرفه الغيب والمستقبل حيث أنهم إذا اردوا السفر أو أي أمر اخذوا ثلاثه أسهم وكتبوا علي الاول أمرني ربي وعلي الثاني نهاني ربي وعلي الثالث خال من الكتابه فإن خرج الاول فعل وان خرج الثاني توقف وان خرج الثالث أعاد الكره وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيره فرده عن سفره لم ينظر إلي الدرجات العلي من الجنه يوم القيامه)

وهذا ضلال في الاعتقاد بأن هذا طريق الدخول الي علم الغيب وهو افتراء علي الله فلا يجوز وان استعمل القران في ذلك كما يفعل

البعض بأن يفتح المصحف أو المسبحه أو فنجان القهوه ولهذا قال تعالي (ذلكم فسق) فجاء التحريم لكل من يحاول طلب معرفه ماقسم الله من الخير والشر بواسطه ضرب القداح وانما للمومن الاستخاره كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم

وبالوقوف علي جميع ماسبق ذكره نجد الآتي

الأمر الأول

أن النصوص تبين أن الحلال والحرام أمر اختص الله به نفسه فهو حق خالص لله تعالي ولهذا ابتداء بقوله (حرمت عليكم)

فذكر محرمات لأضرار حسيه ومعنويه (الميته والدم ولحم الخنزير) ثم ذكر المعنويه (وما أهل لغير الله به) ثم ذكر محرمات (المنخنقه و الموقوذه والمترديه والنطيحه وماأكل السبع)

ثم جاء بالاستثناء (الا ماذكيتم) ثم عاد الي التحريم (وماذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام) وأشار إلي العله (ذلكم فسق)

فلا يجوز الاعتراض علي أمر الله لأن ذلك خروج عن طاعه الله

فاللازم الامتثال لأمر الله فالشيطان كان معترفا بالواهيه الله تعالي وربوبيته ولكنه رفض القبول بأمر الله وطاعته والاذعان لحكم الله ولهذا قال تعالي عنه أنه فسق عن أمر ربه

فالمسلم عليه القبول بأمر الله وطاعته دون اعتراض

الأمر الثاني

يقول الله تعالي أن الوفاء بعهد الايمان إنما يكون بالقبول بأمر الله وحكمه دون اعتراض فالله يحكم مايريد وليس لك الاعتراض علي أمر الله سؤء عرفت الحكمه من أمره ام لم تعلم فليس لعقل الإنسان دور في الاعتراض علي أمر الله تعالي لأن ذلك فسق وخروج عن أمر الله كما فعل ابليس الذي رفض السجود لادم امتثال لأمر الله وتبني طرح فكره التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإ لهي ومايضعه من خصوصيات في خلقه رافعا شعار التحدي (انا خير منه) وهو مايسمي في عصرنا العقلانيه المجرده ولهذا فسق عن أمر ربه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (أن الله يحكم مايريد

)اي ليس لك أن تعترض علي أمر الله فليس لك أن تختار بعد حكم الله فلا معقب لحكمه

الأمر الثالث

أن الأمر بالوفاء بالعقود يعني أن تعبد الله وفق مراد الله الذي يحقق المطلب الرباني ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي بعثه الرسل لأن الإ نسان خلق له قوي ثلاثه تتنازعه قوه الشهوه وقوه الغضب وقوه العقل ولما كانت قوتي الغضب والشهوه تدفعانه الي الشر بمقتضي ماركب في الإنسان من غرائز وشهوات وقوه العقل أودعها الله في الإنسان ليميل الي جانب الخير وتصده عن الشر لكن هذا العقل له حدود فليس له السلطان المطلق لأن المشاهد في سلوك الإنسان أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطغي عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل ويتاثر بالعصبيات والقوميات والعنصرية فيتمسك بالعقائد والعبادات المورثه عن الآباء والأ جداد ويدافع عنها وان كانت باطله ويهبط إلي مستوي ادني من الحيوان ولهذا حذر الحق من تدخل الشعور ببغض الكفار وأفعالهم في حركه المومنين فقال تعالي (ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا..الخ

فناسب ذكر المحرمات بعدها من الاطعمه ليحث المومنين علي تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية من ركام الفكر الجاهلي بترك سلوك الجاهليه الذين كانوا يأكلون الميته رغم أنها مستقذره للطباع السليمه والعقول المستقيمه ومع ذلك يستحسنها اهل مكه وكذلك كانوا يملؤون الأمعاء من الدم ويشوونه ويمضغونه ويرونه مستحسن برغم أن العقول لاتستيغ ذلك وتستقبحه فدل هذا علي عدم حصول اتفاق علي مقاييس موحده للخير والشر والفضيله والرذيله والخق والباطل لأن العقول متفاوته في إدراك الحسن والقبيح الذي يصدر العقل حكمه بناءا عليه في القبول أو الرفض وايضا فإن العقل محدود الإدراك فلا يستطيع التوصل إلي جميع المعارف بما يسعده وما يشقيه في حياته ولهذا فإن البشر محتاجون الي الرسل وكانت حكمه العليم الخبير يعلم قصور العقل عن هدايه الإنسان في حياته فأرسل الله الرسل يكملون النقص في العقل الإنساني يعرفونه مايسعده ومايشقيه من الاعتقاد والأعمال ولهذا يقول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)فارسال الرسول صلى الله عليه وسلم من انعام الله لنا ولطفه ورحمته للعالمين لما فيها من مصالح وحكم ولهذا قال (واتممت لكم نعمتي)

فالله هو العليم الخبير لما يكمل به حياتنا فقال تعالي (ورضيت لكم الاسلام دينا)

الأمر الرابع

فكانت هذه الآيات جواب فيه اقامه الحجه لمن يقول اذا كان الله يأمرنا بالوفاء بالعقود التي تعني أن نعبده وان نحمل المشروع الرباني الذي يحقق مراد الله فقد كان يجب أن يبين لنا العباده ماهي وكيف يكون منا الوفاء بالعهود ولهذا يقول لنا أنه قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لنا طريق عبادته والشرائع مفصله التي تحقق المطلب الرباني الذي أخبرنا أنه يحكم مايريد ولهذا يقول لنا الله أن مساله التحريم والتحليل حق خالص لله تعالي فعليكم أن تمتثلوا أمر الله تعالي ومنهجه فهو الذي ارتضاه لعباده سبحانه وتعالى ففي ذلك السعاده لكم في كل شأن من شؤون الحياه ولهذا ذكر التحريم والتحليل بعد النهي عن تدخل النزاعات النفسيه في حركه المسلم فقال تعالي (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام...الخ

فعليكم اتهام ارئكم في أي أمر يأمر الله به حتي لاتخرجوا عن شرف الطاعه فقد ورد عن الاعمش قال سألت أبا وائل شهدت صفين فقال نعم فسمعت سهيل بن حنيف يقول اتهموا ارئكم فقد رأيتني يوم أبي جندل لو استطيع رد أمر النبي صلى الله عليه وسلم لرددته ...الخ

ولهذا فعليك القبول والرضا باختيار الله الذي اختاره لك فالله يحكم مايريد

المبحث الثاني

أن النصوص تبين الحكمه من تحريم ماذكر في الايه الكريمه والذي شمل فيه ذكر الآتي

الأمر الأول

تحريم لأنها من الخبائث ماديه حسيه (الميته والدم ولحم الخنزير) لما فيها من اضرار

أن تحريم الميته ومافي حكمها موافق لما في العقول لأن الحيوان اذا ماتت حتف أنفه فإنه تحتبس بداخله الدم في عروقه وتتعفن وتفسد وفي اكله مضار عظيمه

وهو ماتستقذره الطباع السليمه ويدخل في هذا المنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه وماأكل السبع وكذلك فإن الدم فيه ضرر علي ا لانسان

٢

أن اكلها فيها مهانه يتنافي وعزه النفس وكرامتها

حيث الإنسان ينبغي أن يكون متميزا عن الحيوان فلا ياكل القذورات ...اضافه الي أن لحم الخنزير يوثر في سلوك الإنسان ونفسيته لأن الغذاء الذي يتغذي عليه الإنسان يكون جزء جوهري في تكوين اخلاق المتغذي وسلوكه فهي تكون من جنس ما كان حاصلا منه غذاءه و الخنزير مطبوع علي حرص عظيم ورغبه شديده في المشتهيات فحرم علي الإنسان لئلا يتكيف بالكيفيه التي طبع عليها الخنزير فالخنزير ديوث يشاهد من يمارس العلاقه الجنسيه مع الانثي التي تخصه ولا يتحرك له ساكن بعكس الشاه فإنها لديها غيره ولاتقبل ذلك ولهذا نشاهد كيف أن الغرب الذين اعتادوا اكل الخنزير فقدوا الغيره

وخصه بالذكر لأجل مافيه من ضرر واضافه لأن المسيحية ادعت أن اكله حلال نتيجه تسرب الوثنيه الي دينها

الأمر الثاني

تحريم ما أهل لغير الله به ..وهو الذي يذبح علي ذكر غير اسم الله كما أوضحنا فالاكل منها محرم لأن الذبح علي ذكر اسم الله عباده للا صنام والمخلوقات فالاكل فيه مشاركه لهم وهو ممايجب إنكاره فالضرر معنوي لانه يلوث العقل بالاوهام والخرافات ويستبعد الإنسان مخلوقات مثله وهذا فيه خروج عن العبوديه لله ويلحق بهذا الذبح عند الاحجار التي نصبت عند الكعبه وكذلك طلب معرفه الغيب و المستقبل بالقدح فهذا اعتداء صارخ علي حق الله

الأمر الثالث

أن علي المسلم إلا يأكل إلا مما كان له قصد في إزهاق روحه ولهذا ذكر الحق تحريم المنخنقه والموقوذه والمتترديه والنطيحه وماأكل السبع واستثناء من ذلك ماحصل تذكيته

الأمر الرابع

أن من ضمن أهداف هذا التحريم هو اصلاح الإنسان المسلم ونقله الي التمدن والإنسانية وترك القذرات ومن ضمن ذلك التمدن والإنسانية أن يتعامل مع الحيوانات بالرحمه فلما كانت حياه المشركون فيه كل تلك الهمجيه والتوحش في اكل الميته والدم والتوحش في التعامل مع الحيوانات حيث كانوا يخنقون البهيمه بحبل الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجره فنهي الحق عن أكل المنخنقه وكذلك كانوا يضربون الحيوان لحد الموت فنهي الله عن الموقوذه لما فيها من اضرار وايضا لقساواه التعامل مع الحيوان بلا رحمه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن الله كتب الاحسان في كل شي فإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه وليحد أحدكم شفرته وليريح ذبيحته)

ولهذا ربط ذكر الآيات بمساله الحج التي أمر المسلمون أن يجسدوا اخلاق الاسلام الناتجه عن التأثر بأحكام الشريعة التي أحدثت فيهم هذا التحول الذي يظهر جليا في قدرتهم علي استعمال ملكات العدل والإحسان والرحمه في التعامل مع أنفسهم ومع الآخرين ومع الحيوانات فناسب بعد ذلك قوله (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم)

لانهم عندما يشاهدون هذا التحول والتغيير الذي أحدثته شريعه في سلوك المسلمين يشاهدون هذا التمدن والإنسانية والانضباط و التحضر لابد أن يصبوا بالياس من عوده المسلمين الي ما كانوا عليه في الجاهليه من الهمجية والتوحش فلابد أن حالهم وهم يشاهدون المسلمون أنهم يرون انقلاب في حياه المسلمين يستحيل معه العوده الي الجاهليه وسلوكها يشاهدون الفارق بين سلوك المسلم وانسانيته وأخلاقه وبين الماضي الذي كانوا عليه بل وبين سلوك المشركين أنفسهم فيشعرون أن هنالك فرق بينهم يرون أنفسهم أنهم همجيون لا انسانيه ولا اخلاق لديهم وانهم أقل شأنا من المسلمين ولهذا يقول الحق لعباده فلا تخشوهم واخشون)

يعني أن يكون التمدن والتحضر الذي وصلتم إليه سببا في خوف بطش الكفار الهمجيون وماهم عليه من صوره تعكس التوحش مخيفه وعليكم خوف الله تعالي

يقول لهم أن عليكم الالتزام بالانضباط بما امركم الله فهو فيه الكمال فمن نعمه الله عليكم أن أنزل عليكم القران مفصلا لجميع شوون الحياه في أمور المعاد وعلمكم أمور المعاش وبيان منافع الاغذيه ومضارها فاختصر لكم المسافات فلو ترك الناس دون بيان لها لما كفي أعمارهم للوصول إلي منافعها ومضارها ولمات خلق كثير في التجارب ففي القبول بما اختار الله لكم نعمه عظيمه وفرت لكم الجهد فانتم عرفتم مافيها من منافع ومضار من دون تعب فالإسلام علمهم الاخلاق الفاضله وتعليمهم السياسات الكامله العائده للجماعه فالعقل البشري أيضا لايعرف مايرضي الله حتي يفعله ولأن معظم الناس لا يعلمون مصالحهم فلولا ارسال الرسل لكان الناس همجا متقاتلين متدبرين لايتحقق العدل في مجتمعاتهم وترك لهم الاختيار لما جاء به الرسل بين نعمه الايمان التي فيها سعادته فهي منزله من الله العليم الخبير الذي يعلم مايصلح عباده ومن هنا ندرك فائده البعثه وأرسل الرسل للناس بأنها صيانه للناس

رابعا

يضع الاسلام للمسلمين الأسس والمنطلقات التي يتجاوزون بها التحديات والصعوبات والأزمات التي سوف تواجه الحضاره الاسلاميه ودوله الاسلام ونموها والتحولات التي قد تطرا علي هذه الحضاره حضارا ومستقبلا فقال تعالي (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

المبحث الأول

بعد أن تناولت النصوص الأمر بتعظيم شعائر الله وحرماته والمعالم التي وضعها للناس كحدود لأوامره ونواهيه واختتم توجيهاته لعباده بقوله (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)

تأتي النصوص بعدها بقوله تعالي (اليوم يأس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

يقول الحق أنظروا كيف أن الله نصركم وخذل الكفار الذين كانوا يضطهدونكم كيف حالهم لقد أصابهم الياس من تحقيق أي نتيجه من هدفهم بالقضاء علي النظام الإسلامي فقد انقطعت آمالهم في ذلك فانظروا الي حاله الياس في أعينهم وحاله الياس أما أن تدفع الياس صاحبه الي الهزيمه والانسحاب من فاعليه حركته سؤء كانت ايجابيه أو سلبيه فيتحول عمله الي عمل روتيني يفتقد الدافعيه والإبداع و الابتكار والتطوير ولايبالي بأمر الخلاص مما هو فيه ولايحول تحسين وضعه لفقدان الامل فيما كان يسعي إليه وانعدام الحوافز التي تحثهم للابداع وأما أن يدفع الياس الي تصرفات غير مدروسه العواقب ولهذا نجد أن الحق يلفت انتباه المومنين في كل زمان ومكان الي الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الايه بقوله تعالي (اليوم) وال هي ال العهديه وهذا اليوم هو يوم عرفه الذي دانت جزيره العرب قاطبة لنظام الاسلام ولهذا يذكر الله عباده في كل زمان ومكان بنعمه الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود لاولياءه الذين يعتمدون عليه سبحانه وتعالى فالخطاب

ليس مقصورا علي الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا هذا اليوم بل انت مقصود ايه القارئ بهذا النداء يقول لك الله انظر الي عاقبه الصادقين مع الله الذي يوفون بعهد الله فانتبه من الياس في أي معركه مع أهل الكفر انتبه من نتائج المعارك المعرفيه السلبيه علي مسرح الحياه التي تودي الي الانطلاق من سياسيه الأمر الواقع بالنظر الي مفهوم النجاح والفشل والحق والباطل كنتيجه لما تنتهي إليه المعركه بين الحق والباطل فانتبه من الانسحاب عن حركه العمل الايماني متأثرا بالياس اذا تعرضت لعاصفه فلا تتأثر بالضجيج الإعلامي لقوه العدو انتبه أن يصل بك الياس الي التكيف مع الباطل عند سقوط سلطه القرار من يدك فتقوم بتغيير اوعيه المعرفه لديك لأن ذلك يعني تغيير مواد الاوعيه

فالمومن لاياس من روح الله إنما الذي ييأس من روح الله هم القوم الكافرين

ولهذا افتتحت الايه بصيغه الامتنان لأجل أن يكون الدليل التاريخي ومراحل كفاح ونضال الصحابه لك حافزا ماديا ومعنويا يدافعك الي الكفاح من أجل استعادة الامه لدورها فلا يكون الأمر الواقع الذي ينتج عن الاستعمار سببا في الياس الذي يشكل طريقه تفكيرك وموقفك من الحق والباطل ليس الأمر كذلك فعليك الثبات فالله سوف ينصرك ولهذا ناسب تناول قصه

تحقيق وعده سبحانه وتعالى للرعيل الاول بالعز والتمكين بعد قوله (يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله....الخ عندما التزموا أمر الله وتحملوا المسؤوليهه بحمل الامانه معتمدين علي الله تعالي فيقول الحق سبحانه وتعالى أنظروا الي دليل الحدث التاريخي في واقع حياه الصحابه رضوان الله عليهم كيف كانوا مستضعفون مضطهدون ليس لهم أي عنصر من عناصر القوه الماديه أمام ماكان يتمتع به أهل الشرك فما كانت النتيجة لقد نصر الله المومنين وانهزم الكفار واصابهم الخذلان فلم يعودوا يأملون بالقضاء علي الاسلام وأنصاره أنهم اليوم خاضعون لسلطه الاسلام الذي أصبح يملك القرار بشأنهم ولهذا فان قيم الإسلام الحنيف هي التي حفظت كرامتهم وحقهم

الأمر الثاني

يقول الحق أن هذه النتيجه النهائيه لعاقبه الكفر وأهله هو الهزيمه والخذلان فهذه التجربه لنصر الله لاهل الحق دليل لكم لمواجهه الباطل فالتجربه بكل مراحلها لما مر به الصحابة رضوان الله عليهم من بدايه الدعوه في مكه وما عانوا من القهر والاضطهاد وصولا إلي هذا التقدم والنجاح الذي وصل إليه المسلمون وهزيمه المشركون عسكريا وسياسيا وفكريا فاصابهم الياس وانقطعت آمالهم في ابطال أمر دينكم فهذه التجربه تبين لكم التطور والرقي ومراحله فانتبهوا من الياس فانتم مرتبطون بالله وهو معكم والتطور والنصر له سنن لابد من الأخذ بها قبل الوصول إليه فلابد أن يمتحنكم الله ويختبر صدق ايمانكم وصدق التغيير المرتبط بالله فإذا راي منكم صدق الايمان وتحمل الاذي في سبيله ومحبه له تعالي ابدالكم بدل الخوف امنا وبدل الذل عزا ولهذا فعليكم الثبات أمام قوه الكفر والشرك فلا تضعفوا ولاتفرطوا بالقيم والمبادئ فعليكم التزود بالصبر فهذا الحدث التاريخي فيه الدليل المعرفي الذي يزودكم بالطاقه والنشاط والحيوية والا ستمرار وعدم الياس فالله قد انعم عليكم بهذا القرآن فانتبهوا من الانهزام أمام قوه العدو الماديه اذا سقطت الدوله وقرارها انتبهوا من إفراغ القيم والمبادئ من مضمونها كما هو حال المسلمون اليوم من ضعف الارداه وفقدان طاقه العزائم نتيجه الانهزام الذي لحق بـ المسلمين عسكريا وفكريا فأصبح المسلمون اليوم في ضعف وهون يخافون من امريكا وإسرائيل والغرب ولايجرون حتي عن ادانه جرائمهم واقتصر دور البغض علي التغني بامجاد الاسلام وحضارته دون أن يكون لها دور في الحياه والبعض الآخر يخرج في مظاهرات يستجدي من أهل الكفر نصره اهلنا في غزه يفرغ حماسه ثم يعود إلي منزله لينام معتقدا أنه قد ادي دوره المشروع وعبر عما يجول في خاطره المفجوع

فهذه الانفعالات التي تواجه بها الشعوب للتعبير عن رأيها دون أن تتعرض لأصل المشكله وان طالبت بالاصلاح والتغيير كما هو حال الكثير من الحركات لكنها لاتصل في مطلبها هذا الي دفع السياسيه الاستعمارية التي أصبحت تجلس علي كرسي المعلم لتوجيه المسلمون حيثما تريد وهم يجلسون في مقاعد التلاميذ لتحكم علي الطموحات والأمال بالخلاص بالموت صبرا في عنابر الاحتواء الخارجي الا ستعماري كما صار يعتقد الكثيرون وهذا يعود إلي قيام الاستعمار باعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وفقا لاهدافه الاستعمارية بما حمل من أفكار وسياسيات تغللت بفعل عملائها الذين نصبتهم حكاما علي الشعوب فوصلت افكار الاستعمار وغاياته الي عمق دماء الشعوب ومائها الذي تشربه وهوائها الذي تتنفسه فاحدثت خلل في الوعي والاستقبال وضعفا في القراءه والاستنتاج واحباطا في المواقف والمدركات واجتثاثا للهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات فصار المسلمون يعيشون بثوابت غير ثوابت الاسلام وقراءتهم للدين والتدين من منطلق نتائج الهزيمه العسكريه التي لحقها عزيمه فكريه فصار المسلم يصلي ويصوم ويحج لكن دون أن يكون لهذه الشعائر اي ثمره في حياته أصبحت مجرد شعارات ترفع وفق مايرده أهل الكفر فصار المسلمون يتبعون الكفار ويتشبهون بهم خوفا من الكفار بل أصبح البعض يتباهي بحضاره الغرب ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول لعباده (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

يقول لك الحق ان الإسلام قد ميزك عن أهل الشرك بهذه الصفات الجميله المخالفه للشرك وأهله فعليكم الثبات علي هذه القيم والمبادئ فلا تفرطوا بها فلا تخافوا من الكفار فهم لاقوه لهم أمام قوه الله فعليكم السعي المساهمه في صناعه قرار الخلاص فهذا أمر ضروري فكل واحد من المسلمين مكلف أن يسهم في صنعه وتجهيزه وتركيباته المستقبليه فلا تردد فطالما أن المستقبل غيب والغيب بيد الله

سبحانه وتعالى والله امرك بالتوكل عليه فهو قال لك قبل هذا الايه (ولاتستقسموا بالازلام)

لاتحاولوا طلب معرفه الغيب عن طريق الاقداح بل عليك التوكل علي الله تعالي فأنت لك الساعه التي أنت فيها بأن تنشغل بالساعه وفق مراد الله بأخذ السنن والأسباب المورديه الي نصر الله وشمول العدل المامول باذان الله كما قال تعالي (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء)

ولهذا فلاتخاف قوه الكفر الماديه وعليك خوف الله فهو بيده النصر والعز والتمكين فقال تعالي (فلا تخشوهم واخشون)

الأمر الثالث

يقول الحق لك أن اول في صناعه طريق الخلاص يكون بالإيمان بالله والشعور بوجوده فهذا أساس الفاعليه الإيجابية فقال تعالي (فلا تخشوهم واخشون) ولهذا فإن هذه العقيده هي التي يكون بها بناء العقلي للإنسان المسلم أفرادا وجماعات ودول والحق هنا يشير لعده مسائل

الاولي

يبين لنا أن فاعليه المسلم الإيجابية ليس علي تعريفه وجود الله فهذه العقيده يملكها فليس بحاجه الي أن يعرفها وانما المراد الشعور بوجود الله فهذه العقيده هي التي تولد فيه الفاعليه الإيجابية لأنها تحرر الإنسان من أن تسعبده الاوهام والمخاوف من قوه الأعداء اوتهديداته بقطع مصادر أرزقه

أن المعركه مع الكفر والشرك هنا تختلف عن المعركه العسكرية ان لها سياسات و ادوات واسلحه اخري فهي سوف تلجأ الي استخدام سلاح الغزو الفكري لإفراغ القيم والمبادئ من مضمونها لأن الخوف يمكن العدو من الانتقاص من كرامه الانسان وحريته ويضع عليها قيودا تجعله عبدا الطاغوت والوثنيه السياسيه ولما مهمه الدين تقرير حقيقه الحريه وتقديسها لأن حقيقه الإنسان الانسانيه والإنسانية هي الحريه ولهذا نجد النصوص في الايات قبلها وبعدها تعمق مشاعر الحريه في مسالك النفس والعقل واغوار الفرد والمجموع وفي جذور الامه والدوله وشددت علي اهميه هذه القيم التي هي من اصوال العقيده التي تتفق والفطره التي خلق الناس عليهاف الله يقول (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أثرهم والاغلال التي ..الخ

فالحريه هي دين الله الذي يعبده ويلقاه بها الإنسان فيرضي نزعته بالانقياد والاستسلام لقوي كبري في الوقت الذي ينطلق منه الي أرحب الآفاق فهذه الثوابت التي يعيش فيها المسلم أنها العقيده التي انطلق منها المسلمون الأوائل وهي التي يكون بها الخلاص للمومنين في الوقت الحاضر فالله يقول (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

المساله الثانيه

أن الايات وردت بعد تحريم الاكل من الخبائث والحث علي احترام وتعظيم شعائر ويربط ذلك بالعز والتمكين وخوف الله الذي فيه تحرير الطاقه العقليه والنفسيه من الشلل عند غياب خوف الله يعني الانشغال بخوف المخلوق او المستقبل ولهذا وردت الايه بعد ذكر النهي عن استحلال حدود الله ومنهجه وذكر منها شعائر الحج والعمره والقوامه علي البشر والمحرمات من الاطعمه وطلب معرفه المستقبل بالاقداح فما هو الارتباط بينها وبين ما جاء في الايه ؟

الجواب

١

تبين النصوص أن فكره عقيده الايمان التي يكرر الحق ذكرها باكثر من مكان لايرد باذاعتها وإعلانها مررا وتكرارا أن تبقي كنزا في النفس لايخرج الي حيز الوجود فليس هذا المراد منها بل يقصد من ذلك أن يكون اعاده تشكيل العقول والنفوس بناءا علي هذه الحقيقه ليكون من نتائجها تحمل أعباء الانتماء لهذا الدين في التفاني في خدمه البشريه ونشر الخير يعيش ليعبد الله لا يعيش ليأكل ويتزوج لينجب لأن هذا يجعل اهتمامات الفرد ضيقه لا تزيد عن اهتمامات الحيوانات ولهذا نجد أن النصوص جاءت تبين تحريم بعض الاطعمه وتربط ذلك التحريم بالتوحيد بعد أن ذكرت حق الإنسان بالعيش كنوع فقال تعالي (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)ولكن الدين الاسلامي يرقي بالحياه ويسمو بالإنسان الي الكمال حتي لاتستغرقه معركه القوت والأمن فحسب وهنا يتولي الدين تعميق الجذور وتوسيع الآفاق فلا يكون هدفه الاكل فقط أو كسب الأموال بل عليه أن يربط ذلك بالتوحيد فهو لاياكل الا ماهو حلال فالله يقول في موضع آخر (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فاوكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات)

فمهمه الدين مزدوجه تحقيق الضروريات التي يحتاجها الناس لكي يجدوا الفرص ليفكروا في الكمال فالإسلام يهذب الإنسان ويرتقي بـ البشريه عن أن يكون الصراع من أجل اللقمه أو فرارا من الاذي والضيق لاغير ولهذا جاء الأمر باحترام كرامه الانسان وحريته وسعيه لكسب الرزق في مكه او غيره دون أن يتعرض له أحد وامر بالعدل والتعاون عليه ليامن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للانتاج والإبداع في التعاون علي مافيه خير للبشريه كلها ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجه وشرور التنازع والخصام فهو يقول (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ....يعبدونني ولايشركون بي شيئا)

فالايه تبين أن التمكين للمومنين إنما يكون بعباده الله والإخلاص فالتمكين والاستخفاف للمومنين هو السبيل لعباده الله في الأرض دون فتنه ولاصد ولا اغواء أو ترهيب

وعلي هذا فإن التمكين للمومنين إنما هو تمهيد الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الطريق أمام حريه الفكر والضمير في عباده الله ويامن الناس من فزع الناس فلا يعبد في الأرض إلا الله ولايستعلي علي خلقه الا العزيز القهار الجبار وهو الواحد القهار وان المقصد العام من شريعته هو تحقيق مصالح الناس بكفاله ضرورياتهم وتوفير حاجاتهم ويحسيناتهم

٢

يبين الحق أن الهروب من المسؤوليه نتيجه الخوف علي الأرزاق أو الخوف من المستقبل أو غيرها من الأمور التي سوف تكون سلاح الكفار ضد المسلمين لإفراغ الشعائر والقيم عن مضمونها يهدف إلي اصابه المسلم باضطراب وتخبط لتلتبس عليه المعالم وتضيع الأهداف وترتبك الخطوات وتتخبط التصرفات ولهذا يحذر الله عباده من ذلك ويقول لهم لاتخافوا أحد إلا الله فلا تسمحوا لأفكار الأعداء أن تنفذ الي كيانكم فالاسلام ليس مجرد الصلاه والحج واجتناب الخمر والميسر فليس هذا مضمون العباده التي امركم الله بها فالعبره بالشعائر بثمرتها وكأنها دروس علي حصص فعقيده الاسلام فكر مستقيم وعبادته ليست اجزاء مبتوره عن برنامج الاسلام المتكامل الحيوي الذي يفجر الطاقات فدين الله بعقائده وعبادته ومثله ونظمه إنما هو لنفع الناس وخدمه الشعوب فلا يجوز فصل العامل السياسي أو الا قتصادي أو الاجتماعي أو غيرها من العوامل فقيم الاسلام يصعب فصلها عن جوانب الفكره الإسلاميه لأنها متكامله وتحقق اهداف الخير لتعبد الله في كل عمل تقوم به فكلمه لا اله الا الله كان بها قطع الأطماع أمام الانتهازيون الذين اردوا اتخاذ الاسلام وسيله للاستبداد الناس أو نهب الأموال لان الايمان بالواحدنيه تعني اخراج كل الأصنام من النفوس فمن أراد أن يقطع الطريق أمام ارزق العباد يعني أنه يجعل من نفسه الها من دون الله وبالتالي فإن ذلك شرك بـالله

فشعائر الاسلام كلها تتظافر علي تثبيت معاني العدل والمساواة والحرية وسياده الشرع

ولهذا فإن مهمه المسلم إيصال هذا الخير للبشريه كلها وان عليه أن يجاهد في سبيل الله لايخاف لومه لائم فلا يخاف الا الله

المبحث الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يبين للمومنين أنه قد نصرهم علي أعدائهم فهم قد انقطع آمالهم من القضاء علي الاسلام ونظامه بالمواجهه العسكريه كما ورد عن ابن عباس والسدي ومقاتل وعطاء بن أبي رباح وعلي هذا دل معني الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيره العرب ولكن بالتحريش بينهم)

فدل هذا أن السلاح الجديد الذي سوف يستعمله المشركون هو زرع الخلاف والاختلاف بين المسلمون ولهذا قال تعالي (فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصه غير

متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

فالحق يبين أن معوقات التطور غياب برنامج التطور لاستنباط احكام الشريعة الإسلامية التي تلبي احتياجات المرحله مع الالتزام بـ التقيد بالاحكام القاطعه الدلاله في الكتاب والسنه

فإن غياب هذا البرنامج ينتج عنه الاختلاف علي العقيده التي تصوغ التطور والرقي بالافراط والتفريط

فانما يتعثر التطور بعدم التزم حدود الله فتعثر النهضه تعود جذوره الي خلل الاختلاف الفكري

وبقدر الاختلاف يكون الخبال والتخلف

والاختلاف يبدأ من عدم خوف الله في استنباط الأحكام والتحديث للوسائل دون تأصيل هذه البدائل والتعصب للرأي والمذاهب التي

في أغلبها من غواش التاريخ الفاسد التي طرأت علي الموروث الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي وهذا يصيب المجتمعات بالصراعات الشخصيه وتعميق جذور التخلف وهذا التخلف يصيب المجتمعات بالسطحيه ويحصره في المزيدات الكلامية فيقتل فرص الاتفاق ويعمق جذور الاختلاف وهذا يودي الي مشكله عدم القدره علي التعاطي مع مصدر الالهام والمثل العليا نتيجه الغواشي التي طرأت عليها ومن هنا يبدأ باللف والدوران حول نفسه تخلف واختلاف واختلاف فتخلف يدور المجتمع في حركه دائريه بدايتها هي النهايه ونهايتها هي البدايه لأن التخلف والاختلاف كلا منهما سبب للآخر فالاختلاف مشكله فكريه والتخلف مشكله موضوعيه ولهذا فإنه إذا أردنا الخروج من هذه الازمه فعلينا أن نقطع هذا الخط الدائري لنصنع منه خطأ مستقيما نتعرف من خلاله علي نقطه البدايه التي يمكن أن تصل بنا بنجاح الي حسم القضيه في النهايه وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك

فيأتي الجواب (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور ا رحيم)

الأمر الأول

أن الازمه ليست لوجود الفراغ النصي وانما ذلك يعود إلي الموقف السلبي الذي يقف فيه البعض من الاسلام ورسالته

نتيجه افرازات الابتعاد عن منهج الله والخوف من مقاومه العدو واهم عوامل ذلك هو الرده السياسية عند وصول فئه أو أشخاص الي مركز القرار عن القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام ونقض العهد الذي بين الحاكم والمحكوم والخوف علي زوال الملك فينشاء عن ذلك ا لاستعلاء بالكفار للحفاظ علي الكراسي من ثوره الجماهير وبالمقابل تجد الشعوب تقف أمام تلك المشكله بايد مكتوفه والسن معقوده وسط دائره مفرغه كما هو حال المسلمون اليوم فلا تحاول الامه أن تفتح ثغره في هذه الدائره كي تخرج منها فادي ذلك إلي العجز و التخلف الذي صار ينسب للاسف للإسلام وهو بري منه

وهذا فيه تفريط بالقيم والمبادئ والنظام والتراث لأن الارده مسلوبه نتيجه الخوف من سطوه الحاكم ومن يحميه من أهل الكفر اضافه الي التخلف الذي يعيشه المجتمع واعتباره أن طاعه هذا الحاكم هو طاعه لله نتيجه غوشي التاريخ الفقهي للموروث الذي حدث فيه الخلط بين مفهوم ولي الأمر الذي يستمد شرعيته من العقد الشرعي المنعقد بينه وبين الشعب وبين الحاكم الذي يكون وجوده في حالات الضرورة والطوروي مثل حالات الحرب التي يمتنع معها إجراء الانتخابات لاختيار الحاكم فإن حكم الضروره يزوال بزول السبب ونتيجه لخوف الفقهاء علي وحده الامه قاموا بالتضحيه بالشرعيه الدستوريه وحق الامه في اختيار الحاكم تحت حكم الضروره حسب وجهات نظرهم بعد صفين بالقبول بحكم يزيد بن معاوية واستمر حاله الطوارئ حتي يومنا هذا وكان هذا الخلط مع أن الله يقول (فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

فالضروره التي يكون فيها تعطيل العمل بالحكم لاي مساله إنما يكون للضروره القصوى ووفق شروط محدده وبعد زوالها يعود الشخص الي الحكم الاصلي لأن الاباحه مثلها مثل الذي يأكل من الميته فهل يجوز أن يستلذ اكل الميته وعدم التوقف عن اكلها حتي بعد انتهاء الضروره ؟

من الموكد أن كل من تسأله سوف يقول لايجوز فكذلك فإن الضروره لتجاوز حق الشعب باختيار من يحكمه محكوم بهذه الضروره فهو مثل الذي يأكل من الميته الجيفه غير مسموح بها في الظروف العادية

لكن حاله الشعوب مازالت محكومه بظروف استثنائية اوقعتها في ازمه سياسيه نتيجه وقوعها في ازمه دستوريه ناتجه عن اعتبارها أن استيلاء الحاكم علي السلطه بالقهر دون اختيا، الشعب يكون له حق الطاعه دون النظر إلي أن الأصل أن هذه الطاعه مستمده من العقد الشرعي المنعقد بينه وبين الشعب الذي اختاره بارداه حره

الأمر الثاني

أن من أسباب هذه الازمه هو سؤء فهم النص كما قلنا في الموضوع السابق ولهذا فإنه لصناعه الخلاص إنما يكون بالبحث عن غواش السياق التاريخي تفحص هذا الكم الهائل من الموروث الفقهي الإسلامي والتنقيب في جذوره بعيدا عن عقليه التقليد والتعصب للمذاهب أو الرأي وربط القيم في الزمان ومايقابلها في المكان فالاستبداد هو أساس الفتن كلها فالتمزق والاختلاف يعود إلي الاستبداد وعدم فقه التعامل مع التحولات التي تطرا علي حياه الناس ومراحل الأمم المختلفه

ولاخلاص للامه للخروج من هذه الدائره المغلقه ولن تستطيع أن تصنع خط مستقيم تتعرف من خلاله علي نقطه البدايه التي يمكن أن تصل بنا بنجاح الي حسم القضيه الا بالعوده الي شريعه الاسلام ألحقه والموروث الشريعه ومرقوماتها الكتاب والسنه فهما المراجعيه الموثوق بهما الموصول لثوابت الديانه والتدين وهما المصدر لادنه سماسره المتاجرة بالاديان ولايسعنا الا اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وبما يتطابق مع النموذج الذي قدمه الاسلام للامه إلي قيام وهي الخلافه الراشده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه

الوداع التي نزلت فيه هذه الايه (تركتم فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي وسنه الخلفاء المهدين من بعدي)

الموضوع الثالث

اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

المبحث الأول

ابتدأت الايه بهذا الإعلان (اليوم أكملت لكم دينكم) الذي تضمن اعلان كمال الدين وإتمام النعمه وان هذا الدين هو الذي ارتضاه الله لعباده وتحقيق مراد الله والمطلب الرباني

والجمله واقعه بين معترضين أولها واخرها حيث ذكر في أولها (لاتحلوا شعائر الله.....الي قوله (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)في آخرها (فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم) وبالنظر الي وجه الايه يبدو التجانس واضحا في معالمها جميعا بحيث تتلاحم معانيها كما تتناغم كلماتها فتولف صورتها الداله علي أن القرآن هو كتاب الله ومعجزه الرسول صلى الله عليه وسلم الموكد صدق نبوته

ويتضح ذلك من الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يبين لعباده اهميه فقه المرحله وفهم العصر واحتياجاته لتحددها واستخدام السلاح الذي يناسب المرحله ف القران نزل منجما وموزعا علي الحوادث والنوزال التي تحدث والقضايا التي تثور وتظهر فيقول للمومنين لاتنشغلوا بهامشات الأمور التي لاتحرس الدين ولاتقيم حدا فلا تهتموا بثرثره الكفار فانجاح المرحلة يتطلب منكم الانتقال الي ابطال الظروف الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية والسياسية التي شكلت التخلف الجاهلي ولهذا بعد الحث علي ابطال بقايا ركام مخلفات الفكر الجاهلي انتقل الي تطمئن المسلمين من خطوره الكفار بالاشاره الي زوال قوتهم وأركان دولتهم فالله قد نصر دينه واولياءه فقال تعالي (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

فهذا يوم النصر العظيم والفتح المبين فعليكم تذكر نعمه الله وفضله عليكم وما شرعه لكم من دستور الحياه ومنهج تربيه الامه التي أراد الله لها الكرامه والعزه وجعلها خير الأمم فإذا ذكر المسلمون ذلك وهم يتلقون احكام هذا الدستور الخالد فإن صدورهم تنشرح فيكون دافعا للتمسك بهذا الدين والاستقامه عليه مبينا لهم أن من تمام نعمته سبحانه وتعالى علي البشريه كلها هو انزل القران الكريم وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم لإخراج البشريه من ظلمات الجهل والكفر الي نور الايمان والقرآن وأحكامه وقد أصبحوا في مامن من الكفار واعاونهم فالقران قد أخذ مكانه في قلوبهم ..وفيه الحلول لكافه المشاكل والتحديات ولهذا يقول لهم ينبغي عليكم إدراك هذه الحقيقه التي تتطلب فهم الواقع والمرحله ليكون معالجه قضايا المرحله والمشكلات التي تواجه هذه المرحله فخطاب الدعوه غير خطاب الدوله وخطاب العز والتمكين غير خطاب الانهزام والتبعيه وخطاب ايام الاستعلاء يختلف عن خطاب ايام الاستضعاف والهوان فلا تكون دعوتكم منفصله عن الواقع فانتم بحاجه الي معرفه الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة التي تواكب التطور وهذا إنما يكون بمعرفه الظروف الواقعيه التي تعوق التقدم والتطور فهذه الظروف التي تشكل التخلف متدخله فالتخلف الاقتصادي تحكمه ظروف سلبيه تتداخل بظروف التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي وتتاثر مع بعضها البعض وتتبادل معها العلاقات التي تدفع نحو مزيدا من التخلف وتتظافر في اعاقه التطور والوصول الي الغايه والهدف وهو اقامه الحضاره الاسلاميه التي فيها السعاده والرخاء والرفاهيه للناس في الدنيا والآخرة

وهنا فإن الدور المناط به تحقيق أهداف المرحله هو عرض الأحكام والمبادئ والقيم (النظريات) التي جاء بها الاسلام والوسائل والأس اليب الواقعيه لمعالجه التخلف الذي يعيق التقدم وإظهار قبائح الظروف التي شكلت التخلف باختلاف موضيعها ليحصل الاقتناع من الجماهير بضروره التغيير لهذا الواقع وهذا الاقتناع يتطلب أن يدرك المخاطبين بالفكره وجود حلول واقعيه قادره علي القضاء علي التخلف واحداث التطور فلا تكون المساله مجرد شعارات ترفع يستحيل تطبيقها علي أرض الواقع وهنا لابد من تجاوز المشكله الثانيه التي توجه ارداه التطور وهو حسن التقدير لأن اساءه التقدير للمرحله والواقع قد يوثران علي الأحكام والمواقف والقرارات والأهداف وا لاستراتيجيات فيكون الفاضل مفضول والمفضول فاضل والضروري يصير مندوب والمندوب ضروري فمثلا يودي اساءه التقدير للأشياء الي الاستعلاء علي الظروف الموضوعية المكونه لعناصر التخلف فينتج عن ذلك التقدير الساذج للقدره الذاتيه نتيجه الإعجاب بالنفس مما يخلق اعتقادا وهميا بامكانيه التعامل مع الغير علي اساس هذا الاستعلاء وتلك القدره وبالتالي العجز عن مواجهه قوه العدو في حاله الحرب وكذلك فانه عندما تكون الاختلاف اختلاف له بواعث شخصية فإن أصحابها لايتقيدون بمنطق وانما يسترون بواعثهم بفلسفات ونظريات يزخرفونها بجدل وصراع يسمونه صراعا عقائديا ليجتذبوا إليهم من ينبهرون وهم الذين يعانون من ضعف الفهم للقيم والمبادئ وعدم امكانيه الفصل بين مايثير الحماس ومايثير من مشاكل اجتماعية وعقبات موضوعيه تعترض سبيل التطور وتعوق التقدم الذي

استهدفه الحماس فيخلق بذاته استحاله تحول بين الحلم وتحقيقه عندها يجد العدو ثغره ينفذ الي كيان الجسد المومن ليمزقه يجد الا مل للقضاء علي دوله الاسلام ولهذا نجد في الوقت المعاصر كيف أن أهل الكفر يستغلون هذه البواعث وتدعمه التيارات الفكريه الجدليه لتقويه الانقسام وآثاره بواعثه وتنميتها واشغال الامه بقضايا وهميه لتكشف تلك الأعراض عن استمرار مرض الإذعان والانقياد للنفوذ الأ جنبي الذي يحرص علي بقاء إمكانيات الشعوب المسلمه تحت سيطرتها وبقاء موردها ومواقعها ضمن استراتيجيته فاستغل الاختلاف الناتج عن اساءه التقدير للأحكام الشرعيه والمرحليه المرتبطه بها وما أفرزت من مذاهب وطوائف اسلاميه متناحره فكان وجود تلك الأ عراض السلبيه براقه امل أهل الكفر لاعاده أهل الإسلام الي الجاهليه وسلوكها المذموم لانهم لم يراعوا مساله أن الإسلام وحده فكريه انزلها الله فألف بين قلوب المسلمين ثم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم علي تنميتها خطوه خطوه ومعه الوحي ايه ايه حتي أصبح المسلمون كالجسد الواحد يشد بعضه بعضا فكان الوصول إلي الكمال فالتطور انتقال من طور الي طور فالقران ذاخر بالنظريات التي تدلهم علي الطريق المستقيم في كل مرحله ليكون التحرك بمعدل سرعه التطور الذي تعيشه الامه سرعه تتفق مع طبيعه هذه الإمكانيات وطاقاتها فيجب مراعاة مراحل الاطور التي تنتقل فيها الامه من طوره القائم الي طوره القادم ثم تتبع ذلك النجاح بحلقات انتقال متطور نحو الأفضل حتي لايجهض التطور لحظه ولادته او يموت بأمراض الطفوله بسبب المراهقه الفكريه ولهذا فإن الإسلام لم يضع القواعد دفعه واحده لأن ذلك إرهاق للمجتمع وايضا لأن رساله الاسلام عالميه فكانت معجزه الاسلام هي المعجزه الفكريه البيانيه الاعلاميه لتتناسب مع مرحله اكتمال العقل البشري ومرحله الرشد الإنساني ليكون صالحا لكل زمان ومكان بربط ذلك بالقدره علي التنزيل للأحكام حسب الظروف والاحوال فكان نزول التشريع علي مراحل تعاقبت مع استعياب كل مرحله منها ثم ترك التفاصيل الجزئيه للتطور مع الزمن مع تطور الحياه والمجتمعات حتي يسترشد المسلمون من القواعد الاصواليه الي ما يتناسب مع كل عصر من قواعد تفصيليه

الأمر الثاني

أن من معجزه القران هو عموميه وشموليه الخطاب للمخاطبين للدعاه والعاملين والمدعوين والقضايا والموضوعات والازمنه والامكنه ويتضح ذلك من خلال الوقوف علي الايه

المساله الاولى

عموميه القضايا والموضوعات التي تتناولها الايه الواحده

(اليوم أكملت لكم دينكم)

حيث نجد أنه سبحانه وتعالي يعلن اكتمال الدين بلفظ العموم والشمول من حيث الموضوعات التي يتناولها حيث وان معاني الدين متعدده فكلمه الدين جامعه شامله للمعاني العلميه والعمليه التي تضمن الحياتين للناس الدنيا والآخرة كما يتضح من الآتي

١

أن من معاني الدين الحساب والجزاء والاخره فالله يقول (مالك يوم الدين)

٢

ويعني أيضا البعث والقيامه لقوله تعالى (وان عليك اللعنه الي يوم الدين)

٣

يعني أيضا الاعتقاد لقوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..الخ

٤

يعني أيضا العباده (قل اني أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين)

٥

والدين يعني الدعاء (وادعوه مخلصين له الدين)

٦

والدين يعني الاسلام (أن الدين عند الله الاسلام)

٧

والدين يعني الشرع (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم ياذان به الله)

٨

والدين يعني المذهب والفكر قال تعالي (هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله)

٩

والدين يعني الدعوه (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)

١٠

والدين يعني الحكم والسياسة قال تعالي (أن الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)

وقال تعالي بشان يوسف (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)ودين الملك سلطانه ونظام حكمه علي قول ابن عباس

١١

والدين يعني القانون كما قال تعالي (الزانيه والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلده ولاتاخذكم بهما رافه في دين الله)

١٢

والدين يعني الجماعه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لايحل دم امرء مسلم الا باحدي ثلاث الثياب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعه)

١٣

والدين يعني النصيحه كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحه قلنا لمن قال لله ولرسوله ولائمه المسلمين وعامتهم)

ولهذا فإن كل هذه المعاني جميعها في كلمه الدين لتدل علي

الآتي

المفهوم الاول

أن الدين هو الحياه كلها سوء الحياه الدنيا أو الحياه الاخره وان البشريه لايمكن أن يقيموا أمرهم الا علي الاستقامه عليه في أي شأن من شؤون الحياه الا بالتزام بالدين كله بجميع معانيه وشمول مراميه ومطلوباته ولهذا كان علي العاملين للإسلام أن ينظروا الي الدين بعين الشمول ولايجهلون جانبا من جوانبه ولايبخسون منه معني ولايهملون أمرا

ولهذا جاء الاعلان بكمال الدين بلفظ العموم والشمول ليكون معني الكمال هنا كمال العقيده والعبادات المحضه والمعاملات والعلاقات الفرديه والجماعه والدوليه فيه تنظيم حياه الانسان الخليفه الفرد والجماعه والدوله

فدل هذا أنه لايوجد نقص في أي جانب من جوانبه سواء المتعلقه بالحياه الدنيا أو الاخره فلا يوجد مايستدعي الاضافه

المفهوم الثاني

أن هذا الشمول والعموم في الخطاب في تناول القضايا والموضوعات ومواجهه المشكلات والنوزال بالتعرض لها كليا ليكون معالجه القضايا بسباق واحد تندرج تحته كل شأن اوقضيه أو مشكله او أمر من الأمور تحت هذا الخطاب ليكون الداعيه المسلم قادرا علي معالجه المشاكل لأن أسباب التخلف مترابطه فهي تخضع لظروف موضوعيه ذات مستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية وثقافية ف التقدم ظاهره اجتماعيه وكذلك فإن التخلف ظاهره اجتماعيه نقيضه ويمكن التميز بينهما بالنظر والمشاهد لكن إدراك أسبابها والقدره علي استبدالها بأسباب اخري تخلق ظواهر مضاده فإن هذا الأمر يتعدي مجرد النظر والمشاهده والإخلاص في استبدالها ويستلزم إدراك كيفيه احداث ذلك إلي جانب الاخلاص في ارداه أحداثه فتغير ظروف التخلف التي تتكون منها الظاهره يحتاج بادي بدء إلي تفصيل

هذه الظروف تفصيل لايستهدف عزل مفردتها وعلاج كلا منها علي حده وانما يتطلب مهاره في التعامل معها لانه يستهدف تحديد آثارها المتبادلة والمتداخله لترتيب كيفيه البدء في معالجتها وبما لايحدث مضاعفات غير مقصوده قد تودي الي مزيد من التخلف المراد القضاء علي الظروف الباعثه له واستبداله بظاهره تقدميه وفق خططه محسوبه لانه قد يسفر تحريك الظروف الموضوعية وبحسن نيه علي نتائج عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون تحقيقه وهذا غالبا مايكون بسبب قيامهم بعلاج أسباب التخلف الرئيسيه كل علي حده بغير مراعاه لعلاقه الارتباط العضوي بينهما فتودي النظريه الجزئيه الي كل سبب علي حده في العلاج الي اضرار ببقيه الأجزاء ذلك أن الجزء غالبا مايتضمن اشياء يختلف في ذاته عندما يندمج مع كله الذي يتألف منه ولهذا فإن العلاج بتلك الطريقه السطحيه يولد ظواهر جديده كونه لايصل الي عمق هذه الظروف فقد أخطئ الفقهاء عندما قاموا بمعالجه تزحام قيمه الشرعيه الدستوريه وقيمه وحده الامه بعد صفين بالتضحية بالشرعيه الدستوريه للحفاظ علي وحده الامه وصاغوا المبررات لذلك وقاموا بتطويع الدين لشرعنه ولايه الحاكم المغتصب للحكم والذي صادر حق الامه باختيار الحاكم في إطار سعيهم لمعالجه مشكله السلطه السياسيه بهذا الأسلوب علي حساب إهدار مبدأ الشرعيه الدستوريه أن اوجد هذا الفراغ في حياه الامه وإصابتها بالارهاق في التعامل مع مخزونها الفقهي للمورث المرهق الذي أوجد الصراع علي السلطه وسالت دماء الشعوب نتيجه الصراعات الداخليه وفي نهاية المطاف فقدت الامه وحدتها وهذا أمر متوقع لأن جميع المشاكل كلها حقائق اجتماعية لها أسباب ولها جذورها وعلاقاتها المتبادلة والمتداخله مع بعضها فكانت هذه المشكله التي امتلأت كتب الفقهاء بالفتاوي والدراسات التي حاولت ايجاد مخرج من هذا المازق والفجوه التي ظهرت علي واجهه النظام الإسلا مي سببا لكافه المشاكل التي تعيشها الامه الاسلاميه منذو معركه صفين حتي يومنا هذا ولهذا فقد شكلت الدراسات والنظريات التي وضعها الفقهاء عائقا أمام استعاده الامه لدورها وفاعليتها وباءت كل محاوله بالفشل لانها ابتعدت عن الحقيقه ومجالاتها وكل تلك الدراسات والنظريات التي قدمتها الحركات من الصوفيه والوهابية والسلفيه وغيرها لاتخرج عن كونها مجرد انفعالات حسن النيه بظاهره اوحادث أو موقف سرعان مايصطدم بنتائج غير منتظره تخلق ظاهره اخري نقيضه أو حادثا مضادا أو موقفا اخطر من الموقف ا لأول الذي ادي الي ولاده الانفعال فظهرت افكار هادمه من رحم هذه الحركات شكلت خطرا علي الاسلام لم يكن من قام بهذه المحاولات يتمني حدوثها ولم يكن يبتغيها فهم كانوا مخلصون فاردوا التقدم والخروج بالامه من عنق الزجاجة لكن لم يتوجهوا الي جوهر المشكله التي أوجدت هذا التخلف فعمليه التقدم والتطور والرقي ليست ردود فعل عاطفيه أو انفعالات وليست مجرد شعارات تعجز عن تقديم الحلول المناسبة لكافه المشاكل فما دامت السلطه السياسيه في أي مجتمع تمثل أهم عناصر ومكونات المجتمع ولهذا فإن احاطه السلطه بعوامل التخلف في بناءها واداءها أمر يتداخل مع الظروف الموضوعية الأخري المكونه للتخلف التي تتفاعل مع التخلف الناتج عن الظروف الموضوعية السياسيه لايمكن معالجتها الا بالنظر إليها كجزء واحد باعتماد مبدأ شمول الموضوعات والقضايا في العلاج ليكون تربيه الجماهير علي هذا الشمول في تناول القضايا والموضوعات والمشاكل

المساله الثانيه

عموميه المخاطبين

حيث نجد أن النصوص تخاطب المومنين (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

أن هذا فيه امتنان الله بهذا الدين علي المسلمين ليشمل جميع من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم كلا حسب طاقته وقدرته وعلمه يستوعب جميع الناس المدعون للانطواء في إطاره والدخول في مضمونه فليس محصورا علي فئه او مجموعه فيشمل كل من يمكن أن يدعي الي الاسلام واستغرق كل من كان فيه وظائف واستعدادات التمكين والتفكير والإختيار والتصرف واستوعبهم ولهذا كان هذا الا متنان منه تعالي عليهم بنعمه هذا الدين الذي اختص المسلمين به فقال تعالي (دينكم) وهو في الحقيقة إنما هو دين الله وهو مايشعر ا لامه بأنه اختارها لهذه المهمه وهي تبليغ الرساله للعالم أجمع فهي تحمل امانه عظيمه فعليكم إن تنظروا الي هذا المقام من التكريم الذي اختاركم الله للقيام به فعليكم الالتزام به وان تحسنوا تنزيل الأحكام بحيث تضعوا كل حكم في موضعه فكل واحد مكلف بالقيام بالمهمه بمعرفه الواقع حتي لانقع في ازمه غرابه الزمان والمكان فالمهمه تكمن في معالجه المشاكل والقضايا بالشعور بالمسووليه بإحسان تنزيل ا لأحكام والشعور بمسووليه العمل والانتماء إليه ليكون الاقتداء والاستعانه بالنصوص للتعامل مع الوقت وفق فهم وفقه الواقع والعلوم الا نسانيه وربطها بالمنهج بحركه محسوبه بعيده عن الانفعالات التي تجازف في قياده العمل أو اندافاعات غير محسوبه تودي الي عواقب وخيمة ومحاصره الدعوه والاساءه للاسلام واقامه حواجز تشكل اجسام صلبه مانعه للمدعوون من الاستجابه وتمنح العدو مسوغ لنشر الدعايه التي تسئ للإسلام فلابد أن تكونوا مؤهلين لقياده المرحله وحسن التعامل معها فهذا دينكم الذي فيه عزكم فيجب تقدير العواقب والمالات ودراسه الجدوي قبل الإقدام علي الفعل فيجب أن تعرف أين تضع قدمك قبل أن تخطو اي خطوه تعرف لماذا ومتي وكيف تقدم تستشعر دائما أنه بالإمكان افضل مما كان عليك الابتعاد عن الغوغائية انتبه من السقوط بمستنقع التخلف والخبال فيجب أن يكون هذا ا لانتماء والارتباط بالدين والفكره والقيم الذي شرفكم الله به بأن الكمال والعصمه هي الفكره فيعرف الحق بالدين وتمسك به حيث أن الم لاحظ في الكثير من أحوال الجماعات الإسلامية والانظمه أنها استبدالت الانتماء للتنظيم والأشخاص بدل الانتماء للفكره والقيم وهذا ما أعاد الصنميه للحياه بشكل متطور وانقلبت الوسائل الي اهداف وفشت فكره التحزب والطائفيه وضاعت قيم الاخوه والشوري و الحريه والعداله والمساواة ووضعت جدران وسدود نفسيه بين المسلمين وأصبح حال المسلمين مع القيم مجرد نظريات مفرغه من مضمونها ابتدأ باساءه استخدام حكم الضروره المقتبس من قوله تعالي (فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم)

حيث كان التضحيه بقيم الاسلام وشرعيه اختيار الامه لمن يحكمها بعد صفين لأجل الحفاظ علي وحده الامه وحول الاموين القران من حاكم للحياه الي اداه لقمع من نهض ثائرا لأجل اعاده المنهج الرباني الي موقعه في حكم دوله الاسلام فكان البطش والتنكيل بهم باسم طاعه ولي الامر معتبرين أنفسهم ولاه أمر المخالف لمفهوم الشرعيه الدستوريه فالضروره لها ضوابط تزول بزوال العارض الباعث لها لكن الأمر استمر إلي يومنا وهو ماحذر منه الحق سبحانه وتعالى والخطاب لجميع المكلفين كلا يساهم في صناعه الخلاص بقدر الامكانيات المتاحة فجاء الخطاب بهذا العموم والشمول مضافا إليه تمام النعمه عليهم في قوله (واتممت عليكم نعمتي)فكان من تمام النعمه أن دخلوا في مله الاسلام وان ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الامه وأنه ارتضي لهم الاسلام دينا فعليهم الرضاء بما اختار لهم الله فمن رفض القبول بالإسلام فإنما يرفض اختيار الله فهو خارج عن الإيمان وأصبح كافرا فاختيار هذه الامه للرساله الاخيره من تمام النعمه عليهم لهذا الشرف العظيم وبالتالي فإن الذي يخرج عن طاعه الله فإنه يخرج عن شرف الخلافه ويكون معرضا لسخط الله وغضبه

المساله الثالثه

عموميه الازمنه والامكنه

ابتدأت الايه الكريمه (اليوم) واللام للعهديه والمراد بها الزمان العصر ومايدخل به من الازمه الماضيه والاتيه في المستقبل

ونزول الايه كان في يوم عرفه في السنه العاشره للهجره وصادف يوم جمعه وكلاهما يوم عيد ولهذا عندما قال يهودي لعمر لو كان هذا التكربم نزل علي موسي لكان هذا اليوم عندنا يوم عيد فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو عندنا يوم فيه عيدين عيد الاضحي ويوم الجمعه عيد للمسلمين

وهذا العيد في كل زمان ومكان للمسلمين فدعوه الإسلام دعوه الزمان كله ليست موقوته بعصر معين اوجيل محدود أو زمن مخصوص ولاتخاطب امه اوشعب بعينه فينتهي خطابها بانتهائه اوتزوال بزواله بل هي دعوه تخاطب الازمنه كلها والأنصار جميعها والأجيال جيلا بعد جيلا الي أن يرث الله ومن عليها وليست مرتبطه ببلد أو قوم أو شعب اواقليم بل هي دعوه شامله لكل الامكنه حيث وجد الناس يجب أن يصل إليهم البلاغ بما يصلح أوضاعهم ويصبغ حياتهم بصبغه الاسلام فما من مكان الا ويجب أن يصل إليه البلاغ المبين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولايترك الله بيت مدر ولابر الا ادخله الله هذا الدين يعز عزيز أو يذل ذليل عز يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)

ولهذا وردت الايه بعد. أن أخبر الله المومنين بانه اعز المسلمين بالنصر واذل الكفار فصار المسلمون في عز ونصر فقال لهم (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

ولهذا فإن من معاني النداء الثاني اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

أنه أظهر دينه علي الأوثان وأمن أولياءه من الخوف وقيل إن إكمال الدين لهذه الامه أنه لايزول ولاينسخ وان شريعتهم باقيه إلي قيام الساعه

وقيل انه سبحانه وتعالى اكمل لنا شرائع الإسلام من غير نقصان لبيان ان شمول دينه للزمان والمكان بعكس الأديان السابقه حيث كان الله يتعبده خلقه بشي لوقت معين ثم يزيد علي في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني يكون تاما في وقته كما يقال عندي عشره كامله ومعلوم أن المائه اكمل من عشره اي أن العشره في وقته كانت كامله فذكر انه في هذا اليوم الذي ذكره كان كمال الدين ولم يوجب أن الدين كان ناقصا في وقت من الأوقات وانما دل علي انه كان ينسخ الشرائع السماوية قبل الاسلام أما في اخر الزمان فإن رساله الاسلام ثابته غير منسوخه فما قبله كان كاملا الي يوم مخصوص أما القران فهو كاملا الي يوم القيامه وكذلك كانت الشرائع السابقه كانت كامله في بقعه مخصوصه لأنها تعالج افات تلك البقعة ولايكون كاملا في بقعه اخري لم ينزل خاصا بها لكن القران الكريم انزل لكل الناس في كل زمان ومكان الي يوم القيامه وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن هذا الاعلان بكمال الدين فيه بيان دور المسلمين في حمل المشروع الرباني للعالم أجمع وان دور الرسول صلى الله عليه وسلم قد اكتمل فالله يقول إنه قد أنزل الدستور والمنهج الذي يحقق المطلب الرباني في كل زمن ومكان فلا نقص فيه ولاغموض ولالبس فلا يحتاجون الي اضافه ولازياده ابدا وقد اتمه الله بنعمته فلا ينقصه ابدا وهو تعالي قد رضيه فلا يسخطه ابدا فقال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

ولهذا لما نزلت الايه بكي سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال أبكاني انا كنا في زياده في ديننا فأما إذا اكمل فإنه لم يكمل شي الا انتقص فقال صدقت ويشهد علي هذا المعني الحديث أن الإسلام بدأ غربيا وسيعود غريبا فطوبي للغرباء)

لقد إدراك عمر رضي الله المراد من الخطاب وفهم أن المستقبل يشي بالنقص العائد الي الانحراف عن القيم والمبادئ التي قدمها الاسلام للبشريه

إدراك سيدنا عمر حقيقه الخطاب وأهدافه بأنه فيه اعلان كمال نزول الوحي فالايه تبين أن الاشاره الي ان الوحي الإلهي قدم للبشريه منهجا متكاملا لانقص فيه قدم قيما اجتماعيه وثقافيه وروحانيه واقتصادية وسياسية كفيله بنناء الفرد والاسره والمجتمع والدوله و العالم وبناء نظام سياسي عادل يحقق المطلب الرباني في جميع المجالات لترجمه القيم والمبادئ كلا من موقعه الي اجراءت وموسسات حسب الظروف الزمانيه والمكانية قدم النماذج الذي يعطيك كيف يكون الارتقاء بمستوى الفرد الروحي والجسدي والارتقاء بالاسره وبناءها بالربط بين الاحتياجات الماديه والروحانية وبناء المجتمع المسلم والدوله وبناء السلطه السياسيه واداءها فيه الضوابط لكل شي في كل زمان ومكان فنزول القران منجما وموزعا ومقسما حسب الأحوال والحوادث يعيطك التفسير لكيفية التعامل مع الحياه ومعرفه أوجه الخير والشر وعدم القفز علي الأسباب المكونه للأزمات فالإسلام قد جعل الامه كلها جزء من صناعه القرار فلا بد من مشاركه جميع المسلمين بترجمه القيم الي واقع حياه

المفهوم الثاني

تكشف النصوص سر اختيار هذه الامه لحمل رساله الاسلام للعالم أجمع بأنه نعمه من الله علي هذه الامه التي كانت لاتعرف القراءه ولا الكتابه ولم تحظي باي من التعاليم الدينية وتجهل تلك التعاليم فقد كانت أكثر البلدان تخلفا لا تعرف الانظمه ولا القانونين فقد جعل الله دورها في نيل النبوه بعد الجميع وهذا التأخير من نعمه الله عليكم بهذا الاختيار لأن افضل الكتب هو القرآن وافضل الانبياء هو النبي صلى الله عليه وسلم وافضل الأمم هي هذه الامه وينسجم مع دور الامه والنعمه العظيمه التي اختارها واصطفاها الله لتحملها فقد كرمها الله بشرف حمل الرساله الاخيره الي العالم أجمع لتزيل عنهم ما وقعوا فيه من أخطاء يقول الله أن هذا الكتاب ليس بعده اي كتاب كامل فهو كامل بما يكفل اصلاح أحوال البشريه جميعا في مرحله الرشد أنه يبرز المرحله الاخيره في العالم ولهذا فالدين الإسلامي فيه الخل لغته عالميه الابعاد في كافه المجالات يخاطب العربي والهندي والياباني والروسي والأمريكي...الخ

هو كامل يعتني بالثوابت ويلزم اتباعه بطقوس العباده المحضه وتزكيه النفس وإصلاح اعوجاهها ويدعوا الي العلم والصناعه والاختراع و الزراعه والعلوم النظريه التي توكب التطور السريع

في انتقال العالم من طور الي طور في كافه المجالات أنه دين فيه أسس وقيم بناء السلطه وتدوالها دين لم يخاطب قوم دون قوم بل يخاطب العالم أجمع ولهذا علم الانسان العربي المتوحش الاداب والاخلاق والسياسيه والحكم والاقتصاد والتعامل مع بعضهم ومع الآ خرين وارشدهم الي كيفيه التعامل في العلاقات الدولية ولهذا فإن حضاره الاسلام جاءت فيها الحث علي التطور في الحضاره الماديه ب التوازي مع القيم الروحانية ولهذا فقد ذكر النهايه (اليوم أكملت لكم دينكم)

لما ابتداءه بنزول الملك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال (اقرا باسم ربك الذي خلق)

انظر الفارق بين البدايه التي حملت اعلان تدشين المعرفه الحضاريه بكل صورها القديمه والحديثه)

حيث ابتدأت منذ تلك اللحظة النورانيه تربيه المومنين علي جميع التعاليم الضروريه ..والتحسينيه والأساسية والبداية كان فيها تغيير لغات الحضارات وتوجهيها الي القراء ه باسم الرب في كل أمر من أمور الحياه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والعبادات و المعاملات وكافه النظم والقانونيين التي تنظم حياه الانسان وفي التكنولوجيا وفي كل أمر فهذه هي حضاره الاسلام فكانت هذه هي البدايه فقد حقق الله تعالي للعالم بأسره مطلب الحق في اعاده القراءه العالميه باسمه لتكون لغه القران عالميه شامله لم تنحصر بجنس و لالون ولاقبيله ولاوطن بل عالمي الابعاد ولهذا شرع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ تلك اللحظة بالقراءه لحضاره الاسلام وهو يتفهم المراد الرباني العالمي ويرسي قواعد القراءه في مواجهه المشركون والمنافقون وأهل الكتاب يربي المومنين من منطلق القراءه باسم الرب التوحيد وكذلك بتاصيل الوسائل لهذه القراءه وهي وسائل عالميه (الذي علم بالقلم) وعالميه العلم (علم الانسان مالم يعلم)

فكانت مراحل المعرفه تتوالي في العالم الإنساني الاخير من هذا المنطلق واعتمد في ذلك علي منهجين عقلي الادله العقليه ومنهج روحاني فالقران جامع تماما لجميع التعاليم ولذلك أعلن أنه اكمل دائره التعاليم فقال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

فالبدايه القراءه باسم الرب ومنتهي الكمال الديني يتمثل في معني الاستسلام والخضوع والانقياد لله بأن تكون لله وحده لاشريك له هذه هي النقطه التي تنتهي إليها الكمالات كلها لتحمل الامه مسؤوليتها لتفهم شرف القراءه العليا التي اذن الله بها فانظر الفرق بين قول الملك اقرا والرسول يقول ما انا بقارئ وبين قوله اليوم أكملت لكم دينكم وهنا يعلن الحق (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني أنظروا الي اختياري لكم واختصاصكم برساله الإسلام التي هي افضل الرسالات فالقران هو الحجه العالمية في الأرض علي الأمم كلها كافه المنتسبين للحضارات القديمه والحديثه فعليكم إن تكونوا عند مستوي هذه المسؤولية والاختيار فقال تعالي (ورضيت لكم الاسلام دينا)

يوم نزلت وان كان الله راضيا بدين الإسلام فيما مضي قبل نزول الايه لانه لم يزل يصرف عباده من طور الي طور وينقلهم من مرتبه الي مرتبه اعلي منها حتي اكمل الشرائع الدينيه وبلغت أقصي درجاتها ثم انزل هذه الايه بأن هذا هومنتهي الكمال في الإسلام بان تكون لله وحده تضحي بنفسك له سبحانه وتعالى وتبتغي بذلك النجاه ثم ينفذ من هذه النيه والارده العمل

المبحث الثاني

(فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

هذه الايه من تمام ماتقدم ذكره من المطاعم التي حرمها الله تعالي فجاءت الايه تبين الآتي

أن الذي تلجاءه الضروره الي اكل الميته اوغيرها فله أن يأكل منها وان كانت محرمه فتحل في حاله الضروره وفي (مخمصه)

وهو الجوع والمجاعه المتصل الذي قد يودي الي التلف فيحل تناول الميته ومافي حكمها

وذهب البعض لتحديدها بمده ثلاثه ايام وقال البعض انها غير محدده بمده فمتي اضطر فله أن يأكل واستدلوا بحديث أن أناس قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم انا تصيبنا بها المخمصه فمتي يحل لنا الميته فقال إذا لم تصطبحوا ولم تعتنبقوا ولم تحتقوا بها ...فشانكم بها) فقال تصطحوا يعني الغداء ولم يعفوا يعني العشاء

والمعني أنه من اصابه الجوع ولم يكن له سبيل غير الميته فله أن يأكل منها من غير تعمد ذلك وبما يحقق له الحياه وان لايكون مائل ومستلذ لذلك فهذا لا إثم عليه فإن هذه الرخصه من رحمه الله ويلاحظ أن الايه وردت بعد قوله اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا...

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن الإسلام يحفظ النفس فهي من الامور التي جاءت الشريعه لحفظها فالله سبحانه وتعالى يقول (ولاتقتلوا أنفسكم)

ولهذا أجاز لمن يخشي علي نفسه وحياته من التلف أن يأكل من المحرمات ولهذا استعمل المخمصه فيجوز له أن يأكل من هذه الخبائث بشكل موقتا

المفهوم الثاني

أن كل ماحرم الله هو من الخبائث يترك أثرا علي النفس والأمر ليس مقصورا علي المطاعم بل حتي في المعاملات والقيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام وأمر بها فلا يجوز استحلالها فمثلا شرع الإسلام لبناء النظام السياسي الإسلامي مبدأ شرعيه الامه في اختيار الحاكم فإن هنالك حالات الطوارئ الناتجه عن وجود خطر محدق بالامه كالحرب الذي يهدد كيان الدوله في وقت توفي الحاكم السابق فإن الخوف من استغلال العدو لهذه الظروف يكون وقف العمل بهذا المبدأ فيكون تسليم قياده الدوله لمن يحافظ عليها من الضياع لاعتبار حـ اله الضروره القصوي فتعطيل العمل بالاصل مرتبط بقيام حاله الضروره فالرخصه هنا ظرفيه فإذا زال هذا الظرف كان العوده الي المبدأ ولهذا نجد أن الايه وردت بعد قوله اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

بعد قوله (ذلكم فسق) لبيان وتأكيد أن ماتقدم ذكره من الخبائث وان تحريم الخبائث من جمله الدين الكامل والنعمه التامه والإسلام الذي هو الدين المرضي عند الله

ثم قيد الرخصه بالخروج عن الأصل بالضروره المجاعه والكوارث وربط ذلك (غير متجانف لاثم)

وهنا عندما نربط حكم الضروره في القيم والمبادئ السياسية يعني أن لايودي تطبيق الرخصه الي ميل الحاكم الي الطريقه التي استلم فيها السلطه وان لايتكيف الشعب علي الرخصه فتكون بعد ذلك نظام حياه لأن هذا يعني ميل الي الخبائث وهذا فيه خروج عن مبادئ الكمال في الحكم الإسلامي وانحطاط وتخلف يكرس ثقافه القبول بسلطه الأمر الواقع وتكريس الاستبداد وهذا الأمر كان بدايه الانحدار في حضاره الاسلام التي صعدت الي الكمال يوم قال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

وهو اليوم الذي بكي فيه عمر من الوصول إلي منتهي الصعود كما أوضحنا لانه إدراك أن بعده انحدار ونقصان وهو ما وقع بعد صفين كما ذكر مالك نبي وانتهي بالانحطاط حيث أن نظريه الضروره التي اعتمدها الفقهاء في التضحيه بمبدا سياده الامه والشرعيه الدستوريه لأ جل الحفاظ علي وحده الامه كانت هي نقطه سقوط الحضاره الاسلاميه والانحطاط الذي نحن عليه اليوم حيث وجد بني اميه في ذلك

لذه الحكم فكان استبداد الشعوب وصل بنا الحال الي ما وصلنا إليه فليست هذه الدول التي قامت هي الاسلام الذي ارتضاه الله لنا ف الضروره التي شكلت ثقافه المجتمع المسلم اليوم فأصبح ينظر إلي الاسلام أنه صلاه. صيام وحج قد فتحت ثغره في كيان الحضاره الاس لاميه ليتسلل إليها الأعداء ويبثوا سمومهم لانها حلت محل المبدأ هذه الأفكار الخبيثه وكان تطويع القيم من السمع والطاعه لتكريس الا ستبداد والظلم باسم الدين وامتلت كتب الفقهاء بالفتاوي التي تمهد للظلم ارضيه القبول به أما لعله سوء التشخيص لواقعنا لانه اصبح ينطلق من غير الواقع المأمور به في تفسير الاسلام ذاته لافتقار المسلمون الي مقياس الثوابت الشرعي الذي يبرز مدي ثوابت الالتزام لدينا نتيجه الاغواش التاريخيه والاطروحات الفقهيه التي انطلقت من فقه الضروره فلم تتوقف عن تغذيه عقول الناس من مائده اللحوم الميته الفاسده التي ظهرت بعد معركه صفين ففقد الناس إحساسهم واعتقدوا أنهم عندما يرون من يحكم بجلد الزني والسكران ومن يصلي جماعه من الحكام فقدصار الحكم اسلامي وان كان هنالك استبداد وقهر للشعوب يرون أن ذلك هو الارتباط بكمال الاسلام وان هو لاء أهله واصبحنا نتباهي بهذه العله المستحكمه فينا ولاندري اننا في عين الذل نخاطب العالم بثقافه غير ثقافه الاسلام ننقل للعالم صوره قبيحه ومشوه عن الإسلام وحضارته او نتطرف كما هو حاصل من اتخذ من الإسلام قوه لذبح الناس تدين انفعالي يخدم الكفر أكثر من خدمه الاسلام والبعض الآخر رضي بالعله ولم يسعي الي اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وفقا لمراد الله ولهذا يقول الله (غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

اشاره تكشف أن اباحه المحظور للضروره لاينفي عنها خبثها ولايرفع الإثم المتلبس بها لكن رحمه الله ومعونته وعنايته وعطفه هي التي تمحو ها عن المضطر ليحث المومنين علي تجنب استخدام الضروره قدر المستطاع وان المضطر عند زوال الظرف الطارئ عليه أن يعود إلي الله ورحمته ومغفرته فيغسل ماعلق به من خبث فالأمر ليس مقصورا علي المطاعم بل في كل

الموضوع الرابع

يسالونك ماذا احل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا ممآامسكن عليكم واذكروا اسم عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

المبحث الأول

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (يسالونك ماذا احل لهم)

السوال هنا له معاني متعدده منها أنه بمعني القول فلذا وقع بعده ماذا كانه قيل يقولون ما الذي احل لهم وان لم يقل ماذا احل لهم لنا حكايه لما قالوا لأن يسالونك بلفظ الغيبه فتكون (ما) للاستفهام(ذا) بمعني الذي اي ما الذي حل لنا من المطاعم وقد وقعت علي الجمله لتضمن معني القول بعد أن سمعوا ماحرم عليهم اردوا معرفه الحلال .والسائلون هم بعض الصحابه وهما زيد بن مهلل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا صيادين كما ذكر ابن عباس وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ترسم النصوص صوره حيه تجسد حال المسلمون بصورة ماثله امامك متحركه تشاهدها لتري كيف كان المسلمون يستقبلون النداء لتري الفارق بين استقبلنا للايه القرانيه وبين استقبالهم لتدرك كيف ربي الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالقران فهو الماده التي أحدثت هذا التغيير في حياه العربي واحدثت هذا الانقلاب في حياتهم فالايه ترسم لنا

١

مشاعرهم التي يستقبلون بها الايه القرانيه بأنهم لم يفصلوا المشاعر عن الفكر فلم ينظروا نظره مجرده عن المشاعر فكانت مشاعرهم واحساسيهم مرتبطه بها لتكون قوه تحدث اهتزاز تجذبهم الي الإقبال عليها باهتمام وتركيز منصب حول ماتحمله الايه من معاني بسعاده وعشق التكليف فتقشعر جلودهم فتغوص في الاعماق فتولد فيهم طاقه تتوجه الي استقبال النداء الرباني بشعور أنهم هم المخاطبون بـ النص يشعرون أنهم يتحدثون مع الله تعالي والاستمتاع بهذا اللقاء مع الله تعالي

٢

أن تفكيرهم واحساسهم ومشاعرهم واهتمامهم كله مرتبط بالغايه التي خلقوا لأجلها يشعرون بنعمه الاسلام والتطور والرقي الذي انتقلوا اليه بالقران من سفح الجاهليه الي نور الايمان يشعرون أنهم كانوا اموت وان القران الكريم المنزل علي رسوله هو الذي وهب لهم الحياه ينظرون إلي قبح ما كانوا عليه قبل الاسلام وكيف كانوا وحوشا وينظرون الي ما صاروا عليه من الانسانيه واخلاق القران فهم يجدون اللذه والغذاء الروحاني الذي يزودهم به القرآن فينظرون الي ما انتقلوا اليه أنه فيه الحياه ويتحرجون مما كانوا عليه من التوحش و الجهل ولهذا يريدون معرفه الأحكام لازاله بقايا ركام الفكر الجاهلي

يريدون ضبط اردتهم لتكون موافقه وخاضعه لارداه الله تعالي في كل أمر ...فقراءتهم للايه تنبع من عشق التكليف فلا يجدون مشقه في ذلك

تبين النصوص أن مبدأ تفكيرهم في الطلب والترك والزهد كلها تستند الي الايمان بالله واليوم فقد كان الايمان قوه أعادت تشكيل عقولهم وصياغه النفوس والقلوب لتكون نتائج ذلك ان يعيشوا حياة كلها لله تعالي أنهم يسعون الي الوصول إلي الله يريدون الوصول إلي أعلي مراتب الكمال يريدون أن يقطعوا المسافه التي تفصل بين العمل والقلب وان يقطعوا المسافه بين القلب وخالقه سبحانه وتعالى فهم يعرفون ربهم وإحسانه وعطاءه الامحدود فيعبدونه كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم ولهذا فإنهم يريدون معرفه مايزيل العوائق وقطاع الطريق التي تقطع الطريق أمامهم وتمنعهم من الوصول إلي الله

الأمر الثاني

أن الايه دليل علي اهتمام المسلمون بمساله التطور والرقي وكيفيه الحفاظ علي الوفاء بالعقد الذي بينهم وبين الله خوفا من المخالفه يريدون عدم نقض العهد ولهذا كانوا يطرحون الاسئله لمعرفه الحدود والمعالم علي جانبي الطريق في رحلتهم الي الله تعالي حتي لا يضلوا الطريق وحتي لاينحرفون عن المسار المستقيم فالسائل عندما يسأل إنما يكون أحد شخصين أما مجتهد جاد يريد أن يعرف طريق الفلاح الذي يسلكه فيتجنب الوحوش وقطاع الطرق فهو جاد مصمم علي أن يصل إلي هدفه وغايته ولديه رغبه قويه مشفوعه بإصرار أوصلت الرغبه الي الارده لامجرد رغبه هامده ساكنه ميته لاتدفعه للحركه لتحقيقها فتشاهد شغف التصميم في نظراته ونبرات صوته وهو يسالك وهو أمر يعرفه المعلم في مدرسه

أما السائل الثاني فهو شخص هازال يريد أن يفرغ طاقاته بطرح أسئلة يستعرض فيها النقص الكامن في أعماقه أو شخص يتخذ من الا سئله ماده للتهرب من مسؤوليته يسعي من خلالها لتعقيد المساله كي يكون له مبررا يعفيه من الالتزامات يريد أن يجد رخصه من ثقل التكليف لتبرير كسله وخموله يريد أن يبحث عن الرخص فلا عزيمه لديه يريد الهروب من أعباء مسؤولية التكاليف كما كان حال بني إسرائيل الذي طرحوا اسئله تلكو حتي لايكشف القاتل عندما أمروا بذبح البقره

ولهذا يقول لنا الحق أن السؤال في هذه الايه صادر من الصنف الأول المومنين الذين يشعرون بضخامه التطور الذي انتقلوا اليه وعظمه ا لارتقاء فهم يريدون الصعود الي أعلي درجه في سلم الرقي والتطور ولهذا أصبح همهم هو أن يعيشوا حياتهم لله وفقا لهذا المنهج وان يتخلصوا من رواسب الفكر الجاهلي شاعرين بقبح الجاهليه ولهذا راحوا يسألون بعدما سمعوا ايات التحريم

الأمر الثالث

تبين الايه ان علي المسلم أن يتخلص من الاميه فالقران نزل في بيئه اميه فابتدا بقوله تعالي (اقرا باسم ربك الذي خلق)

والايه تدل كيف أن الإسلام ربط اومره بالتدبر والتفكر والتعليم فهو يشجع علي الاستنهاض بالعلم لم يتركه لحب الاستطلاع وحده بل جعله فريضه لازمه كما ورد في الكثير من الأحاديث ومنها اطلبوا العلم ولو في الصين ..والعلم إذا قصد به وجه الله وامتثال امره كان عباده قدسيه فيها تسبيح الخالق سبحانه وتعالى يكشف الغطاء عن كمال قدرته وإتقانه الصنعه وأحكام الخلق فهذه حمد لله ينشر انعامه والاءلاه المطموره عن أعين الناس وفيها أفاده من قوي الكون التي سخرها فاطرها للإنسان ومن هنا تكون المعرفه الصحيحه بالله ف الله يقول (إنما بخشي الله من عباده العلماء)

والعلم في الإسلام واجب كفائي اذا قام به البعض سقط الإثم عن الامه فإذا لم تقم به فئه فإن الإثم يعم الامه كلها لقوله تعالى (ماكان المومنون لينفروا كافه فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم)

ويدخل في هذا الواجب مايحتاج إليه الناس من مهن وصناعات وحرف كالطب والهندسه والصناعات بمختلف أنواعها فلا سبيل لرفع الإ ثم عن الامه جميعها وأداء هذا الواجب الكفائي غير التعليم

وقد جعل ابن حزم الحاكم في الدوله الاسلاميه ملزما بتوفير الحد الأدنى من التعليم للعامه

فقال (أن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر او انثى حر أو عبد يلزمه الطهاره والصلاه والصيام فرضا بلا خلاف من أحد من المسلمين وتلزم الطهاره والصلاه المرضي والاصحاء ففرض علي كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يودي ذلك وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل وما يحرم عليه من الماكل والملابس والمناكح والاقوال والأموال والأعمال

فهذا لايسع أحد جهله أحد من الناس ذكورهم واناثهم احرارهم وعبيدهم وامائهم وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون أو من حين أن يسلموا بعد بلوغهم الحلم ويجبر الامام ازواج النساء وسادات الأقارب علي تعليمهم ماذكرنا أما بأنفسهم وأما بالاباحه لهم إلقاء من يعلمهم وفرض علي الإمام أن يأخذ الناس بذلك ويرتب اقواما لتعليم الجهال)

الأمر الرابع

انه بالوقوف علي مساله منهم السائلون نجد أنهم حسبما ابن عباس هما المهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا صيادين.

وهذا دليل علي فرض العلم علي كل طائفه وفق ظروفها الخاصه لأن الايه متعلقه بالسؤال منهما متعلق بعملها وهو الصيد ولهذا كان منهما السؤال وحول هذا الموضوع يقول ابن حزم

أنه فرض علي كل ذي مال أن يتعلم حكم مايلزمه من الزكاه سواء كانوا رجالا اونساء والعبيد والاحرار فمن لم يكن له مال فليس له تعلم احكام الزكاه فرضا

ثم من لزمه فرض الحج عليه تعلم أعمال الحج والعمره ولايلزم ذلك من لاصحه لجسمه ولامال له

ثم فرض علي قواد العسكر معرفه السير وأحكام الجهاد وقسم الغنائم والفي ....الخ

ثم فرض علي الأمراء والقضاه تعلم الأحكام والاقضيه والحدود وليس تعلم ذلك فرضا علي غيرهم

ثم فرض علي التجاره وكل من يبتغ غلته تعلم احكام البيوع وما يحل منها وما يحرم وليس ذلك فرضا من لايبيع ولايشتري ثم فرض علي كل جماعه مجتمعه في قريه اومدينه ...أن يندب منهم لطلب جميع احكام الديانه أولها عن آخرها

ومن هنا كان الخطاب القرآني عاما شاملا للقضايا والموضوعات والمخاطبين فلا يكون التركيز علي التفاصيل الا للحاجه الملحه

المبحث الثاني

(يسلونك ماذاأحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا ممآامسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

أن السوال من المومنين يشي عن ارداه معرفه مايحل لهم ليكونوا علي يقين من حله قبل أن يقربوه

ولهذا سارعوا الي المعلم طالبين بيان ماهو الحلال والحرام فلم يأتي الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم وانما جاء الجواب من الله تعالى فقال لنبيه (قل) اي أخبر هولاء أن ياكلوا من كل طيبات الدنيا فقط اجتنبوا اكل الميته ومافي حكمها من الخبائث الماديه و المعنوية

ولأن امه العرب كانت من أكثر الامم همجيه لم يكن قد بقي لديها شئ من الاداب الانسانيه في أي شأن من الشؤون لهذا كان من الضروري تعليمها هذه الآداب الاوليه قبل كل شي فهي بحاجة إلي هذا التعليم الابتدائي الذي يتجه صوب مافيهم من طباع همجيه ولهذا جاء الجواب بأسلوب (قل أحل لكم الطيبات

فتدل كلمه الطيبات علي الآتي

١

علي طيبه ماحل الله لهم فهو لم يحرم طيبا ولم يمنعوا عن طيب فكل الطيبات حلال لهم فلم يحرم عليهم إلا الخبائث ليلقي في نفوسهم الاطمئنان الذي يحقق لهم اليقين لما اردوا معرفته ولهذا جاء تخصيصها بذكر ال التعميم

٢

فالكلمه تلقي الاحساس بالاطمئنان الي رعايه الله فيما احل لهم حيث يفهم من كلمه الطيبات أنها كل مافيه نفع أو لذه من غير ضرارابدن ولا بالعقل فدخل في ذلك جميع الحيوانات الا ما استثني الشارع كالسباع والخبائث منها دلت الايه بمفهومها وكما قال تعالي (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)

٣

والطيب في اللغه كل مايستلذ ويشتهي والتقدير كل ما يستلذ ويشتهي وهنا يعلمهم الله أن العبره في هذا المعيار هو ما تستطيبها النفس المعتدله والفطره السليمه بمقتضي طبعها عند أهل المرؤه والأخلاق الجميله مالم ينفر عنها ويستغها ويهضمها الإنسان بسهوله ويتغذي منها غذاء صالحا وخص بهذا أهل المروه لأن اهل الباديه يستطبون اكل جميع الحيوانات ولأن الشريعه جاءت لإصلاح الانحراف الذي طرأ علي العقل والفطره ولهذا ابتدات الايه (قل) لبيان ان ماور في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحريمه فهو محرم وقوله الطيبات لبيان ان ماحرمه الله سبحانه وتعالى في الايه السابقه خبيث بشهاده الله الموافقه للفطره المعتدله فأصحاب الفطره السليمه يعافون اكل الميته

المبحث الثالث

(وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا ممآامسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتضمن الآتي

الأمر الأول

يعطف علي الطيبات (وما علمتم من الجوراح مكلبين)

الايه فيها اباحه الاكل مما يصطاده الجوراح المدربه المعلمه فهذا من لطف الله بعباده ورحمته لهم حيث وسع عليهم طرق الحلال واباح لهم مالم يذكوه ممايصطده الجوراح

والجوراح كل مايصطاد بنابه أو مخلبه

الأمر الثاني

اشتراط في ذلك الآتي

١

أن تكون معلمه مدربه بما هو معروف عاده وعرفا أنه تعليم بأن يسترسل اذا ارسل وينزجر اذا زجر وإذا امسك لم يأكل منها فقال (وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن)

٢

اشتراط أن يجرحه الجوراح لقوله (من الجوراح) مع ماتقدم من تحريم المنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه فلو خنقه الكلب أو غيره اوقتله بثقله لم يبح

٣

أن لاياكل منها الجوراح لانه حينها إنما يصطاد لنفسه اذا اكل منه عند صيده لحديث عدي بن حاتم الطائي أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي وهو نوع من الطيور الجارحه وهو صقر أو نسر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما امسك عليك فكل)

فقال تعالي (فكلوا ممآامسكن عليكم)

وايضا هذا فيه (مما) الميم الاولي بمعني من التبعيضه لما أن البعض منها لايتعلق بالاكل كالجلود والعظام والريش وما موصوله حذف عائده وعلي متعلقه بما امسكن اي فكلوا بعض ما امسكه عليكم وهو الذي لم يأكل منه وأما ماكل منه فهو مما امسكن لنفسه

٤

أن يذكر اسم الله عليه عند إرساله وقيل إنه إذا نسي فلا حرج وقيل إن الأمر بالتسميه عند الأكل لما اصطاده الجارح لحدانس أنه قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له ياغلام سم الله وكل بيمنك وكل مما يليك)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

المفهوم الاول

أن الأحكام قد تضمنت اضافه الي التحليل والتحريم تربيه المومنين بأن يقصدوا بكل عمل نيه التوجه به الي الله ليكون في التسميه اخ لاص النيه بالعمل ارداه وقصد الله في كل أمر حتي وانت تاكل ولهذا فإن التسميه واجبه عند ارسل الجارح ليكون ماصطاده صالحا ليؤكل لأننا نعلم أن الذبائح التي لا يذكر اسم الله عليه لايجوز الاكل منها سؤء ذكر عند ذبحها اسم صنم أو غيره أو لم يذكر اي اسم عند ذبحها فالله يقول (ولاتاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ولقول الرسول لمن سأله عن صيد كلبه المعلم الذي يشاركه كلب اخر فقال فإنك إنما سميت علي كلبك ولم تسمح غيره)

وايضا أن ذكر اسم الله فيه بركه العمل وفيه تعبد العبد حتي بأكله عندما ياكل

كما ورد في حديث حذيفه والذي ذكر فيه قوله كنا اذا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم علي طعام لم نضع أيدينا حتي يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم فنضع أيدينا وانا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت جاريه كأنما اندافعت فذهبت تضع يدها فأخذ بيدها الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء أعرابي كأنما يدفع يضع يده في الطعام فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيده فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يستحل الطعام اذا لم يذكر اسم الله عليه وأنه جاء بهذه الجاريه ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الأ عرابي فأخذت بيده والذي نفسي بيده أن يده في يدي يريد أن يدفع أيديهما يعني الشيطان)

فالرسول صلي الله عليه وسلم يبين اهميه الانضباط في جلوس المسلم وان يكون متمدن فعندما يجد الطعام فلا يكون مثل الوحش الذي يندفع نحو الفريسه فالرسول صلي الله عليه وسلم أن حياه المسلم يجب أن تكون منظمه فإذا كان تعليم الاداب الكلب والفهود و البازي والاسود والصبر والنسر والنمر بحيث أنه مع طبعه الغرائزي لا يندفع نحو ما اصطاده لسيده فلا ياكل منه إلا بما يعطيه سيده مما اصطاد

وبالتالي فكيف لاتتعلمون انتم الانضباط أثناء الأكل فاللازم أن تمسك نفسك عند الأكل فلا يكون التصرف بأسلوب يشي بالشره

ولهذا امسك بيد الجاريه والاعرابي

مبينا أن هذا السلوك الفوضي والعشوائي يقف وراءه الشيطان لأن الفوضوئيه والعشوائية هي مطلب الشيطان ولهذا فاللازم تربيه وتعليم الإنسان الاداب الانسانيه الابتدائيه ولهذا تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الجاريه والاعرابي بان امسك يدهما مثلما تعامل مع انس عندما كان طفلا في حجر رسول الله كما ذكر في الحديث (كنت غلاما في حجر رسول الله وكنت يدي تطيش في الصحفه ....فقال الرسول لي ياغلام سم بالله وكل بيمنك وكل مما يليك)وان عليك الابتداء بذكر اسم الله لتكون عابدا لله اثنا ء طعامك ولأجل أن تحل البركه في الطعام ولأجل طرد الشيطان أيضا لانه يكرهه الاجتماع ويريد أن يفرق بين المسلمين فقد ورد عن وحشي بن حرب عن أبيه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا ناكل ولانشبع قال فلعليكم تأكلون متفرقون اجتمعوا علي طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه

المفهوم الثاني

يبين الحق لنا فضيله العلم فالجارح المعلم بسبب التعليم يحل صيده والجاهل بالتعليم لايباح صيده ولهذا قال تعالي (وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله)

والجوراح سميت بهذا الاسم لأن ذلك من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خيرا اي كسبهم خيرا ويقال فلان لاجارح له أي لاكاسب له وقال تعالي (ويعلم ماجرحتم) اي ماكسبتم من خير أو شر

ولهذا فإن معني الجوراح الكواسب اي المحصلات للصيد والمدركات له والجوراح يطلق علي الكلب والفهود والاسود (السباع) ومن الطيور الجارحه وهي البازي وهو الصقر والنسر والشاهين وهي التي تجرح الصيد بنيابها أو مخالبها فقال تعالي (مكلبين)اي معلمين الجوراح الصيد ويشمل كل مايقبل التعليم فإن صيدها حلال فاجاز الاشتغال بتعليم الكلاب والجوراح وذكر الكلب لكونه اقبل للصيد و التادب وانتصابه علي الحاليه من فاعل علمتم و(تعلموهن) حال ثانيه من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وان يكون من يعلم الجوراح متحررا في علمه موصوفا بالتاديب وقيل (وما علمتم ماهرين في تعليم الجوراح حاذقين فيه مشتهرين به فقال تعلمونهن بتعليمه الحيل وطرق التعليم والتدريب والتأديب فإذا اكل في المره الاولي منه فعليك أن تقوم بزجره وتاديبه ثم تفعل ذلك في الثانيه فإذا كررها في الثالثه فلا يكون قابلا للتعليم ويمسك عليه الصيد

ولهذا أجاز اقتناء كلب الصيد وبيعه مع أنه محرم محرم في الصحيح من الأحاديث اقتناء الكلب لكن الاستثناء هو كلب الصيد لانه أباح صيده وتعليمه حيث ذكر عن أبي رافع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب فقتلت فجاء قوم فقالوا يارسول الله مايحل لنا من هذه الامه التي أمرت بقتلها فسكت فأنزل الله الايه وجعل طهاره ما اصطاده الكلب المعلم لأن الله عندما اباحه لم يذكر له غسلا فدل

علي طهارته

المفهوم الثالث

أن عليك أن تدرك أن مصدر العلم هو الله تعالي فقال تعالي (مما علمكم الله)

لأن الإنسان خلق لايعلم شئيا (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا فجعل لكم السمع والابصار ...الخ

ثم علمكم بأن خلق لكم وسائل العلم متطوره مع اعماركم العقليه فهذه الوسائل المتعلقه بالادراك اختصها الله بالبشر وعلم ادم الاشياء ف العلم من العناصر التي فضل الله بها الانسان علي سائر المخلوقات فأشار هنا الي هذا العطاء الذي ميز به الإنسان ليكون شكر الله علي هذا العطاء والفضل

وايضا فيه كما قال صاحب الكشاف تنبيه علي أن كل من يأخذ علما ينبغي أن يأخذه ممن هو متبحر في ذلك العلم غوص في بحار الطافه وخصائصه وان احتاج في ذلك إلي السفر البعيد فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول اطلبوا العلم ولو في الصين)

فمن أخذ من غير متبحر في العلم ضيع أيامه بالتعمق وراء الاوهام في مزاعم طلب الاسرار

الأمر الثالث

الايه تنقل لنا جانبا من مدرسه الخير التي بناءها معلم البشريه حيث انشئ اول دوله يحكمها القران فهذه المواقف هي السنه الفعليه التي تعطينا الدليل لكيفه اصلاح الخلل في أحوال الناس وخطوات التربيه والتعليم للامه برص الصفوف وإعداد أفراد ومكونات الدوله الاسلا ميه شعبا وحكومة فنزول القران منجما وموزعا ومقسما حسب الأحوال والحوداث فيها دليل الهدايه فاي سالك يريد الوصول إلى النجاه والسلامه والسعاده فعليه أن يسترشد بهدايه الكتاب وسنه النبي صلى الله عليه وسلم وسيره الخلفاء الراشدين والصحابه رضوان الله عليهم فهذه المواقف الفعليه التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي بها الصحابه فيها الاسترشاد لكيفيه انزال النصوص علي الواقع ف القران والسنه هاديان الي الله تعالي ومزكيان للروح والنفس وانما يتوقف علي العلم والعمل الذي أمر الله تعالى به وتضمنه الكتاب والسنه وسلوك السلف الصالح فالله يقول (أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا .الخ ويقول تعالي (لو انزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيه الله) ويقول تعالي (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم)

وتزكيه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس مستمره الي الأبد في أقواله وأفعاله فهي الهاديه المعلمه من قبل ومن بعد ولهذا فإن أمر الا هتداء الي الله لايتوقف علي شيخ وبيعه وانما العلم والعمل الذي يلتزم به ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله فقال تعالي (واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

١

اعلموا أن فريضه كتابه العمل بحكمه من الأمر والنهي والخوف والرجاء لوعده ووعيده والايمان بمتشابهه والاعتبار بقصصه وأمثاله فإذا اتيت بذلك فقد خرجت من ظلمات الجهل الي نور العلم ومن عذاب الشك الي روح اليقين وانما يميز ذلك ويرغب فيه أهل العقل والفهم عن الله الذين عملوا في احكام الظاهر وتنزهو عن الشبه قال الرسول صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقي الشبهات فقد استبراء لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام الا وان لكل شي حمي الا وان حمي محارمه)

وقد قال العلماء

أن المباح عقبه بين العبد وبين المكروه فمن استكثر من المباح تطرق الي المكروه ومن استكثر في المكروه تطرق الي الحرام مما لم تحله يقينا فتركه خيرا من أخذ ه

ولهذا قال تعالي (واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

انتم بحاجه الي أن ترقبوا الله في كل فعل فالتقوي وقايه تمنع عنكم العقاب كما ورد في رويه ابن حبان بزياده في الحديث مانصه (اجعلوا بينكم وبين الحرم ستره من الحلال من فعل ذلك استبرا لعرضه ودينه ومن ارتع فيه كان كالمرتع الي جنب الحمي يوشك أن يقع فيه)

ثم قال الحافظ ابن حجر ومعني الحديث أن الحلال حيث يخشي أن يوول فعله مطلقا الي مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالاكثار مثلا

من الطيبات فله حدود كما قال تعالي (كلوا واشربوا ولاتسرفوا) اي كلوا من الطيبات من لحم اوبقول وغيرها ولكن لاتكثروا من شي وتجنبوا الإكثار من الاكل وقال في موضع آخر (ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) فإنه يحوج الي كثره الاكتساب الموقع في أخذ ما لا يستحق أو يفضي الي بطر النفس وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبوديه وهذا معلوم بالعاده مشاهد بالعيان ويختلف باختلاف الناس

فالعالم القطن لايخفي عليه تميز الحكم فلا يقع له ذلك إلا في الاستكثار من المباح أو المكروه كما تقرر قبل

ومن دونه تقع له الشبهه كما ذكر ...ولايخفي أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأه علي ارتكاب المنهي عنه في الجمله أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي عنه غير المحرم علي ارتكاب المنهي عنه المحرم اذا كان من جنسه اويكون ذلك لشبهه وهو أن تعاطي ما ينهي عنه يصير مظلم القلب لفقد نور الورع فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه

٢

يقول الحق عليكم مراقبه الله في كل قول أو فعل فاخلص النيه لله تعالي فلا تأكل الا ما أحل الله لك واترك مانهي عنه عليك بالوفاء بـ العهد مع الله والأخلاق الفاضله والخوف والخشيه برعايه حدود الله في كتابه وسنه نبيه وراقب الله في كل نفس تتنفسه كما قال عمر (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم لاتخفي منكم خافيه)

فأراد بهذا غرس قوه حارسه في ضمير المومن ليحاسب نفسه لأن انتهاك حدود الله إنما تعود إلي إهمال النفس وعدم محاسبتها وايضا لعدم الايمان باليقين بوقوع العقاب فلو أمن أنه إن ارتكب الذنب أن العذاب سوف يحل به مثل البرق الخاطف فلن يرتكب الجريمه لكن هناك شك لدي البعض في وقوعه ولهذا جاء التهديد بصيغه (أن الله سريع الحساب)

بالاشارة القريبه وهي ما تتضمنه هذه الآيات من الأوامر وسرعه

الحساب فالعقاب قريب جدا فانتبهوا يقول لهم انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظه وتقبلوا نصيحه الله لانه قد أقام الحجه وبين لكم سبب العقاب في المؤخذه عند مخالفه الأوامر الالهيه وبين لكم مايحب من الأعمال وما يكرهه منها فلا تكون بطونكم هي همكم فتكونواكالبهائم ولا يكون همكم العدوان فذلك طبع السباع فعليكم بخوف الله لتقدم لنفسك ما يحرزها ما سوف تصير إليه فتحفظ نفسك من سؤء المصير

خامسا

(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي اخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الاخره من الخاسرين)

أنه من خلال امعان النظر في الترابط البدايع في هذه الايه الكريمه بين بدايتها ونهايتها وبينها وبين الايات السابقه واللاحقه وبينها وبين السوره التي ذكرت فيها نجد جمال القران الكريم وبلاغته وايجازه بذكر جمله واحده تحمل معاني ومفاهيم عديده وتخدم اهداف عديده لتربيه الفرد والمجتمع وتنظيم أحوالهم والارتقاء بهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ومع الآخرين ويتضح ذلك من خلال الآتي

المبحث الأول

ابتدأت الايه بقوله تعالي

(اليوم أحل لكم الطيبات)

فنجد أن في الايه ورد فيها تكرار إحلال الطيبات فقد قال قبلها (قل أحل لكم الطيبات) وان هذه الايه ابتدأت بقوله (اليوم) وهذه الكلمه تدل علي امتنان الله علي عباده بانعامه عليهم ولمعرفة سبب التركيز في الخطاب على لفت انتباه المومنين علي هذا الزمن تحديدا بقوله اليوم سوف نقف علي ما تحمله أوجه النص من معاني

الوجه الاول

أن المراد بهذا التكرار الحرص علي اظهار ايجابيه الاسلام وإظهار سلبيات الجاهليه قبل ظهور الإسلام فكان في هذا اليوم اعلان في مبادئ وقيم الاسلام شعار اخراج الإنسان من الجهل والظلام الي نور الايمان و العوده بالإنسان الي إنسانيته ألحقه بعد أن اهدرتها الجاهليه واغرقوها في ظلمات الانحطاط إلي مستوي الوحوش فحدث التخلف الجاهلي المعروف الذي جعل الإنسان أقل شأنا من الحيوانات فكانت مهمه الاسلام ضخمه في تربيه هولاء واعاده تاهليهم واسترداد الإنسان إنسانيته ثم تحويله الي انسان أخلاقي ثم

انسان رباني ليقود العالم ويدلهم علي الخير الذي فيه التقدم والتطور والرقي للبشريه كلها فناسب بهذا امتنان الله عليهم علي عباده بهذا الدين ولهذا أشار إلى اليوم الذي تقدم ذكره في قوله (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) فبين أنه اكمل التعاليم الدينية واتم النعمه عليهم بالعز والتمكين وإتمام نعمته عليهم دلهم علي منتهي الكمال الذي فيه رضاه التام سبحانه وتعالى بأن تكون لله تعالي تضحي بنفسك في سبيل الله خالصا فهذه هي نقطه الانطلاق

وقال تعالي أيضا (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا..الخ

فقد أتم نعمته بأن اختار لهم الاسلام دينا ونظام حياه ليكون اعاده تنظيم أنفسهم وفق هذا المنهج وتعاليمه فلم يشق عليهم التكاليف فقال تعالي (فمن اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور ا رحيم)

فإن هذا فيه مايتسع لاحوال العباد وظروفهم فكذلك من تمام النعمه إيضاح الأمور وتبسيطها أمام العناصر المتطلعه للتطور والخروج من ظلمات الشرك والجهل الي نور الايمان ومن عذاب الشك الي اليقين وهي تبحث عن اول الطريق الصحيح من بين الطرق المزدحمة في ض لالتها فقد أتم الله علي عباده باحلال الطيبات فهذه النعمه تريح الإنسان من التجارب عن الضار بالبحث المستمر عن جوانب الاشياء الغامضه التي قد تستهلك اعمار اجيال لمحاوله الوصول لذلك فالحق قد حرام عليهم الخبائث

الأمر الثاني

أن الدين الاسلامي جاء لتخليص البشريه من التخلف يقفز بهم قفزات نحو الأمام والتقدم فلا رجوع إلي الوراء والتخلف فمسيرته تتجه نحو العلو والرقي للإنسان نحو العداله والحريه والعداله والمساواة والتقدم والرفاهيه أنه ينقل الإنسان الي الافضل الطيب ولهذا فإن أحكام الإسلام فيها اختيار الأفضل لكم علي الدوام ولهذا جاء تخصيص قوله (اليوم) للحث علي سياده القانون (الحلال والحرام) بأن ا لإسلام جاء بالطيبات في أحكامه لنشر العدل والتطور والرقي والحريه ويقضي علي الظلم والفساد والتخلف فكل ما أحله فيه منافع الناس وكل ما حرم فيه المرض والضرر والافات علي الناس فجاء بتكرار إحلال الطيبات للحث علي امتثال الشرع ففي ذلك الخير و المنافع لهم فهو غذاء للجسد والروح فمن يقبل أن تنتقل الأمراض والجراثيم لجسده باكل الضار هو الذي يقبل بامراضه المورثه

ولهذا فإن اللازم شكر الله تعالي علي هذه النعمه لانه ما حرم عليكم الا مافيه ضرر رعايه وعنايه منه تعالي بكم ولهذا بدأ بقوله (اليوم) لبيان أن اللازم أن تدركوا أن في أحكام الله المنفعه لكم والكرامه

المبحث الثاني

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

الأمر الأول

المراد بطعام أهل الكتاب هو الذبائح لأن الاطعمه مثل الحبوب والثمار ليس فيها خصوصيه فيجوز أن يأكل منها حتي ولو كانت من غيرهم فقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اكل من الشاه التي صنعها اليهود ووضع له السم في ذراع النعجه في القصه المشهورة التي حدثته الذراع أنها مسمومه

وذهب العلماء الي جواز ذبائح أهل الكتاب لانهم لا يذكرون عليها إلا اسم الله عند الذبح أما المشركون فلا يجوز اكل من ذبائحهم لانهم يذبحون لغير الله ولهذا قيل بحرمه اكل ذبائح نصاري تغلب لانهم كانوا عند الذبح يسلكون سلوك المشركين فقد كانوا يذبحون باسم المسيح وهذا محرم لعموم اللفظ (ولاتاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

وورد عن الامام علي بن ابي طالب بتحريم طعام وذبائح نصاري العرب من بني تغلب لانهم لم يتمسكوا باي شي من النصرانية ولأنهم كانوا يضعون الخمر علي الطعام

ومع ذلك ذهب البعض الي القول بجواز اكل طعام وذبائح المجوس مستدلين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بشأن التعامل معهم سنوا بهم سنه أهل الكتاب) بشأن الجزيه وروي عن سعيد بن المسيب أنه يجوز أن يستعان بالمجوسي ليذبح الشاه للمسلم اذا كان مريضا بأمر ه أن يذكر اسم الله عليه

لكن الملفت للنظر هو أخباره تعالي أنه يحل لأهل الكتاب أن ياكلوا من اطعمه وذبائح المسلمين فقال تعالي (وطعامكم حل لهم) والسؤال هنا هل المراد بهذا هو أن اليهود والنصاري مثلا ملزمون بشريعتنا كما حاول البعض القول فإن هذا غير منطقي فنحن مثلا مباح عندنا اكل الشحوم بينما هو محرم عليهم وبالتالي فإن هذا القول غير صاب وبعيد عن حقيقه ماتحمله النصوص وان المراد بهذا معني أعم من هذا كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

أنه بعد أن ذكرت الايه قبلها أن الذي احل لهم اليوم هو الطيبات التي سألوا عنها فأخبر أن اليوم بدايه مرحله جديده فالمرحله السابقه التي انتقلت فيها الامه من طور الي طور بهذا المنهج فإن ذلك كان عمليه تمهيديه علي طريق التقدم وصولا إلي الكمال بأحداث التغيير المطلوب فتلك المراحل تزود المسلم بالنظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تمدك بالوسائل الممكن اتخاذها وصو لا بهذه النظريات الي ارض التطبيق فليس الغرض من هذا الوصول السلطه والحكم ألذي يفرز عنه الابتعاد عن الشعب بكافه فئاته فهذا من الخبائث والرجوع إلي الوراء ليس من صفات الأديان فجميعها قفزات نحو الأمام والتقدم وليست تقهقر إلي الوراء والتخلف وان التخلف ناتج عن انحراف واستغلال الانتهازيين من أتباع الديانات الدين للتضليل والخداع فعرقلوا مسيره الأديان نحو العداله والمساواة عندها مرت البشريه في ظلام دامس توقفت فيها عقارب التقدم ...ولهذا فالتعامل مع هولاء له خصوصية تختلف عن المشركون فقال تعالي (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فالخطاب موجه للمومنين باعتبارهم التنظيم الثوري المعبر عن الخير الطيب الذي جاء به الإسلام وفلسفته حضارته فانتم الذين تنقلون هذا الخير من نظريات الي واقع الممارسه الفعليه ولهذا يقول لهم لابد أن يحصل الاندماج بين شعب الدوله الاسلاميه ومن ذلك أهل الكتاب فلا يجوز عزل هولاء ولهذا قال تعالي (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فأشار الي مساله أن طعام اهل الكتاب من ضمن الطيبات

الأمر الثاني

يرسم لهم كيف يكون استعاده الحياه الطبيعيه في ممارسه السلطه فليس المراد بنجاح الثوره القضاء علي نظام سياسي متخلف نستبدله بنظام اخر ذي شكل تقدمي فلابد من الأخلاق للطليعه فلا يكون بعد انتهاء هذه المرحله أن تقف النخبه من المومنين الحاكمه مكتوفه الأ يدي ولاتسعي الي موكبه التطور الذي تشهده البلاد بسرعه فائقه فليس الأمر مجرد شعارات ترفع عن كرامه الانسان وحريته والمساواة فبعد استلام مقاليد الحكم لابد من الانتقال الي تجسيد معاني القيم في الواقع فعليك أن تدرك أن مسؤوليه المرحله المقبله تختلف عن المرحله السابقه فلابد من استغلال الإمكانيات المتاحه بحيث يصوغ المجتمع قدراته في لحن جماعي منسجم متطلع وهادف الي غايه مدروسه ومقداره عند بدايه التفكير في دفع عجله التطور إلي تطور

فالمراد بالاطعمه هنا التطور الاقتصادي فالإسلام جاء بنظريه الدوله العصريه قبل جميع الحضارات فأراد أن تتطور النظره الي الدوله أنها ليست مجرد أنها حارسه علي الأمن والعدل وتقديم الخدمات العامه بل يتعدي ذلك إلي اقامه المشاريع الاقتصادية المختلطة الخاص و العام والذي يشترك براس ماله المواطنون مع الدوله ليكون ذلك رابطا يربط الحاكم بالشعب فلا تهمل الطاقات تحت عنوان المزايدات الدينيه ولهذا لابد من تظافر الطاقات الاقتصادية بقيود الشريعه الاسلاميه وقانونيها الثابته

المبحث الثالث

أن المراد بهذا التعاون الاقتصادي وتبادل السلع والتعايش مع أهل الذمه وادماجهم في المجتمع وتبادل السلع فاستعمل لفظ (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فاضاف إليهم الطعام علي سبيل التمليك اشاره الي التبادل التجاري معهم تحت ضوابط الشريعه الاسلاميه وبشرط المقابله بالمثل لأن التعامل التجاري كان يقوم بمبادله سلعه بسلعه فقال تعالي (وطعامكم حل لهم)

ولهذا ذكر أمر المناكحه الطيب الحلال فقال تعالي (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي اخدان)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد الآتي

اي الحرائر من المومنات المحصنات بحصن الحريه والعفه ومن أهل الكتاب المحصنات بحصن الحريه والعفه

*

اشتراط لذلك

١

تسليم المهر عن طيب نفس (اذا اتيتموهن اجورهن)

أن يقصد بذلك تكوين وانشاء اسره وحفظ الفروج وليس المتعه الجنسيه بالسفاح ولا المخادنه

*

التهديد للمرتد بعد الايمان بضياع الاعمال الصالحه التي عملها والشقاء في الاخره

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد الآتي

الأممر الاول

ابتدأت الايه بقوله (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

تبين الايه أنه أحل للمومنين من أمور المناكح تزوج الحرائر العفيفات من المومنات ومن أهل الكتاب

فهل معني هذا أن هذه الايه ناسخه لقوله تعالى (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن ولامه مومنه خير من مشركه ولو أعجبتكم ...الخ كون الايه في سوره البقره حرمت نكاح المشركه والنصاري لا خلاف أنهم مشركون لانهم يعتقدون بالواهيه عيسي وعقيده الثالوث وايضا الايه ذكرت بجوز زواج الاماء المومنات فهل الايه هنا تنفي حكم زواج الاماء المومنات والكتابات ؟ ومن المراد بالكتابيات هل الاسرائليات ام الكتابيات علي الاطلاق ام أهل الذمه وهل تدخل الحربيات في ذلك

الموضوع الاول

أنه لانسخ للايه (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن...الخ

وانما في قوله تعالي (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) تخصيص لما فيه الكمال وتمام النعمه التي تتحدث عنها الايه حيث ان الايه وردت في إطار التطور نحو الأفضل واهميه تكوين العلاقات المصاهره التي تساهم في إرساء قواعد وقوانين الحضاره الاسلاميه ومبادئ الشريعة الإسلامية والقيم التي حملتها من خلال استغلال هذه العلاقه لخدمه الاسلام ودولته ونظامه وما تقتضيه المرحله من المرونه والانفتاح وأقصد بهذا مرحله الدوله التي يكون فيها الهيمنة للإسلام حيث يكون أهل الذمه من رعايا الدوله الاسلاميه الخاضعين لقوانين الاسلام بالقبول بدفع الجزيه والبقاء في ارض الاسلام ودولته ونظامه ولهذا قال تعالي (اليوم أحلت لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم...الخ

وذكر اباحه التزوج بالكتابيه فالايه تبين أن هنالك مسؤوليه علي جميع المسلمين في دمج أهل الكتاب في المجتمع المسلم من خلال العلا قات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية والاجتماعية حتي لايعيش هولاء في عزله الاقليه التي تشعر بالاضطهاد ونقص حقوق المواطنه فيكون الدين وسيله تميز عنصري داخل المجتمع الواحد كما هو حال الكثير من دول العالم المتعصبه لدين الدوله مثل مانشاهد في الا ضطهاد لمسلمي بروما ومسلمي الهند والاقليه المسلمه الرهونجا وفي الصين ...

فالإسلام ينبذ العنصريه ويامر بالحريه والكرامه والمساواة لجميع مكونات الشعب في النظام الإسلامي

ولهذا جاء هذا الاعلان بحقوقهم المالية والاقتصادية والاجتماعية يوم اكتمال الدوله الاسلاميه وهيمنتها علي الجزيره العربيه يوم إعطاء المشركون الذين يعبدون الأصنام مهله اربعه اشهر لتصفيه أعمالهم التجاريه وبعدها مغادره دوله الاسلام (فسيحوا في الأرض اربعه اشهر)

ولهذا كان هذا الاعلان لبيان ان اهل الكتاب من اليهود والنصاري والصابئه من رعايا الدولة الإسلامية لايشملهم الأمر فحقوقهم مصانه ومن ثم شرع في ذكر أن اللازم إدماجهم في المجتمع كي يتحقق الاستقرار فاجاز تبادل الاطعمه اي العلاقات التجارية معهم وتزوج المسلم منهم لأجل أن ينصهروا في المجتمع المسلم وتصقل مواهبهم وقدرتهم وطاقاتهم لتساهم في عمران الارض وفق منهج الاسلام الذي اختاره الله للبشريه في مرحله الرشد الإنساني

وخص بالذكر لإنشاء تلك العلاقات معهم في هذا اليوم الذي صار الاسلام مهيمن علي الجزيره العربيه لأن التعامل معهم سوف يكون وفق ضوابط الشريعه الاسلاميه فمثلا قبل ذلك لو جلست علي مائده نصاري فإنه لن يتردد أن يقدم علي المائده الخمر ولحم الخنزير...ويقول لك قد صنعنا لك طعام خاص بك في الطرف الآخر من الطاوله المعده للطعام

فقبولك الجلوس لمائدته ليس مرونه لأن هذا الكتابي لم يراعي ضوابط الشريعه الاسلاميه وقانونيها ولم ينظر إلي جلوسك علي ما ئدته

فيه اظهار لشعائر الاسلام المساواه واحترام حقوق الذمي

لكن عندما يكون الهيمنه للإسلام ودولته ونظامه الذي قبل هذا الذمي أن يعيش فيها ويحترم قانونيها عندما قبل العيش في دوله الاسلام مقابل دفع الجزيه عن يد وهم صاغرون فإن جلوسك علي مائدته تجعله يشعر برقي الاسلام وتسامحه مع الأقليات الأخري ولهذا سوف يكون حريصا علي اظهار احترام قوانين الاسلام فسوف تكون مائدته كلها اطعمه ليس فيها اي شي محرم اضافه الي انك عندما تدعوه الي طعامك في المناسبات ليشاركك الفرحه سوف يشعر أنه جزء أصيل من نسيج المجتمع المسلم وهذا سوف يدفعه الي الحرص علي الوفاء بالعهد ولن يشعر أنه مهضوم في المجتمع لن يكون في خانه المهمشين المنبوذبن كما هو حال شريحه كبيره في المجتمع اليمني الذين يسمون المهمشين حيث لايشاركهم الناس الطعام ولا يتزوجون منهم ولايزوجونهم رغم أنهم مسلمون مثلنا مثلهم نتيجه ظلم العادات الجاهليه المورثه التي غرست انطباع عنهم أنهم لايهتمون بالنظافه لاجسادهم ولاملابسهم وهو ماصار واقعا فيهم فكونت العزله لهذه الشريحه وتجاهل الدعاه دورهم ومسؤوليتهم في الارتقاء بهذه الشريحه وتربيتها فليس مبررا أنهم لا يهتمون بالنظافه لاجسادهم و لاملابسهم أن يعزلوا وان يعاملوا بتلك المعامله التي تعود جذورها حسب الروايات الي عهد سيف بن ذي يزن قبل الف. وخمسمائة سنه

الموضوع الثاني

كما ان الجمله (والمحصنات من المومنات) رفع علي أنه مبتدأ حذف خبره للدلاله علي ماتقدم اي وحل لكم أيضا من الطيبات والمراد بهن الحرائر العفائف من المومنات ومن أهل الكتاب اليهود والنصاري والصابئه فجاء التخصيص بالذكر لبيان ماهو أولي وافضل ولاينفي ماعدهن من الاماء المومنات لانه جائز بالاتفاق فعندما يكون لك الخيار بين الحره العفيفه المومنه والامه العفيفه المومنه فإن الاختيار يكون للحره لأن التزوج بالاماء إنما يكون بشرط عدم الطول وخوف العنت كما ورد في سوره النساء (فمن لم يستطع طولا أن ينكح ....الخ .

ولهذا فلا يعني هذا حرمه زوج الاماء المومنات والكتابات تحريم شرعي ولكن تبين مساله اخري وهي التحريم الأخلاقي

لأن الايه خرجت مخرج الامتنان والمنه في نكاح الحرائر والعفائف وهي أعظم منه ولهذا فإن الافضل لمن اراد النكاح أن ينكح الحرائر و العفائف مع القدره عليهن لأن نكاح الاماء يودي أن يلحق الأبناء بوالدتهم في الرق ويكون الابناء عبيد ولاينبغي أن يختار أحد لابنه الرق كما ليس لأحد أن يبتغي رق نفسه فالإسلام يحث المومنين علي اختيار الزوجات ليكون الولد كريم الأصل فأراد بهذا أن اخلاق المومن تمنعه من هكذا علاقه زواج لأن هذا يتعارض مع الكمال وتمام النعمه التي تتحدث عنها الايه ولهذا نجد أن الايه تشير الي اهميه طهاره العلاقه الزوجيه من القبائح لأن الفاجرات غير العفيفات من الزنا لايجوز التزوج بهن لقوله تعالي (الزاني لاينكح الازينه أو مشركه)

لكن هل يحكم القاضي اذا تزوج مسلم عفيف بزانيه ببطلان عقد الزواج منها من الموكد أن القاضي لن يحكم بذلك ولهذا فإن التحريم هنا أخلاقي فاخلاق المومن تمنعه من هكذا علاقه لأن تلك العلاقه تتنفي مع اخلاق الكمال والرقي الطيبه ولهذا فإن الإسلام يربي المومنين علي اختيار الأفضل فلا يكون اختيارهم الادني لأن ذلك فيه فساد وخلل وانحطاط وتخلف فالله ذم بني إسرائيل فقال (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير)

ولهذا قال الجمهور انه لايجوز التزوج بالكتابيه الا الحره والعفيفه لئلا يجمع فيها أن تكون ذميه وهي مع ذلك غير عفيفه فيفسد حالها بالكليه لانه يجمع بين السو ء في تفحش المراه الكتابيه وشركها بالله

والمراد بالكتابيه متفق علي جواز هذا النكاح بالنسبه للذميات لكن الخلاف هو بشأن الحربيات من اهل الكتاب وهن اللاتي لايخضعن لدوله الاسلام فذهب البعض للقول إنه فيه العموم وذهب الجمهور أن هذا مخصوص بالذميات دون الحربيات وهذا هو الأرجح لأن الاباحه كانت بعد أن صار للإسلام قوه كما ذكرنا في هذا المبحث ولأن اللفظ (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

فلفظ من قبلكم يعني جميع أصحاب الأديان السابقه يشمل اليهود والنصاري والصابئه فالمراد الالتزام بقوله تعالي (لا إكراه في الدين) احترام حريه المعتقدات للأقليات داخل المجتمع المسلم وان اللازم اعداد برنامج لدمج هولاء في المجتمع المسلم ليكون الانسجام بين مكونات الشعب الذي يحكمه القران

الأمر الثاني

توكد الايه علي حقوق المراه بغض النظر عن دينها فقال تعالي (اذا اتيتموهن اجورهن)

اي المهر الذي هو العوض الذي أمر في سوره النساء أنه حق خالص للمراه يجب تسليمه للزوجه وجاء التأكيد عليه هنا حتي لايتصور البعض أن هذا الحق هو للمراه المسلمه فيقول لهم الله أنه حق لكل النساء فجميع الموطنون في دوله الاسلام متساوون في الحقوق و الواجبات فيجب بذل المهر عن طيب نفس كما أو ضحنا في سوره النساء فلا يكون لسلطه القوامه والقياده التي اختص الله بها المسلمون استغلال ضعف الأقليات من اليهود أو النصاري أو الصابئه من أهل الديانات السابقه ولهذا جاء بتأكيد تسليم المهر لهن ويشدد

علي احترام العلاقه الزوجيه التي يقدم عليها المسلم من الاقتران بعقد الزواج بالكتابيات من أهل الذمه بأن يقصد بذلك انشاء اسره و العفه من السقوط في الزنا فقال تعالي (محصنين)حال من فاعل اتيتموهن اجورهن اي حال كونكم إعفاء بالنكاح وتكوين اسره وحفظ فروجكم وليس لغرض المتعه الجنسيه الغابره فقال تعالي (غير مسافحين) فمن أراد المتعه الجنسيه فهذا مثل الزناه الذين يزنون مع كل من يجدون أمامهم من الفاجرات كما كان حال الزناه في الجاهليه فقد كان هولاء يزنون مع من كان ولهذا يقول لهم الحق انتبهوا من التشبه بتلك الاخلاق القذره فعليكم قصد التزوج بالكتابيه أو غيرها فتحسنوا الاختيار لشريكه الحياه فهنالك التزام أخلاقي عند الاختيار وقال لتأكيد اهميه بناء اسره في العلاقه الزوجيه التي تريد إقامتها لتكون علاقه طهاره طيبه أن تخلوا من سلوك أهل الجاهليه السفاح وا لاخدان فقال تعالي (ولامتخذي اخدان)وهم الذين كانوا يزنون مع العشيقه التي يزني بها محبه ومخدانه وحدها فيحذر الحق من هذه الأ خلاق الفاسده الخبيثه فيقول لهم يجب إن تقصدوا وتنظروا لهذه العلاقه أنها لأجل بناء اسره ولأجل العفاف وحفظ فروجكم

والخطاب موجه للمومنين لانه لم يبيح لأهل الكتاب التزوج بمسلمه اطلاقا فكان مناسبا أن تأتي الايه بعد قوله (وطعامكم حل لهم) لبيان ان اباحه المناكحه غير حاصله بين الجانبين بينما اباحه الذبائح والاطعمه حاصله بين الجانبين فذكر هذه الشروط والأحكام التي يلزم بها الأزواج تنبها لهم علي التميز بين النوعين فالمسلم يحترم العقود والوفاء بها ولهذا يقول الحق (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الاخره من الخاسرين)وهذا فيه الآتي

١

تهديد لمن خالف أوامر الله ونواهيه وأحكامه في التعامل مع الأقليات من أصحاب الأديان السابقه واستباح حدود الله فلم يعظم شعائر الله وحدوده التي أمر بها من حقوق هولاء فمن استغل القوامه للأضرار بأعمال الأقليات التجارية بما يخالف منهج الله أو من تعامل معهم بعنصريه فأراد من تكوين العلاقه الزوجيه بالكتابيه المتعه الجنسيه أو إشباع الرغبه والشهوه فقط ولم يقصد بذلك حقيقه الزوج والعفه التي هي أعلي قوه المحبه فهذا يكون كافرا الشريعه الاسلاميه وقانونيها وبالتالي فعليه أن يدرك أن ذلك سببا لضياع قيمه أعماله ويلحق به الخساره في الاخره خسر نفسه وماله وأهله يوم القيامه وحصلوا علي الشقاء الابدي وهذا فيه غرس حقوق أهل الذمه في ضمير كل مسلم فانظروا الي عظمه الاسلام وكيف أنه صان حقوق الأقليات

٢

أن الايه فيها التهديد والوعيد لكل من أنكر أحكام الله سالفه الذكر ومن جملتها الحل والحرام وحقوق الأقليات فكل من يمتنع قبولها فقد بطل عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك فهو يضيع نضاله وكفاحه السابق في مرحله التحرير وايضا يخسر آخرته

٣

التحذير من أن تودي العلاقات مع الأقليات التي تميع المسلم بالتفريط بقيم ومبادئ الاسلام فتكون العلاقه سببا لخدمه الكفر فيحصل التنازل عن القيم والمبادئ الإسلامية من اجل المصالح الاقتصادية مع اليهود والنصاري الي اصابته بالعدوي الفاسده والأخلاق القبيحه التي لدي هولاء من الطمع والجشع الزائد بالمال فيميل الربا وقبائح أهل الكتاب التي كانت سببا في ابتعادهم عن المطلب الرباني ف التعامل معهم يكون بحذر فلا يكون الانفتاح في التعامل معهم سببا للوقوع في افات هولاء وامراضهم فهم سوف يستعملون كافه الوسائل للغزو الفكري لتجريد القيم والمبادئ الإسلامية عن مقوماتها الايمانيه ومايتفرع عنه من اخلاق فاضله وطيبه من التسامح والبر والتعاون فتسعي الأفكار الردئيه لدي هولاء الي استبدالها بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر والقسوه والخداع والصداقات المرحليه فهم سوف يحاولون الي صناعه موجات تدفع الي البعد عن الدين من أمثال ذلك استعمال النساء الكتابيات وتجنيدهن لأجل هذا الهدف وإفراغ الأحكام الشرعية عن مضمونها ونشر الرذيله والترويج لها باسم الحب (المخدانه والسفاح) والتبرير لها كما هو حال الكثيرون الذين أصبحوا يفسرون النصوص وتأويله وفقا للفلسفات الماديه الضاله فالغزو الفكري سهل اذا تجرد الإنسان من مقوماته المعنويه الا يمان ولهذا فإن هذه الموجات ليست شيئا مخيفا مادامنا نتمسك بمقومات المجتمع السليم الايمان باحترام شعائر الله وأحكامه عندها سيكون من السهوله مقاومه هذه الموجات ولهذا يأتي التهديد من الكفر بعد الايمان بالتفريط بقيم ومبادئ الاسلام فإن هذا فيه ضياع الا عمال الصالحه. يلحق بك الخساره والشقاء بالاخره ولهذا فعليك الإنتباه من السقوط في مستنقع التفريط تحت اسم الانفتاح والمرونه فا لأمر يوجب عليك الإنتباه وان تخدم بهذه العلاقات الاسلام فالصداقه والتعاون مع هولاء أمر مطلوب لكن بشرط أن لايودي ذلك إلي إلغاء نقطه الانطلاق التي تنطلق منها في كل أمر وهو الايمان والاسلام فلا يكون في تلك العلاقات الغاء وجودك العقائدي فلا تكون العلاقه معهم سببا لهدم قيم الإسلام والأخلاق الفاضله التي يريدها الاسلام من المسلم لأن الخروج عنها رجوع الي الكفر بعد الايمان وهذا فيه الهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة

القسم الثالث

في إطار الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح والحث علي طهاره الأبدان والعلاقه الزوجيه من القبائح يجي ذكر الصلاه وتمام الطهور للاشاره باهميه طهاره الروح والبدن فقال تعالي (يايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق

وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضي او علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

اولا

ابتداءت الايه الكريمه بالنداء الثالث للمومنين (يايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه)

وقد ذهب المفسرون لأقوال متعدده بشان أحوال القيام المأمور به بالوضوء في قوله تعالى (إذا قمتم الي الصلاه)

فذهب البعض أن الأمر بالوضوء حال القيام الي الصلاه إنما يكون لمن احدث كما ورد عن ابن عباس قوله لاوضوء الا في حدث والا فصلي بطهورك مالم تحدث

فقال السدي ان المعني إذا قمتم الي الصلاه وانتم علي غير طهر فعليكم بالوضوء

وذهب البعض أن الأمر يعني إذا قمتم من النوم الي الصلاه فعليكم إن تجددوا لها طهرا

وذهب البعض الي أن الأمر يعني به كل حال قيام المرء الي صلاته أن يجدد لها طهرا

وذهب ابن سيرين الي ان الصحابه كانوا يتوضون لكل صلاه

وقال البعض أن هذا الحكم نسخ بالتخفيف مستدلين بالسنه الفعليه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاه فشق ذلك عليهم فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من احدث واستدلوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلي في الفتح الصلوات الخمس بوضوء واحد

وذهب البعض أن الوضوء كان لازما في كل عمل يقوم به المسلم فنزلت هذه الايه اعلانات من الله بها بأنه لاوضؤء عليهم إلا إذا قاموا الي الصلاه دون غيرها من الأعمال لانه كان عليهم الوضوء في جميع الأعمال فإذا احدث أحدهم امتنع عن العمل حتي يتوضاء فكان رفع الحكم حيث صار لهم أن يعملوا مابدا لهم دون وضوء من الحدث عدا الصلاه فأمر بالوضوء قبل الدخول بها

والأرجح هو أن القيد لمن احدث فيه الوجوب لأن الثابت بالسنه الفعليه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي يوم الفتح الخمس الصلوات بوضوء واحد أمام الناس فسأله عمر عن ذلك فقال إنه تعمد فعل ذلك أمام الناس جواز ذلك ومايوكد ذلك قرينه دلاله الحال فلايلزم علي كل قائم للصلاه غير المحدث فالايه مثل قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) فدلاله الحال يعلم منها أنه ليس هنالك وضوء علي من لم يحدث وأما اطلاق اللفظ اذا قمتم الي الصلاه اطلاقا فعليكم بالوضوء فإن هذا لايوثر بأن القيد هو للمحدثين لأن الايه ورد فيها الحديث عن الصلاه والطهارة في إطار الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح وطهاره الصيد والتعامل مع الآخرين بالعدل ولهذا جاء النص فيها إطلاق الوضوء حال القيام للصلاه فقررت أن الوضوء في كل صلاه عزيمه هو الافضل وأما الوجوب فهو لمن احدث بدليل أن الايه ذكرت وجوب التيمم علي من لم يجد الماء أو من وجده وكان مريضا أو علي سفر وإذا احدث بغائط أو بول وجب عليه أن يتطهر عقبها ولو كانت الطهاره واجبه عند كل صلاه لما كان لهذا معني

ولهذا فإن اطلاق اللفظ في مقدمه الايه الكريمه الآتي

المفهوم الاول

الحث علي اهميه طهاره الأرواح والاجساد وان جميع الله هي عباده لله فكان مجئ الآيات بعد الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح وطهاره الصيد والتعامل مع الآخرين بالعدل وعدم الخيانه في ظل هذا الجو يأتي السياق مبينا أن الوضوء عزيمه وهو الافضل وان الوجوب هو علي المحدث فكان هذا الاطلاق اظهار لتناسق الآيات القرآنية والأحكام مع بعضها بهذا الترابط البدايع القادر علي إيصال عناصر الفكره التي تهدف النصوص إيصالها الي المخاطبين فكان مناسبا اطلاق النص حال القيام لبيان ان اهميه المتاع الروحاني في القيام للصلاه فأنت مثلما ألزمت أن تطهر طعامك من القذورات بالحرص علي أن نظافته من القذره الماديه والمعنوية وان تحرص علي طهاره الشهوه من قبائح الزنا في المناكح لتجد لذه متاع الطعام والنكاح الطيب ففي ظل هذا الجو تمضي سياق النصوص باستكمال الوان المتاع الطيب للإنسان فجاء الأمر بإطلاق الوضوء في حال القيام للصلاه لبيان ان كل أمر من أمور الله وأحكامه كلها عباده الله هي غذاء روحاني فلا يوجد فرق بين الصلاه والوضوء والاطعمه والمناكح والاقتصاد والسياسيه فكلها شرائع الله ومنهجه لابد أن يقصد بها وجه الله لتكون طيبه وأن تلتزم شروطها

المفهوم الثاني

أن إطلاق لفظ القيام للصلاه بشرط الوضوء ..وهو أمر قبل الدخول في الصلاه فهو يختلف عن القيام الذي هو ركن من أركان الصلاه فإن هذا الافتتاح فيه إعلامنا بأن الوضوء من شرط الصلاه والقيام يطلق لمعني الشروع في الفعل اوالعزم عليه ولهذا قال البعض أن المراد به ارداه الفعل وعبر عن ارداه الفعل بالفعل لأن الفعل يوجد بارداه الفاعل وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه فاقيم المسبب مقام السبب للملابسه بينهما وقال آخرون إن المراد بالقيام هو قصد الصلاه لأن من توجه الي الشي وقام إليه كان قاصدا له لامحاله فعبر عن القصد بالقيام وعموما فإن المتأمل في القران يجد أنه اطلق لفظ القيام علي الصلاه كلها فقال تعالي (واقيموا الصلاه) وقال تعالي (واقم الصلاه أن الصلاه تنهي عن الفحشاء والمنكر) ولم يقل صلوا ولا في اي موضع فاقامه الصلاه ادؤاها كامله الأركان والشروط الظاهره والباطنه والوضوء من شروطها الظاهره ولهذا جاء النص بقوله (إذا قمتم الي الصلاه) اي قصدتم الصلاه ونيتها فدل هذا علي شرط النيه للقيام بالصلاه والطهاره لصحه الصلاه فالطهاره تجب عند اراده الصلاه وهي كل مايطلق عليه اسم الصلاه سؤاء كانت فرض اونافله أو صلاه الشكر أو أي صلاه فلابد لها من الطهاره

فيقول لهم أن من شروط اثمار إقامتها أن تكون مستوفيه حقها ظاهرا وباطنا صوره ومعني فأنت عندما تقصد نيه الصلاه ولقاء الله و الوقوف بين يدي وتناجي الله فعليك أن تستعد فلابد من تطهير الجسد لتهئيه الروح لتكون اهلا لمناجاه الله تدعوه وتطلب منه سعاده الدنيا والآخرة تطلب العون منه تعالي وان تشرح له همومك واسرارك فكان لابد من طهاره الجسد والروح بدليل تشريع التيمم عند عدم الماء فإن طهاره الروح لاتكتمل الا بالتيمم عند الرخصه للتعبير أن شرط الوضوء يدخل ضمن معاني القيام للصلاه لأجل صحه الصلاه ف الموقف بين يدي الله يتطلب استعداد للتعبير عن إدراك عظمه من تخاطب وتناجي واستشعار خشيه الله وعظمته ومحبته

المفهوم الثالث

أن القيام للصلاه يستوجب أن يكون مفعا بالنشاط والحيوية لمقابله الله فالله قد ذم المنافقون فقال تعالي (واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي) فهذه الصلاه ليست الصلاه التي يريدها الله فالله يريد قيام بخشوع وحب وإجلال ورغبه في مقابله الله ولهذا فإن غسل البدن والوضوء بغسل أعضاء الغسل الأطراف والوجه ومسح الرأس يفيد صاحبه نشاطا وهمه ويزيل مايتعرض له الجسد من الفتور و الا سترخاء بسبب الحدث الأصغر أو الأكبر أو غيرها من الأعمال التي توثر وبهذا فإن العبد يقيم الصلاه علي وجهها ويعطيها حقها من الخشوع والخضوع ومراقبه الله تعالى يقول المراغي أن الشاهد أنه إذا بلغ الإنسان من لذه ومتاع العلاقه الجنسيه غايته بالوقاع والانزال حصل تهيج عصبي كبير يعقبه فتور شديد بحسب سنه رد الفعل ولايعيد نشاطه الاغسل البدن كله

فانظر الي رعايه الله في أحكامه لعباده سبحانه وتعالى

ثانيا

(فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا)

المبحث الأول

تبين النصوص أن الطهارة للصلاه لها صورتان تبعا لنوع الحدث الموجب لها الاول طهاره من الحدث الأصغر لحديث أبي هريره ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لا تقبل صلاه من احدث حتي يتوضأ) فقال رجل من حضرموت يابي هريره ما الحدث فقال ابوهريره الفساء والضراط)

وهذا يجب عليه الوضوء لقوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين)

وهذا فيه عده مسائل

المساله الاولى

ماهي الاعضاء التي يجب فيها التطهير اي الوضوء ؟

١

غسل الوجه :_

وهو مايحصل به المواجهه من منابت الشعر المعتاد الي نهايه الدقن طولا ومن مقدمه الاذن الي مقدمه الاذن الأخري عرضا

وقال البعض أنه يدخل في ذلك المضمضه والاستنشاق لأن الفم والأنف من الوجه وكذلك الشعر لمن له لحيه من إيصال الماء الي البشره وان كانت اللحيه كثيفه ومنهم من قال إن المضمضه والاستنشاق من السنه المستحبه

٢

غسل اليدين الي المرافقين :ـ

والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفي الساعد والعضد وسمي مرفقا لانه الذي يرتفق به أي يتكاء عليه من اليد

وهنالك قولان لمعني (الي) هنا

القول الأول أن الي بمعني مع كقوله تعالي (ولا تأكلوا أموالهم الي أموالكم) فيكون الغسل هنا وفقا لهذا القول لليدين مع المرافق اي لا يتم الوضوء الا بغسل جميع المرافق

أما القول الثاني فقولوا أن الي بمعني الغايه فالمامور به أن يبلغ المرافقين فهي غايه لما أوجب الله غسله من اخر اليد والغايه غير داخله في الحد لما تميز فهي كما قال تعالي (ثم أتموا الصيام الي الليل) لأن الليل غايه الصوم للصائم فإذا بلغه فقد قضي ماعليه فهذا هو الواجب ولهذا فإن المرافقين ليس إلا حد وان غسلهما من المندوب لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الغر المحجلون من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل

٣

(وامسحوا برؤوسكم)

ومسح الرأس يكون أن تضع بطن كفيه في الماء ولاينفضها فيقوم بمسح الرأس من مقدمته الي القفا وقالوا إن الباء في قوله (برؤوسكم) بمسح جميع الرأس وهنالك من رأي أنه يجوز ولو مسح بعضا منه فقالوا إن الباء هنا للتبعيض

وقالوا إن وجود الباء فيها حمل المسح بالكل البعض فقالوا أنها كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فقولك مسحت المنديل لايصدق الا عند مسحه بالكليه أما قولك مسحت بالمنديل يكفي صدقه في مسح اليد بجزء من ذلك المنديل وتحقيق هذه الباء أنها تدل علي تضمين الفعل معني الالصاق فكأنه قال والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لايقتضي الاستعياب

وقال السعدي أن المسح يكفي باي صفه سؤاء باليد ين أو أحدهما أو خرقه أو خشبه أو نحوها لانه لم يعتد بصفه فدل علي إطلاقه

المهم عليك أن تفهم أن المسح للراس واجب فلوقمت بغسل راسك مثلا فإن هذا لا يجزئ لانك لم تأتي بما أمر الله به

٤

(وارجلكم الي الكعبين)

وهذا فيه الغسل وذهبت الشيعه للقول بالمسح

والصحيح هو الغسل لما هو ثابت بالسنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ويل للاعقاب من النار)

وهناك ثلاث قراءته اثنتان متوترتان وواحده شاذه

فما المتوترتان النصب في (ارجلكم) قراءه نافع والكسائي وعاصم فما رواه عن حفص

والجر قراءه حمزه وابن عمر وعاصم في رويه ابي بكر

أما الشاذه فهي الرفع قراءه الحسن

والنصب فهي معطوفه علي المغسولات علي الأيدي فلا إشكال في هذا أما الجر فهي تعطفها علي المسح للراس فذهب من قال بهذا الي ا لاكتفاء بالمسح للرجلين دون الغسل فهذا يتعارض مع السنه الثابته عن الرسول صلى الله عليه وسلم

وايضا لأن المراد بهذا المسح مع الغسل يعني الدلك باليد أو غيرها والحكمه أن الرجلين بحاجه لذلك لأنها اقرب أعضاء الإنسان لملابستها الاقذار ولمباشرتهما الأرض فناسب ذلك أن تجمع لهما بين الغسل بالماء والمسح اي الدلك باليد ليكون ذلك ابلغ في التنظيف وأما المسح فقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لايكون إلا علي الخف كما ورد في صحيح الاحاديث وهذا ليس منسوخ كما ذكر البعض لأن ايه المائده نزلت في غزوه المريسغ واسلام جرير بعد ذلك وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم المسح علي الخفين في غزوه تبوك وهي آخر مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم

المساله الثانيه

أن الوضوء لايكون من الشك حتي يستقين لحديث عباد بن تميم عن عمه أنه شكا للرسول صلى الله عليه وسلم فقال ماحكم الرجل الذي يخيل إليه أنه يحدث الشي في الصلاه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لاينفتل أو لاينصرف حتي يسمع صوتا أو يجد ريحا

المساله الثانيه

ندب اسباغ الوضوء بأن تطيل الغره لحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن من أمتي يدعون يوم القيامه غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)

الأمر الثاني

أما الحدث الأكبر فهو متعلق بالجنابه بالتقاء الختنان الذكر والانثى او الاحتلام ورويه نزول المني فقال تعالي (وان كنتم جنبا فاطهروا) والطهارة بالغسل لسائر البدن

المفاهيم من هذا

المفهوم الاول

أن الترتيب للغسل لأعضاء الجسد أثناء الوضوء فيها الحث علي أن تكون اعمالك كلها مرتبه في تعاملك مع نفسك ومع اهلك ومع جيرانك فإذا كانت العباده التي يكون فيها لقاءك مع الله تلزم العبد بالترتيب ولهذا فإن الذي يغسل رجله قبل مسح الراس لايكون طاهرا و لاتقبل صلاته ولهذا فإن من بلاغه القران أن ذكر مسح الراس بين المغسولات لتأكيد اهميه الترتيب فيما شأنه أن يرتب ومايوكد هذا ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج من باب الصفاء تلا (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله) ثم قال (ابدا بما بدأ الله به)

المفهوم الثاني

أن عليك التسليم لأمر الله وتذعن لحكمه بامتثال امره سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه فلا تسال لماذا امرك بفعل الأمر كان تقول لماذا ابدا بغسل الوجه واليدين ثم امسح الرأس ثم اغسل الرجلين ...فتقول ما الضرر أن ابدا بغسل الرجلين قبل مسح الراس...فعليك الإنتباه من ذلك لأن مثل هذه الهواجس خروج عن أمر الله فالله لايسال عما يفعل...وانما الواجب تنفيذ امره فليس للعقل شأن بأمر الله

المفهوم الثالث

أن الإسلام دين النظافه يهتم بنظافه الاجساد والاوراح يقول المراغي في تأويله الحكمه من الغسل والوضوء وفوائده أن النظافه ركن لصحه البدن لأن الاوساخ والاقذار مجلبه للأمراض والافات الكبيره ومن ثم نري الأطباء يشددون في أيام الاوبئه والأمراض المعدية من المبالغة في النظافه فجدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس اجسادا واقلهم أمراضا لأن دينهم بني علي المبالغة في نظافه الأبدان والا مكنه فينبغي تطهير المكان والإنسان

المبحث الثاني

تتناول النصوص حكما استثنائي أنه حكم التيمم فقال تعالي

(وان كنتم مرضي او علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه)

وبالرجوع الي أسباب نزول الايه

الأمر الأول

تبين النصوص التخفيف بالانتقال من الماء الي التيمم فذكرت المساله الاولى

حالات البدل

١

حاله المرض الذي يخشي علي المريض من التلف أو تفاقم اوجاعه بسبب ملامسه الماء لبدنه فالمريض مخصوص باباحه التيمم له سواء وجد الماء ام لم يوجد ومن خاف علي نفسه الموت من استعمال الماء أو المرض فله التيمم لحديث أن عمر ابن العاص اجنب في ليله فتيمم وتلا قوله تعالى (ولاتقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما) فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهاه

٢

المسافر له رخصه التيمم في حاله عدم الماء

٣

(او جاء أحد منكم من الغائط)

ذكر مجيئه منه قضاء حاجته فيه وهو البول والغائط

والغائط هو المكان المنخفض من الأرض

وهذا فيه تربيه للمسلم :_

أن عليه عند الحديث حسن اختيار الألفاظ والابتعاد عما يستقذر التلفظ به

*

وايضا فيه اختصار وايجاز فقال (اوجاء أحد منكم من الغائط)

كنايه عن الاحدثه البول والبراز فقال تعالي (اوجاء أحد منكم)

حيث نجد إدغام التنوين مع الميم (أحد منكم) واخفاء النون الساكنة مع الكاف فادخال بالادغام أمران البول والبراز لمجيئه للإنسان واستعمل الاخفاء لانه أمر لايعلمه الا الشخص نفسه فيلجأ الي الأرض المنخفضه لقضاء حاجته وهي المعروفه عندهم أنها المكان المخصص لقضاء الحاجه (من الغائط)

٤

الجماع يوجب التيمم عند عدم وجود الماء أو لامستم النساء

المساله الثانيه

ذهب البعض الي أن التيمم يكون للمريض .. وللمسافر

وسببه الحدثان البول والبراز أو الأكبر الجماع ...فإذا حصل ذلك وجب الوضوء ووجب الغسل لكن المريض معذور سواء وجد الماء ام لم يوجد أما المسافر فإذا لم يجد الماء فيكون له رخصه التيمم فقال تعالي (فلم تجدوا ماء)

هكذا ذهب البعض للقول بينما المتأمل للنصوص يجد أنها وردت باداه العطف (أو جاء منكم من الغائط أو لامستم النساء)

الأمر الدال أنه إذا لم يوجد الماء فإن هذا رخصه التيمم ولم يقيد النص بالسفر وانما العله عدم وجود الماء عند دخول الوقت للصلاه وقوله (فلم تجدوا ماء)

يعني أن تطلبه فهذا يلزم طلبه والبحث عنه إن أمكن فإذا طلبته. ولم تجده فيكون لك الرخصه وهنا كيف الحال إذا وجدت ماء متغير فان الماء المتغيير مقدم علي التيمم لانه يدخل في قوله (فلم تجدوا ماء) فقد ورد الأمر بطلب الماء علي إطلاقه ولم يخصص ذلك بالماء الطاهر

المساله الثالثه

تأتي النصوص مبينه البدل

(فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه)

تيمموا :_

تعمدوا باتقصدوا (صعيدا)اي شي من جنس الأرض (طيبا)

يعني طاهرا نظيفا غير قذر ولانجس اي اقصدوا ترابا نظيفا والتعبير عن الطهاره بالطيبه ولو كان ترابا علي ظهر حائط يكفي أن يكون نظيفا كل ماتصاعد علي وجه الارض فلا يصح التيمم من التراب النجس لانه لايكون طيبا بل خبيثا

ثم يعلمهم كيف يكون التيمم (فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه)بأن تضرب بكفيك ثم تنفضهن ثم تمسح بهما وجهك ثم تمسح يديك الي المرافقين الضربه الاولي للوجه والضربه الثانيه لليدين لما ورد في صحيح البخاري قول عمار لعمر تمعكت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يكفيك الوجه والكفين) وفي روايه قال عمار فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده الأرض فمسح وجهه وكفيه)

والفاء في (فامسحوا) من باب التغليب لأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين وأما أن يكون ارشاد للأفضل فإن أمكن التراب الذي فيه غبار فيه فهو أولي

المبحث الثالث

(مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

الأمر الأول

هنالك من اعتبر ان الايه متعلقه بحكم التخفيف من المشقه عند عدم الماء أو لمرض ونحوه فقالوا إن معني الايه

١

تعليل الرخصه ونفي الارداه هي كنايه عن نفي الجعل لأن المريد الذي لا غالب له لايحول دون أردته عائق

٢

واللام في ليجعل داخله علي أن المصدريه محذوفه وهي لام يكثر وقوعها بعد أفعال الارداه

٣

نفي الحرج وهو الضيق والشدة والحرجه البقعه من الشجر الملتف المتضايق والحرج المنفي هنا الحرج الحسي اذا لو كلفوا بطهاره الماء مع المرض والسفر وعدم الماء والحرج النفسي لو منعوا من أداء الصلاه في حال العجز عن استعمال الماء لمرض أو فقدان الماء

وهذا فيه

المساله الاولى

امتنان الله علي عباده أنه لم يكلفهم المشقه وهذا فيه خير ونعم من الله لانه من الموكد أن الانتقال من الماء الي التيمم لضروره المرض والسفر وعدم الماء فيه الخير وهذا ما أدركه الصحابه رضوان الله عليهم حيث ذكر البخاري في صحيحه أن نزول الايه الكريمه كان بمناسبة خروج عائشه رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في احدى غزواته وان عائشه استعارت قلاده من اسماء فهكلت فقام النبي صلى الله عليه وسلم علي التماسه ...الخ فذكر الحديث في رؤية هشام بن عروة عن عائشة قالت إن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد القلاده فادركتهم الصلاه وليس معهم ماء فشكوا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه ايه التيمم فقال اسيد بن حضير

لعائشه جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه الاجعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا كثيرا)

فهذا يدل أن التخفيف فيه خيرا كثيرا أدركه الصحابه رضوان الله عليهم

المساله الثانيه

حرص الإسلام علي اقامه الصلاه و ازاله العوائق المانعه لها ولهذا نجد الاشاره الي رفع الحرج النفسي عنهم عند عدم الماء بالتيمم للصلاه فلا تفرط في الصلاه مهما كانت الظروف فلا عذر ليغرس في النفس اهميه لقاء الله فلا يحول بينك وبين الصلاه حائل حيث وحاصلها أن إتمامها يورث الفهم عن الله فالطهاره الباطنه تكون في صفاء القلب وقيام الانام وصدق اللسان وخشوع السر وكل واحد من من هذه أمر الله بغسله

الأمر الثاني

أن نفي الحرج عن الدين وإثبات التيسير في هذه الايه قاعده من قواعد الشريعه واصل عظيم من اصوال الدين بني عليها الكثير من الأ حكام ويتفرع منها مسائل كثيرة يقول الشيخ محمد رشيد رضا

أن المراد بنفي الحرج :_

مايتعلق بأحكام هذه الايه بالذات وبما يمكن أن يقوم عليه من الأحكام من بدايه السوره ومنها حاله الاضطرار لاكل الميته

وكذلك جميع احكام الاسلام فهو لم يقل مايريد الله ليجعل عليكم من حرج فيما شرعه لكم من احكام الطهاره فحذف المتعلق فيها يوذن بالعموم وقد صرح بنفي الحرج عن الدين كله في سوره الحج بقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ماجعل عليكم في الدين من حرج مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء علي الناس)

ولهذا فإن التصريح بنفي الحرج عن الدين في سوره الحج لأنها مكيه وبينت اصوال العقيده وقواعده الكليه التي تدل علي القيام فيما لا بد منه من عزائم الأمور وليس من الحرج في شي لانه نفي الحرج بعد الأمر بالجهاد وهو بذل الجهد في الطريق الموصل إلى اقامه سنن الله تعالى وحكمه في خلقه وكل ما يرضيه من عباده من الحق والخير والفضيله ولايصعد الإنسان إلي مستوي كماله الا ببذل الجهد في معالي الأمور والحرج هو الضيق والشدة والمشقه مما ضرره أرجح من نفعه كالقاء النفس في التهلكه أو الامتناع عن سد الرمق بلحم الميته للمضطر أو كاستعمال المريض الماء وفيه ضرر وقد ذهب العلماء الي الاعتماد علي هذا الأساس نفي الحرج والعسر وإثبات اراده الله للتيسير بالعباد في الأخذ به في كل ماشرعه لهم من قواعد وأصول وفرعوا عليها أحكاما في السياسيه والعبادات والمعاملات منها اذا ضاق الأمر اتسع والمشقه تجلب التيسير ..ودراء المفاسد مقدم علي جلب المصالح والضرورات

تبيح المحظورات ماحرم لذاته يباح للضروره ..وما حرم لسد الذريعه يباح للحاجه

الأمر الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن كل مافرضه الله فيه الخير فهو لم يريد فيما شرعه لكم من الأحكام مامن شأنه أن يلحق بكم الضيق و العنت لانه تعالي غني عنكم وهو رحيم بكم فلا يشرع لكم الا مافيه الخير النافع لكم ومن ذلك الحكم بالطهاره من غسل ووضوء فالله لا يريد أن يعنت الناس أو يحملهم المشقه للتكاليف إنما يريد ليطهرهم والارتقاء بهم وأن ينعم عليهم بهذه الطهاره فجاءت الإشارة إلي حكمه الغسل والوضوء والتطهير الحسي لانه تنظيف والمنفي جعله الله منه عباده فقال (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) فهذا يقودكم الي شكر النعمه (ولعلكم تشكرون) ليضاعفها لهم ويزيدهم من فضله وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن عليك أن تفهم أن الوضوء والغسل ليس تنظيف الأجساد فقط وانما لها مهمه مزودجه نظافه الجسم وطهاره الروح في عمل واحد وعباده واحده فالامر بالطهاره جاء في موضع لقاء الله هكذا افتحتت الايه (إذا قمتم الي الصلاه) وقوله (ليجعل) تفيد معني الايجاد و الخلق وتفيد التصير بمعني أن هذه الأحكام لاعاده خلق المجتمع المسلم وفق الصوره التي يريدها الله تعالى او لتنقيه الاوعيه الذهنية و النفسية والعقلية والقلبيه من ركام الفكر الجاهلي اي لينظفكم أو ليذهب عنكم دنس الذنوب لأن الوضوء يكفر الخطايا كما ورد في الحديث

فالطهاره تزيل النجاسه الماديه والمعنوية والحدث ليس نجاسه بلا خلاف وان أطلق عليه ذلك باعتباره نجاسه حكميه بمعني كونه عائقا

من الصلاه لا بمعني كونه ينجس الطعام والشراب فلا خلاف أن المحدث له أن يأكل ويشرب

فالمراد بهذا تطهير القلب من دنس التمرد علي طاعه الله تعالي ولتنعم بشرعه مما هو طاهر لابدانكم

ولهذا أمر بالتيمم عند انعدام الماء فدل هذا ان التطهير الروحي اقوي فلا يمكن الاستغناء عنه فقد ورد في الحديث (أن الله لاينظر الي صوركم ولا الي اعمالكم ولكن ينظر إلي قلوبكم)

فموضع نظر الحق جلا جلاله أحق بالطهاره ويكون بازاله انوع الخبائث فطهاره القلب لاتحصل الا بالكف عن الشهوات والزهد عن الدنيا ويكون هذا بالانس بالله وهذا لايكون الابكثره الذكر وهذا لايكون إلا بمعرفه الاخره فتكون خاشعا لله

المفهوم الثاني

ان الله لم يشرع لنا من الأحكام مافيه مشقه ولاحرج إنما هو رحمه من الله لعباده لتطهيرهم فالظاهر تكون طهارته بالماء والتراب فلا بد أن يكمل بطهاره الباطن بالتوبه والتوحيد والخشوع ولهذا فإن طهاره التيمم وان لم يكن بها طهاره ونظافه بالحس والمشاهد فإنها طهاره معنويه ناشئه عن امتثال أمر الله ولهذا يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن هذه التشريعات لغرض تزكيه وتطهير أرواحكم بهذه النفحات الربانيه والارتقاء باروحكم ليكون ذلك وسيله لرؤيه ومعرفه انعام الله لتشكروه بطاعته وامتثال امره فقال تعالي (ولكن يريد ليطهركم)

والطهارة من الخبائث انواع (طهاره العلم من الجهل _وطهاره الذكر من النسيان _وطهاره اليقين من الشك _وطهاره العقل من الحمق _وطهاره الظن من التهمه _وطهاره الايمان مما دونه _وطهاره القلب من الادران)

وهذا يتفق مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملأ ما بين السماء والأرض والصوم جنه والصبر ضياء والصدقه برهان والقرآن حجه لك او عليك كل الناس يغدوا قابع لنفسه فمعتقها أو موبقها)

فمن تعود التفكر في جلال الله وانعامه وعظمته صار ذلك من أعظم اللذات التي تدفعه الي الشكر المنعم ولهذا قال تعالي (ولعلكم تشكرون)

المفهوم الرابع

أن الحق يبين أن الطهارة طهارتان لها أصل (الغسل والوضوء) ولها بدل (التيمم) وان للأصل مستوعب لكامل البدن بالغسل والوضوء غير مستوعب الا لاجزء من البدن الوجه واليدين والرجلين والبدل مستوعب لليدين لانه اذا اطلاق لأن يستوعب كامل اليدين لقوله (السارق والسارقه فاقطعوا أيديهما) فعلم أنه محدد لكن لايمكن أن ندخل الغبار الي الفم والأنف هذا باعتبار الفعل الغسل والمسح وباعتبار المحل محدد فنجد في الوضوء أنه محدد اليدين والرجلين الي المرافقين والكعبين وغير محدد في المسح الرأس والوجه و التهما مائع بالنسبه للماء والمسح آلته جامد الغبار وموجب الوضوء والغسل والتيمم الحدث الأصغر والأكبر وموضعهمما المرض والسفر و الموعود عليهما التطهير واتمام النعمه والشكر قولي وفعلي وهذا مايعطي النص جمالا

المبحث الثالث

تبين النصوص ان هذه التشريعات التي جاء فيها طهاره الأبدان والأرواح هي من نعم الله التي يكمل فيها النعم الموجوده في امه العرب قبل الاسلام بنعمه الاسلام او يكمل نعمه الاسلام بزياده اضافه فيها التزكيه والتطهير من أحوال كثيره فالاتمام أما بزياده النوع من النعم لم تكن موجوده أو بتكثير فروع النوع من النعم

أما إذا قلنا إن المراد بهذا النعم التي كانت سائدة قبل الاسلام وأنه يكملها بنعمه الاسلام فهذا له عده أوجه

ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيره شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاه فليصل واحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعه وكان النبي يبعث الي قومه خاصه وبعثت للناس عامه)

أن القرآن الكريم فيه كمال امه العرب لأن من خصائص القبيله العربيه أنها ترفض الخضوع للأجنبي ولا حتي في لغتها ولهذا نري القران يذكرها بهذا الشرف والسمو والعلو (وأنه لذكر لك ولقومك) ويذكرهم بهذا الشرف ليشعروا أن عليهم من الواجبات في مقابله هذا الشرف الذي أعطوه فالامه التي لاتحافظ علي الشرف ولاتودي ثمن المجد لاتستحق هذا الشرف فهي امه لايعتمد عليها في النهوض فالله يذكرهم بهذه الشرف ليكون منهم احياء هذا الشرف في نفوسهم لينهصوا بالتكاليف ليتعاملوا بالعدل والرحمه

ولهذا فإن القران يعتني بأحياء هذا الشرف في نفوس العرب لأن ذلك الأمر ضروري لاعدادهم لمافيه من سياسه البشريه وإنقاذ العالم من

الشرور والنهوض بالرسالة فهذا الشرف الذي خصهم لما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها وعدم قبول الذل والهون فهذا الذي هياهم لحمل رساله الاسلام للعالم كله والا لما تهيا ت لذلك العمل العظيم ولهذا نجد النصوص تبين بعد هذا التذكير بنعمه الوحده بعد التباغض و القتال التي كانت سائدة في الجاهليه فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم) ثم أشار إلي الميثاق المقطوع معهم (وميثاقه الذي واثقكم به)

وهو بيعه العقبه الاولي والرضوان وكل العهود التي قطعها المومنون علي السمع والطاعه في المسره والمكره والمنشط والعسر واليسر ثم يذكر الله حال بني إسرائيل فهولاء لم يتهياوا لإنقاذ أنفسهم فكيف ينقذون غيرهم فلم تصل الي المراتب العليا رغم بذل موسي جهده فمن لم يستطع أن ينهض بنفسه كيف له أن ينهض بغيره فقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل....الخ وقد أخبرنا الله في سوره القصص (ونريد أن ومن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمه وتجعلهم الوراثين ونمكن لهم ....الي قوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

فالله يقول إنه بما صنع لبني إسرائيل فقد أراد أن يعلم هذا الإنسان سنن الله في كونه من إنقاذ الضعاف من الأفراد والأمم الذين لاقوه ماديه لديهم من استعباد الأقوياء

ولهذا فإن اختيار الله لامه العرب برساله اخر الزمان لتكون لهم القياده علي العالم لما فيها من استعداد لهذا الأمر ولهذا كانت مكه مهبط الوحي لرساله الاسلام فهي لم تتعرض لأي احتلال فقد جعلها الله امنه من كل استعمار ولهذا فإن اختيار لسان العرب لمخاطبه العالم كله لوجود الاستعداد لديهم لذلك ولهذا فإن احكام الطهاره هي لازاله الاوساخ والاقذار التي كانت سائدة في الجاهليه وتمثل جوانب نقص فيهم حيث وفيها تكريم المسلم نفسه لدي نفسه وأهله وقومه الذين يعيش بينهم فمن كان نظيفا كان مقبولا الاختلاط بالناس فيكون محل احترام بعكس القذر فيكون محتقر ولايعد عند الناس اهلا لأن يحضر مجالسهم فكيف له أن يقودهم ولهذا أمر بالطيب والغسل يوم الجمعه

ولهذا يعقب الحق (ولعلكم تشكرون) فدل هذا علي اهميه أن يتدبر العباد اسرار الله في شرائعه في أحكامه وانعامه في الطهاره وغيرها ليزدودا معرفه وعلما ويزدودا شكر لله ومحبه علي ماشرع من الأحكام التي توصل الي المنازل العاليه والرفيعه ويقول بعدها (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

وهذا فيه

الأمر الأول

التذكير بنعمه الاسلام والجمله عطف علي جمله مايريد الله ليجعل عليكم من حرج...الخ والجمله واقعه تذليلا لقوله تعالى (يايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه) والكلام مرتبط ما افتتحت به السوره اوفوا بالعقود...لأن في التذكير بالنعمه تعريضا بالحث علي الوفاء تذكيرا يقصد منه الحث علي الشكر والحث علي الوفاء بالعهود والمراد من النعمه جنسها لانعمه معينه وهي مافي الاسلام من إصلاح أحوالهم وا لارتقاء بمستوى المجتمع المسلم وازاله التباغض والتباعد الذي كان سائدا كما قال تعالي في موضع آخر (واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فاصبحتم بنعمته اخوانا ...الخ

فالخطاب لهم بهذا الأسلوب يشير إلي أن المخاطبون يعرفون هذه النعمه يدركون الرقي والتقدم والتطور الذي نالوه بالإسلام فهم يجدون في نفوسهم وقلوبهم وتفكيرهم مقدار هذا التطور ومن ثم كانت هذه الايه دليل أن نعمه الاسلام ومنهج القران نعمه عظيمه يدركها هولاء وتمثل قوه توجه الفكر والقلوب قائمه ولها قوه مملوسه في حياتهم

الأمر الثاني

أن هذا الأمر بالتذكير لنعمه الله بالإسلام الذي أكمل لهم الشرف والقوه وازال عنهم اوساخ الشرك ودنس الذنوب يراد منه أن يتذكر المومنون المنعم ليكون هذا باعثا في شكر الله الذي انتهت إليه الايه قبلها (ولعلكم تشكرون)..وايضا دافعا للوفاء بالعهد فقال تعالي (وميثاقكم الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا)

والميثاق :_

العهد الذي قطعه منهم وواثق معناها عاهد وأطلق فعل واثق علي معني الميثاق الذي أعطاه المسلمون وعلي وعد الله لهم بالعز و التمكين والأمان من الخوف ما التزموا الوفاء بعهدهم ولهذا ووردت بصيغه التذكير بالعهد للحث علي الوفاء بالعهد الذي قطعه معهم وربطهم به عندما قالوا سمعنا واطعنا. ولهذا استعمل صيغه واثقكم به استعمال اللفظ حقيقي ومجاز

لأن اذ اسم زمان عرف بالاضافه الي قول معلوم عند المخاطبين يقول ابن عاشور (والمسلمون عاهدوا الله في زمن الرسول صلى الله

عليه وسلم عده عهود أولها عهد الاسلام وعهد البيعه أن لايسرقوا ولايزنون ولايشركون ...الخ وعهد بيعه العقبه الاولي في السنه ١١للبعثه وبيعه العقبه الثانيه سنه ١٢للبعثه وبيعه الرضوان سنه٦هجريه كل تلك العهود وثقت بالسمع والطاعه في المنشط والمكره والعسر واليسر

والمراد بهذا:_

الدرس الاول

أن يستحضروا الميثاق والعهد المقطوع معهم فهم يعرفون هذا الميثاق الذي عقدوه مع الله فالله يقول في موضع آخر عن بيعه الرضوان (أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)وقال تعالي (يد الله فوق أيديهم)

فإن هذا الشعور بالتعاقد مع الله تعالي يولد اعتزاز بالعهد والحرص علي الوفاء به يشعرون بضخامه المهمه فيقبلون عليها برغبه ولهذا يأتي التعقيب للتحذير من نسيان نعمه الله فيقول الحق سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

احذروا من نسيان نعمه الله عليكم فتنشغلوا بالنعمه وتنسون المنعم فهذه موعظه من الله سبحانه وتعالى يذكرهم بأيام الله الماضيه ليروا عنايه الله والطافه

الدرس الثاني

يذكرهم بقولهم عندما قالوا سمعنا واطعنا وهو عهد ملزم لكل مسلم لانه مأخوذ من أسلافنا فهو عهد مقطوع معنا فقوله سمعنا من العلم بها وحصول التبليغ واطعنا بالتنفيذ لتأكيد وجوب مراعاه العهد والمحافظة عليه

والايه وردت بعد ذكر بأن ما جاء به الإسلام هو كل طيب ولاخبث فيه فأشار الي غذاء الأرواح وطهاره الأبدان فذكر الصلاه والوضوء والا غتسال بعد أن ذكر الغذاء الفردي الخليفه الفرد للجسد والروح ذكر الثمره الطيبه وهي لسائر أفراد المجتمع المسلم فأشار الي أن أساس بناء المجتمع المسلم ودولته ونظامه يقوم علي العدل فهي قوام الوجود الإنساني والعهد المقطوع معهم ولهذا يذكرهم بانعامه عليهم أنظروا كيف كان حالكم من التباغض والتباعد فألف بينكم بنعمه الاسلام وقد وعدكم الله العز والتمكين بشرط عباده الله فقال تعالي (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور)

فالله يذكرهم بالعهد المقطوع معهم باقامه العدل في التعامل مع الغير حتي اعدائهم فالقسط هو الميزان ولهذا يحذرهم من مخالفه العهد بنقضه فيقول لهم الحق (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

لاشعار المومنين برقابته وأنه تعالي فوقهم ومطلع عليهم وأنه لايخفي عليه شي

الدرس الثالث

أن عليك الانشغال بالمنعم بدل الانشغال بالنعمه وعليك شكر الله علي ما انعم عليك حتي لاتسلب والواجب الوفاء بالعهود

وان عليك التعامل بالعدل فتذكروا حالكم كيف كنتم ضعفاء فمن الله عليكم ونصركم وقهر المشركين فتذكروا العهد المقطوع مع الله بأن تتعاملوا بالعدل مع الآخرين لوجه الله

الدرس الرابع

فيه الحث علي التزام نظام الجماعه وعدم الخروج عن طاعه القياده فلابد من وجود قياده رشيده تقود الجماعه فغياب القياده يولد الفوضي والعشوائية وتضارب التعليمات والمهام المتعارضه وتودي تقسيم الموسسه الي شيع متناحره تتداعي القلوب الي أهواء الباطل و الميل الي الدنيا والتنافس عليها وتشع أجواء التحاسد والتدابر ولهذا يذكرهم الحق بنعمه الاسلام ويامرهم أن يستحضروا هذه النعمه وكيف أنها حولت القبائل المتناحره الي اخوه مترابطه (اذكروا نعمه الله عليكم)

بهدايه الاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تحولتم بنعمته اخوانا تذكر الميثاق الذي بيعتم به الرسول صلى الله عليه وسلم علي السمع والطاعه فاحذروا أن تنقضوا الميثاق بتغليب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الأثر الممتد انتبهوا من التمرد علي الهيكل التنظيمي فهذا نقض للعهد بالسمع والطاعه في المنشط والمكره والعسر واليسر

يقول لنا انتبهوا من التمرد علي القياده فإنما نهض المسلمون الاوائل الا بايمانهم بالله ورسوله حيث صار الايمان لهم قوه وهذا لايتحقق الا اذا كان لهم جماعه منظمه تفكر وتدبر وتتشاور وتتارز وتنهض لجانب المصلحه العامه ولتدفع المضره متساند في العمل عن فكر وعزيمه

وغياب الجماعه وعدم احترام القياده التي تقود الجماعه هو الذي يهدم كيان الامه ويعيدها الي ما كانت عليه في الجاهليه من انظمه قبائل متناحره وانقسام وفعلا لو نظرنا لحالنا اليوم نجد أن مصيباتنا تعود إلي إهمال أمر الاجتماع وعدم النهوض لمقاومه الاستبداد نتيجه ضعف روح الدين وجهلهم وقعودهم عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا يحذر الحق من نسيان نعمه الوحده والعز والتمكين

فالحق يوعظ عباده فيامرهم أن يتذكروا أحوال أنفسهم لاجل ترقيق قلوبهم لتحمل علي الامتثال لمافيه خير لهم في الدنيا والآخرة موعظه حسنه جمعت الفاظ الايه القليله المعاني الكثيره التي وجدت في النفس سعه فدخلت الي الاعماق واستقرت في القلب فاثارت الرغبه والرهبه حيث أن التذكير بنعمه الاسلام وماوصلوا فيه دلتهم علي طريق السعاده ثم جاء التحذير من نقض العهد لأن ذلك فيه العقاب وسلب العز والتمكين الذي هم فيه فقال تعالي (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) فحققت الآيات الرجاء والخوف بلا ياس و لاقنوط من رحمه الله ولاتامن مكر الله

الدرس الخامس

فالحق يبين اهميه الرقابه في الاداره لأن غيابها يكون مدخل للغش والخيانه والتسيب وتراكم الأخطاء فقد يخون الأمين ويغش الناصح ولذا لابد من وجود نظام رقابه

وهذا النظام (الرقابه) جعل له الحق ادوات عديده لتحقيقه

أولها

أنه جعل في ضمير كل فرد رقيبا وهو خوف الله ومحاسبه النفس علي الدوام لمنعها من تزين الخيانه فالله يقول (واتقوا الله) فخوف الله هو الوقايه الذي يمنع سخطه وغضبه فمتي استقرت هذه الحقيقه في قلب المومن وضميره فإن الشعور بوجود الله واطلاعه علي كل فعل تفعله أو قول أو حتي الهواجس والخواطر التي تحدث بها نفسك فالله سبحانه وتعالى يعلمها ولايخفي عليه شي فإن هذا يودي الي ايجابيه الفاعليه في حركه المومن فقال تعالي (أن الله عليم بذات الصدور) اي أنه تعالي محيط بكل مافي صدرك مما تظهره ومما تخفيه وماتكنه الصدور فاستعمل ذات الصدور اي الملازمه للصدر التي تخفيها وتظهرها ملازمه الصاحب لصاحبه فذكر احاطه الله واطلا عه علي كل شي لتشعر أن الله فوقك مطلع علي ماتفكر به من الهواجس في نقض العهد أو غيره فاحذر أن تغضب الله ويحل بكم ماحل بـ الامم السابقه ولهذا نجد أن النصوص تأتي بعد ذلك مبينه حال بني إسرائيل مع العهد وان الله عاقبهم بسبب نقض العهد بالطرد من رحمته والمسخ والهلاك بالدنيا والآخرة

الثاني

جعل الإسلام أمر الرقابه ملزم لجميع المسلمين فمن راي منكرا فعليه أن يغيره ومتي راي أن الأمر يحتاج الي الأمر بالمعروف قام به وهو مانسميه (الاحتساب)

وهذا النظام يقوم علي بذل النصيحه وبعيدا عن النميمه والتجسس

القسم الرابع

بعد أن ذكرنا الله بميثاقه أمرنا بأن نكون قومين لله شهداء بالقسط وذكرنا بوعده ووعيده فقال تعالي

يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب الجحيم)

اولا

الخطاب من الله تعالى للمومنين بعد ما ذكرهم بنعمه الاسلام والعز والتمكين والعهد المقطوع معهم الذي وعدهم الله بالنصر والتمكين علي اعدائهم واخذ عليهم أن يقيموا أمرهم بالعدل فقال تعالي في موضع آخر (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور) وهنا قال تعالي (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

فالجمله استنافيه نشأت عن تراقب السامعين بعد أن عدد الله النعم ومنها العز والتمكين ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يبين لعباده أسس هذه القوامه فقال تعالي (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

(كونوا) يقول صاحب تفسير (زهره التفاسير)

هو امر بالكينونه بان يجعل أمر حياتهم وأمر القيام لله تعالي والأخذ بهدايه ليكون جزء من كيانهم وان يستمروا علي السمع والطاعة و المدوامه عليها علي الدوام دون انقطاع وان يحافظوا علي نظام الجماعه ويجعلوا أنفسهم تتطبع عليه ويكون جزء منها فالامر كونوا يقتضي الاستمرار والدوام فأحب الأعمال الي الله ما أمكن الاستمرار عليه ليكون عاده بمنزله الطبيعه فالعاده طبع ثان لقول الرسول صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الي الله ادوامها وان قل)

فالأمر هنا أن علي المسلم أن يشعر بضخامه المهمه فالله يقول لهم عليكم استخدام قوتكم وطاقاتكم الطاعه الله فتكون قوه للخير و العدل والحق

الأمر الثاني

(قوامين لله)

القوام هو المبالغ في القيام بالشي وإتقانه والاتيان به علي اكمل وجه وكونه لله معناه أن يكون المبالغة في القيام لله تعالي ولأجل إرضاء الله في كل شأن وجميع ما اخذ عليه الميثاق وهذا فيه

١

أن تستغل كل ما لديك من قدرات وإمكانيات للخير والحق والعدل فالله سبحانه وتعالى اذا تأملنا القران نجد أنه لاينكر علي الناس القوه عندما ذم الأقوام في القران ومنها قوم عاد الذين لهم ارتباط بالعرب وانما ذم الداعي الي استخدامها في التعجرف علي الضعفاء وما أفرزته القوه من نتائخ سلبيه من الغرور فقالوا (من أشد منا قوه) فقال تعالي (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوه) فذم أن تستخدم القوه لرفع رأيه الظلم والغطرسه ولهذا فيقول الحق سبحانه لنا انتبهوا من استعمال العز والتمكين والقوه التي انعم الله بها عليكم بالإسلام مثلما استخدمها الكفار من الأمم السابقه وانما عليكم استخدمها في الحق

٢

يقول الحق كونوا من أهل الهمم العالية وأهل الاتقان والإخلاص عند كل عمل تقومون به في أي أمر من أمور الدنيا والآخرة فعليكم إن تتوجهوا بالعمل الي الله تعالي ليكون عباده لكم عند الله فالعامل الذي يتقن العمل ابتغاء مرضاة الله سوف يجد اجره في الدنيا والآخرة فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)

٣

معني الاخلاص لله في كل عمل أن يتوجه به الي الله ففي الأعمال بالدنيا من عماره الأرض أن يكون بنيه صالحه بان يريد العامل بعمله الخير والتزام الحق من غير اعتداء علي حق احد ودون أن يضر بمصالح أحد وهذا مايفهم من ذم الله لقوم عاد فقال تعالي (اتبنون بكل ريع ايه تعبثون ...تتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون)

فالايه تكشف عن التقدم في العمران والبناء والتخطيط العمراني الذي حظي به هولاء فلم ينكر عليهم ذلك وانما أنكر الغايه المقصوده منها العبث فلو كانت لأجل غايه محموده ما كان الله لينكر عليهم هذا الاتقان في البناء الشامخ والمصانع التي بنوها وانما أنكر عليهم ثمرتها وغاياتها لتشيدها علي القوه التي لا تحمد في مبدأ ولاغايه فقد كانت ادوات عذب للضعفاء ووسائل مدمره فلم يتم تشييدها لخدمه البشريه فهذه الحضاره مصيرها الخراب

الأمر الثالث

(شهداء بالقسط)

الشهاده بالعدل وشهداء تطلق علي الحضور وعلي الاثبات وأداء الشهاده وعلي الحكم والنص هنا يشمل كل ماسبق فالمعني لاتحكمون الا بالحق ولاتشهدون الا بالعدل فلا تشهدون الزور

والشهاده بالقسط تعني العدل بلا محاباه فالشهاده اظهار الحق للحاكم ليحكم بها أو إظهار الحكم العدل والإقرار لصاحب الحق بحقه

والقسط ميزان الحقوق فلو اختل هذا الميزان لحدث اختلال النظام وتزول الثقه بين الناس ويظهر الفساد وينتشر وتتقطع الروابط الا جتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وتتمزق الأمم فهذه هي سنه الله التي شهدتها الأمم الغابره بهذا الشأن

ثانيا

نجد أن الايه هنا ورد فيها (قوامين لله شهداء بالقسط) بينما في سوره النساء (قوامين بالقسط شهداء لله) والفرق بينهما أن في سوره النساء وردت في إطار ايات الحقوق في القضاء بقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب ....الخ وتبعها قصه بني ابيرق ثم أردف احكام المعاملات بين الرجال والنساء فكان الاهم منها أمر العدل في الشهاده فلذلك قدم فيها كونوا قوامين بالقسط..

فالقسط العدل في القضاء

أما في هذه الايه التي نحن بصددها فقد وردت بعد ذكر الميثاق فكان تقديم الأمر بالقيام لله للحث علي الوفاء بالعهد وإذا كان العهد شهاده فأمر أن تكون بالعدل وأولي بهم شهادتهم لله تعالي وقد حصل من مجموع الايتين وجوب القيام بالعدل والشهادة به ووجوب القيام لله والشهاده

ولهذا نجد أن المراد بها هنا أنه لاعذر للمومن في ترك الحق والعدل وعدم ايثاره علي الجوار والمحاباه فاللازم أن تجعله فوق الأهواء و الشهوات والحظوظ النفسيه والعدواه والمحبه فلا يتوهم البعض أن حقوق الكافر مباحه له أوانه يحوز أن يترك العدل في الشهاده ضد الكافر أو الحكم له بحقه علي المومنين ولهذا نجد أن النصوص ورد فيها الآتي

الأمر الأول

تهذيب المومنين ومشاعرهم فقال تعالي (ولايجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا)

لايصح أن يحملكم البغض للمشركين علي أن تتركوا العمل بالعدل في التعامل معهم فانتبهوا من الانزلاق في طريق الابتعاد عن العدل فال لازم التعامل بالعدل حتي مع الأعداء فهو النظام الذي يقوم عليه الوجود الإنساني والعدل حق للإنسان بغض النظر عن ديانته

ولهذا يحذر الله المومنين من أن يحملهم البغض للمشركين علي الاعتداء مهما كان البغض شديدا فلا يكون بغض الكفر وأهله حاملا علي منع الحقوق بل اللازم إعطاء كل ذي حق حقه وان كان صاحب الحق عدوا لك

الأمر الثاني

يقول المولي سبحانه وتعالى لعباده أن الحق والعدل ليس منحه منكم تمنحه الآخرين كي تسلبونه متي ما تريدون فتعطوه ما ترغبون وتحبون

بل إن العدل واعطاء كل ذي حق حقه واجب عليكم فتمكين صاحب الحق من حقه واجب مقدس فالله يقول في الحديث القدسي (ياعبادي اني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظلمون)

الأمر الثالث

فلا ينتظم الوجود الإنساني الابالعدل ودوله الاسلام لاتظلم رعاياها من غير المسلمين فدوله الاسلام لاتكون دوله المسلمين وحدهم بل دوله الأعداء فالإسلام يقيم حكمه علي العدل وليس علي الظلم والبطش ولهذا كان الانتقال من النهي عن الاعتداء الي الأمر بالعدل والا يه في مقدمه السوره (ولايجرمنكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) فيها نهي عن الاعتداء أما هنا أمر أن لايحملنهم البغض علي ترك العدل وجاء الأمر بالعدل (اعدلوا)

وهذا التكرار في الايه يعود إلي طبيعه الامه التي كانت سائدة فيها طبيعه حب الانتقام ولهذا فإن النصوص تهدف إلي معالجه هذا الداء وترويض الامه علي العدل فجاءت الايه تعالج النفس من هذا الداء وحملها علي البقاء في دائره الاعتدال وتقويه للارداه حتي لايستولي عليها الغضب والله قد أخبرنا عن طبيعه قوم عاد الذين هم جذور العرب فقال تعالي (واذا بطشتم بطشتم جبارين)

فذم بطش هولاء وليس هذا الذم لمطلق البطش فلابد لاي امه أن تسود وتقوي من بطش ولكن البطش منه ماهو حق بأن يكون انتصافا للحق واقامه العدل بين الناس أما البطش المذموم الذي سماه الله بطش الجبارين فهو الذي يجبرك أن تعمل وفق أردته لا اردتك وهذا إنما يكون انتقاما لكبرياءه وجبروته وارضاء لظلمه وتنفيذيا لرغباته الجائره والتشهي وهوي النفس ولهذا ذم الله هذا النوع من البطش

وهنا يأمر بالاعتدال واقامه العدل

الأمر الرابع

أن الحق لم يكتفي بالتحذير من عدم العدل بل أكد الأمر بقوله (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

كانه يقول فرضت عليكم العدل فرضا لاهوده فيه اعدلوا هو اي العدل أقرب للتقوي لاتقاء سخط الله وغضبه باتقاء معاصيه والجوار من أكبر المعاصي لما يتولد منه من مفاسد

والمراد من هذا التأكيد كما قلنا معالجه امراض النفوس المورثه من الطبيعه العربيه كما أوضحنا سلفا وضربنا مثالا بقوم عاد وبطشهم ..ومن جهه ثانيه لان قلب المومن في معاملته غير المومن قد تدفعه الي التصور الخاطئ لانه عندما يقاتل الكفار في المعارك القتال يستبيح دمه وماله وهنا قد لايودي حقه في حاله السلم لانه يتصور أن حاله الحرب مثل حاله السلم ويظن أن ذلك قريب للتقوي اي لو ظلم الكافر ...ولهذا يأتي الأمر (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

أن عليكم التعامل بالعدل وان تحسن معامله الكافر وتعطيه حقه فإن هذا يقربك من التقوي لأن كمال النفوس بعيد المنال فيكون هذا دافعا للوصول إلي كمال النفس ولهذا يأتي التعقيب (واتقوا الله ان الله خبيرا بما تعملون)

اتقوا غضب الله فلا تخالفوا أوامره وهو يعلم اعمالكم ودقائق الأمور فلا يخفي عليه شي فلا تتطغي عليكم اراده المغالبه والمدافعه فتذهب الخصومه فيصير خلقا لك تندفع معه في كل حال لاتبالي بالحق فهذا الخلق مذموم واعلم العدل الحقيقي والتام في الجزء إنما يكون ممن يعلم السر واخفي فلا يجزئ علي الهدي والضلال الا الله أما انتم فعليكم اقامه العدل بين الناس بالحق

واعلموا أن أي حضاره لاتراعي العدل قد جعل الله مصيرها الي الهلاك والفناء فهذه هي سنه الله في خلقه

ثالثا

لما كان الله قد امتن علي عباده بتحقيق وعده الذي وعدهم من العز والتمكين فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا...الخ

وهذا الوعد ذكره الله في سوره النور

فقال تعالي (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوني ولايشركون بي شي ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون)

لهذا كان مناسبا التذكير بالنعمه العز والتمكين والإسلام والعهد المقطوع معهم وميثاقه...بأن عليهم اقامه نظام العدل والحق وعقب ذلك بقوله (ولايجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) ولما كان الله قد وعد من نفذ العهد بعد التمكين فوصفهم الله بقوله (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور)

وتذييل الايه بقوله (ولله عاقبه الأمور) تتفق مع تذييل الايه السابقه بقوله تعالي (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

بعد أن أمر باقامه العدل في الحكم والشهادة لله سؤاء كان ذلك في رد واعاده حقوق المومنين أو الكفار فلا فرق بينهم في ذلك وهنا فإن الوعد والوعيد في قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب الجحيم)

وهذا فيه

الأمر الأول

يحتمل أنه وعد لمن اوفي بعهده مع الله بأن التزم بالوفاء بالعهد وأقام العدل في نظام الحكم إذا وصل إلي التمكين والعز وقهر الكفار فلم يتعامل بالمحاباه ونظر للجميع نظره واحده لافرق في حقوق المواطنه فالجميع متساوون أمام سياده القانون فالنظام لابد أن يسود حكمه علي جميع رعايا الدولة لافرق بين مسلم وكافر في ذلك فحقوق الكافر وماله لايمس بسؤء ويجب منع أي عدوان وظلم علي ايان من رعايا الدولة الإسلامية فذكر الوعد بعد تمام الكلام قبله لبيان جزاء من اوفي بعهده مع الله فكانهم قالوا اي شي وعد لهم الله أن هم التزم بعهد الله فجاء الجواب مبينا الوعد لمن اوفي بعهده

والوعيد لمن نكث العهد بأن أقام نظام ظالم فيه محاباه وظلم وجوار حيث اعتبر ان نقض العهد وذلك بالتفريط في قيم ومبادئ النظام ا لإسلامي بأن هذا كفر وتكذيب بآيات الله وان ادعي الاسلام وصلي وصام لأن العدل هو قوام الوجود الإنساني والاسلام نظام للناس كلهم فلا محاباه ولاتعصب لدين أو مذهب أو طائفة في الحكم الإسلامي فهو يقوم علي العدل واقامه الحق لله ولهذا قالوا تعالي في الوعيد (اولئك أصحاب الجحيم) قصر عليهم الخلود في النار علي سبيل الاختصاص اي أنهم الباقون في جهنم لايفارقونها لماذا ؟

لأن الأحاديث قد ذكرت أن الموحدين لايخلدون في النار وانهم يعذبون وينقون ويهذبون ثم يدخلون الجنه ولهذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يبين أن الذي يتجاوز الحق ويرفض اقامه العدل الذي جاء به الإسلام في حكمه فإن هذا ليس من الموحدين لانه لم يقبل أن يحكم القران دوله التوحيد وبالتالي كيف يعتبر نفسه موحدا حتي يتصور أنه لن يكون من ضمن الخالدين في النار فالحق يبين اهميه اقامه دوله الموحدين فليس التوحيد كنز في الصدور ولايخرج الي الحياه ولايدفن في العقول فلابد أن يكون هنالك شعب يحكمه التوحيد ولهذا فإن الذي يصل الي القياده والولايه العامه و لايقبل أن يحكم القران الحياه ويفضل الأهواء والقومية والعصبيه وان كانت العصبيه للإسلام فإن هذا ليس موحدا وليس عابدا لله وانما عابدا الفكره فجاء الوعيد بصيغه أنهم ملازمون جهنم لايخرجون منها كما يلا زم الصاحب صاحبه فلا يفارقه

الأمر الثاني

أن الوعد والوعيد بناء ا علي اعتبار ماذكرنا في الفقره السابقه أنه متعلق بكيفيه أداء السلطه السياسيه بعد وصولها الي العز والتمكين وقهر الأعداء والكفار باعتبار أن أمر الوعد والوعيد مرتبط بمساله التوجيه بالتعامل بالقسط والعدل وعدم التأثر بمشاعر كراهيه الكفار وماكان منهم من قبائح الأعمال فأخبرهم الله باطلاعه علي أعمالهم فعليهم مراقبه الله فما سبق ذكره هي اخلاق السياسية والحكم في النظام الإسلامي وهي من الأعمال التي يجب القيام بها واداءها فهي مرتبطه بمساله الاستخلاف فقال تعالي (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) بينما ذكر في الاولي (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) في هذه متعلقه بالنوايا أما مانحن بصدها متعلقه بالأعمال فذكر التقوي بالأعمال كما قال تعالي (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا كذلك نجزئ القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) وقال تعالي أيضا علي لسان موسي لقومه (قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون) أن الاستخلاف ابتلاء وامتحان للمومنين بالعز والتمكين ليري الله مايعمل عباده عندما يمنحهم القدره والقوه والعز والتمكين هل يتصرفون وفقا لما أمرهم هل يصدقون في إيمانهم أما يكذبون هل يستطيعون أن يتغلبوا علي رغبات أنفسهم ويكبحوا شهواتها فيتنصرون للحق فلا يخاف في الله لومه لائم ولهذا جاء الوعد بشرطين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلابد أن يترجموا الايمان الي عمل فيكون القوامه بالحق لله لا لأجل طلب سمعه فقد أخبرهم الله أنه عليم بذات الصدور ثم أن يكون العمل متوجها لله به وطلب رضاءه والجنه ولهذا جاء الجواب من الله بالوعد ممن لايخلف المعياد (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم)

ليشعروا أنه وعد مضمون تحقيقه لانه وعد من الله للمتقين فكان هذا باعث الامتثال لأن الرئاسه لها أصل في النفس فلابد أن تقمعها وذكر بعدها بيان هذا الوعد (لهم مغفره وأجر عظيم)

بأن الله يمحو عنهم الذنوب فذكر التخليه (المغفره) قبل التحليه (الأجر العظيم)وهو الجنه التي هي من رحمته علي عباده لاينالونها بأعمالهم بل برحمه منه وفضل وان كان سبب وصول الرحمه إليهم أعمالهم فالله جعلها أسبابا الي نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه ف الكل منه وله فالحمد والمنه

ثم ذكر الوعيد لمن ينكث العهد ويفشلون في امتحان العز والتمكين بأنهم ملازمون جهنم لايخرجون منها فالاول اهتدي بهدايه القران و الثاني لم يهتدي بها فقد فشل بالجانب العملي وان كان مدعيا الايمان بالله واليوم الآخر...لكن عدم اقامه العدل في الحكم منه فشل يدل على عدم صدق إيمانه بالله وبالقران فهو كافر القيم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم فاستحق الخلود في نار جهنم

الأمر الثالث

أن الوعد متعلق باهميه اقامه العدل مبينا أن العدل حق لكل إنسان بغض النظر عن ديانته فخضوع المسلم لله تعالي لايمنحه امتيازي بأن يستبيح حقوق غير المسلمين فالتوحيد لايعني اقامه نظام ديكتاتوري استبدادي ضد الأعداء لأن انتصار الاسلام إنما هو انتصار للحق والإ نسانية كلها فهو ليس سلطه لأجل طائفه ولاجماعه ولافئه ولاحزب وانما سلطه تقيم العدل بين جميع الناس بغض النظر عن اديانهم فمساله الجزء علي الأعمال والطاعه لله بالعباده أمر تخص المولي سبحانه وتعالى فأنت ملزم باقامه العدل في الارض فلا يجزئ علي الهدي والضلال الا الله تعالي يوم القيامه ولهذا جاء بيان الجزء في اليوم الآخر عن مساله الهدي والضلال

مبينا أن الهدايه لها أسباب تصل بها الي نيل رحمه الله وعفوه ورضوانه فمن أخذ بهدايه البيان وخشي الله وخاف مقام ربه اعانه الله ووفقه الي الجنه أما الذي لايقبل بهدايه البيان فهذا

يعاقبه الله بالحريق في نار جهنم وهذا هو العدل الالهي علي العمل في الاخره فهو كما أخبرنا يعلم السر واخفي أما أنت ايه المومن فعليك اقامه العدل بالحق وليس مهمتك محاسبه الناس علي الهدايه والضلال ....

القسم الخامس

يايها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلي الله فليتوكل المومنون)

اولا

الخطاب اعيد فيه توجيه المومنين أن يتذكروا نعمه عظيمه اخري قيل إنها متعلقه بنعمه استنفاذهم بالقاء الله الرعب قلوب اعدائهم مع قدرتهم علي ذلك وذكر النعمه مجمله ثم بينها (إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) وهذا يدل أن القوم معرفون للمخاطبين وان الواقعه مشهوره ومعروفه لهم او قريبه من تاريخ النزول حيث ذكر أنه متعلقه باستنقاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غدر اليهود الذين هموا يوم آتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الي بني النظير من أجل أن يستحملونهم ديه القتلين اللذان قتلهما عمرو بن اميه الضمري حيث خلا بعضهم لبعض بعد جلس الرسول صلى الله عليه وسلم جوار حائط فقالوا لبعضهم انكم لن تجدوا فرصه اقرب من الان فامروا رجلا منكم يظهر علي هذا البيت ليلقي عليه صخره ...قاصدين قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم لفعل ذلك فانزل الله جبريل فأخبر النبي بما هم به بني النظر فانصراف الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه

وقيل إن الواقعه نزلت بشأن واقعه ماصنع اليهود من السم في ذراع الشاه

وقيل انها نزلت بعد أن حاول بني ثعلبه وبنو الحارث قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فاطلعه الله علي ذلك وذكر بعض المفسرون أن المشركين انتدبوا رجلا لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وسيفه موضوع فقال خذه فاستله فقال للنبي صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني قال الله يمنعني منك فاجتماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واحاطوا به ولم يستطع اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالرحيل فنزلت الايه وايه صلاه الخوف ...الخ

ويجوز أنها متعلقه بمساله عزم المشركون العدوان علي المسلمين في الحديبيه لقوله تعالي (هو الذي كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكه) والأرجح أن الواقعه متعلقه بقصه اليهود لانه عطف عليها بذكر خيانه اليهود ونقضهم العهود ورتب علي خيانتهم امر نبيه أن يعفو عنهم ويصفح عن عظيم جهلهم حيث أنهم كانوا يستحقون القتل ولكن عفا الرسول عنهم وطردهم من المدينه والله اعلم

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

افتتاح الايه بهذا النداء يراد أن يحصل به اقبال السامعين علي سماع النداء ومعرفه الأمر فهم المكلفون والمخاطبون ومن يناديهم هو الله وهو نداء لك ايه المومن انت من تقرا هذه الحروف فعليك الإنتباه فأنت طرف اصيل في هذا الموضوع وقد اجمل النعمه ثم بينها في قوله (إذ هم قوم...الخ

لتدرك أن عنايه الله والطافه بالمومنين في كل زمن فيها رعايه الله وان عليك أن تستحضر مافي ذهنك من انعام الله عليك وانت في مواطن الضعف فالله يقف مع أولياءه فانظر كيف أن الله انقذ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم من سطوه الأ عداء بأن ألقي في قلوبهم الرعب فهي نعمه يحصل بها ما يحصل من النصر دون أن تعاني مشقه الحرب

والمراد بالذكر أن تشعر بنعمه الله وتتوجه الي شكر الله فلا تغتر عندما تكون في فتره العز والتمكين بما تملك من قوه وسلطان فعليك الوفاء بميثاق الله والعهد الذي قطعته

الأمر الثاني

أن توجيه الخطاب بتذكر نعمه الانحاء من الشر اثر تذكر نعمه إيصال الخير الذي هو نعمه الاسلام والميثاق فإن هذا فيه ذكر نعمه خاصه بعد النعمه العامه فدل هذا علي الاعتناء بهذه النعمه فهي متعلقه بمنه حفظ السلف الصالح ولهذا فهي بالنسبه لنا منه عامه يجب شكرها علي كل مومن الي يوم القيامه فلم تعين علي وجه التحديد لبيان ان حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين هو من انعام الله وعطفه وإحسانه وعطاءه لجميع المسلمين الي يوم القيامه لأن في ذلك حفظ الدين فلو استطاع الكفار قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ماوصل الينا الدين

يومنا هذاولهذا فالواجب علينا أن نشكر الله على هذه النعمه

ثانيا

مما سبق نجد أن الحق يمتن علي المسلمين في كل زمان بكف ايدي الكفار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم امتنان علي كل مومن الي يوم القيامه ولم يحدد الواقعه علي وجه الدقه وذكرها مجمله والخطاب موجه للمومنين الي يوم القيامه بان يتذكروا عنايه الله في دفع ماهم به الكفار من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فقال (إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم)

اي هموا أن يمدوا أيديهم لاذيه الصحابه فذكر عزمهم علي الفعل وهو البطش فمن الذي صرفهم عنكم ومنعهم أنه الله ولهذا نجد تقديم الجار والمجرور (اليكم) علي المفعول الصريح للمسارعه الي بيان رجوع ضرار البسط وغالته إليهم حملا لهم من أول الأمر مع الاعتداد بنعمه دفعه فمنع الله الأيدي أن تمد اليكم فعطف (فكف أيديهم عنكم) علي هموا وهي النعمه التي أمر بتذكرها وذكر الهم للايذان بوقوعها اذا اراد الله ذلك والفاء في (فكف) للعطف لبيان تمام النعمه وكمالها وإظهار الأيدي لزياده التقرير وتقديم المفعول علي الأصل لبيان عنايه الله بمنع أيديهم وان كان المراد بانقاذه هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هم الأعداء لاذيته فهذه نعمه أن كف الله ايدي الأعداء عنه وعن الصحابه توجب الشكر للاتي

الأمر الأول

أن الضرر بالرئيس والقائد يعود علي المروس ويعود ضرره علي الإتباع من جهه ومن جهه ثانيه فإن هذا فيه تذكير للمتاخرين لما كان عليه أسلافهم ليكون التاسي والاقتداء بهم للقيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والإحسان واحتمال الجهد والصبر علي المشاق في سبيل الله

الأمر الثاني

يذكر الله المومنين بهذه الواقعه التي وقعت بهم في عصر الضعف والمصائب والمحن بعد أن تحقق لهم الفتح والنصر والذي أمرهم بكظم الغيظ واقامه العدل فالله يقول إن من انعام الله عليهم هو أن عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عصرين من الازمنه عصر البلايا والمصائب والمحن وعصر الفتح والنصر والظفر لتكون تلك الأزمنة فيها التجارب التي تعطي المومنين العلوم التطبيقيه لكيفيه مواجهه الازمات لأن اخلاق عصر المصائب تختلف عن أخلاق النصر ففي مرحله الضعف تتطلب التوكل علي الله وتجنب الفزع و الجزع وعدم الخوف وعدم التكاسل فلا تخافوا الأعداء فمن لم يتوكل علي الله فهذا لم يستقيم ولم يومن حقيقه فأنت حينها عليك أن تنضال وتثق بنصر الله ومعونته وعنايته وعطفه ولهذا فإن الابتلاء هو لأجل التمرين علي التجارب العملية كي تكسبوا العلم المحمود فعليكم إن تستفيدوا من تلك التجارب لينموا العلم ويكبر للوصول إلي كمال المعرفه فهذه المراحل هي لصقل العلم واتاحه الفرصه للتعلم ليكون انتقال العلم من الذهن الي الاعضاء لترجمه ذلك في الواقع العملي وان أخلاق النصر تختلف فلا يجوز الانتقام من العدو المقهور الذي أصبح خاضعا للنظام الإسلامي ولهذا فإن تشريع القتال والجهاد لم يكن لأجل اغراض شخصية وانما كان لمصلحه الانسانيه كلها لرفع الظلم وحفظ المظلومين من الفناء ودفعا لشر الظالمين

فيقول الحق سبحانه تذكروا أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه وأخلاقهم في كل عصر لتقتدوا بهم بما يتناسب مع أحوال كل مرحله

الأمر الثالث

يأمر المومنين بالتعامل بأخلاق الاسلام فلا يدفعهم بغض الكفار وخيانتهم المتكرره الي الخروج عن العدل كما قال تعالي في سوره الا نفال (وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين) فيقول لهم الحق اطمنوا الي رعايه الله وعنايته فلا تفرطوا بالعدل في التعامل مع الأعداء وعليكم أن ترقبوا الله فقال تعالي (واتقوا الله)

اي خافوا الله في ما امركم ونهاكم عنه واحذروا أن تنقضوا الميثاق الذي وثقكم به فيحل عليكم عقاب الله فالله قد اراكم قدرته علي اعداكم وقت ضعفكم وقوتهم فقد أحبط الله مخططاتهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم ونصر المومنين وتوكلوا علي الله واعتمدوا عليه فهو اشد النصراء حضورا للمعتمدين عليه وبيده مقاليد الأمور ومفاتيح الازمات بيده وقد اراكم عنايته بمن يوكلون أمورهم الي الله

الأمر الرابع

فالتقوي مقصوده لذاتها لأن فيها النجاه من العذاب والعقوبه فالله يقول في موضع آخر (ثم ننجي الذين اتقوا) ولهذا نفهم لماذا أمر الله بالتقوي بعد النهي عن استحلال حرماته فقال تعالي (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فطريق النجاه هو التقوي لأن بها يكون نيل

الوصال والقربه فهو يقول (لكن يناله التقوي منكم) وبها الفوز بالمرد (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) وقال تعالي (أن للمتقين مفازا)

وايضا ذكر الحق الأمر بالتقوي في سياق تحريم الاطعمه والذبائح وأحكام الصيد فقال تعالي (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) وهو يقول سبحانه وتعالي أن من فوائد التقوي الرزق الواسع بأمن وفراغ فقال تعالي (ومن يتق الله .....الي قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقد بشر الله المتقين بعز الفوقيه علي الخلق فقال تعالي (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامه)

وايضا نجد أن الأمر بالتقوي ورد بعد ذكر نعمه الاسلام والميثاق فقال تعالي (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

فالله شهد للمتقون بالصدق فقال تعالي في موضع آخر (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وقد بشر الله اهل التقوي بصفاء القلب والصفوه فقال تعالي (فإنها من تقوي القلوب) وقال تعالي (إنما يتقبل الله من المتقين)

وذكر علي الأمر باقامه العدل (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) بشر الله المتقون في موضع آخر بزوال الخوف والحزن من العقوبه فقال تعالي (فمن اتقي واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالي مبشرا المتقين بقرب الحضره واللقاء والرؤيه فقال تعالي (إن المتقين في جنات ونهر وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر)

وهنا يأمر بالتقوي في مقام التذكير بنعمه استنفاذ المومنين من بطش اعدائهم وعقب ذلك بقوله (واتقوا الله وعلي الله فليتوكل المومنون)

فذكر أمران لتجد معونه الله (التقوي _والتوكل علي الله)

واذا تأملنا نصوص القرآن نجد أن الله بشر المتقون '_

*

بالكرامات فقال تعالي (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري)

*

بشرهم الله بالعون والنصره فقال تعالي (أن الله مع الذين اتقوا)

*

البشري بالعلم والحكمه (أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

*

بشر الله المتقون بتيسر أمورهم والسهوله به فقال تعالي (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

*

بشره الله بالخروج من الغم والمحنه فقال تعالي (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

*

بشر الله المتقون بالكرامه والاكرميه (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

ولهذا عقب بعدها بقوله (وعلي الله فليتوكل المومنون)

أن التقوي هي الطريق الموصل الي ولايه الله ...فلا تخاف الا الله تعالي ولهذا فإن اعتماد المتقون إنما يكون علي الله وقدرته وفضله ورحمته لا علي أنفسهم ولا علي حلفائهم لأن الاعتماد علي النفس غير مجدي لانه يكون محروم من العون الإلهي ووقد تتالب عليه الأ عداء ويعجز عن الوقوف أمامهم لكن من يعتمد علي الله تسهل أمامه الأمور فمن كان قلبه متعلقا بالله ومعتمدا علي ربه فهو تعالي اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه فاسرار المخلوقات كلها مكشوفه لله ومطلع علي ضمائرهم فالمومن الذي آمن باليقين يكون قلبه متعلقا بالله فإن اوحشته الغربه كان انسه بذكر الله ولهذا قال تعالي (اذكروا نعمه الله عليكم إذ هم قوم..الخ

فعليكم إن تتذكروا الله وان صبت عليكم المصائب فالجاوا الي الاستجاره بالله بالإيمان الموقن بان ازمه الأمور بيد الله ومصادرها من قضائه سبحانه وتعالى

فالمومن يلجأ الي الله وهومستيقين من أن ربه سوف يرشده الي مافيه مصلحته

يلجأ الي الله متضرعا طالبا عفو الله ورحمته فطريق ذلك الاعتماد علي الله والثقه بنصره فلا يفرط المومن بقيم ومبادئ الاسلام لانه يخاف الله ولهذا لايلجا الي المبررات للتفريط بالميثاق وان أحاطت به الازمات والتحديات فهو يعتمد علي الله ويتوكل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني من سوره

المائده

(ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خآئنه منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جآءكم من نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الي النور بإذنه ويهديهم الي صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير وقالت اليهود والنصاري نحن ابناؤا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأ رض وما بينهما وإليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فتره من الرسل أن تقولوا ما جآءنا من بشير ولا نذير فقد جآءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبيآء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا ياموسى أن لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا املك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمه عليهم اربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تاس علي القوم الفاسقين)

القسم الاول

(ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خآئنه منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)

االمبحث الأول :ـ

بعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى في المقطع السابق اخذ الميثاق علي هذه الامه بالسمع والطاعه للنبي صلى الله عليه وسلم والالتزام بما جاء به القرآن الكريم وتذكيرهم بنعمه الله تأتي النصوص بكلام مستناف مشتمل علي أخذ الله ميثاق الأمم السابقه وخص بالذكر بني إسرائيل (اليهود) مبينا صفه الميثاق وشروطه وجزاء من التزام بـ الميثاق وعقوبه من لم يقم به ثم ذكر كيف تعامل بنو اسرائيل مع العهد الذي بينهم وبين ربهم فذكر أنهم نكثوا العهد ونقضوا الميثاق فذكر ماحل بهم من العقوبه بسبب ذلك فقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم

وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه)

فاتصال الآيات بما قبلها يهدف إلى الآتي

الأمر الأول

يبن الحق لعباده المومنون أن اخذ الميثاق من امه الاسلام علي السمع والطاعة كما ذكر في المقطع السابق ليس أمرا جديدا فهذا من المقاصد التي جعلها الحق سبحانه وتعالى سنه في جميع الأمم التي يرسل إليها الرسل والأ نبياء أنه تعالي يأخذ عليهم الميثاق فهذا المقصد لايختلف باختلاف الازمنه والأمم فهو عاما في جميع الأمم التي يبعث الله إليها رسولا فذكر لهم مثال اخذ الميثاق علي اقرب الأمم للمسلمين وهم اليهود والنصاري لبيان ان دين الله يقوم علي اساس التوحيد ووحده الميثاق الإلهي المأخوذ من جميع عباده بأن يومنوا بالله وجميع رسله ويقيمون الصلاه ويوتون الزكاه ويقفوا مع الحق ونصره الرسل والأنبياء ومنهج الله بالنفس والمال فهذا هو الميثاق الذي تقرره العقيده الصحيحه والعباده الصحيحه والنظام الذي يحقق مراد الله في الأرض

الأمر الثاني

أن الايه تهدف إلي غرس الشعور بضخامه الميثاق في اعماق النفوس فلا يتجرأ أحد علي نقضه ولهذا فإن بيان اخذ الميثاق علي جميع الأمم بعد ذكر امره تعالي للمومنين بالوفاء بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم بالسمع و الطاعه..وانعامه لهم ليحث المومنين علي مراعاه حق الميثاق فجاء بصيغه القسم (ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل)فيه الانتقال الي اخذ الميثاق من بني إسرائيل ومجي الإرشاد في أسلوب قصص والانتقال من أسلوب الي اسلوب واظهار اسم الالوهيه والجلاله (الله) هنا لتربيه المهابه وتفخيم الميثاق وتهويل جريمه تقض الميثاق او الانتقاص منه لأنه يودي الي انقطاع الإنسان عن الصله التي تربطه بربه ولهذا يقول الحق أنظروا الي بني إسرائيل لتعرفوا ماحل بهم عندما نقضوا الميثاق فقد ابعدهم الله عن رحمته وحلت عليهم لعنته فصاروا في ذل وهوان ولهذا فإن من سار في طريقهم فسوف يحل به ماحل بهم فأراد الحق بهذا أن يعيطنا موعظه بذكر ايام الأ مم السابقه وان ماهم فيه من الذل والهون يعود إلي نقضهم ميثاقهم فهذه هي عله كفرهم فاحذروا من نقض الميثاق

الأمر الثالث

أن ذكر ميثاق بنى إسرائيل عقب ذكر ميثاق المسلمين (وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا) فيه تربيه للدعيه بكيفيه الوعظ ومخاطبه الآخرين فيقول لنا الحق أن الموعظه الحسنه تكون من خلال التذكير بأيام الله في الأمم السابقه ليحصل ترقيق القلوب كي تحملها علي الامتثال والاستجابه ولهذا نجد أن الحق يذكر ميثاق بنى إسرائيل وماكان منهم من نقض الميثاق

تحذيرا أن يكون تعاملنا مع ميثاقنا مثلما تعامل اليهود مع ميثاقهم

ومحل الموعظه هو قوله في الشطر الثاني من الايه (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل)

المبحث الثاني

اخبرنا الله أنه أخذ العهد من بني إسرائيل حيث ذكرت الروايات المنقولة عن هذا الأمر أنه لما انعم الله علي بني اسرائيل بهلاك فرعون ونجاه بني إسرائيل أمرهم موسي بالمسير الي اريحاء الأرض المقدسة التي يسكنها الكنعانيون الجبابرة وأنه أمرهم بالتوكل علي الله والدخول إلى الأرض المقدسة ...وان موسي عليه السلام اختار من كل سبط من اسباط بني يعقوب عليه السلام الاثنا عشر عدد اثنا عشر نقيبا وكلفهم باداره اقوامهم ومنهم من

قال إنهم كلفوا بالذهاب الي هذه القريه واستطلاع أحوال شعب الجبارين فقال تعالي (وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا)

ومنهم من قال إنهم أثناء عشر رسولا ....ففي الاولي يعني أن الذي ارسلهم موسي وفي الثانيه أن الذي ارسلهم الله والحقيقة أنهم ليسوا رسلا وأخذ العهد هنا اشاره الي عهد وميثاق التوراه (خذوا ما اتيناكم بقوه)

فالعهد مأخوذ من جميع بني إسرائيل ومعلوم أن تقسيم بني إسرائيل الي اثنا عشر فريق وفقا للقبائل التي ينتسبون إليها التي تصل الي الاسباط احفاد يعقوب

والبعث أصله التوجيه والارسال ويطلق مجازا علي الاقامه والانهاض كقوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا هذا) ومنه قوله (هذا يوم البعث) ثم أشيع هذا المجاز علي الاقامه المجازيه كما قال تعالي (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ثم أطلق علي اثاره الاشياء وانشاء الهواجس والخواطر في النفس قال بن نويره (أن الاسي يبعث الاسي أن الحزن يثير حزنا آخر)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

تبين النصوص اهميه وجود ادراه تدير الموسسه لها هيكل تنظيمي يقوم باداره الموسسه وأنه ينبغي الاهتمام بتوفير الأجواء التي تودي الي الانسجام بين أفراد الموسسه وقيادتها فلابد من وجود نظام إداري يعمل علي بث روح الاخوه والالفه ويضمن دوام الالفه ولهذا نجد أن الحق يخبرنا أنه أمر موسي عليه السلام باختيار اثنا عشر نقيبا اي عريفا ورئيسا بعدد الاسباط احفاد يعقوب بحيث يكون كل قوم لهم قائد منهم ليكون التماسك بينهم لأن غياب أو عدم وجود هيكل تنظيمي يودي الي اتخاذ كل فريق قرارت ارتجاليه ولايعرف كل فريق مسؤوليته والي من يرجع الأفراد لاتخاذ القرارات في القضايا المصيرية عندما لاتحدد صلاحيات كل فرد من أفراد الموسسسه وهذا ماحصل في بيعه العقبه حيث لما بايع الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم كلف فيهم اثنا عشر نقيبا ثلاثه من الاوس وتسعه من الخزرج لاداره أمورهم وان يبيعوا قومهم علي السمع والطاعه للرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه التخطيط فلا يكون جمع الانواع المختلفه فلابد من وضع خطه تتفق مع معطيات الأهداف و الواقع الميداني

وان اللازم علي القياده أن تمنح بعض صلاحياتها الي آخرين فلا تكون جميع القرارات بيد شخص واحد فمهما تكون قدرته فإن انشغاله بالتفاصيل اليومية سيكون علي حساب التخطيط والتطوير فهو بحاجه الي معرفه الوقع الميداني وبحاجه الي البحث والتنقيب عن الأمور التي في أحوال الجماعه والمتغيرات التي في ميدان العمل ولهذا فإنه لابد من تفويض القائد لبعض صلاحياته لآخرين ولهذا نجد هذا العدول في الخطاب عن طريق الغيبه في قوله (ولقد أخذنا ميثاق) الي طريق التكلم في قوله (وبعثنا) فيه التفات والنقب فعيل بمعني فاعل وهو من لفظ نقب (فنقبوا في البلاد) فالنقيب من النقب اي أنه يحتاج أن يحدث فجوه لها عمق في جسم صلب فهو موكل إليه تدبير أحوال القوم وهذا يجعله باحثا عن أحوالهم فهو يقوم بعمل القائد فيكون

رئيسا لقومه ومهته تتطلب أن يراعي فيه الكفاءه وان يكون في منتهي اليقظه فيكون اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب

فالأمر له خصوصية فهو مكلف بفحص ومعرفه أعمق الأمور ثم التصرف بناء ا علي تلك الأحوال والظروف الواقعيه ولهذا لم يسمح الحق أن يستولي سبط علي اخر أو أن يكلف لهم نقيبا من غير أفراد القبيله

المبحث الثالث

تبين النصوص مضمون العقد المأخوذ علي بنى إسرائيل وشرطه وجزاء من يمتثل الأمر ويكون منه الوفاء بـ المواثيق

(وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

الأمر الأول

اول أمر نص عليه العقد أن الله أخبر موسي عليه السلام أن يخبر النقباء الاثنا عشر بالعهد فقال تعالي (وقال الله اني معكم)

اي اني ناصركم ومعينكم فذكر الشروط (لئن أقمتم الصلاه) اي ادائها علي اكمل وجه والمدوامه عليها (واتيتم الزكاه) لمن يستحقها والايمان بجميع الرسل واحترامهم وطاعتهم ونصرتهم مثل دواد وسليمان وزكريا ويحي وعيسي والرسول صلى الله عليه وسلم والصدقه ببذل المال ..

وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

أن قوله تعالي (اني معكم) المعيه مجازيه تمثيل للعناية والحفظ والنصر كما قال تعالي (إذ يوحي ربك للملائكه اني معكم) وكما قال تعالي لموسي وهارون (انني معكما اسمع واري)وقال تعالي (وهو معكم اين ما كنتم)

فالوعد بالمعيه من الله فهو وعد عظيم فطالما الله وعدك أنه معك فعليك أن تثق وتتطمن بنصره وعنايته فلا توجد قوه تقف أمام قوه الله فما الذي تخشاه من الأعداء اذا كان الله يقف معك فلاتنشغل بالماديات كيف يمدك الله بالعون والنصر علي الأعداء بقدر أن تنشغل كيف تصل الي الاسباب التي تقربك من الله لتحظي بعون الله ونصره ثم عليك أن تاخذ بالاسباب كما قال تعالي (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)

أيضا من كان الله معه فلن يضل فالله سوف يرشده الي طريق الهدايه والتوفيق فمن كان الله معه فلا يضل ولا يشقي ..كما أن شعورك أن الله معك يعني أن تستحي أن يرك الله فيما لايحب أن يرك

الدرس الثاني

ان الايه تبين أنه تعالي لم يجعل المعيه التي فيها العون الإلهي لهم هكذا جزافا أو محاباه بل هي مرتبطه باسبابها وشروطها فقال تعالي (لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

وهنا يثار سؤال لماذا تم تقديم الصلاه والزكاه وهما من فروع الأعمال علي الإيمان بالرسل وهو من اصوال العقائد ؟

الجواب فيه

أن عليك أن تفهم أن الخطاب موجه لقوم كانوا قد آمنوا بموسي عليه السلام ولهذا فإن مقتضي هذا الإيمان بموسي أن يومنوا بالرسل الذين يأتون من بعده (واذ أخذ الله ميثاق النبيين .....لتومنن به ولتنصرونه) ومن ضمن هولاء الرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم والايه تتناول الأسس والمنطلقات لجميع الأمم في العباده وا لاستعانة كما قال تعالي (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم)

ولهذا نجد أن النصوص تبين أنه تعالي اخذ الميثاق من بني إسرائيل والميثاق من واثق ومن معانيه الاطمئنان فمن يعتمد علي الله لابد أنه يثق به تعالي ويطمئن في السير بالطريق الذي امره الله أن يسلكه ومن معانيه الشد لقوله (فشدوا الوثاق)وهنا يتضمن معني التشديد في العهد لانه مأخوذ من الله واي عهد أوثق واقوي من العهد بين العبد وربه وهذا للدلاله علي العبوديه وتوحيد الألوهية وامتثال امره تعالي ونواهيه والتصديق باياته وزوجره وهذه هي توحيد الألوهية ولايكون العبد مومنا مالم يكن متوكلا علي ومستعينا به فهو محتاج الي الاستعانه بالله حتي لا يغلبه العدو الباطني أو الخارجي ولهذا تضمن الشرط اني معكم أن المعونه والنصر من الرب تكون بالوفاء بالعهد والميثاق تضمن تكاليف تضمنت الآتي

المساله الاولى

أن المراد بالصلاه والزكاه هنا اسم عموم وإطلاق فالامر متعلق بالميثاق والحفاظ عليه وهذا إنما يكون بالتعظيم لأ مر الله والرحمه لعباد الله فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والخضوع والانقياد لله وهذا أصل التقوي وأما الرحمه لعباد الله فيكون بالاحسان إليهم يقول شيخ الإسلام وهذان هما حقيقه الصلاه والزكاه فإن الصلاه متضمنه للخشوع لله والعبودية له والتواضع له والذل له فحظ العبد منها اخراج الكبر من نفسه

والزكاة متضمنه لنفع الخلق والإحسان إليهم وهذا يكون فيه اخراج الشح من النفس

فالصلاه بمعناها العام تتضمن كل ماكان ذكرا لله أو دعاء له كما قال ابن مسعود وكذلك الزكاه بالمعني العام كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل معروف صدقه) ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (علي كل مسلم صدقه) أما الزكاه الماليه المفروضه فإنما تجب علي بعض المسلمين في بعض الأوقات ولهذا فليس المراد هنا الزكاه بمعناها الخاص خاصه وانه ورد ذكرها مقارنه للصلاه فهذا يعني أنها تشاركها في أن كل مسلم عليه صدقه مثلما عليه الصلاه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قالوا فإن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يستطع قال يعين صانعا أو يصنع لاخرق قالوا فإن لم يستطع قال يكف نفسه عن الشر)

ولما كان ذلك كذلك فإن جميع اعمال العبد من جنس الصلاه اي عباده لله ومن ماذكر في الحديث عن أبي ذر (علي كل سلامي من أحدكم صدقه فكل تسبيحه صدقه وكل تكبيره صدقه وكل تهليله صدقه وأمر بالمعروف صدقه ونهي عن منكر صدقه)

فإنه بمثل هذا العامل يحصل الرزق والنصر والهدايه فيكون ذلك من الصدقه علي الخلق لأن الأعمال من جنس الصلاه ينتفع به الغير فأنت عندما تدعوا لأخيك بضهر الغيب يقول الملك امين ولك مثله) فقد كان الحث علي الصلاه والزكاه لبيان وسائل الحفاظ علي العهد بتعظيم أمر الله والرحمه لعباد الله ليكون العمل بروح الفريق الواحد

المساله الثالثه

أن الحق يبين أن معونه الله ونصره لعبده في مواجهه الازمات والتحديات انما يكون بقوه الايمان والعزم والتوكل علي الله فالثقه بالله تولد في النفس الاطمئنان والثقه بالقدرات بتعظيم أوامر الله ونواهيه ثم إن الخطوه الثانيه هو تكوين فريق عمل واحد ولهذا فمرعاه حقوق الناس بالاحسان إليهم يولد قوه تأليف بينهم ثم تأتي الخطوه الثالثه بأن تكون القياده مصدر إلهام فذكر الحق (وامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

فإن هذا فيه أن من ضمن التكاليف الجهاد والايمان بالرسل ونصرتهم يحتاج الي قوه وجماعه تحمي الحق والي انزل تنفق ولهذا فإن هذا يحتاج الي معونه الله للتخلص من الجزع والفزع والحزن ليبذل نفسه وماله في سبيل الله فالله يقول (أن الله اشتري من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

ولهذا ذكر انفاق المال رغم أنه ذكر الزكاه فتمام الصفقه تتطلب بذل المال وإخراجه عن طيب نفس

الأمر الثاني

تأتي النصوص مبينه الثواب الذي وعد الله من كان منه تنفيذ التكاليف والقيام بما حواه العهد فقال تعالي (لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

أن الايه الكريمه فيها جواب القسم في قوله (لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

فجاء الجواب (لاكفرن ....الخ

المساله الاولي

تضمن وعد من الله لهم إذا قاموا بواجب الميثاق بامرين

الاول :ـ غفران الذنوب ومحو ماكان منهم من عباده العجل ومخالفات ارتكبوها أثناء غياب موسي وغيرها من القبائح فجاء باللام (لاكفرن) لتأكيد الوعد مع النون الموكده القسم تأكيدا شديدا أنه سوف يمحو الذنوب ويسترها وهذا أمر طبيعي لان القران والأحاديث قد أخبرتنا أن الحسنات يذهبن السئيات كما يغسل الماء من القذورات وكذلك فإن الإذعان والانقياد لله والقيام بواجب الميثاق يمحو الذنوب وآثارها من النفوس فلا يبقي فيها أي خبث

أما الثاني :ـ

فهو الجزء (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

فقد أكد العطاء بمثل ما أكد الغفران

المساله الثانيه

وقدم الغفران علي العطاء في الايه يعود لأن الوصول إلي الجنه يتطلب عون الله والهدايه فالله قد بين للإنسان هدايه عامه بإرسال الرسل وانزال الكتب فمن قبل بهدايه البيان وفقه الله وارشده الي ما يوصله الي الجنه ولهذا ابتدأ بالتخليه (لاكفرن عنكم سيئاتكم) فهي ضرورية قبل دخول الجنه لأن الجنه طيبه والسئيات من الخبائث ولهذا لابد من التنقيه والتخليه لها لتكون اهلا لدخول الجنه فكان هذا مناسبا أن يتأخر ذكر التحليه (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

فحصل لهم بهذا نيل حصول المحبوب بالجنه ونعيمها واندفاع المكروه بتكفير السيئات ودفع مايترتب عليها من عقوبات

المبحث الرابع

لما بين الله الوعد لمن قام بواجب الميثاق بالجزء الحسن أعقبه ببيان حال من نقض العهد فقال تعالي (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل)

تبين النصوص أن الذي يجحد ويخالف الميثاق وتعامل معه معامله من لايعرفه فهذا قد أضاع الطريق المستقيم السوي الذي يوصل سالكه الي مافيه السلامه والنجاه

واستعمل (إلفاء):ـ

في قوله (فمن) لبيان حكم من كفر بعد العلم والايمان يلحق الضرر بنفسه كونه يدخل في متاهات الضلال التي لا يجد له مخرجا منها طريق وعر وكفره أعظم من الذي كفر قبل أن يأخذ منه العهد ولايعلم به لا ن الذي يسير في متاهات الضلال بعد أن فتح له باب الهدايه وارشده الله علي الطريق المستقيم فادي تركهم للطريق المستقيم الي أن فسدت مدراكهم وطمست عقولهم وحجبت قلوبهم عن الانوار فهولاء لاهدايه لهم بعد ذلك

ثانيا

تبين النصوص أن اليهود لم يقوموا بواجب الميثاق ولهذا استحقوا ماحل بهم من عقاب في الدنيا والآخرة فقال تعالي

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به

الأمر الأول

ترسم النصوص صوره اليهود وموقفهم من الميثاق المأخوذ عليهم بواسطه نبي الله موسى بعد أن أخبرنا بشروط الميثاق وذكر بعده (فمن كفر فقد ضل سوآء السبيل) لأن ضلاله عن عمد وعلم فذكر الله أنه بسبب نقضهم الميثاق حل بهم الذل والهون فقال تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم)

فالنصوص تكشف لنا أن ماحل بهم من الذل والهون والمسكنه يعود نقضهم ميثاقهم والتفريط بما الزمهم الله به

فأراد بهذا الحق سبحانه وتعالي حث امه الاسلام علي التمسك بالعهد المقطوع مع هذه الامه بامتثال أمر الله وعدم التفريط بما جاء به القرآن من قيم ومبادئ فيقول لنا أنظروا الي حال اليهود كيف صاروا في ذل وهوان لا نهم لم يقوموا بواجب الميثاق فإن في هولاء مثالا لعاقبه من ينكث العهد ولو نظرنا الي واقعنا اليوم عندما ابتعدنا عن القران الكريم كيف اننا وصلنا الي وضع من الذل والهون والمسكنه فالعزه هي بالتمسك بمنهج الله والوفاء بـ العهد والميثاق المأخوذ من المسلمين في بيعه العقبه والرضوان هو عهد مأخوذ علي جميع المسلمين لأن العهد المشار إليه أنه مأخوذ علي بني اسرائيل كان مع النقباء عمن وراهم وقد ارتضوه جميعا فصار ميثاقا مع كل فرد منهم وميثاقا مع الامه المؤلفه منهم

الأمر الثاني

كما أن قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم)

فيها توكد حصول النقض وأنه حصل تمكن الخيانه من نفوسهم

فما الذي حصل لقد نقضوا العهد وقتلوا الانبياء وحرقوا التوراه ووقفوا ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا الايمان به ونصرته حسب العهد المأخوذ منهم ولهذا بسبب نقضهم العهد عاقبناهم بعده عقوبات

العقوبه الاولي

(لعناهم)

اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا

يحذر الله المومنين أن يسلكوا طريق المغضوب عليهم فنقض الميثاق يدنس النفوس ويفسد الفطره ويقسي القلب

فهولاء أغلقوا علي أنفسهم ابواب الرحمه فعدم الوفاء بالعهود جعلهم محرمون من الرحمه ولهذا فإن ماحدث منهم

من محاوله قتل عيسي عليه السلام والتباهي والتفاخر بذلك وافتراءهم علي مريم فهذا يعود إلي نقضهم الميثاق فاستحقوا الطر د واللعن هو الهلاك والضياع في الدنيا والآخرة فاللّه يقول في موضع آخر (اولئك الذين لعنهم اللّه ومن يلعن اللّه فلن تجد له نصيرا)

فلا يوجد له عون ولا من ينصره

العقوبه الثانيه

(وجعلنا قلوبهم قاسيه)

أن الذي ينقض العهد يطرد من رحمه اللّه وهذا الناكث للعهد بارتكاب جريمه الخيانه لعهد إبرامه مع اللّه فإن ارتكابه للسئيات يودي الي التأثير علي نفسه سلبا فيحدث تحول القلوب عن طبيعتها فاستخدم تعالي (وجعلنا) ترسم في الذهن أن هنالك مسخ للقلوب وقلب لطبيعتها وتحول من قلوب بشريه الي قلوب لاتمت الي الانسانيه بصله فقد حدث خلق القلوب علي صوره بعيده عن الانسانيه فقد صاروا أشبه بحيونات وسباع ووحوش وهذا واقع اليهود فنحن أثناء كتابه هذه السطور نشاهد جرائم الاحتلال الاسرائيلي في فلسطين وغزه تحديدا كيف أنهم تجردوا من قيم الانسانيه يقتلون العزل يذبحون الاطفال ويحرقون المرضي في مستشفى الشفاء احياء قتلوا الاطفال الخدج جرائم بشعه لايمكن لإنسان أن يشاهدها أمام وسائل الإعلام فكيف فعلها هولاء المجرمون

فاللّه يقول إن هذا التحول في قلوبهم هو عقوبه لهم فهذه القلوب قاسيه لاتنتفع بموعظه ولا بنصيحه فقد خذلهم اللّه ومنعهم الطاقه عقوبه لهم فهي يابسه صلبه غير صالحه لاستقبال انوار اللّه وهذا بسبب نقضهم ميثاقهم فهم لم يسعوا الي تزكيه أنفسهم وتغذيه أرواحهم بالقيام بواجب الميثاق فعرضوا أنفسهم لسخط اللّه لا نهم اهملوا أنفسهم ولم يأخذوا بالدواء الذي وصفه اللّه لهم لوقايه أنفسهم من هجوم الفيروسات والجراثيم فمن فعل هذا بنفسه فقد كان سببا في اهلاك نفسه لأنه تركها عرضه للأمراض والاسقام فاللّه يقول في موضع آخر (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره أو أشده قسوه)

فأنت تشاهد ملامح القسوه بمجرد النظر إلي وجوههم حتي وان أظهر الانسانيه فهو سرعان ما يخرج مابداخله من حيوان مفترس عند أول اختبار انساني فقد شاهدنا كيف أن قاده امريكا من الرئيس بايدان الي وزير خارجته بعد طوفان الاقصي أظهروا الوحش الصهيوني الذي يسكن داخل قلوبهم بالوقوف أمام كل محاولات العالم بأكمله رفع معاناه اهل غزه فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف مانعا أمام كل محاولات العالم إنقاذ حياة اهل غزه حيث لم يبقي مع إسرائيل غير امريكا فلم يخحل هولاء الذين طالما تغنوا كثيرا عن حقوق الإنسان لماذا لأن هولاء يهود وصهاينه كما صرحوا بذلك وقد صدق اللّه عندما كشف لنا خبث هولاء واخبرنا أن قلوبهم قاسيه وان ادعوا ا لانسانيه فلا تثق ايه المسلم بهولاء

العقوبه الثالثة

(يحرفون الكلم عن مواضعه)

أن هولاء أصبحوا لايبالون بما يرتكبون من جرائم فهم اتخذوا الدين لأغراض المصالح الماديه فهم اعلم بحقيقة الرسول صلى اللّه عليه وسلم بما هو منزل في كتابهم التوراه ومع ذلك فإن علماءهم قد حرفوا التوراه بالتاويلات الفاسده التي تخرج بها عن دائره الايمان ليس عن جهل بحقيفه مواضعه بل تعمدوا التحريف عن علم بهذا التحريف يدفعهم الي ذلك الهوي وتقودهم المصلحه فكان ذلك سببا لنسيان احكام التورا

وأن هذا التحريف مستمر لم يتوقف ولهذا استعمل الفعل المضارع (يحرفون) للدلاله علي استمرارهم للدلاله علي تحريفهم ما جاء في التوراه عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ونعته

والنصوص تبين لنا أن التعامل مع هولاء يجب الحذر منه فهم طبعهم المرواغه ونوياهم سئيه وأهدافهم دائما السعي الي الالتواء علي العقود وان كانت مكتوبه فهم يلجأون الي تحريف النصوص وفقا لاهوائهم فلا تثق بـ التعامل مع هولاء الخونه فهم ينقضون العهود وان كانت مكتوبه

العقوبه الرابعه

(ونسوا حظا مما ذكروا به)

النسيان هو الإهمال لأحكام التوراه وعدم تنفيذها في حياتهم رغم انها فيها النصيب الوافر لهم فهم نتيجه تعمد التحريف فقدوا الكثير من مافي التوراه من مواعظ وايضا أنهم تركوا العمل به مبكرا بعد هجوم بنو خذ نصر حيث انقسموا الي فريقين منهم من هاجر الي المدينه المنوره انتظارا النبي الخاتم ومنهم من أخذ بالكتب الشيطانيه و السحر والشعوذه وانه لما جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من امه العرب تبذوا التوراه وراء ظهورهم واتبعوا الكتب الشيطانية فقال تعالي في سوره البقره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ماتتلوا الشيطان علي ملك سليمان ...الخ

اي اعرضوا عنه بالكليه واهملوا التوراه وتمسكوا بكتب السحر والشعوذه و

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي مخاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل المسلمين حتي لاينخدعوا بقناع التدين الذي يلبسه اليهود فيقول الله لنبيه (ولاتزال تطلع على خآئنه منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين)

الأمر الأول

(ولاتزال تطلع على خآئنه منهم)

الايه فيها انتقال من نقض أسلافهم العهد مع الله الي نقض اليهود بزمن الرسول صلى الله عليه وسلم للعهد واستعمل الفعل (لاتزال)

يدل علي الاستمرار لانه مضارع للدلاله علي استمرار الفعل والاطلاع كتابه عن المطلع عليه سؤء بالمشاهده أو العلم لبيان ان هولاء طبعهم الخيانه كأنها طبع طبعوا عليه فهذه عادتهم وماكان عليه أسلافهم وهي من سلوكهم أنهم موصوفون بالخيانه ولاعهود لهم فهذا السلوك متوتر عنهم خلف عن سلف فالخيانه فهم في التعامل والكلمه وكل شي ومن أعظمها كتمان الحق

الأمر الثاني

يقول الحق احذروا من تلك الخصال التي اتصفوا به فإن من أصيب بها من اي امه فإن سنه الله أن ينزل عليه اللعنه وقسوه القلب والابتلاء بتحريف النصوص ونسيان الحق ولابد أن يبتلي بالخيانه لأن الذكر من أعظم حظوظ الذي يقوي القلب علي الثبات فـالله (ومايلقاها الا ذو حظ عظيم) فالعلم النافع والعمل الصالح توفيق من الله الذي ينال به العبد السعاده في الدنيا والآخرة بعكس الحظ الدنيوي المذكور بشأن قارون فهذا مذموم (فخرج علي قومه في زينته قال الذين يريدون الحياه الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون أنه لذو حظ عظيم)

فهذه النظره للدنيا تفقد العلم قيمته وتختل الموازين وعندها تحدث الخيانه أما الذي ينظر إلي الاخره فهذا يخشي الله فيعبد الله كأنه يراه ويتعامل مع الناس بالاحسان إليهم ولهذا يأمر الله نبيه فقال (فاعف عنهم واصفح

أن الله يحب المحسنين)

الأمر بالعفو والصفح فالرسول صلي الله عليه وسلم لم يقتلهم رغم أنهم يستحقون ذلك وكان القبول بالجزيه فهذا فيه العفوا والصفح والإحسان إليهم فإن ذلك من مكارم الاخلاق وهذا لاتعارض بينه وبين ماجاء في سوره براءه بقوله تعالي (قاتلوا الذين لايومنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزيه عن يد وهم صاغرون)

فالايه هنا ك متعلقه بشأن تنظيم أحوالهم بالاذعان للنظام الإسلامي بتسليم الجزيه مع بقاءهم علي اديانهم وبالتالي فإن العفو هنا ورد في إطار خضوع هولاء لنظام الاسلام

ثالثا

بعد ذكر قبائح اليهود شرع في بيان قبائح النصاري وخيانتهم فقال تعالي (ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بجمله (ومن الذين قالوا انا نصاري) معطوفه علي قوله (ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل)

لأن بين المعطوف والمعطوف عليه صله لأن دعوه المسيح هي خاصه لليهود وأتباعه هم من اليهود ومعجزاته لليهود وفي هذا اشاره الي أن الذين أخذ عليهم العهد كانوا من اليهود الذين اتبعوا المسيح ولهذا كان تقديم الجار والمجرور (ومن الذين قالوا انا نصاري) للاهتمام بعد ذكر قبائح طائفه من بني إسرائيل وهم اليهود فلابد أن السامع سوف يخطر في ذهنه سؤال ماهو حال الطائفه الأخري النصاري فكان هذا العطف الذي فيه الضمير عائدا علي بني اسرائيل والمعني ومن بني اسرائيل الذين اتبعوا المسيح عيسي وقالوا إنهم نصاري أخذنا الميثاق وهو طاعه الله وأداء فرئضه واتباع رسله العهد فسلكوا طريق غير طريق الله ونقضوا الميثاق مثلما فعل اليهود بميثاقهم ونقضهم وابتعادهم عن التوراه نقض هولاء الانجيل الذي التزموا فيه بالتوحيد وعدم الشرك واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فطريقهم مثل طريق اليهود كما قال تعالي في موضع آخر (تشابهت قلوبهم)

الأمر الثاني

يذم الله النصاري فقال تعالي (ومن الذين قالوا انا نصاري)

ولم يقل ومن النصاري ونحن نعلم أن عيسي عليه السلام عندما وجد العدواه من اليهود قال (من انصاري الي الله قال الحوريون نحن أنصار الله) وقال تعالي (ولتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري)

فالاصل أن قولهم إنهم أنصار الله أنه يفضي الي التمسك بالعهد والوفاء به فهم قد قطعوا علي أنفسهم العهد أن يكون أنصار الله لكن جاء بعد الحوريون من خالف هذا العنوان الذي عرفوا به وسموا بهذا الاسم نسبه الي قول الحوريون نحن أنصار الله..

فكيف يكونون أنصار الله وأفعالهم تشير إنهم أنصار الشيطان فكان العدول في النص عن الظاهر لتصوير حالهم في ذهن السامع فتقرر أن هولاء ادعوا أنهم أنصار الله بألسنتهم لكن قلوبهم وأفعالهم لم تكن كذلك فهم بمعزل عن نصره الله فكان إسناد النصرانية الي دعوهم في الايه لبيان نقضهم الميثاق المأخوذ عليهم من نصره دين الله فدل هذا الابتداء في صدر الكلام أنهم لم ينصروا وان واقع هولاء أنهم ابتعدوا عن أسلافهم من الحوريون الذين أمرنا الله أن نقتدي بهم فقال تعالي (كونوا أنصار الله ...الخ

فهولاء الذين جاءوا بعد الحوريون بعيدون عن الميثاق فحاصل أمرهم هو الادعاء بالقول دون الفعل فهم قد نقضوا الميثاق الذي قطعوه علي أنفسهم بالإيمان بالرسول الخاتم ونصرته وخالفوا التوحيد الذي جاء به عيسي من ربه وكان منهم الشرك والانحراف والضلال

الأمر الثالث

يقول الحق سبحانه وتعالى أنه أخذ من النصارى أيضا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته لكنهم خالفوا الميثاق فقال تعالي (فنسوا حظا مما ذكروا به)

نسوا تعاليم الانجيل وما أخبرهم به عيسي فخالفوا توجيهات الانجيل وقاموا بالتحريف والتبديل وادخلوا فيها من أفكار الوثنيه التي امتزجت بالانجيل بعد دخول قسطنطين النصرانية فنسوا حظا اي نصيبا وافرا وعظيم من كتابهم فكان سببا في تفرقهم في الدين واتباع اهوائهم فاوقع الله بينهم عذاب العدواه والبغضاء بالخصومات و التنازع فذلك عقوبه لهم كما قال تعالي في موضع (اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) وهنا قال تعالي (فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه)

تبين النصوص أنه عند غياب الفكره نتيجه الغفله عن الفكره التوحيد التي فيها الخير الوافر فإن النتيجه هو بروز أصنام الأهواء لأن غياب الفكره يعني الذهاب خلف الاوهام والحيدان بالزيع عن مذهب الحق والميل مع الهوي الحيواني عندها يكون الزيغ منهم متبوعا بزيغ القلوب فالله يقول (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم) ومن زاغ تنعكس عنده المعاير فهو يري الحسنه سئيه ويري السئيه حسنه فيصاب بسكر الضلاله ولهذا يقول الله (فاغرينا) بمعني هيجنا الأهواء بسبب نسيانهم العهد وذهاب مصدر دينهم فقد ضلوا وذهبوا خلف الاوهام فصاروا جماعات متناحره يسود واقعها التعصب الأهواء التي صنعوا منها عقائدهم

واتسع هذا الخلاف بينهم بحسب ما فيهم من التعصب وبقدر ما اتسموا من الغفله فانحرفوا عن دعوه التوحيد التي جاء بها عيسي من ربه وحدث الانقسام والتشرذم الي فرق وطوائف متناحرة فقال تعالي (فاغرينا) لها معاني متعدده الصقنا من غري الشي اذا لصق به كالغراء وهو مثل الصمغ يكون لاصقا به والاغراء تسليط بعضهم علي بعض والمراد بهذا أنهم لما تركوا الميثاق المأخوذ عليهم اغرينا بينهم العدواه بالمباعده بين قلوبهم بتهيج الأهواء الباطله التي إنما هي باختلافهم في قولهم بشأن عيسي بين قائل أنه إله وبين قائل أنه ابن الله وبين قائل أنه ث الث ثلاثه وكلها أهواء باطله فصاروا كالسباع يتحاربون بالعدواه والبغضاء ازددت عمقا واتساعا فالعدواه لم تكن عدواه جهل وعلم بل عدواه جهل وعمي عن الحق محمله بالانفعالات والتشنجات والاندفاعات الملئيه بالبغض و الكراهية لأنها عدواه هوي وهوي محمله باثقال البغضاء فهي ليست موقوته بوقت ولامحدده بزمن وانما هي عدواه موصله لاتنقطع (الي يوم القيامه)

فهي ساكنه قلوبهم لاتنطفي فهي عقوبه نسيان العلم النافع وادالته فقد حرموا من نور العلم فكان عقوبتهم بالسير في طريق وعر لايسهل السير فيه خشن ملئ بالصراعات والخصومات والتناحر الي يوم القيامه وقد شاهدنا كيف هو حال النصاري في الغرب كيف أنهم صنعوا الاسلحه الكيميائيه والنوويه والهدروجنيه وسفكوا الدماء في الحروب التي أهلكت الحرث والنسل فقد كانت الحرب العالمية الأولى والثانية كلها بين النصاري وهذا ما يكفي لتعرف صدق توصيف القران الكريم للنصاري والعقاب الذي حل بهم لنقضهم الميثاق فأنت تشاهد التعصب و الخصومات والتناحر يعم أرجاء الكنائس المسيحية في العالم فهي أكبر دليل الشقاق بسبب التعصب الديني حتي انتهي بهم الحال الي اعلان العلمانية وفصل الدين عن الدوله لايقاف سفك الدماء ومع ذلك لم يفلح دعاه العلمانية اليوم من تجاوز الحروب الدينيه لأن الله يقول إن عدواه هولاء سوف تستمر الي يوم القيامه

الأمر الرابع

يذيل الحق الايه بالتعقيب بقوله تعالي (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)

هذا فيه

١

وعيد شديد بالعذاب والجزء مثلما يقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت

وهذا التهديد أنه سوف يجازيهم بما عملوا جاء فيه صيغه المضارع (يصنعون) دليل علي استمرار هم بنقض الميثاق ونسيان الحظ الأوفر مما ذكروا به

٢

وسوف لتأكيد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وانهم صنعوا الأصنام باهوائهم فنقضوا الميثاق حيث قالوا في عيسي كفرا بأنه اله وأنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثه واحلوا الخنزير والخمر والميسر فناسب هذا قوله تعالى (فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه) فالله يقول (إنما الخمر والميسر والانصاب والاز لام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمر و الميسر...الخ

٣

شبه حالهم عند الحساب في الاخره بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض العهود وتحريف الانجيل ومخالفه مواعظ المسيح الذي أخبرهم أنه رسول الله وعبده وهكذا علم اتباعه فلم يقل لهم أنه إله وانما كان يقول لهم انه عبد الله ورسوله ولهذا فإن قولهم إن عيسي هو الله وغيرها من الضلالات فدل لفظ أنه سوف يعلمهم بتلك المفاسد والاباطيل التي صنعوها يوم القيامه بان كل ذلك صناعه منهم فقد خرجوا بهذه الصناعة عن ما حمله إليهم عيسي عليه السلام ولفظ يصنعون يدل أنهم لن يتوقفوا عن الافتراء علي الانجيل وربط ذلك بحالهم في يوم الحساب لبيان أنهم صنعوا اصناما فقالوا في عيسي اقوالا لاتقبلها الفطره ولاتستقيم بحال من الأحوال فِ الشرك اعتداء صارخ ولهذا فهم سوف يستمرون في حيرتهم وفسادهم فذكر الحق التهديد لهم بالعقاب ويحاسبهم علي انحرافهم عن الميثاق وبما افتروا علي الله من أكاذيب

القسم الثاني

ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الي صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير وقالت اليهود والنصاري نحن ابناؤا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير

اولا

بعد أن تناولت اقامه الحجه علي اليهود والنصاري من خلال استعراض مواقفهم من الميثاق المأخوذ عليهم جاء الخطاب موجها الي اليهود والنصاري فقال تعالي (يا اهل الكتاب)

وهذا فيه الآتي

الأمر الاول

أن التعبير عنهم بعنوان اهليه الكتاب للتشنيع لهم وأفعالهم وموقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم لأن اهليه الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان مافيه من الأحكام وهم قد فعلوا ما فعلوا وهم يعلمون فجاء النداء لهم (ياأهل الكتاب)

يدعوهم الي الوفاء بميثاق الكتاب والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والانتقال بالحديث من صيغه الغائب الي المخاطب باعتبار أن ماسبق كشفه من أخطاء في حياه أهل الكتاب في تلك المرحلة التي هي مراحل الأديان

٢

تضمن النداء إعلانهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليهم فرسالته عالميه لجميع الناس فليس رسولا لامه العرب ذلك أن اليهود والنصاري كانوا ينظرون للعرب نظره استعلاء فينظرون إليهم أنهم اميون لايعرفون القراءه والكتابه فهم لم يكونوا قابلين أن يأتي رسول من غير بني إسرائيل يعلمهم دين الله ولهذا ناسب أن يكون النداء بعد ذكر الميثاق الذي يدعوهم للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونصرته أن يسجل الحق شهادته بأن الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله للناس كافه وانهم مأمورون بالإيمان به وأتباعه فقال تعالي (قد جاءكم رسولنا)

(جاءكم) بدل بعثنا لكم الاشاره الي أنه يحاضرهم ويخاطبهم وجاء إليهم فهم يرونه ويراهم (رسولنا) للاشاره أنه مرسل من عند الله وقد أخذ عليهم الميثاق (وامنتم برسلي وعزرتموهم)

واضاف الي ضمير العظمه في قوله (رسولنا) للتشريف والايذان بوجوب اتباعه عليه الصلاه والسلام فرسالته ليست مقصوره علي امه العرب او ليست موجهه الي أهل الكتاب بل هي رساله عالميه وأهل الكتاب ملزمون بالإ يمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فالله إرساله لكل البشريه بالهدي ودين الحق لجميع أهل الأرض وأنه بعثه بالبينات والفرقان بين الحق والباطل

٣

تبين النصوص أن وظيفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير)

يوضح ويكشف ما توطاتم علي اخفاءه من حقائق كتاب الله فاليهود اخفوا الكثير من الأحكام ومنها رجم الزني المحصن واخفوا البشاره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هنا ماهو الكثير الذي اخفوه مما كان في التورواه والإنجيل وذكر ذلك في موضع آخر من حكم رجم الزاني المحصن فقال تعالي في موضع آخر (الم ترا الي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون)

فقد كانوا يدعون الي حكم التوراه بالزاني المحصن بالرجم وهم معرضون ومنكرون ذلك ومما اخفوه أيضا صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالي (وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنه الله علي الكافرين) ومن ذلك انكارهم أن الله عاقبهم بسبب أفعالهم القبيحه أن حرم عليهم بعض الطبيات عقوبه لهم كما قال تعالي في موضع آخر (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وقال تعالي (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ماحرم إسرائيل علي نفسه من قبل أن تنزل التوراه قل فاتوا بالتوراه فاتلوها ...الخ

وقال عن النصاري أنهم اخفاوا ماذكر عن نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (وإذ قال عيسي ابن مريم يابني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراه ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)

الأمر الثاني

أن الانتقال في حديث النصوص من ضمير الغائب بالحديث عن اليهود والنصاري ونقضهم العهود والمواثيق الي ضمير المتكلم (ياأهل الكتاب....الخ

فهذا الذي فيه اعلان التحول في قراءه المطلب الرباني من التوراه والإنجيل الي القران فيه بيان أن هذه المرحلة في مسيره الا.ديان قد جمع الأديان كلها في الإسلام وأرسل الله الرسول صلى الله عليه وسلم للناس جميعا ولهذا فإن كشف أخطاء اليهود والنصاري في نقض الميثاق علي سبيل الحكايه بضمير الغائب ليس عيبا وانما هذا الكشف مقدمه ضروريه لتحديد مضمون المرحله التاليه في تاريخ الأديان فقد كانت المراحل السابقه تنزل الكتب لاقوام محدده ووظيفتها وقتيه في مجتمعات صغيره وازمنه محدده ولهذا فإن الانتقال الي مرحله الكمال التي جاءت بها رساله الاسلام كان يتطلب كشف ونقد المراحل السابقه بما حدث فعلا نقدا ذاتيا اي شخصي من جانب الذين ساهموا في أحداث ماحدث فعلا

فمعرفه المشكلات التي أعاقت عمل من حمل المشروع الرباني في الماضي أمر مهم للمساهمه في تحديد الموقف الذي تنطلق منه ولاتقع فيما وقعوا به ولهذا فإن النقد لما حدث من العناصر الذين حملوا الحضاره والمشروع الرباني ينبغي أن يكون ناتجا عن معرفه عميقه بحقيقه المشاكل المتعلقه بالمشروع فإن هذا النقد ينبغي أن يكون له فائده من أجل الوصول إلي اكبر قدر ممكن من سلامه المراحل التالية فليس نقدا مغرضا أو متعلق بأمور سطحية ليس نقدا لاهدف ولافائده منه لأن مثل هذا النقد لايخدم الفكره وانما يضلل ولهذا نجد أن الحق بعد ذكر مابينه القران الكريم من أمور كتمها اليهود والنصاري يقول لنا تعالي (ويعفوا عن كثير)

أنه ترك اظهار ما لافائده منه وماليس فيه مصلحه ولاحكمه دينيه لم يظهره صيانه لكم من زياده الافتضاح فاعيد ذكر (كثير) وهي نكره ولهذا فإن اعيدتها يكون لها معني مغاير

الأمر الثالث

أن النصوص تبين للمومنين كيف يكون النقاش والحوار فلا يهدف إلي الجدل الفارغ الذي فيه الاساءه الذاتيه بـ التجريح والتعصب نتيجه المدافعه والمغالبه فقال تعالي (ويعفوا عن كثير) يتغاضي عن ما لافائده ولامصلحه من ذكره الا افتضاح اليهود والنصاري فالإسلام ليس هدفه من النقد فضحهم وانما هدفه اصلاح الخلل الفكري فالإسلا م اهتم بتربيه المسلمين واستصئال مافي الإنسان من طبع المدافعه والمغالبه في الجدل فـالله يقول (وكان الإ نسان أكثر شي جدلا) ولهذا نجد أن القرآن جاء بمنهج تربوي لضبط خلق المسلم بحيث لايطغي عليه خلق المدافعه والمغالبه بالباطل فيذهب في الخصومة والجدل شر مذهب لأن من صار خلقه ذلك فإنه لايهتم بحق أو باطل وانما يكون هدفه من الجدل اظهار قوه الجدل لا إحقاق الحق ولهذا فإن تنكير (ويعفوا عن كثير) تعني أن عليك أن تلتزم اثنا ء النقد أو الجدل بمعاييير الاسلام هل هذه المسائل تخدم الاسلام ام أنها لافائده منها سؤء فضح العيوب عن الآخرين فإن كان الاخير فعليك أن تتجاوز عن ذكره بل عليك أن تستره ولاتظهره لأن يعفوا من الستر

المبحث الثاني

أن الايات فيها دعوه أهل الكتاب الي الاشتراك في صناعه الخلاص للعالم أجمع بالالتحاق بالإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم حيث أن قراءه مراد الله والحضاره الدينيه التي تحقق المطلب الرباني في الأ رض قد انتقلت الي الاسلام وصار القران جامعا لجميع ما احتوته الكتب السماوية السابقه يقول لهم الحق أن تغيير الاشخاص أمر مألوف حيث أنه عند انتهاء مرحله وابتدا مرحله تاليه يحصل حدوث مثل هذه المتغيرات وتعاقب المراحل لايستدل عليه من خلال تعاقب الأشخاص ولهذا جمعهم الله في النداء(ياأهل الكتاب) ثم أخبرهم

عن الدليل الدال علي الانتقال القياده الي امه الاسلام بأنه هذا التغيير للمناخ الذي أفرزته مرحله حصر القياده في بني إسرائيل فقد كان تغيير ظروف حركه العمل الايماني للبشريه في مرحله الرشد بتوحيد الرسالات كلها برساله ا لإسلام وإيجاد الضمانات التي تضمن استمرار العمل الايماني في مسيرته وعدم تكرار السلبيات قدر الإمكان فأخبر الله عباده خصائص المنهج الرباني (الاسلام)

والقرآن الكريم الذي يأمرهم بالتحول إليه في قراءه المطلب الرباني فقال تعالي (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الي صراط مستقيم)

الأمر الأول

تعددت الآراء المفسر ين بشأن إلمراد بقوله تعالي (قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين)

فمنهم من قال إن النور يقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله انار به الارض بعد الظلمات التي امتلأت به الارض بالنظر الي وضع العالم كله ومافيه من ظلمات فانار الله به الارض بمخو الشرك وأنه نور استنار به بيان الحق ومن انارته للحق تبينه بإظهار كثير مما كان أهل الكتاب يخفونه

وقالوا إن (وكتاب مبين) هو القران الكريم نور تشرق به قلوب الناس فتزيل الظلمات نور تزيل اللبس والغبش في الرويه فالطريق يصبح واضح المعالم والهدف محدد وواضح لاغموض فيه والقرآن يستضا ء به ظلمات الجهل وعمي الضلاله

وقوله مبين يعني بين وظاهر لكل ما يحتاج الخلق من أمور دينهم ودنياهم في كل شي فهو مبين فيه الطريق الموصل الي الله وكيف يعبدونه فلا غموض ولالبس فيه

ومنهم من قال إن المراد بهذا الاسلام ... وهذا الاختلاف شكلي لأن النص بدل اشتمال من جمله (قد جاءكم رسولنا يبين لكم...الخ لأن مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم اشتمل على مجئ القران الكريم ورساله الاسلام فجميع ذلك يسمي نور لأنها للبصيره كالنور للبصر فالعين لاتري في الظلام فهي ليست مصدر النور ولكن عندما تشرق الشمس فإن العين تري ولهذا فإن الذي ينتفع بهدايه هذه الانوار (يهدي به الله من اتبع رضوانه)

اي يرشد ويسدد به من اتبع رضا الله فالذي يريد الانتفاع عليه أن يفتح منافذ الهدايه وان يكون طالبا لرضا الله ومجتهدا وحريصا علي كل ما يرضيه تعالي وهذا إنما يكون لمن يحب الله حب اجلال وتعظيم والله يقول في موضع آخر (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فلابد أن يسلك الطريق الموصل الي رضا الله في كل شأن من شؤون حياته فيقوم بحق الله وحق الناس وحق الكون والبئيه فيكون متبعا للحق ويحسن استعمال ملكاته واعضاءه واجزاءه فيما خلقت لأجلها ولهذا يهتدي الي طريق السلامه والنجاه (سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور) فيعيش في راحه البال واطمئنان بعكس الذي يتبع اهواهه فإن يعيش في قلق ونيران تشتعل بداخله ولهذا فإن هذه النيران مصدرها غضب الله لمن لم يحرص علي اتباع ما يرضي الله ولهذا فإن النار والجنه ليس شي جديدا وانما هو نتيجه أعمالنا فمن اتبع منهج الله فإن هذا يولد في النفس اطمئنان وتسير في طريق مستقيم يوصلها الي الجنه في الدنيا والآخرة فالله يقول في موضع آخر (لاتضل ولاتشقي) (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا) وقال تعالي أيضا (يايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضيه مرضيه)

الأمر الثاني

أن النداء يهدف إلي بيان أن الإسلام هو خاتم الأديان الذي أتم الله به الرسالات والأنبياء والرسل فلا نبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا تأتي النصوص مبينه أن الإسلام جاء جامع لجميع الأديان ويستوعب الزمان و

المكان في كل شؤون الحياه ولهذا يخبر الله اهل الكتاب بانتهاء صلاحيه العمل بالتوراه والإنجيل فلم تعد صالحه لتحقيق مراد الله وان الله قد أنزل القرآن الكريم وارتضي لعباده الاسلام دينا فهو سبحانه قد جعله الدين الخاتم للبشريه جميعا الي أن يرث الله الأرض ومن عليها أنه دين لكل العصور والازمنه اللاحقه فالله ارتضاه لعباده وهو أعلم بخلقه ومايصلح لهم والإسلام دين عالمي استوعب في صفوفه العرب والعجم والهنود والفرس والاروبين والا فرقه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الي صراط مستقيم)

وهذا فيه

المساله الاولى

ان عليك أن تحرص علي رضوان الله فإذا أردت السلام وتعيش في اطمئنان وسلام أن ترضي لنفسك ما رضيه الله لك وهو الاسلام فالإسلام هو الذي يعيطك السلام وينقذ البشريه من ويلات الحرب الجاهليه وعصبيتها فإذا أردت أن تنقذ نفسك فإن هذا إنما يكون باتباع مايرضي الله تعالي

المساله الثانيه

أن الإنسان بحاجه الي الاهتداء الي سبل التعامل مع نفسه ومع أسرته ومع المحيطين به في نطاق المجتمع من بني جنسه ويحتاج للتعامل مع الحاكم والدوله وتعامل الدوله مع الدول الأخري ولهذا فإن الإسلام تميز عن غيره من الأديان بالشمول في كل انواع نشاط الانسان علي مسرح الحياه بعكس الأديان السابقه فقد كان دورها مقتصرا علي الأمور الاعتقاديه والتعبديه فلا يتدخل في أحوال المعيشه الدنيونيه ويترك للناس أن ينظموا العلاقات و التعاملات أفرادا وجماعات فليس الدين له دخل أما في الإسلام فقد جاء بشمول شؤون الحياه كلها في السياسة و الاقتصاد والعبادات والمعاملات أنه عقيده تجيب علي كل التساؤلات التي يطرحها العقل الإنساني فياتي الجواب لكل ما يطرحه من القرآن مبينا له طريق الهدايه والسلامه والسعاده والنجاه في الدنيا والآخرة ففي مسائل الخلق والخالق والحياه والموت والجنه والنار والرسالات والرسل ...يرشده الي طرق السلام للعقل والضمير يلبي اشواق ا لإنسان لمعرفه ربه فيبن له الطريق الموصل الي ربه دون غلو ولاتشبيه .

وبنفس الوقت دون تعطيل لوظيفه الإنسان في اعمار الأرض فلا رهبانه ولا انسحاب من الحياه الدنيا ولاوسائط بين الخالق والمخلوق فالطريق مفتوح بين الإنسان وربه وما عليه أن يدعو ربه يقوم علي الحرص علي اتباع مايرضي الله

وايضا في تعامله مع الآخرين فإنه يتبع نظم وشرائع تحفظ حقوق الفرد والمجتمع والعالم تحول دون ظلم الإنسان لنفسه أو لغيره تشريعات تضمن العدل في جميع الأحوال السلم والحرب والعلاقات مع الدول الأخري فالإسلام هو الذي فيه السلامه من الضياع والهلاك

المساله الثالثه

أن إطلاق لفظ (سبل السلام)

فيه كما قلنا شمول الاسلام للزمان والمكان وأنه يستوعب الإنسان وجميع شوون الحياه وايضا فيه أن هذا الشمول تكمالي فالاسلام لايقتصر علي الاهتمام بالعبادات حتي يعزل المسلم عن الدنيا ويحبسه بين جدران المسجد ولكن يمتد لجميع شؤون الحياه فيه

فجاء فيه بيان سبل العباده وسبل المعاملات وتفاصيل الحياه والاقتصاد والسياسة جاء فيه قواعد لكل شي يحتاجها فهو انسان منخرط في الحياه يتعامل معها ومع سننها ويتفاعل معها وتحولاتها فالمسلم بتعامل مع جميع

فئات المجتمع المسلم وهم يلتقون خمس مرات في اليوم ويجتمعون يوم الجمعه يتدولون مشاكل الامه ويتناصحون ولهذا فإن شمول الاسلام سبل السلام هو الذي يودي الي تحقيق مبدأ التكامل وهو مالم تستطيع الأ ديان من تحقيقه فالمتدين عند النصاري هو الذي يحبس نفسه في الكنيسة ولاعلاقه له بالحكم والسياسية وينعزلون عن الدنيا .لأن المتدين عندهم لايصلح للدنيا وأعمالها في حين يكون رجال المال والأعمال والقاده و الحكام بعيدون عن الأديان الا أنهم يشتركون في تمويل الكنيسة بالاموال التي اكتسبوها بوسائل تتناقض كليه مع الدين الذي تمثله تلك الكنائس

لكن الإسلام جاء بمنهج التكامل الذي فيه طرق السلام والنجاه للدنيا والدين تنظيم احوال الإنسان في جميع أحواله فهي بهذا تشكل الإنسان السوي الواضح الي لايحتاج الى ثقافه الالتواء ليوافق بين طموحاته ومتطلبات جسده وروحه وآماله وموقعه في المجتمع ومنظومه القيم فالمسلم ليس مضطرا الي الظهور بمظهر غير مظهره الحقيقي كما يفعل الرهبان الذين يحاولون أن يظهروا شبه ملاك بالترافع عن الدنيا مقبلا علي الرب في حين بداخله انسان يريد أن يتمتع بالطيبات فيعيش حياه سريه تتعارض مع مايعلن ويظهر للناس لكن الإسلام جاء فيه التكامل الذي يلبي متطلبات الجسد والروح يقول أحد المستشرقين أن الإسلام جاء فيه تكامل بين جميع عناصر الإنسان ومكوناته عن طريق وضع الاجوابه الواضحه القضايا التاليه

١

كيف يعيش الانسان بطريقه صحيحه

٢

كيف يفكر الإنسان بطريقة صحيحة

٣

كيف ينظم الإنسان حياته بطريقة صحيحة

وعناصر الشمول والتكامل يقوم علي الإيمان الذي يحكم العقل والضمير واعماق النفس والخضوع والاستسلام لله تعالي والشعور برقابه الله ولهذا ابتداء بذكر أن المنتفع هو الذي يتبع رضوان الله

الأمر الثالث

تبين النصوص أن القرآن الكريم فيه بيان السبل الكفيلة بتحقيق النجاه والسلامه والسعاده في الدراين وأنه أيضا ينجي العباد من المهالك وينير لهم الطريق والمسالك فيخرجون من ظلمات الجهل والكفر والشرك والأوهام و الخرفات الي التوحيد والإيمان باذان الله وحده لاشريك له فهي خاضعه لمشئيه الله واردته يخرج بها من اتبع رضوانه واذانه هنا هو العنايه بمن اتبع رضوانه باسعافه بنزين الايمان وتحبيبه به وانشراح الصدر برفع طابع الكفر من قلبه وتوفيقه لابصار سبل السلام فقال تعالي (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه)فالإسلام يحرر المومنين من الأوهام والخرافات التي اختلطت به الأديان الأخري يحررهم من الخوف من المستقبل فالرزق بيد الله يحرره من الهيمنه السياسه فالجميع خاضعون لحكم الله تعالي وشريعته فقال تعالي (ويهديهم الي صراط مستقيم) يرشدهم الي الطريق المستقيم مع الفطره والنفس والحياه والكون فالإنسان والكون والحياه محكومين بسنن ونواميس ولهذا جعل الله الوحي هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكافه تحولاتها واطرداها ف الله هو خالق الكون وخالق الإنسان وفطرته والإنسان جاء للحياه بدون رضاءه وسوف يتركها بدون رضاءه ولهذا فليس له أن يصنع لنفسه منهجا ومن مصلحته أن تظل منافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال نور الله الذي يرشده الي

طريق الهدايه المستقيم فهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه

ثانيا

تنتقل النصوص الي مناقشه فساد عقائد أهل الكتاب التي بنوا عليها دينهم فابتدا بذم مقوله النصاري بتاليه عيسي فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا انا الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير)

المبحث الاول

ان الابتداء بذم مقوله النصاري بتاليه عيسي عليه السلام مرتبط بماقبله الذي ذكر فيه أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج القران والاسلام هو أن يبين لهم حقيقه عقيده التوحيد الصحيحه التي حملتها جميع الأديان وإخراجهم من الظلمات يعني ازاله التصورات الفاسده المنحرفه التي اختلقها من ادعوا انهم أنصار الله عندما ذهبوا الي القول بالوهيه عيسي والتي حدث خلاف بينهم وسفكت الدماء بين طوائف المسيحية نتيجه ما وقعت فيه النصرانية من الخرافات التي وقعت فيها اليهود والخرفات الرومانيه التي أدخلت في الديانه المسيحيه ولهذا فإن الحق يبين لهم انحرف وكفر تلك التصورات فذكر الحق مقوله هولا ء التي فيها الكفر فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا انا الله هو المسيح ابن مريم)فهذا من أعظم ضلال النصاري وهو من ضروب عدم الوفاء فابطال الله زعمهم ذلك فهو من الظلمات التي طرأت علي أحوالهم ولم ينزل الله بها من سلطان وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه يبين مافي المقوله من الكفر لا ماهم عليه من الضلال لأن ضلالتهم حاصله لامحاله اذا كانت هذه المقاله كفرا ولهذا حكي قولهم (أن الله هو المسيح ابن مريم)

والمراد بهذا الاشاره الي الاعتقاد باتحاد عيسي بالله فقاموا بتعريف المسند والمسند إليه باتحاد الاسمين بقرينه السياق الداله علي أن الكلام ليس مقصودا بأحداث الذوات المسمي فهم ذهبوا الي القول بامتزاج الله في عيسي بدعوي الاتحاد ومرادهم امتزاج الحقيقه الالهيه في ذات عيسي ولما كانت الذات الإلهية معنونه باسم الجلاله فقد ذهبوا الي إسناد اسم الجلاله لعيسي قاصدين أن ذات الله تجسدت في ذات عيسي ...فهذه المقوله كفر فهذا هو اعتقاد الحلول والاتحاد وهو اعتقاد موجود عند بعض المسلمين والعياذ بالله

فالحق يبين مافي المقوله من الكفر فهذا الانحراف اصطنعه النصاري فهذا طريق الضلال للتحذير من هذا النوع من الشرك

الأمر الثاني

أن الحق بهذا ببيان مافي المقوله من الكفر يهدف إلي حمايه مقاصد الدين من الانحراف فيقول لنا أن المسلم لا يحتاج الي عقائد اين من الأديان الأخري ولاتقبل الثقافه الاسلاميه مخالطه عقيده التوحيد بغيرها لأنها العقيده الوحيده التي لم يدخلها الشرك ولهذا فإن الإسلام يربي المومنين علي مساله الثبات للأمور العقائديه في الإسلام فهي ثابته فالتوحيد هو الأسس الذي تنطلق منه عقيده المسلم وجميع الأحكام تربط بهذا الأساس

فعقيده الاسلام تخلو من تقديس الأشخاص فالبشر مهما كانوا لايمكن أن ينزلوا منزله الله فالله خالق والبشر كلهم مخلوقات بما فيهم عيسي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم وكلهم عبيد لله تعالي

الأمر الثالث

تهدف النصوص لتربيه المومنين علي المنهج العقلي والابتعاد عن الخرافات والأساطير التي اصبغت بها الديانات السابقه والحضارات المنحرفه فالنصرانيه تخلت عن عقيده التوحيد النقيه التي جاء بها عيسي عليه السلام وسيطرت معتقدات اسطوريه من تاليه البشر أو تنزيل لله عز وجل الي مصاف الإنسان فقد اعتقد هولاء أن عيسي امتزج بالرب فاعتقدوا أنه يخلق ويحي ويميت ولهذا نجد أن الله يعلم نبيه الحجه عليهم بقوله (قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا)

الفاء في قوله (فمن) عاطفه الاستفهام الانكاري علي قولهم إن الله هو المسيح فالانكار ترتب علي هذه المقوله الشنيعه فهي للتعقيب أي ليس الأمر كما زعمتم و(من يملك من الله شيئا)

بأنكم عاجزون عن دفع الضرر أن أراد الله إيقاعه بعيسي وأمه ومن في الأرض جميعا

لأن الذي يملك هو الذي يتصرف في مملوكه كيف يشاء والتنكير في قوله (شيئا) للتقليل والتحقير ولما كان الا ستفهام بمعني النفي كان نفي الشي القليل مقتضيا نفي الكثير بطريق أولي والمعني فمن يقدر علي منع شي اراده الله إذا أراد فعله فما الذي يحوله عنه

٢

أن النص يهدف إلي إثبات تفرد الله في ملكه وسلطانه وقهره وان عيسي من جمله المخلوقات يقع عليه ما يقع عليهم فهو عاجز أن يمنع الضرر عن نفسه وبالتالي فهو من جنس البشر

واستعمل حرف الشرط (أن أراد) في التعليق من غير دلاله علي الاستقبال لأن مريم قد هلكت لامحاله ولأن اهلاك المسيح اي موته واقع عند المجادلين من النصاري وعند بعض علماء الإسلام الذين قالوا إن عيسي مات ورفعه الله من غير قتل أو صلب

وعليه فليس الأمر دال علي الاستقبال وانما فيه استعاره الاستقبال بمعني (ومن في الأرض جميعا) اي حينئذ من الناس الذين كانوا في زمن عيسي عليه السلام فقد هلكوا بالضروره واذا التزمت بأنه يدل علي المستقبل فإن هذا يكون علي طريق التغليب فإن بعضها قد وقع هلاكه وهم ام عيسي وبعضها لم يقع بعد ولكنه سوف يقع لامحاله وهو اهلاك جميع من في الارض أي أن هلاك النوع ممكن الوقوع لأن من في إلا رض سوف يهلكون لامحاله

الأمر الثالث

أن الإسلام يهتم بالعقل.ويحاوره بالمنطق ولهذا نجد أن النص يخاطب العقل ويحاوره فيقول له أن ذات الله ومشيته وسلطانه تختلف مطلقا عن ذات عيسي وأمه وكل ذات اخري فذات الله ومشئيته وسلطانه متفرده ولا يملك أحد شيئا في رد مشئيه الله أو دفع سلطانه ان اراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعا

فهولاء عاجزون عن رد الله لو أراد أن يهلكهم ولاقدره لهم علي ذلك فدل هذا علي بطلان الوهيه من لايمنتع عنه الا هلاك ومن كانت قوته تحت قوه الله وقهره وسلطانه وهنا يعطيهم الله صوره لملك الله وسلطانه وقهره وتدبيره لأ مور الخليقه فقال تعالي (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير)

أنظروا الي الكون فتاملوا الي حركه الكون وانضباطه فمن هو المسؤول عن حركه الكون وانضباطه بتلك الدقه أنه يخضع لله فهو مالكه ومدبره والمتصرف فيه فكل مافي السموات والأرض وما بينهما يخضع لله تعالي وقوله (ولله) اي وحده لاشريك له ملك الكون يتصرف فيه بحكمه ونواميس الله هي التي تحرك الكون فهل يليق بعد هذا أن يكون العبد المخلوق معبود ا فلا يمكن أن يكون المخلوق الها ومعبودا فالله خالق وله أن يخلق ما يشاء

فهو لايسال عما يفعل وبالتالي فلا تستغربوا أن خلق الله عيسي بلا أب فالله يفعل ما يشاء وقد خلق آدم بلا أب ولا أم وخلق حواء كذلك فمشيئه الله نافذه وقدرته لايستعصي عليها شي

المبحث الثاني

(وقالت اليهود والنصاري نحن ابناؤا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير)

يذكر الحق التصورات الفاسده لدي اليهود والنصاري التي تشكل قيود مانعه لهم من الالتحاق بالإسلام فهم يجدون صعوبه في التحول في قراءه المطلب الرباني الي الإسلام والعمل بما جاء به القرآن لايشعرون بالقدره علي التحول واستبدال قراءه المطلب الرباني بالقران بدلا عن التوراه والإنجيل وفقا لما يقتضيها تصحيح مسار اتجاه حركه أهل الأديان في المرحله الاخيره التي جمعت جميع الأديان فهم يرفضون التحول ويتمسكون بحضارتهم التي لم تعد صالحه لتحقيق مراد الله ويدفعون عنها لماذا يقول لك الحق (وقالت اليهود والنصاري نحن ابناؤا الله واحباؤه)

فهم اكتسبوا مواقع شخصية معينه من خلال الانتماء الي اليهودية والمسيحية حيث أن النظام الطبقي لهذه الامه قد ادي الي التعسف في تطبيق أحكام التوراه والإنجيل وقاموا باستغلال ماانعم الله عليهم من وحي بالتوجيه السئ وحجب الرهبان والاحبار العلم الحقيقي عن الناس وصار هذا العلم يستخدم لاستغلال الإنسان للإنسان

ولهذا فقد كان للنظام الطبقي الذي شكل طبقات اليهود والنصاري تأثير ليغوص عميقا ليفطع جذور المعرفه عن الأ فكار فصنعوا بذلك فلسفه سيقت لتبرير الطبقيه ونظامها القبيح فصارت العقيده لديهم تقوم علي العنصريه وتستخدم لتبرير اي نوع من أنواع الاستغلال الطبقي أو العنصري ولهذا يقول لنا الله مقوله هولاء الفاسده بأنهم ق الوا علي الله مالايليق بعظمه الله فقالوا أنهم ابناء الله واحباوه قصدوا بهذا أن يجنوا الامتيازات فهم أبناء محبوبون لله فقالوا أنهم شعب الله المختار ...وهذا لتبرير الطبقيه والنظام العنصري التي شكلت هذه الأمم فصارت عقيده العوام فيهم تقوم علي الاماني بأنهم لن يعذبوا علي مايفعلون فالله يعاملهم بالموده فلا يؤخذهم علي افسادهم في الأرض وأما العلماء منهم فهم قله نادره وهم من صنعوا هذه العقيده الفاسده وبهذا قاموا بتطويع الدين لافكارهم العنصريه لأجل أن يخضع لهم العوام حيث صار العوام يكدون من أجل أن يعطوا الأحبار ا لأموال كي يمنحوهم صكوك الغفران وتكمن الخطورة أن هذه الأفكار صارت عقيده لتزكيه أنفسهم وقد شاهدنا في العصر الحديث أن أستخدم الدين اليهودي والمسيحي حتي لإثبات أن الإنسان الابيض ينتمي إلى نوع متخلف عن الإنسان الاسود وقد صار الرعب في العالم حين استخدمت حجه الامتياز العنصري في المانيا وإيطاليا حيث تعصب لهذه الفكره ألوف المومنين من النازيه فكان الانحطاط والوحشيه للمذابح التي قتل النازيون الكثير من البشر ببرود وعمد وقبلها في الأندلس شاهدنا كيف تم صناعه مذابح للمسلمين تحت عنوان محاكم التفتيش ولهذا نجد أن الحق يبين فساد هذه التصورات وخطورتها علي حمله المشروع الرباني يقول للرسول صلى الله عليه وسلم لاتحزن من مشاهده هولاء في مواقع اتباع العاملين لتحقيق مراد الشيطان لاتستغرب أن تري هولاء في موقع الثوره المضاده وبكل مافي هذه المواقع من مخاطر ويقول لنبيه ان يبين لهم فساد تلك التصورات الفاسده فقال تعالي (قل فلم يعذبكم بذنوبكم)

يأمر نبيه أن يبطل قولهم بامرين

الاول (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) لانهم قالوا بأن نصيبا من العذاب ينالهم بذنوبهم فقالوا (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) والنصاري يرون أنهم استحقوا العذاب الاخروي بسبب خطئيه ادم فقالوا إن عيسي جاء مخلصا وضحي بنفسه لتخليص البشريه من ويلات الخطئيه

ولهذا يقول الله لنبيه اذا كنتم تعترفون انكم سوف تعذبون بس أياما معدودة فكيف يكون ذلك فلو كنتم ابناء الله واحباءه لما عذبكم لأن الاب يشفق علي أبناءه ولايعذبهم وكذلك فإن المحب لايعذب محبوبه وقد استخدم الدليل المنطقي الذي لاينكروه فليس المراد هنا أن يرد عليهم بوقوع العذاب عليهم بسبب كفرهم لانهم لايعترفون به فلا يصلح للرد عليهم

وانما المراد به ما يعتقدون بحصوله في عقائدهم من العذاب سواء في الدنيا أو الاخره كما أوضحنا من قولهم (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)

والثاني

(بل أنتم بشر ممن خلق)

يقرر الحق بطلان ادعاء البنوه فهم مخلوقات من جمله البشر تسري عليكم احكام العدل والفضل مثل بقيه البشر مثل بقيه بني ادم

وأنه تعالي عادل لايحابي أحد فقال تعالي (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

أنه تعالي عادل لايحابي أحد وقيام المغفره والعذاب عنده علي أصلها الواحد علي نسبتها الي أسبابها لابسبب بنوه أو صله شخصيه فإذا أتوا بأسباب المغفره غفر لهم الذنوب واذا أتوا بأسباب العذاب فقد استحقوا العذاب فهو سبحانه وتعالى الحاكم في عباده وهو فعال لما يريد ولامعقب لحكمه وهو سريع الحساب

فالله سبحانه وتعالى ليس محتاجا لطاعه المطيع فلايزيد في ملكه شي مثلما أنه لاينقص من ملكه عصيان العاصي فقال تعالي (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير)

فقد ورد النص فيه الاشاره الي حصر الملكيه لله وحده لما في السموات والأرض وما بينهما فهو المالك والمتصرف والمدبر للكون ومافيهما فهو المستحق للعبوديه وحده لاشريك فالجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ولن يستطيع أحد الإفلات من قهره فالجميع سوف يرجعون الي الله فيحكم بينهم وهوالعادل الذي لايجور

المبحث الثالث

بعد أن تناولت النصوص مفاسد أهل الكتاب وكيف أن الانتماء لليهوديه والنصارنيه صار لأغراض المتاجرة بالاديان واكتساب الامتيازات فافرزت تلك الظروف انتهازيون يتاجرون بالاديان وقد تعودوا علي تلك الأساليب في العمل الديني ولهذا لما جاء الإسلام لم يشعروا بالقدره علي تغيير قراءتهم للمطلب الرباني ولم يقبلوا أن ينطوي تحت الا سلام فلم يتفاعل هولاء الذين كانوا يظهرون أنفسهم أنهم أهل كتب سماويه وفضلوا أن يبقوا موصوفين بأنهم اهل دين انتهت مرحلته ولهذا يخاطبهم الله فقال تعالي (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم علي فتره من الرسل أن تقولوا ما جآءنا من بشير ولا نذير فقد جآءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير)

فالنداء (ياأهل الكتاب) يعني يا اهل التوراة ياأهل الانجيل أن استمرار هذه الصفه لازمه لكم تستوجب المبادرة الي الالتحاق بالإسلام فهو الدين المقبول عند الله بعد تعطيل العمل بالتوراه والإنجيل لانهم قالوا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الي الاسلام ماانزال الله من بعد التوراه كتابا فجاء الرد (قد جاءكم رسولنا يبين لكم علي فتره من الرسل)

اي يوضح لكم الاسلام والهدي وأمر الحلال والحرام والخلاص والسعاده الابديه ويرشدكم الي دين الله الذي ارتضاه الله لعباده يبين لكم ما استشكل عليكم من أمر دينكم

فاالله يقول لهم عليكم الانتظام في حضاره الاسلام وتحت قياده الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (رسولنا) اضافه إليه سبحانه وتعالى للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وان هذا لرعايه مصالح عمل المنتسبين لحركه العمل الايماني ففي هذا الانتظام تحت قيادته حمايه لحركه العمل الايماني من الانحراف ومن أخطاء ماسبق لأجل توفير مناخ وظروف جديده تستوعب الحاجه للتغيير فلا يتكرر السير في الطريق الذي سار عليه من سبق

فقال تعالي (علي فتره من الرسل)

اي بعد انقطاع الرسل والرسالات فاستخدام كلمه (فتره) للتعبير علي الانقطاع ..ولفظ فتره من الفتور فيقال فتر يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصارت أقل مماكنت عليه وسميت المده بين الانبياء فتره لفتور الدواعي للعمل بتلك الشرائع وهذا فيه اشاره الي أنهم صاروا معزولين عن حقيقه الرسالات وانهم انتهت أدوارهم ووجب الانتقال الي ا لاسلام

والرسول صلى الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت متواتره بعضها اثر بعض الي وقت رفع عيسي ولم يكن هنالك فواصل حاده بين المراحل المتتابعه للاستدلال بها علي تتابعها فأشار الي الفتور لبيان حاله الجمود بعد انقطاع الرسل والرسالات وهنا ظهر ادعاء احتكار الحقيقه بما يخالف الحقيقه اصلا حيث تحول الدين الي عنصر للتباهي به فلم يرسل من بعد رفع عيسي رسول فأخبرهم الله هذا هو رسولنا الذي بشركم به موسي وعيسي عليهما السلام فقال تعالي (علي فتره) انقطاع الوحي وطول مده الانقطاع االدي الي فساد أمور دينكم واختلطت بالخرفات حيث ذكر أن بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين عيسي عليه السلام ٦٠٠عام ومنهم من ق ال ٥٤٠سنه ومنهم من قال ٥٦٠سنه وهناك من قال أنه أرسل اربعه أنبياء بعد عيسي ثلاثه من بني إسرائيل وواحد من العرب والثلاثه هم المذكورين بقوله تعالي (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث)

وأما الذي أرسل إلي العرب فهو خالد بن سنان الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (نبي ضيعه قومه)

وقصه خالد بن سنان أنه كان في عدن اليمن وأنه خرجت نار عظيمه من مغاره فاهلكت الزرع والضرع فاتي إليه قومه فأخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتي رجعت هاربه منه تجاه المغاره التي خرجت منها ثم قال لأولاده سوف ادخل المغاره واجلس فيها ثلاثه ايام تامه فلاتنادوني حتي تنتهي الايام الثلاثه وان لم تصبروا وناديتم فإنني سوف أخرج واموت فصبروا يومين لم ينادوه فاستزلهم الشيطان فنادوه حيث ظنوا أنه هلك فخرج خالد من المغاره في رأسه وجع من صياحهم وقال ضيعتموني واضعتم قومي ووصيتي لانهم لم يصبروا حتي تنقضي الثلاثه الايام وامرهم أن يدفنوه ويقبروه ويرقبوه أربعين يوماً فإنه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمه حمار مقطوع الذنب ابتر فإذا جاء الي قبره ووقف فلينبشوا قبره فانه يقوم ويخبرهم بأحوال البرزخ والعرب بما عين ورؤيه فانتظروا أربعين يوما حتي شاهدوا قطيع الغنم والحمار مقطوع الذنب فتوقف عند قبره فأراد قومه أن ينفذوا وصيته وينبشوا قبره فابي أولاده خوفا من العار لئلا يقال عنهم اولاد المنبوش قبره فحملتهم الحميه الجاهليه علي ذلك فضيعوا وصيه خالد واضاعوه فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جاءته ابنت خالد فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرحبا بابنه نبي اضاعه قومه)

فخالد إنما أمر قومه أن ينبش قبره ليعلم حقيقه البرزخ فيدرك الناس صدق الرسل بما أخبروا عن ذلك من أحوال القبر وكان خالد يعلم بمجي الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه رحمه للعالمين ولم يكن خالد رسولا فأراد أن يحصل من هذه الرحمه في الرساله المحمديه علي حظ وافر ولم يومر بالتبليغ فأراد أن يحظي من معرفه البرزخ بذلك التبيلغ في مقام الرساله لتكون اقوي في العلم ليعلم قوه علمه بأحوال البرزخ فاضاعه قومه حسبما قال الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أضاعوا وصيته حيث لم يبلغوه مراده من اخبار أحوال القبر

ولهذا فإن هذا لايوثر بانقطاع الرسالات والرسل بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين عيسي عليه السلام فذكر

التعليل (أن تقولوا ما جآءنا من بشير ولا نذير)

اي إنما بعثنا لكم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انقطاع ارسال الرسل حتي لاتعتذورا يوم القيامه أنه لم يرسل اليكم بعد أن انطمست اثار الشرائع السماوية السابقه وانقطعت اخبارها (أن تقولوا) اي حتي لاتقولوا أو كي لا تقولوا كما قال تعالي (يبين لكم إن تضلوا) أن لاتضلوا فهذه الجمله تعليل لقطع الأعذار واقامه الحجه فقال تعالي (فقد جآءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير)

حيث نجد أن إلفاء الفصيحه (فقد جآءكم) تدل أنه متعلق بمحذوف اي حتي لاتعتذورا بذلك وفي هذا امتنان من الله أنه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت كانوا أحوج ما يكونون له بعد أن انطمست اثار الوحي فجاء فيه التنوين للتفخيم (بشير ونذير) فلم يرسل بعد عيسي الاالرسول صلى الله عليه وسلم فكان إرساله من أعظم النعم ورحمه الله وايضا تلزمهم الحجه فلا عذر لهم بأنه لم يرسل إليهم رسول من بعد عيسي فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (انا أولي الناس بعيسي ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي) والمراد بهذا نبي داع للخلق الي الله وشرعه وأما خالد بن سنان فقد أظهر بدعوه الأنباء عن البرزخ الذي بعد الموت وما اظهر نبوته في الدنيا

وقوله تعالى (والله علي كل شي قدير)

لبيان انه قادر علي نصره دينه واعلاء كلمته ونصره نبيه صلى الله عليه وسلم

القسم الثالث

بعد أن تناولت النصوص بيان اخذ الميثاق من بني إسرائيل ونقضهم العهود وما أصابهم من اللعن والطرد والعذاب وما كان من نقض النصاري للعهد ...ودعوته لهم أن يلتحقوا برساله الإسلام ويومنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم للخروج مما حل بهم وبين لهم أن الإسلام فيه سبل النجاه والسلامه والسعاده اذا اردوا الخروج مما هم فيه اذا اردوا تجاوز الازمات التي أحاطت بهم حتي يستعدوا دورهم في حمل المشروع الرباني وان في هذا اقامه الحجه عليهم حتي لايتعذروا أن طول مده الانقطاع بين الرسل كان سببا لانحرافهم فقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عليهم الحجه وبعدها تاتي النصوص (واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبيآء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا املك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمه عليهم اربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تاس علي القوم الفاسقين)

اولا

لقد وردت الآيات بعد بيان ميثاق بنى إسرائيل والنصاري وكيف تعاملوا مع الميثاق فذكر ت النصوص أنهم نقضوا الميثاق فاصابهم اللعن والطرد والعذاب والتمزق والعدواه إلي قيام الساعه بينهم ثم تناولت النصوص بعد ذلك دعوتهم الي الاسلام وأن الخلاص لما هم فيه هو بالانتظام في صفوف المسلمين فهذا هو الحل للخروج من ازمات العذاب التي حلت بهم فسبل السلام والهدايه والنجاه والفلاح والخروج من الازمات وظلمات الكفر والشرك هو بالا نتساب للإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو الطريق اذا اردوا أن يستعدوا مكانتهم في حمل المشروع الرباني وان هذه الدعوه هي لقطع الأعذار واقامه الحجه عليهم حتي لايتعذروا أن طول مده انقطاع الرسل والرسالات هي السبب في ماهم فيه من الغفله فقد أرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم للعالم أجمع ولهذا فلا عذر لهم ثم ذكرت النصوص قصه من واقع بني إسرائيل مع نبي الله موسي حيث نجد فيها الآتي

ابتدأت بقوله (وإذ) ظرفيه معطوفه علي ما قبلها اي واذكر يامحمد أو اواذكر انت من تقرا القران إذ قال موسي ف الذكر هنا

يعين النبي صلى الله عليه وسلم علي احتمال

المبحث الأول

(اغراض ذكر هذه القصه)

الغرض الأول

ان الايات تضع بين أيدينا موقف من مواقف بني إسرائيل مع أنبياء الله الذين حملوا لهم النور والخير كيف قابلوا هذا الخير بالجحود والمكابره فالجمله مستنافه مسوقه لبيان قبائح بني إسرائيل وموقفهم مع نبي الله موسى الذي انقذهم من فرعون وشاهدوا نعم الله ومعجزاته لتعريف الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بتمادي اليهود مع انبياءهم لبيان ان هذا السلوك قديم فيهم فهم قد اختلفوا علي انبياءهم وهذا فيه تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا لأن اليهود كانوا أشد من وقفوا في وجه الاسلام وتامروا مع المشركين ضد الإسلام واعلنوا العداء للإسلام منذو اللحظه الاولي وتولوا اثاره الشبهات حول الاسلام لصرف الناس عن الإسلام من خلال استغلا ل منزلتهم الدينيه في نظر الكثيرون وهذا الأمر قد احزن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم الذين كانوا يطمعون في ايمان اليهود لانهم أهل كتاب ولهذا نجد أن الله يذكر حلقه من قصه بني إسرائيل مع نبي الله موسى فيقول الله لاتطمعوا بإيمان هولاء ولاتحزنوا من تعاملهم وبعدهم عن الحق فانظروا كيف تعاملوا مع نبي الله موسي منقذهم من الرق والعبودية من قام بتحريرهم من استعباد الفراعنه وجلب لهم الاستقلا ل ومع ذلك خالفوه أوامره ورفضوا طاعته فيما جاءهم به من أوامر من ربه ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابه حقيقه هولاء وان المكابره صار طبعا وخلقا متاصلا فيهم فليس انكارهم للإسلام أمرا جديدا فهولاء طبعهم المرواغه ونوياهم سئيه وأهدافهم دائما تتعارض مع سنن الاجتماع البشري

الغرض الثاني

ان الحق يريد أن يعرف المسلمون حقيقه بني إسرائيل لأن الله يعلم أن المعركه الفكريه والعسكرية والاقتصادية وا لاجتماعية والثقافية فيما بين بني إسرائيل وبين المسلمين سوف تكون مستمره إلي قيام الساعه فكان من انعام الله علينا أن عرفنا باعداءنا وطريقه تفكيرهم وجوانب ضعفهم واساليبهم كي نتمكن من مواجهه هولاء الأعداء

المبحث الثاني

ان الحق يعيطنا هذه التجربه المرتبطه بتجربه لعاملين في حمل المشروع الرباني لنعيش هذه التجربه لتكون رصيدا لنا في حقل العمل فنحذر أن نقع في المزالق التي وقع فيها هولاء نحذر من اخلاق هولاء ونقضهم العهود و المواثيق فهذه التجربه كي نتمكن من علاج اي داء أو مرض يتسلل في صفوف المسلمين مثل الداء الذي حل ببني إسرائيل فالحق يعيطنا التجارب كي نستطيع أن نشخص الداء ونجد له الدواء ولهذا نجد أن الايه افتتحت بقوله تعالي (وإذ) هي ظرفيه اذكر حال موسي مع قومه اي اذكر يامحمد أو اواذكر انت من تقرا القران في أي زمان عند ما قال موسي لقومه ...الخ فالذكر هنا للقصه يهدف إلي استحضار أحوال هولاء القوم وهذا مما لاشك أنه يعين الداعيه علي مواجهه الازمات والتحديات التي تواجه الدعوه من هولاء الملاحده

ولهذا فإن الأمر هنا بالذكر يعني استحضار الوقت الذي قال فيه موسي لهولاء (ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبيآء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

فايجاب ذكر الوقت يعني إيجاب ذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني وهذا لايكون إلا باستحضار ما وقع فيه كانك حاضرا تشاهد تفاصيل ذلك عيان لتاخذوا العبره والعظه فموسي عليه السلام يخاطب قومه أن يتذكروا انعام الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود حيث انقذهم من فرعون وشاهدوا نعمه الله في البحر عندما اغرق فرعون وهامان وجنودهما وانقذ بني إسرائيل فهذه نعمه عظيمه وإخراجهم من ظلم الفراعنه فما هو الواجب علي هذه النعمه ؟

الأمر الأول

عليك ايه المومن أن تتذكر انعام الله التي انعم بها عليك لتشكر الله علي ما انعم عليك بالطاعه لله ونسب النعمه الي المنعم فموسي يذكرهم بنعمه مضت يحثهم بالقيام بواجب النعمه فالاصل أن انعام الله تجعلك تعرف الله وكماله وهذا يقود الي الشكر بطاعه الله والتقرب إليه بما يحب ويرضي فذكر الله مستلزم لمعرفه الله وشكره متضمن لطاعته يقول ابن القيم وهذان هما الغايه التي خلق لأجلها الانس والجن والسماوت والأرض ووضع لاجلها الثواب والعقاب وانزل الكتب وأرسل الرسل وهي الحق الذي به خلفت السموات والأرض وما بينهما وضدها هو الباطل والعبث الذي يتعالي ويتقدس عنه فغايه الخلق والأمر أن يذكر الله وان يشكر يذكر تعالي فلا ينسي ويشكر فلا يكفر وهو سبحانه وتعالى ذاكر لمن ذكره وشاكر لمن شكره فذكره سبب لذكره وشكره سبب لزيادته من فضله فهو تعالي يقول (لئن شكرتم لازيدنكم)

ولهذا نفهم أن موسي عندما قال لهم (ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم) قد شاهد أن هولاء لايرعون النعمه التي هم فيها ولايشعرون بمافتح الله عليهم من انعامه فهم لايرون ماصار وا إليه من الحريه أنها نعمه ولايشكرون الله عليها ولايفرحون بالخلاص من الفراعنه شاهد أنهم يتذمرون من مفارقه مصر ويسخطون ويعدون ماهم فيه مصيبه ولهذا استعمل موسي اسلوب التودد (ياقوم) يريد أن يغرس فيهم الشعور بأن أمرهم يهمه فهو منهم وهم منه اضافه الي انه رسول الله وهو يقربهم منه بهذا النداء فأراد بهذا استجلاب القبول بنصيحته وموعظته لهم وهذا فيه أيضا تربيه المومنين بأن عليهم استخدام الألفاظ التي تستطيع أن تغزو القلوب ليحصل الاستجابه للدعوه فأراد موسي بهذا النداء معالجه خطر محدق بقومه عائدا عليهم من جحود النعمه لأن سنه الله أن ترك ذكر النعم وعدم شكر الله عليها يوجب الهلاك والضياع والعذاب والموخذه فالله يقول (ولئن كفرتم أن عذابي لشديد) ولهذا يحذيرهم موسي (ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين)

الأمر الثاني

ان التذكير بانعام الله من قبل موسي لقومه قد تضمنت بيان ماهي هذه النعم (إذ جعل فيكم أنبيآء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

يخبرهم أن عليهم أن يتذكروا نعمه الله والمراد بها الاستماع لمنهج الله وأمره ونواهيه فذكر النعمه يقود الي الشكر ويودي الي خوف التقصير في أداء حقها وواجب النعمه فيسلبها الله عنهم فيستحي أن يستعمل النعمه في معصيه الله وبني إسرائيل قد انعم الله عليهم انعام كثيره من إنقاذهم من الفراعنه وبطشهم ونجاهم من الفراعنه وبطشهم ثم انعم عليهم بالعفو والصفح عن ما ارتكبوا من عباده العجل فالاصل أن هذه النعم تقودهم الي الايمان بالله بـ اليقين وان يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبعوا الاسلام فالمنهج الذي يحقق مراد الله نعمه عظيمه

يذكر موسي قومه بنعمه أن الله جعل في بني إسرائيل أنبياء فلم يهملهم الله حيث أنه تعالي اصطفاء بني ابراهيم بذلك وبني إسحاق ويعقوب ولهذا فبرغم أن المده بين يوسف عليه السلام وبين موسي طويله فإن الله لم يتركهم فقد اصطفاء منهم موسي وهارون لإنقاذ بني إسرائيل من عبوديه الفراعنه وبطشهم فقد كانوا عبيدا لاحقوق ولا ملكيه لهم وتستحل أعراضهم من الفراعنه فانقاذهم الله بنعمه أنه جعل فيهم أنبياء فقد كان من غير الممكن الخلا ص من الذل والهون والمسكنه الذي عاشه بني إسرائيل لولا تدخل القدره الالهيه فقال تعالي في سوره القصص (ان

فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفه منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم أنه كان من المفسدين و نريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمه ونجعلهم الوراثين ونمكن لهم)

فقد كان استنقاذهم من الفراعنه أمر مستحيل بمنطق الماده والقوه لولا تدخل القدره الالهيه من خلال ارسل موسي وهارون فهذا من انعام الله أنه جعل انبياءه فيهم

اضافه الي أن الله قد انعم علي بني اسرائيل أن جعل فيهم الانبياء حتي سيدنا المسيح عليه السلام ارسلهم الله لإ يقاظ بني اسرائيل من غفلتهم برغم أنهم كانوا يقتلون الانبياء وكانوا يخالفون أمر الله ومع ذلك كان الله يرسل إليهم رسل فقد قص الله علينا أنه أرسل إلي قوم منهم اثنين من الرسل فكذبوهما فقال تعالي (فعززنا بثالث) فلم يقل ارسلت لهم رسولا فكذبوا لقد ظلت نعمه الله تتوالي بإرسال الرسل لمدواه هولاء من امراضهم وهذه من انعام الله عليهم

مبينا لهم أن النعمه الثانيه (وجعلكم ملوكا) ...فقد انعم الله عليهم بالحريه والكرامه والاستقلال وانقذهم من أسر الفراعنه حيث صاروا أحرارا بعد أن كانوا عبيد لدي الفراعنه حيث أن بني اسرائيل كانوا ينظرون إلي أن من كان له بيتا وخادما بأنه ملك نظرا لما عاشوه من الذل والهون والمسكنه ف الله يمن عليهم بنعمه الحريه فيقول اذكروا نعمه الله إذ جعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد ما كنتم في أيدي الفراعنه يستعبدونكم

والنعمه الثالثه (واتاكم ما لم يوت أحدا من العالمين)

اي اعطاءهم من النعم ما لم يعطي أحد من عالم زمانهم ولهذا نجد إدغام التنوين مع الميم في قوله (أحدا من) فأدخل الفضل في عالم زمانهم لاعالم كل زمان ولم يكن أوتي في ذلك الزمن من نعم الله وكرامته ماوتي بني إسرائيل فخرج الكلام عن سيدنا موسي عليه السلام علي ذلك لا علي جميع كل زمان ومن هذه النعم الإنقاذ من الفراعنه وانزال المن والسلوي والغمام وغيرها من النعم

المبحث الثالث

ان التذكير بالنعم كان مقدمه للحث علي تنفيذ أمر الله ودخول الأرض التي أمرهم الله أن يسكنوا فيها فاخراجهم من مصر كان بهدف إلي الانتقال الي ارض يعيشون فيه لتحكم التوراه حياتهم فلابد من شعب وارض جغرافيا لمنهج الله فقال تعالي علي لسان موسي (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين)

النداء تعالوا معي نفتح بيت المقدس أو اريحا أو فلسطين والشام . فهي الارض الطاهره التي اختارها الله لتسكنوا فيها ويكون اقامه شرع الله في حياتكم ف الله كتب لكم ذلك بشرط أن تكونوا اهلا لهذه الأرض وبالوقوف علي ا لايه نجد فيها الآتي

الأمر الأول

يذكرهم بقرابه الدم والنسب (ياقوم) بعد إنقاذهم من الفراعنه وصار لهم اردء حره فموسي اتخذ من التذكير ب النعم السابقه مقدمه لنعمه جديده في المستقبل فكان تكرير النداء بالاضافه والتشريف (ياقوم) اهتمام بشأن الأ مر ومبالغه في حثهم علي الامتثال وهذا فيه تربيه للداعيه أن عليه استخدام وسائل وأساليب مرتبطه بواقع المخاطبين والقضيه المراد حثهم القيام بها لتهئيه المناخ لتحقيق الهدف المراد تحقيقه

الأمر الثاني

وصف الأرض المامورين دخولها بأنها مقدسه اي مطهره ومباركه فمن الذي طهرها هو الله تعالي جعلها محل

استقرار الانبياء وجعلها مباركه فهي منزه بفعل الله

الأمر الثالث

طلب منهم أن يدخلوا الارض الطاهره التي فرض الله عليهم دخولها لإنقاذهم من الفراعنه فقال تعالي علي لسان موسي (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم)

استعمل تعدي كتب باللام ولم يتعدي بعلي للاشاره أن ما فرضه الله عليهم من دخول الأرض المقدسه فيه الخير لهم فما فرض ذلك إلا لأجلهم ولحفظهم ولهذا فإن قوله (كتب الله لكم) لاتعني الأمر الكوني بل الأمر الشرعي لا نه لو كان أمر كوني لما منعوا من دخولها بقوله تعالي (فإنها محرمه عليهم) فالكتابه تعني هنا الأمر كما قال تعالي (كتب عليكم الصيام) (كتب عليكم القتال) فالارداه هي شرعيه وليست ارداه كونيه فإن هم اطاعوا أمر الله كانوا اهلا لها وأن عصوا فإنهم لن يأخذونها وهي محرمه عليهم ... لماذا لأن الله قد أخبرنا في موضع آخر (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض لله يرثها عبادي الصالحين) وهولاء لم يعدواصالحين ولهذا فلا صحه لما زعم اليهود أن ارض فلسطين هي أرض الميعاد لماذا لأن هنالك فرق بين الأمر الذي ورد من موسي هنا فهو كان بعدما انقذ بني إسرائيل من الفراعنه ولهذا جاء النص معين (الأرض المقدسة)

لان الأرض إذا أطلقت في النص فهي تعني الأرض كلها كما قال تعالي (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأ رض) في سوره الاسراء لم يحدد الأرض أي مكانها ليسكنوا إليه وقال تعالي أيضا (وقطعناهم في الأرض) هنا تشير الايه الي تقطيع بني إسرائيل في الأرض كلها اي فرقهم وشتتهم ولم يقل (اذبناهم) بل قطعناهم يقول الا مام الشعراوي اي جعل بينهم اوصالا ولكن متفرقون في الأرض فأنت كلما دخلت اي بلد تجد احياء باسم اليهود مخصوصة فهم لايذبون في المجتمعات اطلاقا فهذا هو حكم الله علي بني اسرائيل بعدما خالفوا الميثاق

أما الايه (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) فهذا أمر مرتبط بذلك الزمن بعد أن انقذهم الله من الفراعنه ولهذا جاء فيها تحديد الأرض بأن أسماها مقدسه اي مطهره بفعل الله ولهذا فإن ارداه الله اراده شرعيه كما قلنا وليست اراده كونيه حتي يذهب اليهود الي القول فيما قالوا فلو كانت اراده كونيه لما قال (فإنها محرمه عليهم اربعين سنه)

وأما التطهير فالله قال (سبحان الذي أسري بعبده من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى الذي بركنا حوله) فقد جعل الله المسجد الأقصى طاهرا ومن مقدسات الاسلام ...وقال تعالي (فإذا جاء وعد الاخره جئنا بكم لفيفا) اي سوف يجمعهم الله من جميع مناطق الأرض والله قد قال في بدايه السوره (وقضينا الي بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلون علوا كبيرا)

والافساد هنا يكون في ارض تخص الاسلام ولايمكن القول إن ذلك متعلق بما حصل لهم علي يد بختنصر لماذا

لان الله يقول (فإذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار)

وكلمه وعد لاتاتي لشئ يسبق الكلام بل علي شي لم يأتي بعد وبنوخنتصر سابق علي الوعد لأن الوعد لأمر في المستقبل وايضا أن الله قال (عباد لنا) اي مومنون وبختنصر ملك مشرك مجوسي

فالعبوديه هي سبيل القوه لنا والباس الذي نمنع فيه إفساد اليهود فإذا حصل تخلي المسلمون عن العباده تمكن اعدائهم منهم فقال تعالي (ثم رددنا لكم الكره عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا)

عندما يتخلي المسلم عن العبوديه لله فإن الله يسلط هولاء المفسدون عليهم ويمد اليهود بالمال وهذا ماهو مشاهد في عصرنا ويمدهم بقوه تنصرهم لانهم ضعفاء ولاقوه لهم إلا بالاعتماد علي الغير فنحن نلاحظ ان اقوي دول العالم تمدهم بالقوه

واذا وقفنا علي نص الايه في سوره الاسراء (فإذا جاء وعد الاخره ليسؤ وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مره وليتبروا ماعلوا تتبراً)

من الموكد أن أول مره دخل المسلمون المسجد كان في عهد عمر بن الخطاب ولم يكن الحكم السياسي لبيت المقدس لليهود وانما الرومان ولهذا فإن الدخول الأول لم يكن نكايه باليهود فالوعد هنا شرعي وليس كوني

الأمر الثالث

ان الايه تبين لنا أن علي القائد أن يكون عارفا بأحوال الإتباع وطريقه تفكيرهم وان يلتقط الإشارات المبكره عن رده فعل الإتباع لما يأمرهم وأن يضع كل ذلك بالحسبان بحيث لايتفاجا برده الفعل ولهذا نجد أن موسي توقع من قومه أن يتخاذلوا عن تنفيذ الأمر فقال لهم محذرا من ذلك (ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين) انتبهوا من أي أسباب الخذلان التي تمنعكم من دخول الأرض التي فرضها الله عليكم

فهذا يدل أن موسي كان عالما بأحوال قومه وطريقة تفكيرهم ولهذا لم يدعوهم للدخول الي الارض المباركة التي فرضها الله عليهم مجرده بل ربطها بالنعم السابقه يذكرهم بماضيهم وايضا يبين لهم أن خروجهم من مصر كان له اهداف واضحه وهي اقامه دوله لهذا الشعب في الأرض المقدسة التي وعد هم الله بها وهي أرض فلسطين والأ ردن ودمشق وتمتد الي العراق والي دومه الجندل في الحجاز ومن الجنوب تصل الي رمل مصر والعريش ومن الغرب بحر الروم فذكرهم بالوعد الذي انباءهم به كما قال تعالي في سوره الاعراف (قالوا اوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)

وايضا لم يكتفي بتذكرهم بالنعم والأهداف التي ارسل موسي إليهم من أجلها بل جاء بالتحذير (ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين)

يبين لهم طبيعه المواجهه مع الخصم أنها ينبغي أن تكون وجهها لوجه فالدعوه الي الدخول فيها التقدم فانتبهوا من الاصطدام مع هذه الدعوه مثلما تنصدم الكره فترجع إلي الوراء لأن هذا يعني تخلي عن الأهداف العظيمه تخلي عن الكفاح والنضال الذي قد قطعوا فيه أشواطا من تحمل الاذي في مصر والصبر حتي اذن الله لهم بـ الخروج من مصر وماتبع ذلك من الرعايه الربانيه لهم وانقاذهم ولهذا فإن التعبير بالارتداد علي الادبار لها عده مفاهيم

١

ان موسي يريد أن يغرس فيهم الشعور بنعمه ما يدعوهم إليه فهو فيه الخير لهم فعليهم أن ينظروا الي الغايات وا لأهداف التي تحملها الدعوه لهم باقتحام الأرض ليسكنوا فيها ويقيموا شرع الله فيها لتكون هذه الأهداف نصب أعينهم لاتغيب عنهم ليعملوا علي تحقيقها لأن الرجوع عنها يكون المتقهقر كمن يمشي معكوس وعينيه مغلقه أو أنه ينظر إلي الدعوه أنها وحش مفترس فهم يسيرون إلي الوراء وابصارهم شاخصه ينظرون إلي الأمر الذي دعاهم إليه بأنه شي مخيف

٢

يقول لهم موسي أن المساله مصيريه فانتم تقفون علي مفترق طريقين اما الانطلاق وتحقيق ما وعدكم الله من العز والتمكين والملك والرخاء والازدهار والرفاهية وأما الانكسار والرجوع إلي الوراء الي مصر اي يعودن الي الذل والهون والمسكنه في مصر والعبوديه فموسي بحثهم علي تشكيل فرق عمل مشترك لبناء الدوله فأراد موسي أن يصنع منهم فريقا وأمرهم بتحمل المسؤولية والاستعداد للدخول فأراد بهذا يغرس في نفوسهم النفور من العوده الي الماضي البغيض فقال تعالي (فتنقلبوا خاسرين)

فالنصوص تضع بين أيدينا القاعده الاساسيه الفكريه التي تبني علي أساسها الجماعه المومنه فهي ينبغي أن تكره الرجوع الى الكفر كما تكره أن تقذف في النار فمعرفه الخير يكون بمعرفه الضد وهولاء قد ذاقوا مراره الاستعباد في مصر وذاقوا طعم الحريه ولهذا جاء ترتيب الخيبه والخسران علي الارتداد فدل هذا علي اهميه تربيه الجماعه علي الإيمان والطاعه والثقه بالله والعزم والتوكل علي الله لاستمرار التقدم فكانت المقدمه بتذكيرهم بانعام الله لتوفير قوه الصمود ومنع أي اختراق للخوف من قلوبهم فذكر الله تطمئن به القلوب فحب الله والمنهج الرباني الذي يحقق لهم الاطمئنان وبغض الكفر وأهله فأراد بهذا ازاله الهيبه من العدو لان الخوف مقرون بالخيبه فأخبرهم أن الخوف من الجبابره سوف بعيدهم الي الذل والهون فاللحظه حرجه فيحذرهم من الارتداد عن الدين بالعصيان وعدم الوثوق بوعد الله فإن هذا فيه التفريط بالمكتسبات فتنقلبوا بالخساره في الدنيا والآخرة لان من غضب لله غضب الله له وارضاءه في الدنيا والآخرة أنها خساره ماكسبوا من عزه وكرامه فالبقاء علي العزه أمر يحتاج الي مشقه

ثانيا

مماسبق يتضح أن موسي ركز علي حشد القدرات المتاحه واراد أن يغرس تعظيم الشعور المشترك بين اعضاء المجموعه بالاخطار التي تطرحها الازمه أمام انطلاق الجماعه فقام بالاخذ بالاسباب ومن ذلك جمع المعلومات عن العدو من خلال إرسال الجوسيس لرصد حركه العدو ونقاط الضعف فيهم ليكون سد الثغرات وقيل إن الذين ارسلهم موسي النقباء الاثنا عشر رجعوا فأخبر وا موسي بقوه شعب الجبارين وانهم ضخام الأجساد واقوياء كما ذهبت الروايات الورده في بعض التفاسير ويبدوا أن مصادرها الاسرائيليات المهم هنا لو أخذنا بهذا فإن هذا يدل علي اهميه التخطيط الجيد للمعركه وان تكون المعلومات الاستخبارية طي الكتمان فلا تخرج الي العلن حيث ذكر أن الجواسيس لما عادوا الي موسي واخبروه بما شاهدوا أمرهم أن يكتموا الخبر عن العوام فما الذي حدث أن عشره منهم خالفوا الأمر وقاموا بافشاء الخبر لبني إسرائيل عن قوه وضخامه الذين يقطنون في الأرض المقدسة وهم من بقايا قوم عاد والعمالقه وأن هنالك رجلا ن فقط منهم لم يخالفوا الأمر وهما يوشع بن نون وكالب وان اذاعه البقيه لما شاهدوا أصاب بني إسرائيل بالوهن والضعف ولهذا بدوا يتذمرون فقال تعالي وصفا ذلك الواقع بقوله تعالي (قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن

كنتم مؤمنين)

المبحث الأول

ترسم لنا النصوص خطوره مرض القلوب عندما تبتعد عن ذكر الله فهذا الداء اخطر اختراق يقتل القدرات من الداخل فهذا الداء في غايه الخطوره لانه يفتح ثغره تمنح الازمه قوه اختراق في كيان البناء تحول الموسسه الي كيان هش يسوده الفوضي والاضطراب وهذا يودي الي القضاء علي عناصر القوه لاي امه في مواجهه التحديات (الثقه بالقدرات _تكوين فريق عمل مشترك _ أن تكون القياده مصدر إلهام)

حيث نجد في رد هولاء ما فيه قتل لتلك العناصر كما يتضح من الآتي

١

ان الرد والجواب منهم علي دعوه موسي لهم لمافيه الخير لهم يدل علي السفاهه وعدم احترام القياده (موسي عليه السلام) فلم ينظروا إليه أنه مصدر الهام فهو دعاهم (ياقوم) صيغه فيها تودد وتلطف وهم يردون في غلظه وجفاء واستعلاء فقالوا (ياموسي)

فهذا فيه وقاحه وجبن ونذاله

٢

أنهم غير واثقين بقدرتهم فاخبروا موسي أنهم لاطاقه لهم بدخول الأرض المقدسة التي أمرهم موسي أن يدخولها وذكروا العله (أن فيها قوما جبارين)

فقد صح ماتوقع موسي منهم فهم منهزمون قد تغللت الهزيمه في قلوبهم وسيطرت علي نفوسهم فقرروا أنهم لن يدخلوها فسبب ووصفوا اعدائهم بأنهم جبارين اي أقوياء فدل هذا أن شعورهم بضعفهم أمام الخصم اي فلا قدره لنا لمنازلتهم وسموهم جبارين لبيان شده قوه الخصم بأنهم يجبرون غيرهم لاردتهم ويخضعونهم

لما يريدون وأكدوا عدم الثقه بقدراتهم أن قولوا (وان لن ندخلها حتى يخرجوا منها) فاكدوا النفي بقولهم لن وجعلوا الغايه أن يخرج منها الأقوياء

و قالوا ليتنا ماتركنا مصر قبل أن نموت في هذه البريه ليتنا لم ندخل هذه الأرض وأن الرجل منهم كان يقول هل يوجد من يعود بنا الي مصر

٣

فقد أراد موسي أن يكون منهم فريق عمل مشترك وان يساهموا في تحقيق الهدف والغاية التي كان خروجهم من مصر لأجلها لكنهم رفضوا تكوين فريق عمل مشترك للقيام بالمهمة وتمردوا لما غلب عليهم من الذل والضعف نتيجه الاستعباد الطويل في مصر ولهذا تمردوا وحاولوا الرجوع الي مصر وقالوا أنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وأكدوا ذلك فقالوا (فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) فدل هذا علي منتهي الضعف وخور النفوس والعزائم فهم لا يريدون استعمال قواهم البدنيه والعقليه ولا أن يأخذ وا بالاسباب فهم يريدون ان يعيشوا بالخوراق فيقولون إن قبل هولاء أن يخرجوا منها من أنفسهم وبدون سبب منا فسوف ندخلها حينئذ فقط سوف ندخل فاللّه يذم من يرفض استخدام قدرته المتاحه والأسباب لمواجهه الازمات والتحديات فلا تنتظروا الخوراق والكرامات دون بذل الجهد فهذا هو سلوك الاطفال وأماني الصبيان ولاتليق بالرجال

المبحث الثاني

ا (قال رجلان من الذين يخافون انعم اللّه عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي اللّه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

(من هما الرجلان المنسوب لهما القول)

الاراء متعدده ولهذا سوف نبين هذه الآراء وأدلتها '_

من العلماء من قال إن الرجلان هما يوشع بن نون وكالب

فهما عندما رجعا الي قومهما خافوا مخالفه الأمر الذي أمرهم به موسي خافوا مخالفه أمر اللّه فقد انعم اللّه عليهما بالهداية والصلاح والتوفيق والثبات والطاعه والوقوف علي أمر اللّه تعالى والثقه بوعده فهذه هي صفه الرجلان فقالوا للناس لاتخشوا العمالقه فهم ضعاف القلوب فماعليكم إلا أن تهجموا عليهم في المضايق وان تقتحموا عليهم الباب فجاءه وتمنعوهم من البروز الي الصحراء فإنكم أن فعلتم ذلك فإنكم غالبون

ومنهم من قال إن الرجلان هما من قوم الجبارين اي من القوم الذين يخافونهم بني إسرائيل فقد انعم اللّه عليهما ب الإيمان فأراد بهذا بيان أن الأمم التي تمارس الشر لايمتنع فيها وجود عناصر الخير حتي لاتنطمس معالم الخير

فهولاء رزقوا الفهم من الله فقالا لبني إسرائيل عليكم أن تبذلوا مافي طاقاتكم بدخول الأرض وسوف ينصركم الله

أما الرأي الثالث :ـ

قالوا إن الرجلان هما موسي وهارون واستدلوا بالاتي

١

ان الرد من بني إسرائيل بعد هذا كان (قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها) فلو كان اللذان دعوهما غير موسي وهارون لما كان ردهما موجها الي موسي فقد كان يكفي أن يقولوا أنا لن ندخلها أبدا..الخ

وأما أن يكون الرد موجها لموسي فهذا يدل أن الرجلان هما موسي وهارون ولم يوجه الرد لهما معا لأن موسي هو رجل الموقف وهارون كان ظهيرا له

٢

ان موسي قال (رب إني لا املك إلا نفسى وأخى) وهذا القول قاطع بأنه لم يكن من القوم من استجاب لموسي فقال تعالي علي لسان موسي (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فكان هو وهارون جبهه وبقيه القوم جبهه فلو كان هنالك آخرين معه لما قال لااملك ..

٣

ان النص جاء فيه (قال رجلان الي قوله (ادخلوا عليهم الباب ...الخ

وهذا الوعد بالنصر لايكون إلا عن علم سماوي وهذا لايكون إلا من نبي ورد الفريق الآخر أن قول يوشع بن نون وكالب لقومهما ذلك كان ثقه بنبوه موسي وثقه بوعد الله وان موسي لم يذكرهما لانه لم يعد يثق بأحد بعدما شاهد منهم ماحصل فلم يعد يضمن الا نفسه وأخيه

الأمر الثاني (المفاهيم في الايه)

المفهوم الاول

تبين النصوص أن العلم الحقيقي هو ذلك العلم الذي يكون مقرونا بالخشيه من الله فالله يقول في موضع آخر (إنما يخشي الله من عباده العلماء)فكل من خشيه واطاعه وترك معصيته فهو عالم فيقول الله في موضع آخر (أمن هو فأنت اناء الليل ساجدا وقائما ويرجوا رحمه ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)

فالعلم يوجب الخشيه الحامله علي فعل الحسنات وترك السئيات فمن لم يكن عالما بالله فهو لايترك السئيات ولا يتحرك لما فيه الخير له في الدنيا والآخرة

المفهوم الثاني

تبين النصوص ضروره تحويل الموقف السلبي الي إيجابي وان هذا يكون بقوه الايمان والعزم والتوكل على الله بعد الأخذ بالاسباب فقال الرجلان لبني إسرائيل خذوا بالاسباب في مباغته القوم بأن تدخلوا عليهم الباب واقتحموا المدينه فإن فعلتم ذلك فإن الله سوف ينصركم فعليكم إن تثقوا بالله ووعده فلا تحسبوا حساب العدد والعده فالله معكم وهو تعالي وعد بنصر أولياءه فقال تعالي في موضع آخر (وان جندنا لهم الغالبون) وقال في موضع آخر أيضا (أن تنصروا الله ينصركم)

المفهوم الثالث

ان ا لثبات والصمود يكون بقوه الايمان والعزم والاعتماد علي الله (وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) يشجعون قومهم علي المضي في تنفيذ أمر الله والتوكل علي الله إن كنتم واثقون بالله وتحقيق وعده مع الأخذ بالاسباب فهذه هي قوه التفوق التي حققت الصمود للمومنين في كل معركهم لأن المعركه هي معركه اراده كما حصل في غزوه الاحزاب

المفهوم الرابع

ان اللازم علي كل داعيه أن يقتحم الابواب المغلقه فلا تتركوا الساحات لأعداء الاسلام وتجلسوا في المساجد امثال الذين تصوروا أن التدين يكمن في الصلاه والانعزال في زوايا المساجد ويحدث غياب أهل الإيمان في مجالا ت عديده وساحات العمل العام لايامرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر فالاعداء سوف يحاولون اغلاق الابواب علي أهل الخير سوف يوصدون الابواب يريدون أن يعيش أهل الدعوه في عزله وانطواء من خلال اغلاق الابواب عليهم فالداعيه الي سبيل الله عليه الي فتح الابواب المغلقه ولو كان علي عتابها الجبابره ولو كان من يحراسها العتاه الطغاه فالواجب علي حمله المشروع الرباني الوصول إلي الابواب المغلقه واقتحامها بكل سبل متاحه ليقذفوا الحق علي الباطل فيفتح الأبواب التي صنعها الطغاه علي القلوب والعقول لصدها أمام دعوه الحق فالله أوحي لموسي أن يبلغ المومنين أن عليهم أن يدخلوا الارض المقدسه مهما اشتدت عليهم الظروف فلا يقفوا عاجزين فخشيه الله قوه وسماها الله نعمه فقال تعالي (قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما)

فالخوف نعمه فقد علم أهل الخشبية مواضع الضعف من مواطن القوه فأهل العلم هم أهل الخشبه فالله يقول في موضع آخر (إنما

يخشي الله من عباده العلماء) يقول ابراهيم بن زيد الكيلاني

في كتاب الامه العدد(١٣١) ان اقتحام الابواب سنه دعويه ومقصد ضروري

أنها سنه دعويه لقوله تعالي (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) فمطلوب الدعوه إذن اقتحام الابواب المغلقه

كل الابواب المغلقه مما يستدعي وجود الدعاه والعاملين للإسلام أو بالإسلام في كل ساحه وباحه ومكان وميدان وبيت وناد وشارع وطريق في كل وزاره أو مصلحه أو موسسه أو مصنع اوبنك أو لجنه أو مجلس فلا يلتقي ثلاثه ليس فيهم أحدهم الا ابدا التقصير وشأن وما اجتمعت طائفه من الناس غاب فيه أحدهم الا زاد القصور وبأن مهما كان حالهم ومهما تفاوت درجات عطائهم ونفعهم وجهادهم واجتهادهم ومهما كانت مراتبهم في الفقه والدعوه لابد من حضورهم وشهودهم بل ان اقتحام الابواب المغلقه لولوج كل ساحه ومقصد ضروري وذلك من وجوه

أولها ؛_ خلو هذه الساحات والميادين في ارض الله ومجتمعات الناس عن التحقق بالإسلام إذ انفراد الشيطان واولياءه بساحه تفريغ لها من الخير والحق وضياع للدين وحفظ الدين مقصد ضروري

الثاني

خصر الدعوه والعمل في جانب أو ركن قصي ولو كان عرصه الجامع فهذا انحصار للإسلام واقصاءه عن حياه الناس وهمومهم والاسلام معني جامع لكل مافيه الحياه كما قال تعالي (يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيكم)

فاخراج شأن مما يحيي الناس لايقبله الاسلام لانه سلب لصلاخيته وجز لصلاحه وتنقيص لمهامه وذلك الرهبانيه

ولارهبانيه في الإسلام

الثالث

ان الحق أما أن يكون موجودا في كل مكان أو يجا ءبه لأن الحق إذا جاء زهق الباطل ونفي الباطل وإزالته ضروري

الرابع

تخفيف وطأة المخالفه للشرع أو اخمال تعاليم الاسلام وادابه بوجود حمله الحق الموافقين لمطلوب الشرع الملتزمين بتعاليمه

الخامس

ان قذف الحق علي الباطل هو هدي الإسلام ومقصود الدعوه ولن يقوم به ولن يجيده الا حمله الحق فكان وجودهم اينما وجد الباطل مطلبا ضروريا

السادس

ان وجودهم في كل موقع يطعيهم القدره علي تشخيص علل التدين وأمراض المجتمع وبالتالي القدره علي توصيف العلاج وتقدير المواقف والتعرف علي المداخل وانتقاء الوسائل في استقطاب الجماهير

المفهوم الخامس

اهميه المباغته في الحرب لأنها مهاره تستخدم لغرض التشويش علي الاعداء وتمنعهم من التفكير فهذه من أهم المهاره العسكريه والتخطيط الحربي الذي جاء به الإسلام فهذه الخطه توقع عنصر المفاجاه الذي يحدث الإرباك في صفوف الاعداء

ثالثا

تاتي النصوص مبينه إصرار وعناد بني إسرائيل وتمردهم فلم تنفع معهم المواعظه التي حاول الرجلان أن يشجعوهم علي النهوض والقيام بما أمرهم الله فقال تعالي (قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

أنهم لن يدخلها مدي حياتهم فما دام هولاء الجبارين موجودون فنحن لاطاقه لنا بهم ولهذا لن نداخلها ابدا فقد نفوا دخولهم علي وجه التأييد (ماداموا فيها)

يعني لاترهق نفسك فنحن لن ندخلها مادام فيها العمالقه فقالوا بعدها (فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

وهذا فيه بيان الآتي

الأمر الأول

ان هولاء لم يومنوا حقيقه وإيمانهم منقوص من جانب الاستعانه والتوكل لان النصوص تبين أنهم عاجزون وقد بلغ بهم الخوف والجبن مبلغا جعلهم مغلوبون مع عدوهم الباطني والظاهري ولهذا لم يفهموا ما أخبرهم به الرجلان عندما قالا(فتوكلوا علي الله إن كنتم مؤمنين) فالرجلان قد اخبرهما ان إيمانهم منقوص من جانب الاستعانه و التوكل فاخبروهم أن هذا الحال يخرجهم أن دائره الايمان وان كان قصدهم حسن فهم لايعرفون السبيل الموصل

لله والطريق المفضي إليه فعليهم أن يتوكلوا ويعتمد وا علي الله ولهذا تصور لنا النصوص أنهم لم ينتفعوا بـ
الموعظه مبينه ردهم (قالوا ياموسي أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

فدل هذا أن الخوف من قوه الأعداء قد غلبهم لدرجه السخريه من قوه الرب الذي طلب منهم الاعتماد عليها والا
ستعانة بها فقالوا (اذهب انت وربك فقاتلا) فاستعمل لفظ الربوبيه لانه طلب منهم التوكل والاستعانة بـالله وهذا
من أفعال الربوبيه فكان تقدير الكلام أنهم لم ينتفعوا بالموعظه التي كان حثهم عليها ليكون كمال الإيمان فكان
تقدير الكلام اي ان صحت عزيمتك علي ذلك وصح ما تقول إن الاستعانه بالرب هي الطريق الموصل الي النصر
فاستعين انت بربك وقاتلا انت وربك قوم الجبارين ونحن لن نرجع الي مصر وسوف نقعد في هذا المكان
منتظرين لنشاهد النتيجه فإذا حصل ما ذكرت صدقنا ما تدعونا إليه

الأمر الثاني

تبين النصوص أن فطره هولاء قد افسدتها حياه الذل والهون والمسكنه في مصر ولهذا لم تنفع معهم المواعظه فـ
الشاعر العربي يقول لاتشتري العبد الا والعصا معه ..لأن من يعيش حياه الرق يفقد الاداب ولايحترم النظام الا
خوف سطوه العصا ولهذا فإن هذا القول منهم يدل علي منتهي الجفاء والبعد عن الاداب وهذا ليس أمر جديدا
عليهم فقد قالوا (ارنا الله جهره) وعبدوا العجل وقتلوا الانبياء وقد قص علينا القران الكثير من فساد هولاء الناس
لبيان قيمه الحريه في حياه الأمم فهم عديمي المسئولية

ولهذا فقد جهلوا حقيقه التوكل والاستعانة بـالله فهم عندما أصروا بعدم تنفيذ الأمر فقالوا (ياموسي أنا لن ندخلها
أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

قالوا ما قالوا بأنهم لن يدخلوا الارض حتي يخرج منها قوم الجبارين من أنفسهم دون أن يكون ذلك بسبب منهم
فقولهم (فاذهب) الفاء مفصحه اي اذا كان الأمر مثلما قلت فلتذهب انت وربك فقاتلا فدل هذا على الآتي

المساله الاولى

الاستهانه والاستهزاء منهم برسول الله وعدم مبالاه منهم فقد قصدوا ذهابهما حقيقه كما بين عنه غايه جهلهم
فكلمه اذهب صدرت منهم علي سبيل السخريه كما شاهدنا أحد الزعماء العرب يقول لمن تحمس لقتال اليهود في
فلسطين (تعال خذ حته ارض من عندنا ورحت تقتالهم انت وجيشك) يعني انه عاجز

فالاستهزاء ناتج عن عدم الشعور بالمسؤولية وقد ترتب علي هذا عدم الانتفاع من النعم والايات التي شاهدوها من
إغراق فرعون والتي ذكرهم بها موسي في مطلع القصه (اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبيآء وجعلكم
ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

فدل هذا أن هولاء لم يتلقوا الآيات بجديه ولم يتاملوا الي ماطلب منهم موسي أن يتذكروه فلو تاملوا بجديه ولو
شعروا بالمسوليه لكان منهم اختيار ماهو احسن وافضل فـالله يقول (وماهو بالهزل)

(فخذها بقوه وأمر قومك يأخذوا باحسنها)

فالاستهزاء يفسد التصور ويعمي عن رؤيه الحقيقه فبرغم أن الله عندما أخذ عليهم الميثاق قد أمرهم باخذه بقوه
فقال تعالي (وإذ نطقنا الجبل فوقهم كانه ظله خذوا ما اتيناكم بقوه)

فإن هولاء بعد انقشاع ما كانوا فيه من شدائد نسوا ذلك لأنهم لم يتعاملوا مع العهد بجديه كما أمرهم الله لأن من
ضمن العهد أن يدخلوا الارض المقدسه ولهذا لم ينتفعوا من كل الفرص والموعظ

المساله الثانيه

ان الايات تبين ان الهزل قد جعلهم عديمي الفائده وافقدهم القدره علي معرفه الضابط الذي يجدون فيه معونه الرب فقد قادهم هذا الطبع القبيح الي القول الغير محسوب النتائج فوصفوا الرب بالذهاب والانتقال وهو متعال عن ذلك فقد كان غلاظه الحس سببا لما اتصفوا به من التشبيه فنظروا الي الخالق سبحانه وتعالى بنفس ما ينظرون إلي المخلوق فكان هذا الخلل الذي افسد تفكيرهم وإهمال اعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به والطاعه له فالاستهزاء داء خطير يولد الحماقه والجهل بالنتائج ويوجب نتيجه حتميه وهي وقوع العذاب الذي كانوا يسخرون منه كما قال تعالي في موضع آخر (ولكني اراكم قوما تجهلون)

والاستهزاء يقلل من قيمه الإنسان لنفسه فهو ينزل الي مرتبه ادني من الحيوان لانه ينتصل من المسؤوليه التي علي عاتقه والتي تميزه عن الحيوان ولهذا أخبرهم الرجلان أن المسؤوليه عن النعم والإختيار بشرف حمل الامانه توجب عليهم التعامل مع مايدور حولهم وما أمرهم الله به ففي ذلك رفع لشانهم فاللازم عليهم القيام بأمر الله وان عليهم وضع النقاط علي الحروف والخروج من دائره الجهل والحماقه والذل فالمسووليه الناتجه عن الإيمان بالله ورسوله توجب عليهم الانطلاق من قاعده الايمان وان يكون لديهم ميزان ضابط للأشياء فالله يقول (اوفوا بِ العقود) فأنت مكلف بالقيام بواجب الخلافه وعلي عاتقكم مسؤوليه عظيمه لابد أن تبذلوا مجهودا للقيام بهذا الأ مر فتوكلوا علي الله

رابعا

ان هولاء قالوا ماقالوا أنهم لن يدخلوها الابعد أن يخرج منها الأقوياء من دون سبب منهم وهو ما عرف أن هولاء يريدون أن يعيشوا بالخوراق ولاشك أن امه كهذه لاتستحق أن تمتع بنعيم الاستقلال وان تحيا حياه العزه و الكرامه ولهذا قال تعالي (قال رب إني لا املك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)

القائل موسي عليه السلام شاكيا الي ربه تمرد قومه ومعتذرا له ما كان منهم فقال إنه لايملك أمر أحد يحمله علي طاعه أمر الله الا نفسه وأخيه فهو لايثق بأحد أن يطيع الله في العسر واليسر والمنشط والمكره بعد أن أخبروه (انا ها هنا قاعدون) فهذه الكلمه دلت علي خسه نفوسهم وعدم رغبتهم علي الحركه فهم لا ارده لهم لأن النفوس قد تبلدت فهي لاتنظر الي نوع الحياه التي تحيها لان الاراده والعمل من لوازم النفس فإذا كانت تعلم ما ينفعها فإن النفس السليمه لابد أن تتحرك لما ينفعها فإذا لم تبالي بنوع الحياه ولم تطلب الحياه النافعه التي خلقت لأجلها فإن حياه هولاء من جنس البهائم فهي عديمه الاحساس لأنها لم تطلب الحياه التي تنتفع بها ولهذا نجد أن موسي يطلب من الله بدعائه (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)

والفرق هنا الفصل بين الشيئين فموسي إدراك أن مقابله أمر الله من هولاء بالخروج عن الطاعه وجحود النعم التي انعم الله بها عليهم من إغراق فرعون وهامان وجنودهما وانقاذهم وغيرها من النعم توجب العذاب ولهذا طلب من الله أن يفصل بينهم وبين هولاء الخارجون في الحكم فلا يعاقبهم بما فعلوا

فجاء الحكم من الله (قال فإنها محرمه عليهم اربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تاس علي القوم الفاسقين)

وهذا فيه

١

اخبر الله نبيه موسي عليه السلام أن الأرض المقدسة محرمه وممنوعه عنهم لايدخلونها بسبب خروجهم عن طاعه الله ورسوله

فهذه عقوبه لهم فالتحريم هنا عقاب لهم بأن يعيشوا أربعين سنة في تردد وليس تحريم بمعني التكليف الشرعي

٢

(فإنها) إلفاء لترتيب العقوبه فذكر التيه اربعين سنه والتيه من التحير والتردد فضرب عليهم التيه في الصحراء اربعين سنه تأديب وعقوبه لهم ومده ذلك اربعين سنه

وحكمه ذلك هو أن ينشئ جيل جديد غير هذا الجيل الذي تربي علي الذل والهون والمسكنه في مصر

٣

يأمر الله نبيه موسي عليه السلام أن لايحزن علي التيه الذي عوقب به هولاء القوم الذين سماهم الله الفاسقين وفي هذا لفت انتباه السامعين في كل زمان أن التيه عقاب الجبناء الذين لايقفون أمام الطغاه ويقبلون بحياه الذل فالله يقول لنا انتبهوا أن تتنازل عن كرامتكم وحريتكم لأن الشعوب التي تقبل بحياه الذل والاستعباد تذهب اخلا قها ويذهب باسها وتضرب عليها الذل والهون والمسكنه فهم لايمكن أن تبني بهم دوله الحق فهم اذا وجد من يحاول أن يساعدهم لمقاومه الظلم يتقاعسون ويفقون حجر عثره وعائقا أمام حريتهم لأن نظام الذل يفسد طباعهم فانظروا الي حال هولاء فبرغم ما انعم الله عليهم من الإنقاذ من الفراعنه ومع ذلك فقد رفضوا القتال والا نتقال الي الأرض التي فيها سعادتهم وقد فضلوا العوده الي حياه الذل والهون والمسكنه في مصر ولهذا فإن اقامه دوله الحق تتطلب تحرير الإنسان قبل تحرير الأرض لان ارض دوله التوحيد ينبغي أن تكون طاهره وطاهرتها تتطلب أن يتطهر الإنسان من الشرك والدنس بأنواعه ولهذا فإن أول طهاره لروح الإنسان إنما يكون بالتوحيد وطهاره نفسه من الخبث وان يتخلص من كل ما يستبعد الإنسان من الهه فلابد من تحرير الإنسان فهذا هو معني (لا اله الا الله) فلابد أن يسبقها التخلص من كافه الأصنام وتحرر فلا تخاف الا الله وهذا يتضمن أمرين اياك نعبد واياك نستعين

والايمان باليقين الذي يعني الثقه بالله وبالرسول لتنطلق في الكون واعمار الأرض دون وجود ضغوط تمنع الحركه فالنفس اذا خامرها ميل الي الأمر فإنها تقبل عليه وهذا لايكون إلا بالثقه بالمصدر وهذا ما قاله الرجلان (فتوكلوا علي الله أن كنتم مؤمنين)

ولهذا يحصل الاطمئنان بالله ووعده فهذه هي الطهاره التي تسبق تطهير الأرض ولهذا فإن وجود الاوساخ في نفوس البشر فإن هولاء ليسوا أهلا لبناء الأرض ولذلك أخبرنا الله أنه عاقب اولئك بالدوران حول أنفسهم (يتيهون في الأرض) وان هولاء لايستحقون ان تحزن لما أصابهم من التيه (فلا تاس علي القوم الفاسقين)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث. من سوره المائده

(واتل عليهم تبأ ابنى ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني مآ أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين فطوعت لنه نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف سورى سؤءه أخيه قال يويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين من اجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جآءتهم رسلنا ب البينات ثم إن كثير ا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون إنما جزوا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأ رض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخره عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون أن الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخرجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزآء بما كسبا نكلا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

القسم الاول

هذا القسم تناول قصه ابنى ادم (قابيل و هابيل) الذي ذكر أن الإخوان قدم قربانا لله تعالي فتقبل الله قربان أحدهما ولم يتقبل من قابيل عندها اشتد غيظ وغضب قابيل نتيجه الحسد فقام بتهديد أخاه بالقتل فقال لا قتلنك ..وبعض الرواه قالوا إن لقابيل اخت جميله وان لهابيل اخت ذميمه الشكل لأن حواء كانت تحمل توأمان في جهه من بطنها وتومان في الجهه الأخري ليكون تزويج الذكر من التوام الأول بالانثي من التوام الثاني و العكس ...الخ ماذكرت الروايات ...فكانت هذه اول جريمه قتل في الأرض ولاجلها كان التشديد في جريمه القتل وأحكامها كما يتضح من الآيات

قال تعالي

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني مآ أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوري سؤءه أخيه قال يويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين)

اولا

(مناسبه الآيات بما قبلها)

ابتدأت الايه الكريمه بقوله تعالي (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق)

والخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم يا اكرم خلق الله قصه ابنى ادم قابيل و هابيل وحديثهم وهي معطوفه علي ما قبلها بالواو(واتل) اي قص عليهم بالقصه التي جرت علي ابنى ادم بالحق فمن

هم المراد أن يتلو عليهم هذه القصة هل هم اليهود الذين هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما همو أن يبسطوا إليهم ايديهم ؟ ام المراد بهم المسلمون ؟

اعلم أن الايه الكريمه تخاطب الجميع لتعدد أغراضها كونها جاءت معطوفه علي ما قبلها كما أوضحنا ولهذا فهي مقدمه لما بعدها من مقاصد حفظ النفس والمال والعرض والنظام والحق والعدل ولما فيه من العبره ولهذا فإنه بـ الوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

ان الايات تضع بين أيدينا نموذجان لتقسيم الناس أهل الخير وأهل الشر أهل الحق وأهل الباطل و يخبرنا الله أن هذا التقسيم يعود إلي بدايه فجر البشريه فقال تعالي (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق) فذكر ان أطراف هذا النباء العظيم الذي أمر الله رسوله أن يخبر الناس قصتهما هما ابني ادم اي من صلبه لامن ذريته من بني إسرائيل لأن الله يتعالي أن يخاطب عباده بما لايفيدهم به فائده فالمخاطبون يعلمون أن تقريب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم دون بقيه سائر الخلق وطالما أن هذا معلوم عندهم ولهذا فلابد أن يكون لذكرهم بأنهم ابناء ادم الا فائده أنهم لصلبه والا فما فائدة هذه الكنايه في مخاطبة العباد لو كان مراد به أنهم من ذريته وكذلك لايخفي علي أحد أن بني إسرائيل كانوا يعلمون كيف يدفن الميت فلم يكونوا يجهلون ذلك ولهذا فـالله يضع بين أيدينا نموذجان ليقول لنا أنه منذ فجر البشريه قد جعل الله للخير اهلا وأنصار وجعل للشر اهلا وأنصار حيث كان اعتبار ادم مشروع الخير ومدرسته واعتبار ابليس مؤسس مدرسه الشر عندما رفض القبول بأمر الله وابوه مدرسه الشر الا نونه (انا خير منه) وباعثه الحسد والكبر . وابواه مدرسه الخير هو المنهج الرباني (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

فالمنهج الرباني فيه السعاده والسلامه والاطمئنان والعيش في جنه الايمان في الدنيا قبل الآخرة وان مخالفه المنهج وعصيان أمر الله يعني فقدان القوي العقليه المنطقيه والعيش في التخبط والقلق والتوتر والتيه والضياع والخوف من المستقبل وهذا هو التيه المذكور في الايه السابقه فهو عذاب مصدره غضب الله وسخطه ووفقا لهذا المعيار يمكن التميز بين النوعين لكن نتيجه كثافه ضبابيه الرؤيه التي تعمي الناظر وتحجب الرؤيه عن الناس تأتي النصوص مبينه منابع الشر في الإنسان فذكر الله لنا هذه القصه لبيان ان اصوال المدرستين مدرسه الخير المشروع ومدرسه الشر المصنوع فيخبرنا الله أن منشأ العلل ومسببات التراكم للانحدار المنهجي والفكري لدي اليهود تعود بدايتها الي قابيل الذي موسس مدرسه الشر في الإنسان حيث اتحدت مدرسته الشريه مع مدرسه ابليس فهو أول متلق تعاليم الشريه في العالم واول منفذ لها واول منفذ عمل الشيطان في ابطال التشريع الا يماني ومخالفه المنهج السماوي فمن خلال قابيل توسع الشيطان في مشروع الافساد في الأرض فكان هذا البيان مناسبا لبيان البدايه التي حصل فيها الفساد من بني ادم بعدما تحدثت الايه قبلها فساد بني إسرائيل الذين رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهود والمواثيق التي تلزمهم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب الحسد لأن الرسول الخاتم جاء من امه العرب فذكر الحق أن منبع هذا الانحدار يعود إلي قابيل الذي حسد اخيه وقام بارتكاب اول جريمه قتل في الأرض وان هذا هو باعث ابليس في رفض الاعتراف بفضل ادم وخالف أمر الله فكان ذكر القصه لبيان منابع واصوال هذا السلوك

الأمر الثاني

ان الايات وردت بعد أن تحدثت النصوص عن مفاسد بني إسرائيل الذين رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا الانتقال الي الاسلام تنفيذا لأمر الله فهم رفضوا القبول باختيار الله للرسول صلى الله عليه وسلم لا نه لم يكن من بني إسرائيل وهذا العصيان منهم ليس بجديد فهم لم يقبلوا بأمر الله عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة وكان منهم العصيان لأمر الله وهنا يخبرنا الله أن قابيل رفض القبول بحكم الله وأصر علي مواقفه برغم محاوله أخيه صرفه عن الاجرام فكان مناسبا عطف القصه علي القصه لبيان أن رفض هولاء الانتقال في قراءه

المطلب الرباني الي الإسلام يجعلهم تابعين لمدرسه الشيطان وانهم بهذا التمسك للتوراه حسب زعمهم إنما يخدمون المنهج الابليسي باسم التوراه لانه تم تعطيل العمل بها فاخبرنا الله بقصه قابيل و هابيل وحديثهما لأنهما كانا في موقف طاعه لله ومع ذلك دفعه الحسد الي ارتكاب الجريمة التي أخرجته من الخير بالكليه وصار اول من اسس مدرسه الشر من البشر والتحق بالظالمين ومدرسه الشر الابليسه وبالتالي فإن سلوك اليهود وإصرارهم علي عدم الانطوي تحت رايه الاسلام يلحقهم بقابيل وإبليس اللعين فقد فشل هولاء في حمل الامانه فكان خروجهم عن شرط الابواه الشرعيه التي

الأمر الثالث

يقول الحق أن الابواه الشرعيه هي أبواه المنهج واقامه العهد فليس العبره بالتسلل العرقي وانما باتباع المنهج الرباني الذي يكون به التسلل والارتباط في المراحل المتلاحقه رغم تباعد مسافاتها ولهذا نجد أن هابيل في حواره مع أخيه قابيل يقول له (إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

فأصحاب النار هم الذين يرفضون اتباع المنهج الرباني كما هو في العهد المقطوع مع ادم حينما سلم مفتاح الأرض ليكون خليفه عليها فقال تعالي (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

وإبليس قال كما ذكر الله تعالى (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) وقال تعالي أيضا في سوره الاسراء (الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارءيتك هذا الذي كرمت على لئن اخرتن الي يوم القيامه لاحتنكن ذريته ا لا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ...الخ

وهنا قال (ذلك جزء الظالمين)يشير إلي هذا الأمر والربط بين النص وماقبلها أن التسلل العرقي لم ينفع ابن ادم قابيل الذي كان من صلب ادم فهو لم يلتزم بالعمل الصالح فهو وإن نسب الي ادم من جهه الدم والنسب فهو من صلبه مباشره إلا أنه صار تابعا لإبليس ومدرسه الشر الابليسه (الظالمين) وكذلك فقد فشلت اليهود فشلا ذريعا في حمل الامانه الابويه الشرعية التي كلفوا بحملها وصاروا تابعين لمدرسه الشر والابواه الانونيه الابليسه

فالخروج عن المنهج الرباني وابواه المنهج الشرعي بارتكاب الجريمة والمعاصي تنزع عن الإنسان إنسانيته قبل كل شي وتجعله من جنس الشيطان فالله يقول في سوره الاسراء (وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا)

وهنا أخبرنا الله (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) وقد وصف الله بني إسرائيل أنهم قوما فاسقين فهم رفضوا الانصياع لأمر الله ولم يقبلوا بالتوكيل علي الله ليكون حمايه لهم من الوقوع في قبضه الشيطان مثلما زينت النفس الاماره بالسوء لقابيل فعلته فصار تابعا للشيطان وانقطعت صلته بادم ومدرسه الخير. كذلك كان فصل بني إسرائيل عن موسي وهارون عندما رفضوا تنفيذ أمر الله فقال موسي (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فأراد بهذا الحق أن يبين أن الصله وقرابه الدم والنسب بالانبياء لاقيمه لها اذا لم يتم الا لتزام بالمنهج الرباني فهو مصدر التسلل الأبوي الشرعي ولهذا فقد صار قابيل ادني منزله من الغراب عندما ترك المنهج فقال تعالي علي لسان قابيل

(ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدل هذا انه اعترف أنه بفعلته تلك وقساواه قلبه فقد كل مشاعر ه وعواطفه فهو فقد حتي عواطف الغربان سوداء اللون التي قال الشاعر العربي اذا نطق الغراب وقال خيرا فأين الخير.من وجه الغراب ....فقد راي قابيل نفسه أنه صار بلا انسانيه ولا خير فيه وكذلك فإن الله قد أخبرنا أن اليهود قلوبهم اشد قساواه من الاحجار

الأمر الخامس

ان النص فيه تقبيح الحسد فالاصل أن انتماء اليهود للتوراه أن يكون دافعا الي الالتحاق بالإسلام وان ينفر من الكفر والشرك ومع ذلك اتحدت اليهود مع أهل الشرك ضد الإسلام وتمنوا لو باستطاعتهم اعاده المسلمين إلي الشرك فقال تعالي في سوره البقره (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الهدي ...الخ

فيخبرنا الله أن أصل هذا المرض بالنسبه للبشر يعود إلي قابيل اول من ابتدأ الشر في البشريه ودوافعه هو الحسد فهذا الداء هو الذي دفع اليهود الي اعلان الحرب ضد الإسلام فهذا الداء الخبيث هو اصل الشر وهو الذي دفع ابليس الي رفض القبول بأمر الله فيقول الحق لاتستغربوا ما حدث من اليهود الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فالاصل أن الانتماء الي الأديان السماوية أن يولد فيهم النفور من الوقوف ضد الحق لكن داء الحسد خطير ولهذا يقول الحق لنبيه (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر) بعد أن ذكر الله ما كان من اليهود من الأعراض عن الإسلام برغم وضوح البرهان فذكر قصه ابني ادم لبيان ان الحسد الذي حمل قابيل علي قتل هابيل وهو الذي صرف اليهود عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وحملهم علي عدواه الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر الايه لبيان خطوره الحسد فإنه يودي الي سفك الدماء فقد كان باعثا لقتل الاخ أخاه فلا تحزن من سلوك من اليهود

ثانيا

بالنظر الي الايه نجد أنها تضمنت الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق)

ولم يذكر مكان القصه ولازمنهاوجاء بلفظ العموم وانما أشار أنهم ابني ادم من صلبه والايات ترسم لنا الآيات نموذجين نموذج الشر قابيل الذي تصوره الآيات أنه عنوان للجريمه والظلم وبالمقابل ترسم نموذج الخير الذي يجسد صوره أهل الخير التقي الورع الذي يسعي لنشر الخير والحب في المجتمع فلماذا جاء النص بهذا العموم للقصه وأشار إليه أنهم ابني ادم وابتدا بالايماء أنه نبأ عظيم وان تلاوه القران فيه الحق

الجواب

الأمر الأول

ان عليك أن تفهم أن المراد من القصه هو أخذ العظه والعبره لتربيه المومنين بالقصه فكان إجمالها لتعريف المسلم بالخلق الفاضل والحث علي امتثاله وبيان الخلق السئ والتنفير منه فأراد بقوله (واتل عليهم نبا ابنى ادم) اي ذكرهم بهذه الواقعه فالتذكير بالخير بما في القصه من نموذج الخير ونموذج الشر للتنفير من الخلق السئ وهذا إنما يكون بان تعيش فصول القصه وأحداثها كانك حاضرا فيها وطرفا أساسيا مشاركا فيها فالمسلم عندما يقرأ هذه القصه يجب عليه أن يعيش ظروفها بالمشاركه الشعوريه فينظر الي أفعال قابيل بالبغض والكراهية وينظر الي هابيل وأقواله نظره الحب والاحترام له ليحصل علي الفائده ولهذا قال تعالي (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق) فالتلاوه هي القراءه وتكاد لاتستعمل الا في قراءه القران الكريم كلام الله تعالى والنباء هو الخبر الهام فالله يقول في موضع آخر (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) وهذا فيه الاثاره لأن السامع عندما يسمع قوله تعالى (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق) لابد أن الميل الفطري لديه الي القصه يدفعه الي معرفه القصه فالله يدرك الميل الفطري الي القصه ويدرك مالها من تأثير ساحر علي القلوب فيستغلها لتكون وسيله من وسائل التربيه والتقويم ليكون التعريف بالخلق الفاضل

الأمر الثاني

ان القصه ليست للفكهه والتسليه والله‌و بل لها اغراض ولهذا قال تعالي (بالحق) اي ملتبسه بالحق والصدق الثابت لأنها من عند الله ومن اصدق من الله حديثا كما قال تعالي في موضع آخر (نحن نقص عليك احسن

القصص ..الخ ويصح أن يكون الحق هو العامل وهو الجد غير الهزل ويجوز أنه بالحق أنه فيه الحقيقه التي لا زياده فيها ولانقصان فدل هذا علي أن هنالك روايات غير صحيحة عن هذه القصه وفيه أيضا التنبيه علي اهميه استخدام القصه في التعريف بالخلق الفاضل والخلق السئ فعرض علينا نموذجان الخير والشر ليكون التنفير من الخلق السئ المتمثل بقابيل والحث علي سلوك الخلق الفاضل المتمثل بهابيل والتعريف هنا يكون بالتذكير بالخير بما يرقق القلب ويقوي قوه الاراده والمحبه لعمل الخير فتكون قوه جاذبيه لعمل الخير ويقوي قوه الغضب و البغض والكراهيه للشر وأهله لتكون قوه دفع لسلوك أهل الشر ولهذا ابتداء (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق) اي ذكرهم بقصه ابني ادم فهذه الواقعه تعرض لهم نموجان لحاله البشريه وتقسيم أهل الخير وأهل الشر فالقصه واقعيه حدثت في مرحله من مراحل تطور البشريه والغرض منها العظه والعبره وغرس الخلق الفاضل في النفوس والحث علي اقامه منهج الله في الحياه بأن يعيش المومن حياته كلها لله تعالي وينظم ويضبط أحواله وعلاقاته مع نفسه ومع الآخرين سؤاء كان فردا أو جماعه أو دول وفق منهج الله فلا يجوز الخروج عنه ولهذا لم يحدد أماكنها ولا اسماء اشخاصها ولكن أشار إلي أن أطرافها ابنى ادم من صلبه فأراد بهذا من جهه الاشاره الي أنهم ابني ادم بيان الحاجه الي الدوله لمنع انتشار الجريمه وحمايه حق الفرد والمجتمع ومنع الظلم والجريمة كما تبين الآيات بعدها (من أجل ذلك كتبنا ...الخ والايات وردت بعد ذكر امتناع بني إسرائيل من تنفيذ أمر الله تعالى الذي أخبرهم به موسي أن يدخلوا الارض المقدسه التي كتب الله أمر دخولها لإنشاء دوله تحكمها شريعه الله فهذا أمر تقتضيه حاجه الاجتماع فاقامه شريعه الله لاتكون في النفوس فقط فلابد أن تخرج الي ميدان الحياه فالعقيده ليست مقصوره علي الضمير فلابد لها من سلطه فكان هذا مناسبا الاشاره الي هذه القصه لبيان ان تطور البشريه اقتضت ضروره انشاء دوله لمنع الظلم ومن جهه اخرى فان عدم ذكر أطرافها بالاسم ولا المكان تهدف لبيان ان الواقعه سوف تتكرر في حياه البشر لان عدم ذكر أطرافها يعني أنها واقعه سوف تتكرر بعكس لو ذكرهم كما هو شأن تلا وه قصه مريم نجد أنه يقول مريم ابنته عمران لان ولادتها لعيسي أمر لن يتكرر من امراه اخري فأراد تربيه المومنين علي الخلق الفاضل وتهيئة الظروف للقضاء على الجريمه بما تسكب في النفوس من مشاعر كراهيه الشر وأهل وبواعثه فالمراد بهذا بناء خلق المسلم فاستعملت القصه لتربيه المومنين وتكوين الرأي العام الفاضل في المجتمع المسلم بحيث يغرس في نفوسهم وقلوبهم وتفكيرهم النفور من الحسد والتحرز من هذا الداء الخبيث

ثالثا

في إطار التعريف بالخلق الفاضل والحث علي امتثاله وبيان الخلق السئ والتنفير منه واهميه السلطه التي تنفذ حكم الله ولتحمي الخير وأهله تقدم لنا النصوص هذه القصه بأسلوب في غايه الروعه والجمال باسلوب قادر علي تحقيق أهدافه فقال تعالي (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني مآ أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

المشهد الاول

ترسم لنا النصوص في المشهد الاول الظرف والموقف الذي نشأت عنه فصول القصه بأسلوب يثير الإنتباه فقال تعالي (إذ قربا قربانا)

فالموقف لاينبئ أن ينتج عنه فعل إجرامي فالظرف (إذ) متبوع بموقف طاعه الله والوقوف بين يدي الله (قربا قربانا) فالاخوين كانا في موقف التقرب من الله تعالي فالقربان اسم جامع لكل مايتقرب به الي الله تعالي من ذبيحه أو صدقه أو صلاه أو توحيد أو طاعه

ثم تذكر النصوص نتيجه التنافس بينهما في موقف الطاعه التي كانا فيه فيخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنه تقبل القربان من أحدهما ولم يتقبل من الاخر فقال تعالي (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر) والقبول أمر كان في الأمم السابقه يعلم من خلال علامه تدل علي قبول القربان أما أن تنزل نار من السماء فتاكله كما تذكر الروايات

أو بالعاده أو بامارات وعلامات كانت معروفه لديهم فاخبرنا الله أنه تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل

والأصل أن الظرف والوقت الذي تتحدث عنه النصوص موقف طاعه فهو تنافس علي فعل الخير والأصل أن لاينشا عن هذا ارتكاب أي جريمه فهو تنافس مشروع لكن ما الذي حدث ؟

تذكر النصوص لنا في الشطر الثاني من المشهد الاول النتيجه في كلمه مختصره توجز لنا مخاطر فساد قوي الغضب والحب الموجوده في نفس الإنسان التي تشكل غرائز خطيره علي الإنسان و تفسد الاستقرار في الأرض وتسفك الدماءاذا لم يتم تزكيتها فقال تعالي للتعبير عن ذلك (لاقتلنك)

اي أن قابيل الذي لم يتقبل الله منه ماقدم من قربان اضمر في نفسه الشر فترك ذكر المتقبل قربانه والمردود قربانه استغناء مما قد جري من ذكرهما عن اعادته

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

ان عليك أن تعلم أن كل ذي نعمه محسود ولهذا جاء الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه (واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك)

اي واذكر يااكرم خلق الله لقومك ولليهود خبر ابني ادم لياخذوا العبره من قصه ابنى ادم فظاعه الحسد وشناعته اذا استحكم من القلب فإنه يبعده عن الحق لان اليهود الذين كانوا يدعون أنهم اهل دين رباني قد أعلنوا العدواه للرسول صلى الله عليه وسلم واستخدموا كافه الوسائل لمحاربته نتيجه الحسد لان الله اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة الاخيره ولهذا قال تعالي أن هذا الخبر متلبسا بالحق والصحه لانه من عند الله وموافقا لما في التوراه والإنجيل فهم يعلمون صحه ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصود هذا الخبر تقبيح الحسد لان اليهود كانوا يحسدون الرسول صلى الله عليه وسلم وامه الاسلام لأن الله اختارهم لهذه الرساله العظيمه فيقول الحق أن الأصل أن ألتوراه والإنجيل إنما انزلهما الله عليهم لأجل أن يدلهم علي كيفيه التقرب الي الله ولهذا فإن مجئ الاسلام الذي نسخ الكتب السماوية السابقه وهو جامع لجميع الديانات وصور التدين الانسانيه أن يبادروا الي الالتحاق بالإسلام فهو الدين المهيمن علي بقيه الرؤوي والأفكار والمعتقدات وبالتالي فإن رفض هولاء القبول بأمر الله بقراءه مراد الله وفقا لما جاء به القرآن يعني أنهم صاروا اتباع الشيطان وقد انحرفوا عن طريق الهدايه واصبحوا خارج ميدان الدين والتدين فهم قد جمعوا بين الكبر لانهم لم ينقادوا لأ مر الله وبين الحسد لانهم يكرهون ما انعم الله به علي المسلمين فهم معادون الله تعالي لانهم يكرهون ما احب الله ويحبون زوال الاسلام والله يكره ذلك ولهذا اردوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه كما أخبرنا الله بقوله(إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم..الخ فافعالهم هذه مضاده لله في قضائه وقدره ومحبته وهذا هو ذنب قابيل الذي دمجت مدرسته الشريه مع مدرسه ابليس الذي وصفه الله أنه عدوه فذنبه كان عن كبر وحسد ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى استخدم الفعل المبني للمجهول (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر)

أن هذا البناء للمحهول بالفعل فتقبل ..يشير إلي أن أمر القبول من عدمه موكول الي قوي غيبيه وهو الله تعالي و لامعقب لأمره فلم يكن لقابيل أن يعترض علي أمر الله في قبول قربان أخيه وكان عليه أن لايحسد أخيه لأن هذا اعتراض على أردته تعالي وانعامه وكذلك فإن في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم واختيار هذه البقعة من الأ رض مكه وأمه العرب لقياده العالم نعمه من الله فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيكون رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي وكان عليهم اصلاح الخلل في حياتهم بالالتحاق بالإسلام بدل من تحريف كتبهم وصرف اتباعهم عن الإسلام

المفهوم الثاني

يبين الحق سبحانه وتعالى أن التنافس علي اعمال الخير أمر مرغوب لكن لاينبغي أن يتحول هذا التنافس الي قوه صراع بين عناصر العاملين في ميدان الدين والتدين نتيجه التزاحم علي المراكز القياديه التي تكفل بقوه القسر والقمع مصالح شخصية تسعي العناصر المتخلفه الي تحقيفها من خلال اظهار التدين وانما المطلوب التنافس الذي يودي الي تطوير القدرات والكفاءات والمواهب فتاسيس دوله الاسلام تتطلب وجود الحوافز و المكافاه فشعور العامل أن عمله سيكون محل تقدير يدفعه الي إنجازه علي اكمل وجه ولهذا كان لابد من وجود الحوافز واعتماد نظام المكافآت ليبرز كل واحد مواهبه ولهذا فلابد أن تمكن كل واحد من فرص متكافئة كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده فيصل الي المكان المتناسب مع هذه المواهب والجهود ومن لايستطيع أن يبرز مواهبه أو يقوم بالجهد المطلوب فهذا لايتساوي مع الذي أتقن العمل وهذا عليه أن يحسن من مستوي أداءه فلا يتحول الي طاغيه ومجرم ولايمكن أن يمنح مامنح المجتهد لأن هذا مخالف للعدل والانصاف ومصادم لامكانيه التطور التي تحتاج إلي ذوي الكفاءه والي جهود بناءه متناسقه ومتعاونه ومنسجمه كي يظل الباب مفتوح علي الدوام لمن يتقن العمل ليأخذ مكانه ولهذا كان تقديم القرابين يعرف منه الذي بذل الجهد المطلوب وكان منه إتقانه علي اكمل وجه لتدريب الإنسان علي كيفيه التحسين في الأرض وعدم الافساد فيها وايضا تزويد الإنسان البدائي علي صقل المواهب والقدرات والمهارات بينما نحن لا نعلم اليوم هل يتقبل منا الأعمال ام لا ..فالحق قد خلق الناس متفاوتون ولم يضعهم في قالب واحد وانما ترك للمجتهدين والمثابرين أن يحصلوا علي نتائج اجتهادهم ومثابرتهم في إطار التراحم والتآخي بين أفراد المجتمع بضبط قوتي الحب والغضب فالحب لله والبغض في الله فقال تعالي في موضع آخر (ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لايظلمون) وقال تعالي (ولاتبخسوا الناس اشياءهم)

وبالتالي فلا يكون التنافس علي اعمال الخير بشكل عام سببا الشقاق والاختلاف وهو مانراه اليوم في عمل الجماعات الإسلامية المتعدده التي صارت سلوك أغلبها العدواه والاحقاد رغم أنهم في مواقف طاعه لانهم يتقربون الي الله بأعمالهم وهو ما يفترض أن يكون دافعا للحب والتسامح والسلام لا الحرب والعدواه .

المشهد الثاني

يبدأ هذا المشهد ببيان رده فعل هابيل من تهديد أخيه له بالقتل عندما أظهر مافي نفسه من خبث الحسد والكبر و الغضب بقوله (لاقتلنك) حيث نجد ان هابيل سلك في رده فعله عده خطوات لإصلاح ومعالجه الآفات التي استحكمت علي قلب أخيه بعد أن شخص الداء وعرف أنها هذه الآفات صارت في كيان أخيه فكانت تلك المقدمه التي فيها تأكيد وإصرار من أخيه بقوله لاقتلنك..بيان ان علي الداعيه أن يشخص الداء تشخيص سليم لمدواه المرضي فقد كان هذا التأكيد من قابيل بنيته قتل هابيل بهذا التهديد دليل لأخيه الطيب المومن أن هذا التهديد سبقه إضمار أخيه لبواعث هذا التهديد ناتجه من اربعه (الكبر والحسد والغضب والشهوه) ولهذا بادر الي طرح العلاج لهذه الأمراض كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

قال تعالي (إنما يتقبل الله من المتقين)

يقول له ماذنبي إن لم يتقبل الله قربانك لتقتلني اسلوب فيه تودد ومترافقا بأخيه لانه علم أن أخيه شعر أن كبرياءه قد تم المساس بها فأراد أن يهدم ركن الكبر ليسهل علي أخيه الانقياد للحق ثم قدم له النصيحه و الموعظه ان عليه أن يبحث عن أسباب عدم قبول الله لعمله فأخبره أن الله لايقبل من الأعمال الا ما كان خالصا له تعالي فعليك أن تفتش في نفسك عن القصور الذي كان سببا لعدم القبول فحاسب نفسك فالله لايقبل من العمل إ لا ماكان طيبا فالله طيب لايقبل الا طيبا فالتقوي من شروط قبول الأعمال والتقوي من صفات القلب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (التقوي ها هنا) وأشار إلي قلبه وحقيقه التقوي أن يكون العامل علي خوف ووجل من تقصير نفسه فيما اتي به من الطاعات وان يكون في غايه الاحتراز من أن يأتي بتلك الطاعه لغرض غير

مرضات الله كان يطلب الشهره أو الرياء فالنصيحه والمواعظه تهدف إلي هدم ركن الحسد وإزالته من قلب أخيه بتخويفه من الاخره وارشاده الي الطريق لقبول القربان لان الحامل علي تهديد أخيه هو الحسد فلو هدم وازال من قلبه الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله ولهذا استخدم هذا الأسلوب في رده فعله علي تهديد أخيه يقول له ما ذنبي فهذا القول منك معاده الله في كراهيه ما انعم الله به عليا وبدل أن يشتعل قلبك بنيران الحسد عليك أن تفتش في أسباب عدم قبول الله لقربانك في نفسك فعليك ان اردت ان يتقبل الله عملك أبصار سنن قبول العمل واستدعاء منهج الله ليكون دليل عمل وبوصله هدايه للوصول إلي مرضاه الله وان تنظر إلي الظروف التي أحاطت بعدم قبول قربانك واول هذا هو الخلوص من ذهنيه التخلف والعجز ومحاوله إلقاء بالتبعه عليا فأنا لاذنب لي فإذا أردت أن تتجاوز هذه الازمه وتتمكن من اكتشاف الخلل عليك أن تروض نفسك وتمرن عقلك علي شجاعه الا عتراف بالخلل والاعتراف بالفشل والاخفاق أنه من عندك بعيدا عن المكابره بغير الحق والاعتراف بالمسؤولية عنه وعدم إلقاء بالتبعه علي من لاذنب له فعليك استشعار مسؤوليتك وإدراك ابعاد الطاعه والقربان الذي تقدمه واستبانه أسباب القصور ومواطن التقصير

فالله لايقبل طاعه الا من مومن تقي ولهذا فأنت عندما تصلي أو تصوم وقلبك ملئ بالكبر والحقد والحسد فاعلم ان الله لايقبل صلاتك وعندما تقوم بأي عمل ايه المسلم فعليك أن تراقب الله وتخلص النوايا وتفتش في نفسك عن الشؤائب التي تفسد العمل حتي لاتحرم الثواب

الأمر الثاني

(يضع علاج لقوه الغضب)

يقول تعالي أن الذي تقبل قربانه قال لأخيه الذي لم يتقبل قربانه

(لئن بسطت إلى يدك لتقتلني مآ أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين)

ان النص في الايه الكريمه يعطي المسلم اسلوب الخطاب الذي يعالج فيه داء الغضب الذي يتحول فيه التنافس في الأعمال سؤاء بالدنيا أو بأعمال الخير أن تحرص علي تقويه روح الاخوه علي المكاسب الماديه وأن تعمل علي بث روح الاخوه من خلال تقويه قيم السلام واشاعه المحبه فهذه الأمور لها وظيفة اجتماعيه هامه وهو حاجه نفسيه للقضاء علي بواعث الشر والتحاسد من خلال اظهار التبشيش ولازاله الايحاش وازاله مشاعر الجفوه وإظهار الحب والالفه لمحاربه جراثيم التحاسد والتنافس المذموم فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (لمومن مالفه ولاخير فيمن لايالف ولا يولف) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد و البغضاء وهي الحالقه لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنه حتي تومنوا ولا تومنوا حتي تحابوا أفلا انبئكم بما يثبت ذاكم لكم افشوا السلام بينكم)

ولهذا نجد أن النموذج الطيب المسالم يرد علي تهديد أخيه بأسلوب فيه اشاعه المحبه والسلام يمتص غضبه فيقول له انك لو مددت يدك لتنفذ ما هددتنا به من القتل فأنا لن ارد عليك بمثل هذا فلن أمد يدي اليك لأقتلك فأراد اظهار الموده والاخوه التي تربطه بأخيه أراد ان يزيل قوه الغضب من قلب أخيه فبين له انه يعرف حقيقه نفسه فهي لاتستحق أن يغضب لها وينتقم لها يقول له إني عودت نفسي أن لاتغضب الا لله تعالي سبحانه وتعالي ولما يرضيه فذكر (اني اخاف الله رب العالمين)

فانا أخشي أن يرني الله في موضع الإجرام وسفك الدماء فبين للناس اهميه احترام الدماء وحفظ الأنفس لاسيما بين الاخوه ثم ذكر أن خوفه من الله رب العالمين فذكر ربوبيته تعالي للعالمين لبيان انه ليس في قلبه العصبيه التي تظهر عند غياب روح الاخوه وينتشر التحاسد والتباغض فهو يدعو إلي حفظ الأنفس للناس كلهم فمن وهب لهم الأرواح هو الله تعالي والاعتداء علي أرواحهم مفسده واعتداء علي نعمه الله علي عباده فأراد بهذا نبذ

العصبيه ولو كانت هذه العصبيه باسم الدين والتدين لأن هذا يتناقض مع حقيقه الايمان فالمسلم يدعو إلي السلام وينشر المحبه وهذا فيه

ان علي المومن وقت الفتن أن يستحضر جميع مايقدر علي استحضاره من عظمه الله وجلاله وكماله وتقديره حق قدره فقال تعالي (اني اخاف الله) ثم وصفه بالاحسان الي خلقه ليكون ذلك مانعا من الاساءه لأحد منهم

ولايعني هذا أنه لايكون الدفاع عن النفس من الخطر المحدق فليس معني كلام هابيل أنه كان مستسلم لأخيه كي يقتله كما حاول البعض تصوير الأمر فهذا غير سليم وانما المساله فيها بيان كيفيه التعامل مع الآفات التي يواجهها الداعيه الذي يحمل المشروع الرباني فقد أراد أن يزيل الغضب من قلب أخيه لانه لو حصل ذلك لسهل عليه قبول العدل والتواضع فلا أتصور أن يكون قوله ذلك لأخيه من قبيل الخضوع والاستسلام لأخيه كي يقتله الا إذا كانت تعاليم ادم لابناءه التي كانت هي شريعه الله آنذاك لاتسمح برد القاتل الصائل والله اعلم

الأمر الثالث

(بيان علاج فساد قوه الشهوه)

(إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

يبين لأخيه أن الفرق بينهما هو أن قابيل فتح لنفسه ابواب الشهوات وتحقيق رغبات نفسه ولهذا فهو جاهل بما ينفع نفسه فالبغي الذي اظهره بالتهديد بقتله يعود لانه قدم المكاسب الماديه علي روح الاخره فصار بنظره التنافس مادي مجرد من القيم وهذا أساس الآفات ورأس الخطئيات واصل الفتن وعنه تنشاء الشرور وماله الي فوات المكاسب الماديه فتقديم المكاسب الماديه من حب الشهره أوالرغبه في الفتاه الجميله التي كانت من نصيب هابيل لايعطي الشعور بالسعاده وهو يسلب الخير ولهذا يقول له أن نظرتي للدنيا تختلف عن نظرتك فأنا أعلم أني مسافر الي الله والدار الآخرة فأنا لن اعطي نفسي رغباتها بالانتقام منك والتخطيط لقتلك قبل أن تنفذ تهديدك لأننا اعلم انني لو اعطيت نفسي شهوتها إنما اكون ساعيا في حرمانها من أسباب سعادتهاالحقيقه الابدايه ولهذا فأنا قد أغلقت عن نفسي تلك الأبواب لانني أريد أن ترجع باثمي اي بذنب قتلي وذنبك لأن الله لم يتقبل قربانك فالفرق بيني وبينك أنني تغلبت علي شهوتي وغضبي لأجل أن يفرق الله بيني وبين الشيطان أما أنت فقد غلبتك شهوتك وغضبك فصار الشيطان مسيطرا عليك ولهذا فأنت الخاسر لانك صرت تابعا لمدرسه الشر ومن الملازمين لجهنم الذين لايفرقونها فهذا هو جزء الظالمين فأراد بهذا أن يخوفه من الجريمه مبينا له أنه هو الخسران لو ارتكب جريمته فالشهوه مثل النار تلازم صاحبها ولهذا نجد أن الايات وردت بعد قوله تعالي (اني اخاف الله رب العالمين) فهو يقول لأخيه أنني اخاف الله وعاقبه فهذا مانعا من الاساءه لأحد من خلقه فهو رب العالمين اي المنعم علي خلقه بنعمه الايجاد ثم التربيه والأخلاق الفاضله فانا لا اريد أن اخرب مابني الله في أرضه لأن هذا إفساد في الأ رض وانا عبد لله والعبد لايري لنفسه ملكا وحسن الخلق الذي ربني الله عليه يجعلني احتمل الاذي ولا اغضب لنفسي وطيب الكلام وما تقبل الله ما قدمت الا لأنني تعاملت مع الله وأخرجت الخلق من المعامله معه تعالي ونفسي هو أول الخلق الذين اخرجتهم

رابعا

بعد التذكير والعظه والتحذير يقول تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)

و هذا فيه الآتي

الأمر الأول

أنه حصل تردد في نفس قابيل فوجد قوه منع تدفعه من ارتكاب الجريمة فقد كان هناك قوه مانعه ودافعه قوه

نفور من ارتكاب الجريمة وهناك قوه جذب تدفعه لا رتكاب الجريمه وهذا يدل أن هنالك قوه مانعه من قتله خاصه بعد التذكير والعظه والتحذير التي سلكها هابيل مع أخيه قابيل لصرفه عن ارتكاب الجريمة والتي ركز فيها علي محاوله اصلاح قوه الشهوه والغضب في نفس أخيه فقال له

ان قوه الحب والارده قوه جاذبيه ينبغي أن تستغل في حصول المحبوب الحقيقي الذي فيه السعاده الابديه وهو في طاعه الله فقال تعالي (إني أريد) فالأمر بالمعروف صادر من قوه المحبه والارده وفساد هذه القوه إنما تكون بحب الدنيا ومافيها من ملذات وان قوه الغضب من قوه البغض والكراهية فهي ينبغي أن تكون قوه دفع ومنع لا رتكاب المحرمات والمعاصي لا أن تستخدم في كراهيه الخير ثم استعمل الترغيب للحث علي فعل المعروف بقوه محبه الله والدار الآخرة واستعمل الترهيب للزجر عن المنكرات لتقويم القوه لكف نفس أخيه عن الظلم فقال تعالي (وذلك جزؤ الظالمين) ليغرس فيه كراهيه العصيان وينفره منه فيحصل اندفاع المكروه لكن دفع المكروه بدون حصول المحبوب لافائده منه خاصه اذا كان المكروه كثير والمحبوب يسير ولهذا ذكره بالجنه وأخبره أن الظالم نادم وان مدحه الناس وأن المظلوم سالم وان ذمه الناس

ولهذا تصور لنا الآيات إن هنالك صراع بين دافع الحسد ودافع الخشيه فاعلمتنا الايه أنه تردد مليا أو تريث أو ترصد مده من الزمان فقال تعالي (فطوعت له نفسه) وطوع معناها جعله طائعا اي مكنه من المطوع وهو ضد الإ كراه والتطويع محاوله القتل فشبه قتل أخيه بشي متعاص عن قابيل ولاتطيعه بسبب معارضه التعقل والخشية وشبهه داعيه القتل في نفس قابيل بشخص يعينه ويحثه علي القتل المتعاص عليه فقد ساعدته نفسه سولت له قتل أخيه

الأمر الثاني

نسب الجريمه لنفسه الاماره بالسوء بأنها هي التي شجعته برغم وجود معارضه مانعه من الفعل بعد أن خوفه أخيه من عقاب الله وهذا لأن قوي الافعال في النفس أما قوه جذب وأما دفع فالقوه الجاذبيه الجالبه هي من قوه الشهوه وجنسها من المحبه والارده والقوه الدافعه المانعه للمنافي هي من قوه الغضب وجنسها من البغض و الكراهية وهما اصل الحركه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) فهاتين القوتان هما الأصل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أحب لله وابغض لله واعطي لله ومنع لله فقد استكمل الايمان)

وهي صادره من النفس ولهذا يقول لنا الحق أن نهايه الجذب والدفع في نفس قابيل انتهت بتشجيع نفسه الاماره بالسوء علي ارتكاب الجريمة فقد أزالت الموانع فقتل أخيه والذي ساعده في ذلك نفسه التي زينت له القتل لأن قوه الحسد التي كان قلبه يغلي بها سهل عليه الفعل فالقتل ناتج عن فساد قوه الغضب لانه فيه إتلاف الموجود الذي اوجده الله رب العالمين كما ذكر له أخيه

ولهذا نسب الفعل الي النفس فقال (له نفسه) لأن العقل يحاول أن يمنع الانسان من ارتكاب الجريمة لكن النفس الا ماره بالسوء هي التي سهلت له الفعل وهونته فقد صورت له نفسه قتل أخيه أمر سهل عليه ومتسع له لاضيق فيه ولاحرج فكان النفس صيرته طائعا لها بعد أن كان كالعاصي المتمرد

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الموعظ لاتعني من كان قلبه ملئيا بالحسد لانه يفسد الفطره والنفس فيجعل الإنسان كالسبع لا احاسيس له فقد صورت لنا الايه أن قابيل كان يهاب قتل أخيه ولكن نفسه الاماره بالسوء شجعته علي التجرؤ وقتله فقال تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) فكان منه عقب التطويع قتله بلا تفكر ولاتدبر بالعواقب ولهذا نجد أنه سلك في بيان ذلك مسلك الاطناب فلم يقل (فطوعت له نفسه قتل أخيه) ولكنه قال بعدها

(فقتله) للتنبيه علي بشاعه الحسد وتفظيع حاله العامل في تصوير خواطره الشريره وفساد قلبه لانه حدثه علي قتل من كان شأنه الرحمه والرفق فلم يكن ذلك اطنابا

ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ذلك (فأصبح من الخاسرين)

فقد خسر نفسه بأن أوردها موراد الهلاك وخسر أخاه

خامسا

تمضي سياق النصوص في عرض بقيه مشاهد الجريمه لترسم. الاعتداء الناشئ عن القوه الغضبيه في اول جريمه في الأرض القتل والقتل إفساد للجسد الحامل له وإتلاف الموجود ولهذا تصور لنا الآيات سؤاءه الجريمه في صورتها الحسيه حيث تعفن جسد هابيل

ووقف قابيل عاجزا لايعرف كيف يوري سؤءه أخيه اي الجسد الذي اتلفه أما لانه لم يري ميتا قبل مقتل أخيه أو أنه فقال تعالي (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوري سؤءه أخيه قال ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوري سوءه أخي فأصبح من النادمين)

لقد ارسل الله غرابا معه غرابا اخر ميت قام بالحفر في الأرض بمنقاره ثم وضع عليه التراب وعندها تعلم قابيل من الغراب كيف يدفن أخاه في التراب والبعث هنا الالهام بالمجي الي ذلك المكان وقد كان اختيار الغراب لهذا العمل للاتي

١

ليعلم الإنسان ان الله قادر أن يبعث غرابا أو غيره من الحيوانات الي الإنسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الرسل الي الناس فلماذا الاستغراب من أرسل الرسل من البشر ليعلموا الناس الحق فإن دفن الميت في التراب قد تعلمه الإ نسان بواسطه غراب أرسله الي الله خصيصا لتعليم الإنسان الأول البدائى لتعليمهم كيف يدفن الجسد الذي سماه سؤاءه لأن الجسد يتعفن ويصبح عوره فالسؤءه من الفضيحه فلماذا تستغربون أن يرسل الله الوحي بواسطه الم لائكه لتعليم الإنسان الحق

٢

ليعلم الإنسان أنه محتاج الي التعليم حتي لو كان العلم مصدره غراب فالإنسان عجز أن يكون مثل غراب في أمر هو من أهم ضروريات حياته فهذا الغراب رمز التشاوم عند الناس لما يعتري الناظر الي سواد لونه من انقباض النفس

٣

فيها اظهار لطف الله وعطفه وإحسانه مع عباده في اسباب الحياه فهو تعالي يرعاهم فانظر كيف أن الله يرشد خلقه عندما يستشكل عليهم أمر ما الي ماينفعهم بالطاف الأسباب

٤

فيه بيان ساذجه الإنسان الأول قليل المعرفه لكن لما فيه من العقل والاستعداد فهو كان يستفيد من كل شي تحيط به

الأمر الثاني

تبين لنا النصوص حقيقه ما أخبر هابيل به قابيل وهو يعظه بأن الظالم نادم وان مدحه الناس وأن المظلوم سالم وان ذمه الناس ولهذا ترسم لنا النصوص رده فعل قابيل لما شاهد الغراب يدفن أخيه فقال تعالي (قال ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوري سوءه أخي فأصبح من النادمين)

١

(ياويلتي) كلمه تستعمل للتعبير عن الحسره عند وقوع الداهيه العظيمه ولفظها لفظ النداء كانه يقول ياهلاكي تعال ايه الويل احضر فهذا أوان حضورك

٢

لماذا طلب حضور الويل ماهي الداهيه العظيمه التي دفعته لنداء الهلاك لانه لما قتل أخيه تركه بالعراء تنهش منه السباع استخفافا به ولما راي الغراب يدفن غرابا ميتا رق قلبه وقال إن هذا الغرب أخفاه أخاه في باطن الأرض افاكون انا أقل منه شفقه وهو اسود اللون ولأنه لم يعلم كيف يخفي سواه أخيه فكنت تلميذ لغراب ولهذا استعمل اسلوب الاستفهام المستعمله في التعجب الانكاري (اعجزت)

فأول عمليه للعلم اكتسابها من تقليد الغراب فقد تلقي علومه من طائر أضعف منه وهو كان متكبرا

٣

ان هذا الندم ليس ندم التوبه ولكن ندم الظالم الذي هو أحد أجزاء العذاب فالظالم لايجد السعاده كما أخبره أخاه في الايات قبلها (وذلك جزؤ الظالمين)

القسم الثاني

(من اجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جآءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)

اولا

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (من أجل ذلك) اشاره الي الحادثه التي كشفت عنها الآيات عن أسلوب تقديم القرابين الذي جري عليه ابنا ادم في مرحله فجر البشريه وما تضمنته من بواعث الشر والجرائم وافات الكبر و الحسد وفساد قوتي الغضب والشهوه في بعض النفوس ومايشكل ذلك من خطوره الإنسان الشرير علي الإنسان الطيب الوديع

والمفاسد التي ذكرتها القصه أنها تولدت عن القتل العمد (كتبنا) اي أمرنا في التوراه شريعه القصاص لمنع الجريمه فالايات فيها بيان

الآتي

الأمر الأول

تعطينا النصوص صوره عن التطور الديني في حياه البشر منذو فجر البشريه فقد كان التحول الذي طرأ علي حياه الانسان الأول قابيل وما ارتكاب من جريمه أن صحبه انقلابا مماثل في النظم الدينيه لان الدين حرص علي

تسلم زمام التوجيه في الاسره والمجتمع والدوله والعالم عن طريق التشريع فقد كانت قواعد الدين قيل هذه الجريمه عباره عن مجموعه القواعد (الأمر والنهي) التي تغرس في النفوس وتستهدف اصلاح الخلل في الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه (العقل والغريزه والروح) فالغريزه تهبنا القوه والعقل الذي يهبنا وسيله توجيه القوه الي الغايات المنشوده والروح التي توحي بالفوائد غير الشخصيه القوه التي تكون من نوع لايستطيع العقل أن يحط من شأنه بالنقد وقد شاهدنا كيف غياب التوازن بين حياه العقل والروح قد ادي الي فساد الغريزه وجعلت نفس قابيل تقود ه الي ارتكاب الجريمة كيف أن الانانيه قادت قابيل الي الاستجابة لالحاح نفسه الاماره بالسوء التي جعلته يقف أمام الحاح من ضغوط مزاجه لإرضاء مطالبه فورا فلم يعترف بعقبه تحتجره فلم يستطع أن يلغي مطالبه فإذا بنا نري انسان مسعور تؤرقه رغباته وشهوته فمازالت نفسه تلح عليه بطلب قتل هابيل وتدفعه الي اجابتها ولم تنفع معه الموعظه التي حاول أخيه جاهدا أن يغرسها في نفسه لتقهر النزاعات الشريره في نفس أخيه بتذكيره بقوه الله وقهره بأنه سوف يرجع إلي الله باثم قتله لأخيه واثم عدم قبول القربان فلم يبالي بالآثار المترتبه علي جريمته ولهذا فإن هذا التحول اقتضي وجود تشريعات فيها بعض العقوبات صيانه للأخلاق لكي تحصل الحياه الانسانيه علي الحيويه والانضباط فلابد أن تكون النزعات الغريزيه قويه ومستقيمه لتكون الحياه ا لانسانيه صالحه فكان لابد من وجود عقوبه الردع والزجر بجانب قوي الايمان التي تتولي رقابه الرغبات وتحد من الانانيه فكانت العقوبه حقا لحمايه حق حفظ النفس وهذا أمر ضروري من أجل كبح بواعث الجريمه ومن أجل صيانه حياه الانسان من أن تزهق ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد رؤية القصه والتي من الموكد أنها تركت في النفوس اثار عميقه من مشاعر كراهيه الشر والقتل لتكون منطلقا لبيان اهميه العقوبه التي جاء بها الأديان فقد كان هذا الأمر ضروري للردع والزجر واستصئال البواعث من النفس لمن لم ينفعه الموعظه

الأمر الثاني

يقول الحق أن الموعظه ليست نافعه لكل الناس ولما كانت الأوامر في بدايه فجر البشريه عباره عن مواعظ نظرا لأ ن البشريه كانت في مرحلتها البدائيه ولم يكن هنالك علاقات ماديه تتطلب تشريعات تنظم العلاقات بينهم لأن تلك العلاقات مرتبطه بالعمران والتقدم الذي يعيشه الناس فقد كان هذا التحول مقدمه لسن تشريعات خاصه بعد انتقال البشريه الي نظام الاسره ثم القبيله فقد كان لابد لتنفيذ العقوبه من دوله ولهذا كان لابد من وجود سلطه تحمي النظام العام وتقوم بتطبيق القانون علي الناس وتمنع انتشار الجريمه وتحقق الاستقرار في الأرض سلطه تحمي الضعفاء من العتاه وتمنع العدوان ولهذا يقول تعالي (كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا..الخ

فقد جعل مسؤوليه حفظ الإنسان علي المجتمع كله فجعل حرمه النفس الواحده تعادل حرمه جميع الأنفس

الأمر الثالث

ان النصوص تهدف إلي غرس ثقافه واداب الاجتماع ولهذا لم تتعرض لمساله العقوبه بشكل مباشر وانما ابتدأت بذكر مخاطر الجريمه مبينه أن علي الجميع الشعور بخطورتها وان عليهم أن آثارها تمتد الي كل فرد من أفراد المجتمع فهي تمس كيان الجماعه كلها لأنها تحول المجتمع الي وحوش ويفقد كل انسان إنسانيته وادميته وان علي الجميع أن يسعوا الي احياء النفس واستبقاءه بدفع الشر عنها وان عليهم محاربه الجريمه واتخاذ الإجراءات ا لاحترازية لمنع انتشارها فمن انقذ نفسا واحده عادل إنقاذ الناس جميعا واستحياها يكون بدفع المجرم حال حياتها وبعد موتها بالقصاص لها من المجرم فالله سبحانه وتعالى يقول (ولكم في القصاص حياه ياأولي الألباب)

ويدخل في هذا عمل الأطباء الذين يقومون بعلاج المرضي وانقاذهم فهذا يعد كمن انقذ الناس جميعا فالنصوص فيها شحذ تفكير الإنسان والارتقاء بوعيه وتنميه ملكاته وتشكيل رؤيته للحياه والكون وكل علاقاته بشكل عام فجاء تعظيم أمر القتل عمدا وعدوانا كما يستعظم الناس قتل كل الخلق فالمقصود مشاركه الأمرين في الاستعظام وكيف لايكون مستعظما والله يقول (ومن قتل مومنا متعمدا فجزاه جهنم خالدا فيها ..الخ

وجاء بالتشبيه (فكأنما قتل الناس جميعا) (فكأنما أحيا الناس جميعا)اسلوب مبالغه في تعظيم أمر القتل بغير حق والترغيب في الأحياء ودفع الضرر عنها لان الباعث علي الإنقاذ هو الشفقه والرحمة واحترام الحياه الانسانيه و الوقوف عند حدود الشرع وهذا فيه ارشاد الي مايجب من وحده البشر وحرص كل واحد منهم علي حياه الجميع والابتعاد عن كل ضرر يلحق بالفرد أو الجماعه فالجميع مشارك في دفع الجريمه

الأمر الرابع

تبين النصوص أن القتل المذموم هو الذي يكون عمدا وعدوانا أما الذي يدافع عن نفسه من الصائل الجائل فهذا لا إثم عليه لقوله تعالي (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل) هنا يقول (أنه من قتل نفسا بغير نفس) فيجوز لك قتل المعتدي وكذلك يجوز قتل المفسد في الأرض من قاطع طريق أو المحارب لدين الله وانما المحرم هو القتل بغير سبب لانه إتلاف الموجود الجسد الحامل بدون وجه حق ولهذا نجد اقلاب التنوين مع الباء في قوله (نفسا بغير) منسجما مع المعني

ثانيا

ضروره وجود السلطه التي تقوم بصيانه حقوق الفرد والجماعه فاخبرنا الحق أن تطور البشريه وما طرأ عليها من تغيير اقتضي وجود سلطه تحمي الخير وأهله لأن غياب السلطه يعني انتشار الفوضي والعشوائية وسفك الدماء ولهذا تبين لنا النصوص أن االله تعالي شرع علي بناء إسرائيل عقوبات لمنع ارتكاب الجريمة بعد الاشاره لهذه الواقعه التي في الأصل بينها وبين بني إسرائيل مده زمنيه طويله فلا يعني هذا التتبع الزمني بين قابيل وبني إسرائيل فهذا ليس هو مدلول الايه وانما الايه فيها الاشاره الي ما يغلب طبع بني إسرائيل أن فسادهم من جهه قوه الغضب فقد انتشر فيهم القتل وسفك الدماء فهم قتلوا الرسل عليهم السلام ومن جهه ثانيه لان الايات قبلها تحدثت عن قول موسي لهم (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم..الخ

فقد كان إنقاذهم من الفراعنه وإخراجهم من مصر من أجل بناء الدوله التي سوف تباشر تحقيق مراد الله في خلا فه الدوله لا خلافه الفرد فخلافه الفرد كان في الماضي قبل أن تحدث المتغيرات في حياه البشريه وظهور الحضارات فهذه المتغيييرات باتت فيها مساله اقامه الدوله من الأمور المطروحه بقوه والحاح فكان لابد منها باعتبارها من وسائل حمايه القيم والمبادئ وحفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض فقد كان لابد من تربيه الإ نسان المومن وإعداده للانتقال الي العمل المؤسسي فهذا التطور للأحكام في مراحل تطور المجتمعات حتم ضروره وجود سلطه يتنازل فيها الفرد عن سلطته في حفظ حقوقه للدوله ولهذا فإن الجهاد الذي أمر به بني إسرائيل عندما أمروا بدخول الأرض المقدسة هو لأجل حمايه حق الإنسان ومنع الظلم فالمومن يشعر أنه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين بغض النظر عن اديانهم ولهذا ارسل الله الرسل لاقامه العدل بين الناس ومنع مخالفه منهج الله فقال تعالي (ولقد جآءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) فيه بيان الآ تي

الأمر الأول

أنه تعالي جعل مهمه الرسل والدعوه هي استنفاذ الناس من الافساد وسفك الدماء فهي من أشرف المهام التي ارسل الله بها رسله وان مهمه الرسل معالجه الخلل الموجود لدي اقوامهم ليعبدوا الله وبني إسرائيل اقترفوا جرائم من جهه فساد قوه الغضب وان مهمه الرسل ليس محصورا علي أن يبينوا للناس العبادات فقط أي الشعائر التعبيديه ثم يتركوا الناس لينطلقوا في الحياه ويفعلوا مايشاؤن في بقيه سائر شوون حياتهم وانما تأتي الرسل لا قامه العدل وإصلاح الخلل في جميع جوانب الحياة فالرسل يقومون منهج الله ولهذا نجد أن أصحاب الجاه و الحكم والسلطان يقفون امام الانبياء ويحاربونهم لأنهم يرون أن مصالحهم وقوانينهم تمس فليس الدين مقصورا علي الموعظه فلابد للنبي من سلطه تحمي النظام والحق والخير ولهذا

أرسل الله الرسل ومعهم الحجج والبراهين والاداله القاطعه من المعجزات الظاهره والمنهج الرباني الذي يحقق مراد الله

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص في تقريع وتوبيخ اليهود علي تمردهم علي رسل الله ورفضهم القبول بأمر الله ونقضهم العهود فقال تعالي (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)

ان نفوس اليهود الخبيثه جعلتهم يحاولون تطويع المنهج الرباني لمصالح الشخصيه فاستخدام (ثم) للتراخي من الريبه ووقوفهم ضد الرسل ومنع اقامه دوله الحق لانهم ينظرون أنها تمس وتقهر سلطانهم وهم يشاهدون الاداله التي جاء بها الرسل تتري عليهم فلايبالون بعظمه الله فأشار الي الاسراف في كل أمر بالتباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاه بأن هذا سببا للخروج عن منهج الله برغم وجود الاداله القاطعه لبيان مخاطر فساد قوي الإنسان وغرائز ه وأضرارها علي الحياه

القسم الثالث

(إنما جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخره عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

اولا

ابتدات الآيات باداه الحصر الجزء والعقوبه (إنما) بعد أن تناولت النصوص قبلها بيان حرمه النفس وأنه يجب صيانتها فلكل انسان له حق الحياه وقرنت هذا الحق بأن لايكون صاحبها مفسدا في الأرض بأسلوب فيه استثناء من صيانه حق الحياه (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساداً في الأرض) فهذا الاستثناء مرتبط بأمن دوله الاسلام وشعبه ونظامه الذي يحقق الاستقرار والأمن والعمران والتطور فلا فوضي في المجتمع المسلم لان ذلك يودي الي الافساد للنظام العام الذي تسمتع الجماعه في ظله بالأمان والطمأنينة ويعيق التنميه والتقدم والتطور فالإسلام صان كرامه الانسان وحماها من العدوان علي نفسه أو ماله أو عرضه وجعل الاعتداء علي ايان منها جريمه خطيره يستحق فاعلها اشد العقوبه

وهو القصاص فكيف بالذي يهدد أمن الامه كلها أو بالذي يهدد قيم ومبادئ الشريعة التي يكون اقامه العدل وضمانات حمايه هذه المقاصد فالحق يقول لنا أنه أرسل الرسل وانزل معهم الكتب التي فيها التشريعات التي تمنع الجريمة بازاله البواعث من خلال ما تغرس في الضمير وايضا بالعقوبات التي تحقق الردع والزجر وأنه لايجوز التفريط والافراط بها ولحمايه هذا كان لابد للرسل ومن يأتي بعدهم من سلطه وقوه تضمن اقامه منهج الله في الحياه واداره شؤون الناس في جميع المجالات ولهذا كان لابد من وجود سلطه تحمي النظام وتمنع الفوضي سلطه تستمد شرعيتها من المنهج الرباني اي من الدستور فلا تكون سلطه وصلت بالقوه والتغلب بل وفقا لقيم الاسلام التي تبني بها (الشوري) وفقا لعقد بين الحاكم والمحكوم كما قال تعالي (واطيعوا الله والرسول وأولي الأ مر منكم)

فاللازم احترام النظام وعدم الخروج عنه ولا يجوز عصيان ولي الامر ولهذا قال تعالي (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا)

فجعل الحق للافساد في الأرض عقوبه لماذا ؟

لانه المفسد يريد اخراج الشي الصالح عن صلاحه وافساده ولهذا فإن الافساد في الأرض له صور متعددة أهمها ا

لآتي :ـ

الصراع علي السلطه ومحاوله الاستيلاء عليها بالقوه والتغلب علي السلطان الشرعي المختار من الشعب وفقا لمبدأ الشوري فإن حب الرئاسه شهوه تولد الاسراف في العدوان وهذا الطبع لدي الكثير من الناس فناسب هذا مجئ الآ يات بعد قوله تعالي (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) فدل هذا أن هذا الداء منتشر بكثيره المتجاوزن لحدود الله وشريعته بالتغيير والاهمال فلابد من سلطه تحمي النظام الديني وقواعده فالمواعظ وحدها لا تكفي ولهذا استعمل لفظ (يحاربون) والمحاربه من المضاده والمخالفه

فالذي لايقبل بالشوري والعدل ويعلن التمرد علي ولي الامر الشرعي ساعيا الي الانقضاض علي السلطه والاستيلاء على الدوله ومقدرتها بالقوه المسلحه يكون محاربا لله تعالي ورسوله

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

لماذا سمي محاربا لله ولرسوله؟ مع أنه مثلا لو وصل إلي السلطه سوف يلتزم بتطبيق الحدود والشريعه ؟

الجواب

ان هذا يريد الاستيلاء على سلطان الله وملكه وهو حقه تعالي في التشريع فهو تعالي قد أنزل القرآن الذي فيه التشريعات والأحكام المبينه أسس تدوال السلطه التي تقوم بتطبيق منهج الله في الأرض وبالتالي فإن هذا يريد تزيف تشريع الله ويحارب القواعد التي وضعها الله لتصون البشريه من الأهواء والشهوات والله فالاجتراء علي الا ئمه الذين اختارهم المسلمون يعني أنهم يحرمون قيام الائمه من تطبيق منهج الله وبهذا فهم يحاربون منهج الله الذي وضع القواعد التي تحقق التحسين والاستقرار في الأرض وتحقق عباده الله في ذلك وهم يحاربون رسوله صلى الله عليه وسلم اي سنته وكذلك فإن من صور الافساد في الأرض اضافه الي البغي بالقتل والسلب والاعتداء علي الامنين ...الكفر الذي يكون فيه إفساد القوي العقليه الناطقه الايمانيه لانه إفساد القلب والروح الذي هو ملك الجسد والقتل إفساد للجسد الحامل له وإتلاف الموجود ونهب الأموال إفساد لانه يخرج الشي عن صلاحه ناتج عن حب وارده فاسده جذبته الي جلب مال بالنهب والسلب فاعتداء المحاربين اعتداء على الحق والعدل الذي أنزله الله علي رسوله صلى الله عليه وسلم

فجاءالتعبير واصفا أفعاله وجرائمه بأنها محاربه لله ولرسوله فيه الشده والتقويه حتي يقف منهم المجتمع الموقف الايماني العام موقف القائم علي هذا الأمر مع السلطه الشرعيه لمواجهه الأمر فمن يحارب أولياء الله ورسوله ويسعون في الأرض مفسدين اي يعملون بالمعاصي والقتل وأخذ المال فهولاء يحاربون الله ورسوله لانهم يرفضون الإذعان لدين الله وشرعه في حفظ الحقوق كما توعد الله اكل الربا فقال تعالي في سوره البقره (فاذانوا بحرب من الله ورسوله) لانهم لم يذعنوا لأحكام شرع الله ويجب علي الامام الشرعي الذي يقيم الحق والعدل أن يقابلهم علي ذلك كما فعل ابوبكر الصديق مع أهل الرده

الأمر الثاني

(من هي الجهه التي تقوم بتنفيذ العقوبه)

هو الإمام الذي يقيم الحق والعدل اي السلطات التي تقوم علي شريعه الله وسنه رسوله السلطه الشرعيه التي اختارها المسلمون وفقا لمبدأ الشوري وليس السلطه التي تستولي علي السلطه بالقوه فهذه السلطه إنما يكون صراعها مع الخارجين عن سلطانها صراع مصالح شخصية ولايكون الخارج هنا خروجا عن حكم الله وانما يكون

مفسدا في الأرض إذا تعرض للناس بالقتل والسلب والنهب بحكم الشرع في نظر المسلمين ولهذا فإن محاربه هولا ء لله ولرسوله إنما يكون بالخروج عن حكم الحاكم الشرعي ولأنه اعتدي علي أهل دوله الاسلام فهذا لايحارب الحاكم الشرعي وحده بل يحارب الله ورسوله لانهم يتمردون علي شريعه الله ويعتدون علي الامه

أما الحاكم الذي لايحكم بشريعه الله فهذا يكون مفسدا في الأرض وهو في المقام الأول محاربا لله ولرسوله ف الله يقول لنا في موضع آخر محذرا من وصولهم إلى السلطة فقال تعالي (وإذ تولي سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد)

المبحث الثاني

شروط المحارب

ان يكون مسلح _وان يكون في صحراء أو ماشبه وان يتخذ القوه للاخلال بالنظام سؤاء كان داخل المدينه او خارجها ولهذا فمن قال بشرط الصحراء غير صائب _ أن يرتكب جرائم أما القتل أو سلب المال أو اخافه السبيل .. فالحرابه عقوبه الذي يخرج عن النظام المسلم ويشكل عصابه مسلحه تخل بالنظام والقانون ولهذا لابد له من قوه تردعه لانه يعتدي علي أرواح الناس وأموالهم وحرياتهم ويحدث الفوضي في المجتمع والاضطراب ولهذا كان لابد من استئصال هذا العنصر الخبيث

الأمر الثالث

(تبين النصوص الأحكام الجنائية والعقوبات المتعلقه بالحرابه)

هذه الأحكام متعلقه بما يصدر من المكلف بشأن الحرابه ويقصد بها حفظ الدين والنفس والأموال وتحديد الا جراءت التي تنظم العقوبه وحقوق المجني عليهم أفرادا وجماعات ودوله حيث نجد

المبحث الأول

أنه وضع عقوبات المحارب فقال تعالي (أن يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأ رض)

النص فيه عقوبات اربع عقوبات (القتل _الصلب _ قطع اليد اليمنى والرجل اليسري _والنفي من الأرض)

المبحث الثاني

(هل النص فيه تخيير للحاكم بالعقوبه ام أن هنالك عقوبه معينه لكل حاله تقع علي الجناه)

الرأي الأول

ان تكون العقوبه بالتخير للامام لمن قال بالتخيير :_

اذا كان المحارب ممن له الرأي والتدبير فوجه الاجتهاد قتله وصلبه لأن القطع لاتدفع ضرره ..

وان كان لا راي له وانما هو ذو قوه وباس فإن قطعه من خلاف

وان كان لاراي له ولا قوه ولاباس فيكون النفي أو الحبس علي افتراض أنه لم يقتل ولم ينهب ولم يخيف فكان

النفي إجراء احترازي وقائي لمنع وقوع الجريمه مستقبلا قبل وقوعه

الرأي الثاني

من قال بالترتيب للتخيير

أصحاب هذا الرأي هم المالكيه

فقالوا إنه إذا قتل وجب قتله وليس للامام التخيير في قطعه أو نفيه وانما التخيير في قتله وصلبه

وان الذي يأخذ مالا ولم يقتل فلا تخيير في نفيه وانما التخيير في قتله أو صلبه او قطعه

وان من اخاف السبيل فقط فيكون الامام مخيرا بين قتله أو صلبه او قطعه أو نفيه

الرأي الثالث

ان تكون العقوبه بحسب الجرائم وليس علي التخيير ولا علي الترتيب

بل بحسب الجنايه فكل جريمه تقابلها عقوبه

فالذي يقتل ولم يأخذ مالا يجب قتله وليس للامام التخيير وان الذي يقتل ويأخذ المال يصلب لتحقيق الردع و الزجر وان الذي يأخذ مالا فقط تقطع يده اليمني ورجله اليسري وان الذين اخافوا الناس ينفون من الارض حتي تظهر توبتهم وهذا هو الأرجح

المبحث الثالث

سبب الابتداء بالاثقل في حدود المحاربين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه لم يكن علي التخيير ولا علي الترتيب بل بحسب الجرائم للاتي

لانه ليس في لفظ الايه مايقتضي التخيير كما يتوهمه طائفه من الناس فإنه لم يقل الواجب أو الجزء هذا أو هذا أو هذا وانما قال إنما جزاءهم هذا أو هذا أو هذا فالكلام فيه نفي وإثبات تقديره ما جزاؤهم الا أحد الاربعه القتل أو الصلب أو القطع أو النفي

وقد تقرر أن مثل هذا الخطاب يثبت المذكور مانفاه عن غيره فقد نفي أن يكون ماسوي أحد هذه جزاء فأثبت أن يكون جزاء المحارب أحد هذه العقوبات والمحاربون جمله ليسوا واحدا ومع ذلك ذكروا باسم الجمع ومقابله الجمع بالجمع تقتضي توزيع الأفراد علي الأفراد وبالتالي فهذا لايقتضي التخيير في كل معتدي بين هذه العقوبات بل توزيع العقوبات علي انواعها

والمقصود بهذا نفي جواز ماسوي وإثبات ضده ومفهوم أو إثبات التقسيم المطلق اي التشريك المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه فما الترتيب فلا ينفيه ولايثبته إذ الدال على مجرد التشريك لايدل علي التميز وكذلك أو هي للتقسيم المطلق وهي ثبوت أحد الأمرين مطلقا وهذا أعم من أن يثبت علي سبيل التخيير بينه وبين الآخر أو علي سبيل الترتيب او علي سبيل التوزيع وهو ثبوت هذا في حال وهذا في حال فالمراد بهذا حسب الجريمه

المبحث الرابع

معني النفي من الأرض وهل يحقق الحبس معني النفي ؟

النفي كما ذكر الشعرواي رحمه الله تعالى هو الطرد والأبعاد والطرد لايتاتي الا لثابت مستقر والأبعاد لايتاتي الا لنتمكن وبالتالي فانه قبل النفي كان هذا ثابت له موضع مستقر فيه المسكن أو الوطن أو المكان الذي يقيم فيه فأخرجه من وطنه ومن مسكنه الي مكان لايبيح له الافساد فيه من الأرض وهذا يشمل الكره الارضيه كلها بالمعني العام أما بالمعني الخاص فالمراد نفيه من الأرض الذي كان مستقرا فيه يرتكب فيها جريمته)

ولهذا فإن النفي يعني أبعاده عن كل ما الفه واعتاد عليه وطرده من المكان الذي افسد فيه فيمكن أن يطلق علي المحبوس منفيا لانه لاينتفع بشئ من ملذات الحياه فلا يري أحد من أحبابه فصار منفيا عن جميع الشهوات و الطيبات

المبحث الخامس

(اول نفي حصل في الإسلام)

ان اول نفي حصل في الإسلام هو نفي الحكم بن العاص من المدينه الي الطائف والذي نفاه هو الرسول صلى الله عليه وسلم والسبب يعود إلي ما فعله الحكم بن العاص من تقليد مشيه الرسول صلى الله عليه وسلم باستهزاء حيث كانت مشيه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا مشي تكف تكفوا كأنما يتحدر من صب فقد كانت مشيته مشيه خاصه فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويوما التفت الرسول فراي الحكم يقلده استهزاء فنفاه الرسول صلى الله عليه وسلم الي الطائف وظل فيها حتي وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقله للرفيق الا علي فلما كان خلافه ابوبكر جاء أهل الحكم يطلبون من ابوبكر العفو عنه فقال ما كنت لاحل عقده عقدها رسول الله وكذلك فعل عمر رضي الله عنه ولما كانت خلافه عثمان استغلت اسره الحكم حياء سيدنا عثمان فعفا عنه و الحكم هو والد مروان بن الحكم الذي ينتسب له عبدالملك بن مروان ومن جاء بعده من حكام بني اميه

الأمر الرابع

(الغرض من العقوبه)

تحقيق الردع والزجر لأنها تقتلع جذور الشر وتقضي علي الجريمه في مهدها وتودي الي استقرار المجتمع المسلم واطمئنانه ولهذا يقول تعالي (ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخره عذاب عظيم)

اي النكال والقضيحه والعار والذل عقوبه لهم في الدنيا قبل الآخرة علي ما أفسده ومعارضته تنفيذ شرع الله وإقامته في الأرض وان ما ينتظرهم من العذاب الذي أعده الله لهم في الاخره بما يفوق الوصف والتصور فهو عظيم في شدته وكيفيته وكميته

ولهذا فلا يجوز التهازن فيه ولا التساهل فيه فلابد أن تقوم الدوله بالقضاء علي الخارجين ولابد أن يشاركهم المجتمع في ذلك ولهذا فإن أعداء الانسانيه هم الذين يستعظمون قتل المحارب وصلبه وقطع يداه ورجليه ونفيه ان عدواه هولاء تمثل خطر علي الانسانيه وعلي دين المسلم فعليك أن تحذر من سهام الأعداء للتشكيك بدينك فإنهم يسعون الي القضاء علي مصدر عزه الامه وقوتها وسر بقائها ووسيلتهم في ذلك تخريب الثقافه الاسلاميه لإ يقاف تأثيرها وتعطيل فاعليتها من توجيه السلوك وإضعاف التزام المسلم بالقيم وإحلال ثقافه بديله باسم الا نسانيه فيظهرون الرحمه بالمجرم ولايرحمون المجتمع من شرور المجرم واخطاره علي المجتمع فانتبه ان يخترق هولاء عقلك ووجدانك لأن هولاء يريدون استبدال الشخصيه المسلمه بشخصه حائره تائيه فانظر الي تلك المجتمعات كيف أن الانحلال الأخلاقي قد تمكن من واقعهم وكيف انتشرت الجريمه فيهم فلا وسيله لردع المجرمين الا بتطبيق شرع الله وان هولاء الأعداء بترويج تلك الأقاويل يسعون الي طمس هويه الامه ولهذا فعليك تحصين ثقافتك فلا تتأثر بما يردده الأعداء

ثانيا

لقد تناولت النصوص احكام عقوبات الحرابه وأحوالها وظروفها وأركان الجريمه وشروطها واقتلع بواعثها وهنا تأتي النصوص مبينه الأحوال والظروف والملابسات التي تمنع الحاكم من ايقاع العقوبه بشكل قاطع

فقال تعالي (الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

الأمر الأول

ان الذي يتوب عن أعمال التخريب والحرابه قبل أن تناله يد السلطان فقد سقطت عنهم العقوبه فلا يجوز مؤخذته هكذا هو ظاهر الايه وان ذهب البعض للقول إن من تاب قبل القدره عليه تسقط عنه العقوبه بالحق العام أما الحق الخاص بالادمي المقتول والمنهوب فلا يسقط وقالوا إن الذي يسقط عنه الحق العام والخاص هو المحارب الكافر إذا أسلم لكن هذا القول لايستقيم وظاهر النص وخصوصيه النزول كونها نزلت في النفر من المسلمين العرانين وايضا لأن الله قد أعطاهم الامان فقال تعقيبا علي ذلك (فاعلموا ان الله غفور رحيم) ومعني هذا أنه تعالي اعطاءهم وكتب لهم الامان ولم يقل والله غفور رحيم كما ذكر في أغلب الآيات بل قرنها بقوله (فاعلموا) فأراد بهذا التأكيد علي حقهم بالأمان بانه منحه من الله الغفور الرحيم بعباده فحدد علاقه المجني عليه بالجاني في هذه الحالة بأن عليكم أن تتخلقوا بأخلاق الرب فهو غفور رحيم واذا كنتم تطمحون وترجون أن يغفر الله لكم ويرحمكم فعليكم التعامل مع التائبين من عباده بالعفو والصفح والرحمه

الأمر الثاني

ان الايه فيها تنظيم اجراءت محاكمه هولاء والحالات الموجبه للعقاب ولهذا فإن اشتراط ايقاع العقوبه أن يكون القبض علي المجرم قبل أن يتوب عن جريمته يعني اهميه تحرير محضر ضبط به عند القبض عليه وهذا من الأ مور التي يقتضيها النص فدل هذا علي أن الإسلام جاء بتنظيم القانون الجزائي والعقوبات قبل الف وأربعمائة وخمسه واربعون عاما فالاسلام سبق النظم القانونيه في الوقت الحاضر التي تتباهي بما وضعت من قواعد تضمن سلامه العداله وكفاله حق الدفاع بينما الإسلام قد جاء بها في عصر كان العالم في ظلمات فضلا عن ما سبق ذكره من اجراءت الاثبات والشهاده وحياديه القضاء (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنان قوم...الخ

تدل علي ان هذا النظام هو رباني فيه الرحمه للبشريه

الأمر الثالث

(الحكمه من إسقاط عقوبه الحرابه)

المساله الاولي

ان توبتهم حصلت في وقت يمتلكون القدره علي العدوان فهذا يدل علي صلاح قلوبهم

المساله الثانيه

حرص الإسلام علي فتح باب التوبه والتشجيع للتائبين وفتح الآمال تنميه لجوانب الخير والقضاء علي جوانب الشر من خلال اشاعه أجواء الخير وهذا فيه القضاء علي أجواء الإحباط التي تفسد حياه الناس وتوردهم موراد الهلاك

المساله الثالثه

توفر مؤنه الجهد من قتالهم فطالما عاد تائبا وهذا يتطلب منه اعلان ذلك من خلال تسليم نفسه الي جهه امنيه وإثبات ذلك بما يفيد أنه سلم نفسه طواعيه حيث أن هذا السلوك منه يعني توفر عنصر الوطنيه فيه بالشعور بالا نتماء الي الوطن وحرصه علي قيم الإسلام ومبادئ الشريعة فدل هذا علي صلاح الغرائز الفطريه لديه وقوه المعتقد وبهذا يكون اندماج حياه التائب وهو راض النفس في حياه الامه وربطه بالتوبه تعني أن يكون متعبدا لله بفعله هذا ومستعدا للتضحيه بنفسه في المستقبل من اجل حياه الامه وبهذا يكون هذا الشعور هو عنصر الوطنيه وهو عنصر جوهري لقوه الدوله ومن هنا كان التحذير (فاعلموا أن الله غفور رحيم) اي امنحوه فرصه للاندماج في المجتمع المسلم

فالله انزل المنهج الرباني الذي يتعامل مع طبيعة البشريه ومع مشاعرها ومسالكها فهو الخبير بها والعليم بما يصلحها وبطبيعتها فهو عليم بما

خلق

القسم الرابع

بعد أن تناولت الآيات الوعيد الشديد للمحاربين في الدنيا والآخرة والتي بينت أن تلك العقوبات صيانه للأخلاق الفاضله وحمايه لها وان العقوبه في الدنيا سوف تتبعها عقوبه عظيمه في الاخره تفوق التصور واختتمت بفتح باب التوبه وهنا تأتي النصوص بالنداء للمومنين (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون أن الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ماتقبل منهم ولهم عذاب عظيم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخرجين منها ولهم عذاب مقيم

اولا

ان الايات فيها النداء للمومنين وهذا يهدف إلي تهئيه الأجواء المناسبة للحياه الاخلاقيه الفاضله في النظام الإسلا مي من خلال هذه التشريعات التي فيها نظام حكم وسياسي محكم ونظام اقتصادي كامل ونظام اجتماعي دقيق فإذا كان المنهج الرباني قد حدد دور الحاكم في تنفيذ الأحكام الشرعية والتي منها العقوبات التي سبق ذكرها من القتل والصلب والقطع والنفي فإنها فيها صيانه للأخلاق الفاضله وحمايه لها وفيها زجر وردع من لاينفع معه الموعظه فمثل هذا لابد من قوه تردعه لكن في المقام الأول فإن الإسلام يعتمد منهج تربيه القلب والضمير والفرد والجماعه علي الإيمان ومحبه أوامر الله والتنفير من أعمال الشر واهلها ليحصل نبذ الشر وهذا هو أهم مجالات المنهج الرباني الذي يكون به تزكيه النفوس وتقويم السلوك وكفها عن الانحراف باستصئال البواعث من النفس ليكون اخراج بواعث الجريمه من داخل نفس الإنسان وكيانه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

وهذا فيه

الأمر الأول.

(دور التقوي في صيانه قوه الغضب وقوه الشهوه من الفساد)

ابتدأت النصوص بالأمر بالتقوي بعد أن تناولت النصوص قصه ابنى ادم ثم ذكر بشاعه جريمه القتل والعقاب عليها ثم يأتي التوجيه بدعوه المومنين الي أن يجعلوا بينهم وبين ما سمعوا من وعيد الله للمفسدين وقايه تقيهم من سخط الله وغضبه والخطاب للمومنين يقول لهم أنتم من اقررتم بعظمه الله التي هي جديره بأن تخشي ويجب أن تقدروه حق قدره بأن تخافوا مخالفه شريعه الله ثم أمر بطلب رضاء الله ومحبته

وهذا فيه الآتي

المبحث الأول

تربيه المومنين علي الشعور بوجود الله تعالى ورقابته علي كل فعل يفعله المسلم ليكون هذا الشعور أساس الحركه التي ينطلق منها المسلم في كل حركه يتحركها فتحقق للحركه فاعليتها الإيجابية تستمد قوتها من داخل الضمير بخوف الله ومراقبته وخشيته فهذا أن وجد في الضمائر فإنه يكون اقوي من السوط والسيف لأن الشعور برقابه الله تودي الي الانضباط واحترام القانون والنظام خوف من الله تعالى فلا يتحايل علي القانون حتي لو وجد فرصه أمامه لأنه يشعر أن الله يراه ويسجل أعماله فيلتزم بأمر الله ونواهيه فتشكل قوه دفع لبواعث الجريمه خوفا من الله تعالى فهذا الخوف من الله هو اللائق بالإنسان وكرامته أما خوف السيف فهو خوف الهابط الذي كان تشريع العقوبه لضبط هولاء أما المومنين فهو يخاف الله ولهذا ابتداء الخطاب يايها الذين آمنوا بالترغيب بعد أن حذر من المفاسد علي عاده القران في تخلل الاعتراض بالموعظه والترغيب والترهيب وهي طريقه فن الخطابة لاصطياد النفوس فكان مناسبا أن تأتي النصوص بعد ذكر حكم المحاربين من أهل الكفر الذين كانت حركتهم سلبيه الفاعليه فجاء الأمر للمومنين بالتقوي وطلب مايوصلهم الي مرضات الله وقابل ذلك بمثال مذموم لمن كانت فاعليته سلبيه

المبحث الثاني

لان فعل المأمور به صادر من القوه الارده الطلبيه وترك المنهي عنه صادر عن القوه الكراهيه البغضيه الغضبيه النفريه وكذلك الترغيب في المعروف والنهي عن المنكر إنما يصدران عن تلك القوه فلا تكف النفوس عن الظلم الا بـ القوه الغضبيه الدافعيه وبذلك يقوم العدل والقسط في الحكم كما أن الاحسان يقوم بالقوه الجاذبيه ولأن دفع المكروه بدون حصول المحبوب لافائده منه ولهذا كان الأمر بترك المنهيات ثم ذكر السعي في طلب الوسيله التي تقربكم من الله فقال تعالي (وابتغوا إليه الوسيله) اي فعل الماموارت فهذا هو طريق الفلاح

ولأن المقتضي لكل واحد من المحبوب والمكروه الذي هو الخير أو الشر ولهذا فإن الحق يقول إن ترك المكروه وفعل المأمور يحصل بهما النصر الفلاح فقال تعالي (لعلكم تفلحون)

فحصول النصر والرزق مقرون بخوف الله وبذل الجهد المطلوب فالشرع والنفس في هذه الحاله تعظم دفع المكروه فبالشرع بالتقوي التي اجرهاعظيم فالمقصود الأساسي جذب طاعه الله بفعل الماموارت فإن المانع هو لوجود عارض وهو أن النفس تحب الشهوات وتكره الانضباط خاصه أن امه العرب لم تكن تعرف الدول ولهذا فإن المأمور به السمع والطاعه للسلطه القائمه بشرع الله وعدم جواز الخروج عنها ولهذا ذكرت النصوص العقوبه (ولهم في الاخره عذاب عظيم) وبعدها عقب الحق (فاعلموا أن الله غفور رحيم)

فأراد بهذا القضاء علي التمرد والعصيان علي النظام والقانون

المبحث الثالث.

لماذا إذن عظمت التقوي في النص وفي كل موطن حتي أن البعض اعتبر ان قوله تعالى (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

فمن قال إن الوسيله متعلقه بالتقوي ذهب الي القول ان الامر بالتقوي كي تتقوا المفاسد والمهالك التي تأخذ المفسدين بأنواع النكال فطريق السلامه والنجاه والفلاح هو بالتقوي وان الوسيله المأمور بأخذها والتوسل بها هي متعلقه بالتقوي اي ان التقوي علي تمامها مطلب صعب المنال غالي الثمن لايقدر علي الوفاء بها إلا أصحاب الهمم العالية من كان قوي الايمان باليقين ولديه عزيمه وهمه عاليه فقالوا إن الايه (وابتغوا إليه الوسيله) معطوفه علي التقوي اي اتقوا الله بطلب الوسائل المورديه الي التقوي فعليكم الأخذ بالوسائل التي تحقق التقوي كالزهدعن الدنيا بالاشتياق الي ما عند الله والاشفاق من الاخره وما فيها من عذاب وتراقب الموت في اي لحظه ولهذا قال تعالي (وجاهدوا في سبيله) فالأمر فيه مشقه ويحتاج الي قوه صبر تمدك بالطاقه والنشاط

ولهذا فإن الجواب علي لما عظمت التقوي ؟ يقول شيخ الإسلام

لأنها هي تحفظ الفطره وتمنع فسادها ولهذا احتاج العبد الي رعايتها لأن المحبه الفطريه لاتحتاج الي محرك فهي تعترف بالله ولهذا فإن أعظم ما دعت إليه الرسل الاخلاص والنهي عن الشرك لأن الإقرار الفطري حاصل لوجود مقتضيه وانما يحتاج العبد الي إخلاصه ودفع الكفر والشرك عنه ولهذ كانت حاجه الناس الي السياسه الدافعه لظلم بعضهم عن بعض والجالبه لمنفعه بعضهم البعض فاصل الدين هو عباده الله الذي أصله الحب والانابه والاعراض عما سواه وهو الفطره التي فطر الله الناس عليها

الأمر الثاني

(وابتغوا إليه الوسيله)

ابن عباس قال إنها القربه وقال قتاده أن تتقربوا من الله بطاعته والعمل بما يرضيه ومنهم من قال اطلبوا أو خذوا وقيل انها اعلي منزله في الجنه وهي منزله الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أقرب أمكنه الجنه من العرش كما ورد في صحيح البخاري بحديث أنه من سمع نداء الاذان أن يقول مثلما يقول الموذن .....الي قال ان تقول اللهم رب هذه الدعوه التامه والصلاه القائمه أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الوسيله والفضيله ...الخ

وحديث أبي هريره في الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي ...وسلوا الله لي الوسيله واخبرهم إن الوسيله درجه في الجنه ليس ينالها الا رجل واحد وارجوا أن أكون أنا

ولهذا فإن الوسيله هي التي يتوصل بها الي تحصيل المقصود هنا في هذا المقام فأراد بها

المبحث الأول

ان الامر هنا بان يطلبوا الأسباب التي تصلهم الي الاعمال الصالحه التي يتقربون بها من الله فجعل طلب فعل الطاعات وسيله القرب من الله فالوسيله اريد بها مايبلغ به القرب من الله وقد علم المسلمون أن البلوغ الي الله ليس بلوغ مسافات ولكن بلوغ رضي اي بالقيام بالأعمال التي تقربهم من الله و لايزال العبد يتقرب بها الي الله حتي بحبه فإذا احبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله دعاءه

المبحث الثاني

ان ابتغاء الوسيله بطلب من الله الحاجه لمن قال بهذا المعني يعني أن يغرس في النفس الافتقار والحاجه الي الله علي الدوام فتشعر بضعف نفسك وعظمه ربك فمن عرف نفسه بضعفها وافتقارها وعرف ربه بقوته وعظمته وكماله

كان اقدر علي تقويم طبعه وإصلاح سلوكه فهذا يكون في طريق يوصله الي الفلاح لانه اقدر علي تحمل المشقه ومجاهده نفسه وعدوه الباطني والخارجي

المبحث الثالث

التعريف بالوسيله تعريف الجنس اي كل ما تعملون من الطاعات التي تقربكم من الله لتنالوا رضا الله وقبول اعمالكم فقد ورد في الحديث القدسي (ماتقرب الي عبدي بشيء احب إلي مما اترضيه لله

ولهذا نجد أن تقديم (وابتغوا إليه الوسيله) قدم الضمير علي متعلقه للاهتمام بالتقرب الي الله بجميع الوسائل الممكنة وايضا للحصر اي لايتوسل الا إليه سبحانه وتعالى لا الي غيره وهذا فيه تعريض بالمشركين الذين كانوا يتخذون الأصنام وساطه بينهم وبين الله فالتوسل لايكون بالأشخاص احياء أو اموت فهولاء لايكونون وسائل الي الله كما تصور أهل العقائد الفاسده فهذه طرق تفضي إلي الشرك ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما شرع للناس زياره القبور جعلها وسيله للتقوي بأن يكون في الزياره تذكر الاخره والإحسان الي المزور بالدعاء و التراحم عليه والاستغفار وسوال العافيه له فيكون الزائر محسنا لنفسه وللميت وليس كما صارت عليه عقائد البعض بالبدع التي حولوا القبور الي أصنام تعبد من دون الله حيث جعلوا المقصود بالزيارة الميت ودعاوه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم علي الأعداء ونحو ذلك فهذا نوعا من الشرك فالله يقول (أن الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم)

فالوسيله مايتقرب بها الي الله تعالي لا الأشخاص فالله يقول (وان ليس للإنسان الا ماسعي وان سعيه سوف يري ثم يجزيه الجزء الاوفي) والله يقول إن دعاء المومن لآخر قده ينفع الإنسان العاصي وقد لاينفعه فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا أن يومن عمه ابوطالب فقال تعالي (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

الأمر الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن التقوي منشأ الاخلاق وبه يخلص العبد من الأخلاق المذمومه ويتخلص من المعاصي وان ابتغاء الوسيله فيها السعي الي طلب رضاء الله تعالي و هذا كله يحتاج الي الجهاد ولهذا قال تعالى (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

والجهاد من الجهد وبذل المجهود وهذا لايكون إلا عند وجود مشقه وهو يشمل جهاد النفس وجهاد الأعداء وسبيل الله هو طريق الحق والعدل والفضيله والخير والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب والنجاه من كل مرهوب فقال تعالي (لعلكم تفلحون)

وهذا فيه

الأمر الأول

(اهميه تزكيه النفس وإصلاح الحالات الروحانية)

ان النفس بحاجه الي قوه لدفع المكروهات والقيام بالمامورات بجهاد النفس بإخراج الانانيه منها والكبر والحسد وقمع الأهواء والملذات وان يحل محلها حب الله ورسوله والجهاد في سبيله بالتضحيه بالنفس والمال في سبيل الله وطريقه وهذا يحتاج الي تزكيه النفس فهذا هو طريق الفلاح الذي اقتضت مشيئه الله أن يكون سبب الفلاح و النجاه إنما يكون من نفس الإنسان لا من خارجها فالله يقول (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

لتظفر بالجنه وانت في الدنيا بالاطمئنان الي ربك وتجد في طاعته السلوان والسروراللذه في الله فعبادته هي

الغذاء الروحاني لتكون حياتك كلها لله وبهذا تكبر نفسك وتنميها بتنظيفها من الدنس فالتزكيه تعني النمو والزيادة للوصول إلي الكمال

(ماهو كمال النفس)

ان النفس أما اماره بالسؤء والله قد أخبرنا أن قبح هذه النفس هي التي سولت لقابيل قتل أخيه فقال تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله)

ثم أخبرنا الله بأحوال العصاه والبغاه الخارجين عن القانون فذكر عقوبه جريمه (الحرابه) ثم ذكر إسقاط العقوبه عن التائب طواعيه من قبل أن تقبض عليه السلطه فقال تعالي (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

فدل هذا أن التائب طواعيه إنما دفعه الي الندم عن فعله النفس اللومه فهي وان فشلت في تحريك الرغبات الحسنه ولم تولد النفور إزاء الرغبات الشريره الا أنها قد جعلته يعود تائبا فالنفس اللوامه تلؤم صاحبها وتجعله يتوقف تاره عن الجريمه احيانا فالاحساسيس لديه حيه ولم تموت كما هو حال النفس الاماره بالسوء

ولهذا نجد أن الحق يخاطب المومنين أن الوصول بالنفس اللؤامه الي الكمال وهي النفس المطمئنة يبدأ من تقويه خوف الله والشعور بوجوده وطلب الوسيله التي يكون بها القرب من الله تعالى وتزكيه النفس وتطهيرها من الا وساخ فالتزكيه تعني الانتقال الي مرحله النفس المطمئنة ويبدا من الشعور بأن غذاء الروح هو بالعباده والطاعه في حياتك كلها فيكون هذا حافزا مباركا لتطوير النفس فلا يكون هنالك فشل في تحريك الارده وطلب الاعمال الصالحه ويتولد النفور الحقيقي إزاء الرغبات الشريره عند. ذلك تمتلك القدرة الكامله للتمسك بالفضيله ولاتشعر بـ المشقه بل تتلذذ بالطاعه ومتي وصلت إلي هذه المرتبه تكون قد حزت الفلاح الكامل فقال تعالي (لعلكم تفلحون)

(الغرض من هذا النداء)

يهدف النداء الي فتح الامل أمام التائبين طوعيه ليكونوا مساهمين في اقامه الحق والخير والفضيله والعدل و القضاء علي بواعث الشر والنوزاع الاجراميه من خلال الدعوه الي تنميه لجوانب الخير والقضاء على الشر ونوزاعه فبين لهم أن مرحله النفس اللؤامه التي يمر بها الإنسان تجعله يثبت علي الخير تاره ويتعثر تاره بعد اخري ومرات كثيره حتي أنه يقنط احيانا أن يصلح حاله فيظن أن مرضه لا علاج له ولهذا يقول له الحق أن هذا أمر طبيعي فلا تقلق وانما عليك أن تتقي الله وتطلب مرضاته وتجاهد نفسك بتزكيتها فإن حصل ذلك نلت الفلاح الكامل فتخمد الشهوات من تلقاء نفسها وعندها يرزقك الله نور يصل الي قلبك فتري الحقيقه ويرزقك الله الاخلاص وقبول العمل عندئذ يحدث في حياتك انقلاب عجيب يحدث تغير في حياتك فتكون حياتك كلها لله وتبتعد عن حالاتك السابقه (اللؤمه) تدريجيا ويغسل الله قلبك ونفسك وروحك ويطهرها من الدنس ويحبب الله الايمان في قلبك ويزينه ويذهب عنك الرجس ويستولي الاخلاص علي قلبك وكيانك

(كيف يهتدي الي سبيل الله)

أخبرنا الله أن كل شي وعمل في الحياه له أسباب وعلي هذه الأسباب يتوقف الوصول إلي طريق الهدايه ولهذا أخبرنا الله أن ذلك يبدأ بعلم حكم ماتقول وماتفعل قبل صدروه منك فقال تعالي (يايها الذين آمنوا) ثم تعظيم أمر الله وخوفه سبحانه وتعالي وان الامر الثالث ان تطلب الوصال والقربه بالله وهذا لايكون بقوه عقولنا وانما يكون بمساعده الله تعالي فما هي الوسيله لاخلاف أنها الطاعه لأمر الله ولهذا قال تعالي (وجاهدوا في سبيله) فـ الطاعه تتطلب معرفه الحكم للفعل هل طاعه لله ام لا؟

فإذا لم يكن طاعه فلايفعله إلا أن يكون مباحا يستعين به علي الطاعه وحينئذ يصير طاعه واذا كان طاعه فينظر هل هو قادر عليه ام لا فإذا لم يكن قادرا عليه فلا يقدم عليه فإذا كان قادرا عليه فاللازم أن يأتيه من بابه يقول ابن القيم رحمه الله فهذه الأمور الثلاثه (الطاعه والاعانه والهدايه) اصل سعاده العبد وفلاحه وهو معني قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين هدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فاسعد الخلق أهل العباده والاستعانة والهدايه الي المطلوب واشقاهم من عدم الأمور الثلاثه

ولهذا نفهم اننا نحتاج الي مساعده الله بأن نطلب من الله أن يحمينا من سلوك طريق غضب الله عليهم ويحمينا من طريق الضالين وأن يهدينا الي سبيله بأن ننال مرضاته ونعمته (التوفيق والنجاح والفلاح)

التي حظي بها النبيون والصديقين والصالحين والشهداء

ولهذا فإن الدعاء والتضرع لله تعالي هو الوسيله التي لايبرح الصالحين أن يتوسلوا بها الي الله ليحموا أنفسهم من السيئات وان يتقبل الله أعمالهم باذعان وإجلال وحب وخوف وخشيه فالله يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ا لاولي في الدنيا بازاله القلق والآلام والاوساخ من قلبه وتوفيقه الي صالح الاعمال وتقويه العزائم والهمم والثانيه في الاخره

ولهذا أطلق علي طلب القرب منه الوسيله وهي الأعمال الصالحه أن تكون عباده لله وان يطلب القرب بها من الله اشاره الي سنه الفعل ورد الفعل التي جعلها الله وسيله القرب منه فهو يقول (واذا سالك عبادي فاني قريب اجيب دعوه الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون)

فالذي يريد الوصال بالله والقرب منه وإصلاح الحالات الروحانية للوصول إلي الكمال عليه أن يفتح أبواب الهدايه كي يستقبل انوار الحق لتدخل الي كيانه فما يترتب علي أفعالنا من نتائج إنما هو عقوبه من الله فمن أراد الوصول إلي الفلاح عليه أن يكون في مكان يسخط الله وعليه أن يحرص أن يراه الله فيما يحب ويرضي وهذا يتطلب بذل مجهود يجاهد فيها نفسه وأن يبيع نفسه لله تعالي وهذا يتطلب أن يكف نفسه عن اهوائها وعليه حملها علي المشقه والعدل في جميع أحوالها وان يضحي بنفسه في سبيل الله وحمايه دينه واعلاء كلمته ليجد الف لاح الكامل في الدنيا والآخرة فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا) فالذين يبذلون الجهد في ابتغاء مرضاة الله سيجزيهم مقابل ذلك هدايتهم الي طريقه المستقيم الذي فيه النجاه و السلامه والسعاده والفوز والظفر وأما الذين اعوجوا ولم يسيروا في طريق الهدايه فهولاء يجعل الله طريقهم معوج ويورث في قلبه الاعوجاج فقال تعالي (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم)

ثانيا

ان الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخرجين منها ولهم عذاب مقيم)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد الآتي

أن ظاهر الجمله أنها متصله بجمله (ولهم في الاخره عذاب عظيم)

اتصال بيان فهي مبينه لتلك الجمله وتهويلا لهذا العذاب الذي توعد به المحاربين التي نزلت الآيات بشأنهم وذكرت النصوص العفو عن التائيبن وهنا عقبت بذكر تفصيل جزاء الذين يحاربون الله ورسوله المشار إليه سابقا وهنا نقف علي مدلولات النصوص من خلال الآتي

الأمر الأول

(لماذا اطلق عليهم كفارا اذا كانت الايه متعلقه بالمحاربين)

الجواب لأن الايه قبلها قد بينت أن ترك الاوصاف الثلاثه (التقوي _وطلب الوسيله _والجهاد) مزيلا للوصف الأول الايمان فكان مناسبا للتحذير من تركها ذكر حال الكفار من خلال هذا التصوير لحال الكفار الذين لايرقبون الله ولا يطلبون الوسيله ولايجاهدون أنفسهم ولايطلبون طريق الفلاح بهذا الأسلوب الرائع الذي يرسم مشهد متحرك لحالهم يجسد قبح حالهم فتاتي الآيات بافتراض يفوق الخيال في عالم الافتراض (لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه)

أنه لو جمع مافي الارض من ذهب وكنوز وكل مافيها من أموال ومثله معه وسلمه عوضا عن عقوبه العذاب في نار جهنم فانه لن يقبل منه لبيان حاجتك ايه الإنسان الي ربك في أن يوفقك الي الهدايه أكثر من حاجتك الي الطعام والشراب لأن السعاده والسلامه هي بالهداية الي الصراط المستقيم فأخبر الحق انه لوقدموا بهذا المال كله ماقبل منهم عوضا عن عذابهم وعقابهم بل هو معذبهم في حميم يوم القيامه عذابا موجعا خالدا لايخرجون منه

الأمر الثاني

(فائده هذا اسلوب الافتراض بأنه لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه لما قبل منهم يوم القيامه عوضا عن العذاب)

ان الايه ترسم مشهد متحرك لحالهم يجسد شخصية الكافر واطماعه وانشغاله في الدنيا بالشهوات والملذات فهذا هو حال كل من لم يعرف الغايه من وجوده وهو عباده الله فإنه يجعل لنفسه غايه وهدف في الحياه لايخرج عن نطاق الشهوات والملذات فتكون نظرته محصوره في هذا النطاق لانه لايوقن بالبعث والنشور والحساب والجزء ولهذا تأتي النصوص بهذه الصوره التي تجسد نظرته للحياه فهو ينهمك منشغلا بجمع المال والمناصب لأجل أن يجد الامان في المستقبل وان لايتعب وان يجد السعاده والسلامه فالكافر يعيش في عالم الخيال التي تجعله يبحث عن السعاده من خلال جمع المال فيقول له الحق لو أنه جمع مافي الارض من أموال وكنوز فاستعمل الماضي (لوا أن لهم مافي الارض) وأكد ذلك بافتراض استغراق الظرف والمظروف فقال (جميعا)

وزياده فوقه مثله ثم يصورهم وهم يحاولون الاقتداء بهذا لينجوا من عذاب يوم القيامه لترسم الآيات في النفوس منظرهم وهم في الدنيا وبايدهم الأموال الذي اعتبروه وسيله النجاه والسلامه والسعاده في دنياهم ثم تعرض منظرهم يوم القيامه وهم مخيبوا الطلب غير مقبولي الرجاء منظرهم وهم يدخلون النار ولا يخرجون منها فأراد بهذا

المفهوم الاول

بيان أن ما كان يطلب منهم في الدنيا أمر يسير جدا وهو التصديق و الإذعان وعمل الحسنات وترك السئيات فهذا هو الرصيد الحقيقي الذي سوف ينفعهم

المفهوم الثاني

تحقير شأن المال وغيره من الأشياء التي ينهمك الإنسان في جمعها وينشغل عن أمر الاخره لترسم في النفوس حقاره شأن الدنيا ومافيها من كنوز بالنسبه لعظمه يوم التغابن فلا سبيل للكافر للنجاه من اهوال يوم القيامه ولا ينفعهم ما كانوا قد جعلوه غايه أمرهم وهدف حياتهم فجاء بهذا التمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لاسبيل لهم الي

النجاه من عذاب يوم القيامه وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال يقال للكافر يوم القيامه أرأيت إن كان لك مل الأرض ذهبا أكنت تفتدي نفسك به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ... من ذلك)

المفهوم الثالث

تهويل العذاب ويوم القيامه ليكون دافعا الي خوف الله لانه لو كان الإنسان مومنا باليقين أنه لو خالف لحل عليه العذاب في الحال لما ارتكب الجريمة فالذي يعلم أنه لو شرب السم لمات فمن المؤكد أن هذا يجعله يخاف شربه فلن يشربه ولهذا فإن الذي يومن بيقين أنه عندما يحارب الله ورسوله ويسعي بالأرض فساد أنه سوف يعاقب ويحرق بالنار لن يسلك طريق الجريمه ولهذا لن يندفع وراء جمع المال الحرام ولهذا صرح بنفي القبول (ليفتدوا به) اي لن يجدوا الاقتداء ولا في اي لحظه فالعذاب ملازم لهم

ولما كان المراد تهويل الامر برده وخيبه من نظر أن المال وسيله السعاده جاء النص مبني للمفعول (ماتقبل منهم) لبيان ان المدفوع إليه تام القدره وله الغني المطلق فلا رشوه ولا محسوبيه ولا وساطه ولاشفاعه فإذا أردت أن تنجو من العذاب فعليك بالإيمان والتقوي وطلب الوسيله والتضحيه بالنفس والمال في سبيل الله وابتغاء سبيل الفلاح فكان ذكر الرد لبيان ان العذاب واقع لامحاله بالكفار ولابد أن يمضي فقال تعالي (ولهم) اي بعد ذلك (عذاب اليم) اي عذاب موجع مولم لان محل وزمان الاقتداء قد فات فالحريز يكون اتخاذه في الدنيا بتقوي الله والأعمال الصالحه اما يوم القيامه فلم يبقي الا العذاب الموجع المولم الدائم الذي لاينقطع

المفهوم الرابع

ان هذا التمثيل يهدف إلي نقل القارئ الي مشهد يوم القيامه فيري مافيها من اهوال ليحذر هذا العذاب ليكون الزهد عن الدنيا ولأجل أن يجد قلبه الحياه ليكون حذر العاقبه التي تصير إليها وحذر العاقبه يكون بأن تعمل عملا لنفسك يحفظها من سؤء المصير لتقدم لنفسك ما يحرزها فما كلفكم به تعالي يسيرا وان ثوابه كبير فلم يقبل من العصاه مافي الارض جميعا ومثله معه ولهذا قال قبلها (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله)

ولهذا تظهر الآيات شده ايلائم العذاب فقال تعالي (يريدون أن يخرجوا منها) ترسم محاولات الخروج من النار لبيان ان النيران تحيط بهم من كل جهه سؤاء في الدنيا أو الاخره لايجدون مخرجا فهم يرغمون علي البقاء فيه فالله يقول في موضع آخر (كلما اردوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وهنا نجد نفي الخروج علي سبيل التأكيد (وماهم بخرجين منها) واستعمل الجمله الاسميه للنفي فيه اشاره انه يتجدد محاولتهم للخروج ولكنهم يرغمون علي المكوث فيه فقال تعالي بعدها (ولهم عذاب مقيم) اي ماكثين فيه علي الدوام فالعذاب لايفارفهم ولا ينقطع عنهم

القسم الخامس

(والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزآء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

اولا

تعود سياق النصوص الي مناقشه قواعد حفظ الأموال وصيانه الحقوق فهي من مقاصد الشريعة الإسلامية وهنا تعرض لنا النصوص العقوبات المقرره علي جريمه السرقه وشروطها وحالات وقف العمل بهذه العقوبه ومراعاه الظروف والملابسات التي تحيط بالجريمه فقال تعالي (والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزآء

بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)

فجاءت في إطار تناول الجريمه من الذين هم في قبضه دوله. الاسلام فكان برفعهما علي الابتداء عند سيبويه وخيرها محذوف فكأنه قيل وفيما فرض عليكم عقوبه السارق والسارقه ومن في حكمهما والسرقه معروفه عند العرب وهي تختلف عن الغضب والخيانه وهي أخذ ما ل الغير المحرز خفيه فإذا لم يكون محرز أو كان مسموح له بالدخول إليه لم يكن سارقا وان يكون المسروق مال له منفعه لايتسامح به الناس وقوله (فاقطعوا أيديهما)فالفاء عند البعض تتضمن معني الشرط كانه قال والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما فالاسم الموصول تضمن معني الشرط فهذه هي عقوبه السرقه ولم يذكر في القران وصحيح السنة عقوبه السرقه سؤء قطع اليد وقد قطع حكما في الجاهليه قضي به الوليد بن المغيرة وقد أقره الاسلام ولم يريد حكما بقطع قدم الرجل واول رجل قطعت يداه في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبده مناف واول امراه قطعت يداها المخزوميه مره بنت سفيان وبالنسبه لمن يكر. ر السرقه قال الجمهور أنه يقطع رجله المخالف ليده المقطوعه أما سيدنا علي فقال لا يقطع وانما يحبس وقضي بذلك عمر فقال اني استحي أن اقطع يده الأخري فبيا شي يأكل واستحي أن اقطع رجله فعلي اي شي يعتمد وراي ابوحنيفه أنه لايحد أن كرر أما الشافعي فقد ذهب الي قطع يداه ورجليه

ولكن القضيه متعلقه بحد ومعلوم أن الحدود تدرء بالشبهات واي شبهه أعظم من اختلاف أهل العلم في هذا الأمر وفي الايه الاتي

(الغرض من هذا التشديد في العقوبه)

ان المقصد هو حفظ خق المال وصيانه الملكيه والحقوق والقضاء علي بواعث وخواطر الجريمه من داخل النفس ليكون غرس احترام حق الملكيه الفرديه والعامه وتربيه الشعور بأن هذه الملكيه تعود بالنفع والمصلحه للمجتمع كله ولهذا فإن هذا يولد قوه مانعه من المساس باملاك الآخرين

وايضا فإن هذه العقوبه كما يقول لنا الحق (جزء بما كسبا نكالا من الله)

فيها أن السارق يستحق هذه العقوبه علي فعله الشنيع ليكون هذا ردع وزجر لفاعله فهو يتناسب مع الفعل القبيح كما يقول المولي سبحانه وتعالى (وجزء سئيه سئيه مثلها) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (أن للمتقين مفازا ــــــالي قوله (جزء من ربك عطا حسابا)

والنكال العقاب الذي من شأنه أن يصد المعاقب من العوده الي الجريمه مره اخري وهو من النكول عن الشي أن النكول عنه والخوف منه فالنكال ضرب من الجزء وهو أشده فالله يقول في موضع آخر (فجعلناها نكالا) و النصب نكالا بدل من جزء بدل اشتمال فحكمه مشروعيه القطع الجزاء علي السرقه يقصد منه الردع وعدم العوده فهو ليس جزء انتقام ولكنه استصلاح لهذا الضال

وايضا فيه تربيه المجتمع علي الكسب الحلال بالعمل المشروع

فالإسلام يحرص علي أن يغرس في الضمير المسلم الاقتناع بما يرزقهم الله وأنه إذا أراد تحسين مستوى معيشته فإن هذه الطموحات مسموحه وليست عيبا لكن إنما يكون هذا من خلال الكسب الحلال وبالتالي فلا يقبل المومن الخواطر التي تدعوه الي الكسب للمال بالطرق المحرمه كالسرقه

الأمر الثاني

الاجراءت التي شرعها الاسلام لتطبيق العقوبه

لقد جاءت شريعه الاسلام بأمر الدوله أن تكفل لكل فرد حق العيش بكرامة وحقه في الاكل والشرب والسكن

وتوفير فرص العمل وأن يعلمه كيف يعمل واذا لم يجد العمل فتقوم الدوله بتوفير احتياجاته

الضروريه من الخزينه العامه من اموال الزكاه وغير ها

ولهذا نجد أنه تم وقف العمل بهذا الحكم في زمن القحط في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يقطع يد السارق في عام الرماده وكذلك اوقف عمر قطع غلمان حاطب عندما سرقا وعلم أن حاطب لايطعمهم وألزم حاطب بتسيلم قيمه الناقه والزمه بإطعام غلمانه

ولهذا فإنه في مثل هذه الأحوال لماذا يسرق السارق في دوله الاسلام فليست السرقه للحاجه وانما هي نتيجه الطمع في الكسب السريع من دون بذل مجهود فهو يريد أن يرتاح من المتاعب ويامن مستقبلها باي طريقه كانت ولو بالسرقه وهي تبدأ بخواطر قبيحه ولهذا فإن عقوبه القطع تجعل الإنسان يفكر الف مره قبل أن يقدم علي ارتكاب الجريمة لانه يعلم أنه سوف تقطع يداه فهو يدرك أنه لن يزيد كسب المال زياده كبيره وبسرعه بدون بذل جهد بل سوف يكون قطع يداه سببا لنقص الكسب فسوف يصير عاجزا عن الكسب وكذلك فإنه يشعر أنه لن يظهر أمام الناس بأن لديه مال وافير يتباهي به بل سوف يظهر أنه سارق كلما شاهد الناس يده المقطوعه وكذلك فإن المستقبل سوف يكون مخيف ولهذا فإن هذه العقوبه تسئاصل البواعث علي الجريمه من الخواطر وتولد بواعث العمل والكسب الحلال وهذا فيه حكيمه عظيمه بالقضاء علي الجريمه واقتلاع جذورها ولهذا نجد أن التعقيب بقوله تعالي (والله عزيز حكيم)

أشار إلي أن أحكامه فيها الحكمه فلا تفرطوا فيها بالتهاون والتساهل في عقوبه السارق والسارقه فإن هذا يعرضكم لعقوبه الله فهو عزيز لايغلب ولايقهر وينتقم من الذين يخالفون أحكامه فلا تهاون فيها حيث وان الايه نزلت بشأن المخزوميه التي سرقت وقد كانت العرب تنظر إلي اقامه القطع للمراه أمر فظيع ولهذا جاء جمع الأيدي لدفع التواهم أن تكون صيغه التذكير في السارق فلا يكون اقامه الحد بالانثي نظرا لأن العرب كانت لاتقيم الحد علي المراه ولهذا لجأوا الي زيد بن حارثه ليشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندما جاء زيد أنكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وقال له اتشفع في حد من حدود الله فإنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وان سرق الضعيف حدوه فوالله لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطعت يداها

الأمر الثالث

لماذا تم تقديم ذكر السارق ثم عطف عليه السارقه

الجواب

لان جريمه السرقه غالبا ما يقوم بها الذكور دون النساء ولهذا ابتدأ بالذكور قبل الإناث مثلما أن الزني من أفعال النساء نجد أنه قدم ذكر النساء علي الذكور فقال تعالي (الزانيه والزاني)

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تناول مساله السرقه وأحكامها وتبين أن العقوبه لاتسقط العقاب الإلهي في الاخره الا التوبه فقال تعالي

(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم)

فقد دلت النصوص ان السرقه ظلم لايسقط العقوبه في الاخره وان التوبه لاتسقط العقاب في الدنيا فالسارق و

السارق أن تابا فإن العقوبه لاتسقط فالأمر ليس مثل المحاربين الذين يتوبون قبل أن يلقي القبض عليهم لأن المحارب مستند لقوه فيصعب علي الامام القبض عليه إلا من خلال الخيل والركاب فكان إسقاط العقوبه عنه كما فعل بشان الكافر الذي يسلم فيغفر له جميع ماسلف أما السارق والزاني فهما في قبضه الحاكم ولهذا لايسقط عنه العقوبه بالتوبه

وانما الذي يسقط عليه بالتوبه هو العقاب في الاخره بشرط اضافي الي كف الظلم أن يقوم بعمل صالح وهذا كي يجد كسب حلال فلا يعود مره اخري للسرقه فهذا يقبل الله توبته فالله غفور رحيم

ثالثا

يعقب الحق علي ماسبق ذكره بالمبدا الذي تقوم السموات والأرض فالكون محكوم بسنن ونواميس فالله هو مالك الكون والمتحكم به والمدبر لشؤونه ومصائرهم إليه سبحانه وتعالى فقال تعالي

(ألم تعلم أن الله ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

فهو له السلطان المطلق والقدره المطلقه والملك والجزء والثواب لامعقب لحكمه

المقطع الرابع من سوره المائده

هذا المقطع ورد بعد أن تناولت النصوص قبلها احكام متعلقه بالقضاء الجنائي في الاسلام واهميه السلطه والدوله لاقامه العدل وتطبيق منهج الله في الأرض واختتمت الآيات بقوله تعالي (الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

وبعدها يقول تعالي

(يايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقول ون إن أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتننته فلن تملك له من الله شيئا اولئك لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخره عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون السحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص بربطها مع ماقبلها من الآيات نجد أن النصوص تناقش عده قضايا

المبحث الاول

أولها (قضيه الدين ....والإنسان علي الارض

فالإسلام يعطي المسلم فكره عن حقيقة مركزه في الكون دون تهوين أو تهويل ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يدعوا المسلم الي التفكر في هذا الكون بما أعطاه الله من حواس تجعله ينظر إلي وجود الله من خلال المنهج العقلي في الكون الفسيح فقال تعالي (الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء و الله علي كل شي قدير)

فهذا الكون الفسيح بأرضه وسماه وافلاكه محكوم بين منضبطه لاتشذ ولاتخطي فالله لايعجزه شي فهذا الكون فيه المنهج العقلي الذي يقدم لك الحق به الحجه والدليل للرد علي المنكرين فالله هو الخالق للسموات والأرض ومافيهما وهو المدبر والمالك والمتصرف للكون ومافيهما فهذا الانضباط يدل علي أن له اله واحد فرد صمد لا يشاركه في ذلك أحد ولهذا فإن فالإنسان والكون والحياه تخضع لسنن ونواميس وقوانين والكون لا ارده له ولا اختيار أما الإنسان فله حريه الاختيار والعقل والارداه ولهذا فإن عليه الجزء والحساب فالله له القدره المطلقه علي اعاده الإنسان الي الحياه فقال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير) لبيان ان هنالك مسؤوليه عن حريه الاختيار ولهذا فإن ولهذا ارسل الله الرسل حاملين المنهج الرباني للبشر ليرشدهم الي سبيل الهدايه والقيام بأمر الله وتزويدهم بدليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم ليكون الإنسان بهذه المعرفه علي بينه من أمره وفعله وليكون مسؤولا عن اختياره

والاسلام يحترم هذه الارداه التي سوف يحاسب عليها الإنسان فلا يرغم الناس علي الإيمان فدعوه الناس الي القبول بالمنهج الرباني تأخذ طريقتين الاولي :_ بالنسبه للقبول به كدين يومن به العبد فهذا لايكون بالإكراه وانما ا لايمان ثمره الاقتناع فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (لا إكراه في الدين)

الثانيه :_ بالنسبه لمن يعيشون في دوله الاسلام فعليهم الخضوع لقوانين الاسلام في جميع جوانب أمورهم التي تنظمها شريعه الاسلام مثل عقوبات المحاربين والسرقه وكافه القانونين التي تنظم العلاقات الماليه والاقتصاديه و الاجتماعيه والثقافيه والسياسية واختيار الحاكم الشوري والعدل والعلاقات مع الدول الأخري وغيرها من القواعد فاللازم علي رعايا دوله الاسلام الانصياع لها وان كانوا علي اديان اخري فلهم حريه التدين والعباده لكن ليس لهم

مخالفه قواعد الإسلام في نظام الحياه فالإسلام ينظر للإنسان والحياه نظره انصاف ويحترم كرامه الانسان ولا يتعرض لحريه معتقده وفيه ضمانات تحفظ كرامته وحقوقه

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يتوجه بالخطاب لنبيه صلي الله عليه وسلم (يا بها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم) وهذا فيه

الأمر الاول

ان النداء هنا من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم بقوله (يايها الرسول) بصفه الرسول ولم يناديه الله بشخصه كان يقول (يامحمد) مثلما قال (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنه) وكما قال (يا نوح أهبط) وكما قال (ياموسي اني أنا الله) وكما قال (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالنداء لهم باشخاصهم وذواتهم أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإن النداء له في عده مواضع (يايها النبي) وهنا (يايها الرسول) وهذا النداء ورد في القرآن مرتين فقط في هذه الايه وفي قوله تعالى (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)وهذا فيه الآتي

المساله الاولي

ان الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل للعالم أجمع فهو الرسول الخاتم ورساله الاسلام للعالم أجمع ففي القران الكريم المنهج الروحاني لمعالجه امراض البشريه كلها فهذا نوع من أنواع التكريم والتشريف لتأديب المومنين أن يخاطبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه كما كان يخاطبه أصحابه إذ كانوا يقولون يارسول الله ولهذا عندما جهل الاعراب ذلك فنادي الأعرابي يامحمد نتيجه خشونه الاعراب وساذجه فطراتهم انزل الله قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فكفوا عن ندائه باسمه

هي البلاغ والبيان وليس إجبار الناس علي الإيمان

المساله الثانيه

تبين النصوص أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هي البلاغ والبيان وليس إجبار الناس علي الإيمان والخطاب بعنوان الرساله للتشريف ولبيان نسخ جميع الكتب السماوية التي جاء بها الرسل

حيث كانت الرسل تحمل مناهج الي اقوامهم لمعالجه امراضهم ولاقامه حكم الله في حياه الناس لكن الرساله الا خيره جاءت لمدواه امراض البشريه كلها فناسب هذا مجئ الآيات بعد طلب حضور العقل لفهم ما يجري في الكون لبيان حاجه الإنسان الي المنهج الذي تنسجم حركته مع حركه الكون فكان توجيه الإنسان الي اتباع الرسول والأخذ بما جاء فيه من ربه فقد قدم الله البرهان العقلي علي المنهج الروحاني مبينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته البلاغ واقامه الحجه عليهم

الأمر الثاني

تصور لنا النصوص الرسول أنه إنسان يمتلئ حياه وحركه تزخر نفسه بالمشاعر والأحاسيس انسان حريص علي نجاح دعوته بكل سبيل أنه داعيه يتشوق لانتصارها ويتطلع لمستقبلها ويقلق من ارجيف الخصوم ومكائدهم فهذه النفس صاحبها الرسول المؤيد المعصوم فالنصوص تبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في ضيق وحزن شديد أما من شده حرصه علي الخلق الذين كانوا يتسابقون الي الكفر أو أنه حزن خوفا علي الدعوه من فتنه المنافقون الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يلبس أحدهم الدين كما يلبس الثواب حسب الأحوال وهم في الحقيقة عراه من مفاهيم العقيده

المهم أن الايه الكريمه ترسم لنا صوره عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إنسان فهو لاترابطه بالسماء أسباب

غير الوحي الذي ينزل عليه يقرئه القران وهذا فيه النموذج الذي تحتاجه البشريه ليفتدوا به فعلي قدر واقعيه الرساله يكون نصيبها من النجاح وعلي قدر إنسانية الرسول يكون إدراك الناس لطبيعه الرساله الواقعيه فمعرفه الرساله للناس إنما تكون من خلال شخصية من حملها فلو ارسلت ملائكه لانبهر الناس بها لفتره من الزمن لكنهم لن يستريحوا لصحبتها علي الدوام وسوف يولد عن ذلك المغالاه وقد تنبهر الناس بالكرزما لشخصيه المستبد الطاغيه فقد عاش الكثيرون امثال تلك الأحوال وصفق الكثيرون لزعماء القوميات لكن مثل هذه الشخصيات أن صلحت للزعامه الموقوته لاتصلح للهدايه الموصوله والرساله الخالده ولهذا فان اظهار وإبراز القران لشخصيه الرسول الإ نسان الذي يضيق ويحزن فيه خير دعايه ودعوه برسالته فيها عرض الرسول صلى الله عليه وسلم علي كل انسان ليكون المثل الاعلي القريب للعقول والنفوس اننا ونحن نقرأ الآيات نحس اننا نقف أمام الرسول الإنسان الذي تتبادله مشاعر الخوف والرجاء والاشفاق والثبات أنه لايدعو بعجرفه الداعي المتعاظم أو الفارغ الاحمق

وهذا بحد ذاته دليل علي صحه ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو لم يدعو الناس الي شي خاص به وانما يدعوهم الي عباده الله فهو رحمه للعالمين فالبشريه بحاجه الي بعثه الرسل من البشر أنفسهم

المبحث الثاني (الدين وحريه الإنسان)

أن نظره الاسلام للإنسان وللحياه كلها انصاف فالإسلام يعرف قدر الإنسان ولهذا يدعوه الي التفكر في الكون لكن الإسلام لايسلم الإنسان للاهواء ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يصون الطاقه الانسانيه من التبديد بالبحث فيما لافايده منه فقد ارسل الله الرسل يحملون المنهج الذي يحرر الطاقه من الانقياد للاهواء والا لهه الباطله صانها حينما وجهها الي عباده الله وحده لترضي بها اشوقها الخفيه دون أن تبيع بذلك كرامه العقل أو مصالح الدنيا فالله غني كريم لايريد منا رزق فهو تعالي لايزيد طاعه المطيع في ملكه شيئا فأرسل الرسل رحمه بنا

وهذه الاعماق البعيده لايصل إليها إلا الدين القادر علي اقتلاع الجراثيم التي يستنبتها الطغاه والظالمون لكن الإس لام لايرغم الإنسان علي الإيمان فالله يريد توحيد صادرا من نفس خالصه لله وحده برضا واختيار وعلي أساس هذه الاصوال عرض الاسلام نفسه علي الناس ولهذا فإن مساله التصديق والايمان أمر متروك لمن يقبل به فلا يرغم الناس علي الإيمان لكن مساله الحريه فالاحتكام لمنهج الله في جميع شؤون الحياه أمر لايجوز الخروج عنه من ايان من رعايا الدولة الإسلامية فلا يرغمون علي اعتناق الإسلام لكن لايسمح بمخالفه القواعد التي تنظم الحياه ولهذا نجد أن النصوص تناقش هذا الأمر من هذه الزوايا فنجد أنها احتوات علي الآتي

الأمر الأول

تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايضيق ولايحزن من حال الذين يسارعون بالتسابق الي الكفر فقال تعالي (من الذين) بيان للمسارعين في الكفر ثم أشار إليهم أنهم فريقان الاول الذين يظهرون الايمان بألسنتهم في حين قلوبهم تكذب ذلك الايمان من الذين يتلاعبون بالدين والمراد بهم المنافقون فأشار إليهم بقوله (من الذين قالوا امنا بافواهم ولم تومن قلوبهم) فأشارت النصوص أن الجراثيم مازالت تسكن قلوبهم ولم يتحرروا منها ولهذا جاء التعبير بالقول إنه من الأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم واللسان واراد بهذا بيان أن ألسنتهم ليست معبره عما في قلوبهم وان ما يصدر عنها لاتتجاوز افواههم فان ما ينطقون به لايعتقدون به في قلوبهم فاخبرنا الله (ولم تومن قلوبهم) وعطف عليها (ومن الذين هادوا)

فهولاء هم الذين يسارعون في الكفر وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبه لما متعلق بالمنافقين هو صنع هولاء الذي يقعون فيه رغم اظهار الايمان

اما بالنسبه لليهود فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون يطمعون ان يومن أهل الكتاب فينظرون لهم أنهم اقرب لهم فهم يعلمون الحق كما أخبرنا الله عن ذلك في سوره البقره

(افتطمعون أن يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد عقلوه وهم يعلمون)

فالله سبحانه وتعالى يخبر عباده أن يقطعوا الطمع في ايمان هولاء فلا امل في إيمانهم فهم يحرفون كلام الله عن عمد وعلم فهم قاموا بالتحريف والتبديل البعيد عن دائره ما تحمله النصوص وبالتالي فمن باب أولي فهم ينحرفون عن الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا نجد أن الحق استخدم لفظ (يسارعون في الكفر) ولم يقل يسارعون الي الكفر باعتبار أن المسارعه تكون من الشي لافي الشي كما قال تعالي (وسارعوا الي مغفره)

فأراد الحق باستخدام (في) لبيان ان كلا الفريقين يسارعون في دائره الكفر وفي قطرها. فهم في دائره التخلف والاختلاف يتسابقون داخلها كما قال تعالي (لاصلبنكم في جذوع النخل) فالمراد بهذا تهديد فرعون السحره الذين آمنوا أنه سوف يصلبهم حتي يدخل المصلوب في المصلوب فيه ولهذا استخدم في ولم يستخدم علي ..وهو ما استعملته الآيات هنا لبيان ان هولاء يتحركون في دائره الكفر واقطارها فقد انتقلوا الي أعمق مافي الكفر فالإيمان محله القلب ولهذا لما قالت الاعراب امنا قال الله (قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فهولاء لم يومنوا بقلوبهم وبالتالي فهم لم يخرجوا من الكفر بعد وكذلك فإن اليهود قد انحرفوا منذ فتره زمنيه بعيده ودخلوا في الكفر ولهذا فلا يستحق هولاء عناء الحزن لتسابقهم الي الكفر والمكائد كلما وجدوا فرصه لذلك

الأمر الثاني

تأتي سياق النصوص متضمنه أوصاف ذم لهذه الأصناف فقال تعالي (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم عن موضعه)

وهذا فيه الآتي

المساله الاولى

وهذا أما ان يكون الوصف يعم الجميع المنافقين واليهود بكونهم سماعون للكذب وأما أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى (ولم تومن قلوبهم) بشأن المنافقين ثم ابتداء الحديث عن اليهود والمعني أنهم قائلون الكذاب فهم يسمعونه من رؤساءهم ويقبلونه منهم فالسمع هنا يراد منه القبول كما تقول لاتسمع من فلان أي لاتقبل منه وقيل إن معناها لأجل فهم كانوا يسمعون الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل نقله وتحريفه ولهذا فإن الأرجح أن النص فيه وصف كلا الفريقين اليهود والمنافقين باعتبار أن قوله (سماعون)خبر مبتدأ محذوف تقديره هم اليهود والمنافقين في الجميع كان يسعي الي نشر الاشاعات الكاذبه وآثاره الشبهات وتزيف الحقائق لأجل النيل من الإسلام ومن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فالايات فيها تثبيت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقويه قلبه ليتفرغ للتبليغ بعزيمه قويه وهمه نافذه لاتساوه الاحزان ولاتحتل ساحات الهموم والاكدار قلبه لأنها تكسر شوكه العزيمه وتضعف قوه الاراده وتطفي جذور النشاط الملتهب وتقعد الإنسان عن السير نحو الهدف الاعلي الذي يتوخاه في عمله وهو اصلاح البشريه وتهذيب الفطره وتوجيه العالم الي طريق الهدايه والرشاد ولهذا انزل الله الآيات لتثبت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهه عواصف الفتن التي ثارت بالمدينه بفعل دسائس اليهود والمنافقين الذين كانوا يتبادلون الأدوار في حياكه المومرات ويولبون عليه الأعداء وينقضون العهود في احراج الأوقات ويبثون الشبهات بين ضعفاء المسلمين ليفتنوهم عن اتباعه ويدبرون المكائد لاغتياله فوصف الله اجتماع اليهود و المنافقين (وإذ خلو الي شيطانهم قالوا انا معكم ..الخ

المساله الثانيه

يقول الحق لنبيه لاتحزن لعدم استجابه هولاء لدعوه الايمان فمثل هولاء غير صالحون للبناء فالبناء يحتاج الي تعاون وتضامن بين سواعد البناء والسواعد الموجوده في صفوف هولاء لاتتعاون من أجل البناء في وضح النهار وانما تعمل في الظلام في مجال التخريب والنسف والتدمير ...و لهذا نجد أنه وصفهم بقوله(سماعون) وهو ما يفهم ان هنالك صوت صادر فيه توجيهات فالمتكلم أما أن يكون صادق وأما أن يكون كاذب والخبر أما أن يكون حقا وأما أن يكون باطلا

وهنا يكون حال المتلقي فهو عند سماعه للحديث أما أن يقبل به دون فحصه ومعرفه صدقه من كذبه واما أن يفحصه ويدقق في صحته ..وهذا يعود إلي ميل النفس والثقه بالمصدر فإذا كانت النفس تميل الي الحق فإنها سوف تبحث عن صحه الحديث فإذا كان المصدر موثوقا فيه فإنها تسارع الي القبول به ..أما إذا كانت النفس فاجره فإنها تكره الصدق والحق وأهله ولهذا لاتقبل به فهي وان سمعت كلام أهل الصدق فإن غرضها من ذلك تحريفه وتأويله معني أو لفظ بما يوافق اهوائه أو أنها إنما تحضر مجالس اهل الحق والصدق لأجل أن يسمع ليكذب بما سمع أو يسمعون لينقلوا ماسمعوا الي قوم آخرين فهم جواسيس ولهذا قال (سماعون) ولم يقل سامعون لبيان ان حرفه هولاء هي التسمع فالنصوص ترسم لنا تصويرا دقيقا عن طباعهم ان نفوسهم اعتادت سماع الأكاذيب وقبوله وهم يطيعون قوم آخرين فقال تعالي (سماعون لقوم آخرين لم ياتوك) فالذم لهولاء أنهم يقبلون الباطل كما قال تعالي (هل أدلكم علي من تنزل الشيطان تنزل علي كل افتك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون) فإنما انزلت بالسمع الذي يخلط فيه بكلمه الصدق الف كلمه من الكذب علي من هو كاذب فاجر فيكون سماعا للكذب من مسترقه السمع

فاخبرنا الله أن هو لاء يسمعون الاشاعات الباطله سماع ميل إليها بحب وارده نشرها وان الأكابر الذين ارسلوهم منعهم من حضور مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم الكبر والغرور وخوف أن يحدث ذلك أثرا في نفوس اتباعهم فأشار الي الاحبار والرهبان الذين كان المنافقون يعملون بالتجسس لحسابهم والايه نزلت بخصوص أن رجل وامراه من أشراف اليهود ارتكبا جريمه الزنا فأرسلوا أناس منهم الي الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم فيهم بعد أن سمعوا عن حكم الجلد فأرادوا أن يتهربوا من حكم رجم الزاني المحصن في التوراه والأمر الثاني بشأن الديات حيث كان نظام هولاء أن القبيله الغالبه يكون القتيل منها ديه مائه بينما القتيل من القبيله المنهزمه هي خمسين فلما جاء الرسول رفضت القبيله المنهزمه ذلك النظام وقالوا لنحتكم الي محمد فأرسلت اليهود اتباعهم وقالوا لهم أن قال بالجلد فخذوا الحكم وان قال بالرجم فلا تاخذوه فدل هذا أنهم اردوا الاحتيال علي حكم الله ولم يطلبوا الحق المهم انهم عندما جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم انزل الله جبريل يكشف حقيقه اغراض هولاء فبعد أن أخبرهم الرسول برجم المحصن الزاني فانكروا ذلك قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا ابيض امرد أعور يسكن فدك فقالوا ابن صوريا فقال نعم هو فقال لهم أي رجل فيكم هو قالوا هو أعلم اليهود علي وجه الارض بما في التوراه فقال أرسلوا إليه فاتاهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسي ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق فرعون .....أن تذكر حكم الزني المحصن الرجم ام لا فقال ابن صوريا نعم فوثبت عليه اليهود وقالوا له خفت أن كذبت علينا ثم سأل ابن صوريا عن أشياء كان يعرفها ثم أسلم ثم أمر الرسول بالزنيان فاقم عليهما الحد وهذا فيه

المفهوم الاول

التحذير من الالتواء علي أحكام الشرع فاحذر فإن هذا إنما هو سلوك أهل الفجور الذين اعتادوا علي قبول الكذب والباطل فالله يعيطنا هذا المثال عن الذين اعتادت نفوسهم علي قبول الكذب من الذين حضروا يريدون التخفيف في الحكم ولم يطلبوا الحق والعدل بان هولاء غير صالحون لاستقبال انوار الله نتيجه اتباع الهوى وتعوود السير في طريق اللف والدوران بالالتواء علي الشرع فهذا لايصدر الا عن شخص لايخاف الله ولايستقبل أمر الله ؛

التعظيم والاجلال وانما هولاء يخافون من البشر ولهذا لايتورعون عن اختراق أحكام الشرع اذا شعروا أنهم بأمان من لؤم الناس فهولاء عندما حضروا الي الرسول لم يكونوا يطلبون الحق وانما يبحثون عن مداخل يلبي رغابتهم ولم ينظروا الي الثواب والعقاب الإلهي

المفهوم الثاني

ان الحق سبحانه وتعالي يأمر عباده بتحري الصدق والابتعاد عن الكذب فالكذب طريق الفجور وأما الصدق فهو طريق البر ولهذا فإن الحق يحذر من تحول الالتزام للشرع الي عادات وتقاليد اجتماعيه نتيجه تعاقب الأجيال فلا بد أن تشعر انك تعبد الله بها تشعر انك في امتحان واختبار في كل تكليف وفي كل قاعده شرعيه انزلها الله سؤاء في العبادات بمفهومها الضيق الشعائر الدينية أو في المعاملات مع نفسك أو أفراد أسرتك أو المجتمع من حولك أو في العلاقات مع الدول الأخري فالله جعلها اختبار لك سؤء كنت في موقع الحاكم أو المحكوم فنحن اذا سألنا اي شخص هل تفضل اقامه العدل ام النظام الطبقي فمن المؤكد أن كل شخص نصادفه ونطرح عليه السؤال سوف يرد أن اقامه حكم الله العادل هو الذي يتمناه ويطالب باقامته لكن عندما يحصل لهذا الشخص الامتحان كان يتولي منصب ما فإنه سوف يحاول تبرير الجوار منه وكذلك إذا وضع في الامتحان كان ارتكب جريمه وصار في قفص الاتهام فانه سوف يحاول ازاحه العقوبه عنه باي حال من الأحوال فلا ينظر إلي أنه بذلك يعارض شرع الله ولهذا يحذر الله عباده من الابتلاء والامتحان في هذه المواقف فقال تعالي (ومن يرد الله فتننته فلن تملك له من الله شيئا)

فالله يضع العبد في مواقف حرجه ليظهر معدنه وهل هو صادق في ايمانه فاستعمل (ومن) شرطيه فالذي يخفي حقيقه كذبه وعدم صدقه فإن الله عندما يريد أن يكشفه ويفضحه يضعه في اختبار وامتحان فإذا كان غير صادق في إيمانه فإنه يظهر للناس ابتعاده عن الحق ويظهر فشله علي السطح والعلن

فكم نحن اليوم بحاجه الي إدراك هذه الحقيقه واستحضار هذه الايه في أذهاننا وقت الاختبار فعندما يحصل لنا موقف صعب ونجد في أنفسنا رغبه في البحث عن ثغرات القانون التي نري أن فيها النجاه ونحن ندرك أنها لا تنطبق علي الحاله التي نحن فيها ففي هذا الموقف علينا أن ندرك أننا في امتحان ونتيجه هذا الامتحان متوقفه علي سلامه قلوبنا وطهارتها وان عمليه البحث عن الثغرات للتنصل عن التزامتنا دليل الفشل لنتراجع عن هذا التفكير حتي لاتتسخ قلوبنا فنحن نري الكثير من الناس من يدرك أنه قد طلق زوجته بينونه كبري وأنها صارت محرمه عليه ومع ذلك يحاول جاهدا أن يحصل علي فتوي من أحد المشايخ يحل له إعادتها الي عصمته برغم أنه قد طلقها ثلاثا فهذا الشخص إنما يريد الاحتيال علي شرع.الله فهو لايخجل من الله وانما يخجل من الناس فهذا لايري أنه يتعامل مع الله ولهذا فإن الحق يحذر المسلمين من الانزلاق في المزالق التي وقع فيها اليهود

المفهوم الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن كل أمر من قول أو فعل لابد له ظاهر وباطن فقال تعالي (من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم)

فالظاهر قول اللسان والباطن مايقوم بالقلب من حقائق ومعاني الايمان فالظاهر لابد له من باطن يصدقه ويوافقه فالمنافق لما اتي بظاهر الاسلام دون حقائق الإيمان التي توافقه لم يقبل منه ولم ينفعه ذلك فالله يقول (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون)

فمن قام بالظاهر من غير تصديق بالباطن فهو منافق

ومن ادعي باطنا يخالف الظاهر فهو كافر منافق بل باطن الدين يحققه ظاهره ويصدقه ويوافقه ويتطابق الظاهر مع الباطن ويحققه مثلما أن الإنسان له جسد وروح فلابد لدين الإنسان من ظاهر وباطن فالباطن الباطن من الإ

إنسان والظاهر للظاهر منه

المبحث الثالث

يأتي التعقيب علي ماسبق (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخره عذاب عظيم)

الآيات مازالت تناقش مساله تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايحزن علي مسارعه هولاء في الكفر وان لا يطمع في ايمان هولاء فأخبره الله إنه لايملك لأحد نفعا وانما عليه البلاغ وليس إجبار الناس علي الإيمان وهنا تبين النصوص عله هذا الجحود من هولاء بأن النفوس الخبيثه التي دنست قلوبهم لايريد الله أن يطهرها من اوساخها وهنا قد يقول البعض أن الحكم قدريا عليه فنرد علي ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

ان أردته تعالي إنما تتعلق بما اقتضته سنته العادله في نفوس البشر وهي أن هذه النفوس اذا اردت الباطل وتوغلت فيه فإنها كلما أوغلت ازددت أحاطت الخطايا بها حتي تضيق عليها المخرج فلا يبقي لديها نور فتكون مظلمه معتمه وتصبح نوافذ ها مغلقه فلا تصل إليها الانوار وتصبح غير قابله للحق وان لهذا قال تعالي في موضع (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

فهذه هي الوسيله للهدايه والتوفيق والسداد أما هولاء فإنهم لا يقبلون الحق ولايرغبون فيه فطباعهم لاتقبل سوي مايلقي عليهم الأكابر والاحبار ولهذا لايريد الله تطهيرهم فتلك هي سنته تعالي ولن تجد لسنه الله تبديلا قال تعالي (أما من بخل واستغني فنيسيره للعسري)

الأمر الثاني

عليك أن تفهم ايه المسلم أن القلب بيتا ومحل الفهم ومعاني القران لاتذوقها الا القلوب الطاهره وهي قلوب المتقين فالله سبحانه قد أخبرنا في هذه السوره (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)

وقال تعالي في سوره البقره (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لاتدخل الملائكه بيتا فيه كلب ولاجنب)

والقلب هوبيت الإنسان وبالتالي لاتدخله حقائق الإيمان اذا كان فيها ماينجسه من الكبر والحسد فالله يقول هنا (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال تعالي في سوره الاعراف (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأن يروا كل ايه لايومنوا بها وأن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وأن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)

وقال تعالي (لايمسه الا المطهرون) مثلما أنه في اللوح المحفوظ لاتمسه الا الأبدان المطهره فمعاني القرآن وعلومه ومافيه من العلم بمعرفه الله ومحبته والإخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء والرضاء بحكمه والا نابه الي الله والأخلاق التي يغرسها في النفوس من التواضع والحياء والحب في الله والبغض في الله إنما ينتفع بها من كان طاهر الباطن والظاهر فالله يقول في موضع آخر (شفاء لما في الصدور وهدي ورحمه للمومنين)

فالقلب ملك وبقيه الاعضاء جنوده فإذا صلح القلب صلحت الجنود واذا فسد القلب فسدت الاعضاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إلا أن في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهو القلب) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (الاسلام علانيه والايمان في القلب)

ولهذا فالله يفتح علي قلوب أولياءه المتقون وعباده الصالحين سبب طهاره قلوبهم مما يكرهه وأتباعهم مما يحبه ما لايفتح به علي غيرهم بأن يزين الله الإيمان لهم ويحببه في قلوبهم وهذا إنما يكون بالعمل الذي يقرب العبد من الله فالله يقول في موضع آخر (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ولاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)

فدل هذا أن من فعل ما أمر به يهديه الله صراطا مستقيما فقال لنا في موضع آخر (والذين اهتدوا زادهم هدي واتاهم تقواهم) وقال تعالي أيضا (أنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدي) وقال تعالي أيضا (هذا بصائر للناس وهدي ورحمه لقوم يوقنون)

واخبرنا أن اتباع اليهود ما يكرهه تعالي ادي الي صرفهم عن العلم والهدى فقال تعالي (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) وقال تعالي أيضا

(واقسموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءتهم ايه ليومنن بها قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم أنها ان جاءت لا يومنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

اي وما يشعركم أنها إذا جاءت لايومنون بها ونقلت افئداتهم اي يتركون الايمان ونحن نقلب افئداتهم لكونهم لم يومنوا بها اول مره

فمن التزم بالسير وفق أمر الله ونواهيه بالعمل بما يعلمون دون إفراط ولاتفريط فهذا يسهل له الله الطريق أما الذي يخالف الشرع وهو عالما بحرمته فهذا يعاقبه الله بأن يجعل الظلمات تحيط بقلبه فالله يقول (والله لا يهدي القوم الكافرين) فالذين قلوبهم مليئه بالاحقاد والحسد والكبر لايرشدها الله الي الهدايه قال تعالي في موضع آخر (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا بما كانوا يكذبون)

ولهذا نجد أن الحق يستعمل الضمير (اولئك) يكشف لنا حقيقه هولاء بأن هولاء واقعين تحت نقمته وسخطه فاخبرنا بأن لهم ذل الخزي والفضيحه في الدنيا (لهم خزي في الدنيا) المنافقين بظهور نفاقهم وكشفهم واليهود بالجزيه والافتضاح بإظهار كذبهم والتهديد بالعذاب بالاخره (ولهم في الاخره عذاب عظيم)

المبحث الرابع

تمضي سياق في وصف انحراف هولاء وبعدهم عن الهدايه فقال تعالي (سماعون للكذب اكالون السحت)

النصوص فيها تشخيص أسباب عدم قابلية هولاء لنور الايمان لأن اسماعهم قابله للكذب ورغبه فيه فهولاء ميؤس من صلاحهم لأن الكذب قد صار خصله لهم طبعت نفوسهم علي حب الباطل وسماع الكذب فاخبرنا الله أن عمل هولاء الاستماع للكذب واكل السحت وكأنهم يرهقون اذا أكلوا المال الحلال فالنصوص تبين أن غذاء أجسادهم وقلوبهم هو الغذاء الحرام بخلاف من يأكل الحلال ولايقبل الا الصدق فإن هذا يحرص علي أن يكون غذاء جسده حلال وغذاء روحه الصدق طالبا أن يكتب عند الله صديقا وفي هذا ذم لمن يروج للكذب ويقبله ومن يؤثر هواه لا سيما إذا اقتران بذلك قبولها لأجل العوض الرشوه أو الجاه أو السلطان كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال تعالي (أن كثير من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

ولهذا جاء بصيغه المبالغة (اكالون) السحت واصل السحت الاستئصال فيقال سحته اذا استاصلته وسميت الرشوه في الحكم سحت لانه يستأصل دين المرتشي والسحت اكل حرام يحمل شده الشره فلا يكون له بركه ولا لمن

أخذه مرؤه ومن يتعامل بالرشوه فإنه ينصت بالإستماع للكاذب وينصرف عن سماع الصادق

ولهذا اقتران بالسماع وايضا فيها معني اخر أن من جعل التجسس صنعه له فإن هذا يكون عينا لغيره وهذا يكون ناقلا لامانه المجالس ونقل اخبارهم وجميعها آثام وهذه الأمور قول الإثم وسماع الكذب واكل السحت اعمال متلا زمه في العاده فالله يقول في موضع آخر (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت)يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

فمن تعود أخذ المال الحرام يكون قابلا لسماع الكذب والقول به وخاصه الحاكم بين الناس فإنه إذا ارتشي سمع الشهاده الزور والدعوي الكاذبه فصار سماعا للكذب اكالا السحت قائلا للاثم

ومن هنا فإن علي المومن الاحتياط في أموره كلها حتي لايقع في البهتان والحرام وهذا إنما يكون بالحرص علي تنظيف جسده من الاكل الحرام وروحه من أن يسمع الحرام فالإنسان يختلف عن الحيوان فلا يأكل إلا من الطيب الحلال أما الحيوان فهو ياكل اي شي اذا جاع ولهذا فعليك أن تقنع بالحلال وان كان قليلا

المبحث الخامس

تأتي الآيات بعد هذا التشخيص عن حال اليهود والمنافقين لترسم للرسول صلى الله عليه وسلم اسلوب التعامل معهم فقال تعالي (فإن جاوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين)

ذهب البعض الي القول أن الايه منسوخه لانه ورد فيها التخيير للرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاء إليه اليهود وسألوه أن يحكم بينهم أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم

والحقيقة أن الايه محكمه وليست منسوخه علي الاطلاق لأن الآيات نزلت في وقت مبكر من انشا دوله الاسلام في المدينة المنورة ولم يكن بني قريظه وبني النظير واليهود عموما خاضعين لدوله الاسلام وانما كانت هنالك معاهدات بينهم وبين المسلمين فتلك المعاهدات تصور لنا أنهم دول مستقله فالايات ترسم لنا قواعد التعامل الدولي في دوله الاسلام مع الدول الأخري ورعايا الدول التي بينها وبين دوله الاسلام معاهدات وهو مايفهم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له ولايه عليهم ليفرض الزامهم بالاحتكام إليه فلم يكونوا من رعايا الدولة الإسلامية وبالتالي فالايه تتناول مساله مختلفه عن الآيات التي تناولت حكم أهل الذمه الذين يدخلون تحت سلطان الاسلام والتي توجب عليهم الخضوع لأحكام وقضاه الاسلام في المسائل المتعلقه بالمعاملات التي بينهم وبين غيرهم اذا وصلت الي القضاء المسلم وكذلك في المسائل المتعلقه بالاعتداء كالسرقه وغيرها من المفاسد التي تخالف قواعد النظام العام أما في عبادتهم وعقود النكاح بينهم فهذه تخضع لشرائعهم

ولهذا فإن الآيات تناقش هنا

الأمر الأول

(تناقش قضيه التحكيم)

لانه في زمن نزول الايات لم يكن اليهود من رعايا الدولة الإسلامية ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت (فإن جاوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم)

فالفاء هنا مفصحه بانه اذا كان حالهم أنهم لم ياتوك لأجل معرفه الحق ولارغبه في ذلك بل اردوا التخفيف في الحكم ولهذا فلك حريه الاختيار أن تحكم بينهم أو تعرض عنهم فالتخيير هنا بخصوص المعاهد الذي لايخضع لنظام وقانون الدوله الاسلاميه

ولايقيم فيها

ولهذا فإن هذه الايه تعطينا صوره لما قدمه الاسلام من قواعد تنظم هذه الأحوال والتي سبقت النظم القانونيه الحديثه في صياغه قواعد هذه المسائل حيث نجد فيها

١

أنها بينت أن عقد التحكيم اختياري اي برضاء الطرفين المتخاصمين فلا يكون ارغام أحد علي الاحتكام فقال تعالي (فإن جاوك)

فعبر عن ذلك بما يفيد الاختيار بمجي المتخاصمين الي الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكون له سلطه إجبارهم علي الاحتكام إليه وهذا لايكون إلا في التحكيم لان المحكم لايكون له ولايه الحكم عليهم أما في حاله ما يكونون خاضعين لولايه القاضي فلا يحتاج الي اختيار تحكيم لأن له ولايه الحكم وهم ملزمون بالاحتكام أليه

٢

بينت أن قبول المحكم أن يحكم بينهم أمر يعود إلي اختياره وتقديره وهذا لايكون إلا في حاله التحكيم أما القاضي الذي له ولايه علي أطراف الخصومه فلا يجوز له رفض القيام بالحكم لأن هذا يعد نكول عن العداله

٣

ان علي المحكم أن يكون عارفا بأحوال وعادت وظروف وثقافه المحكومين ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى ذكر له أنهم سماعون للكذب اكالون السحت...فهذه هي عوائدهم فهم لم ياتوا اليك لأجل الحق وانما طمعا في التخفيف

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص مبينه مبادئ وقواعد التحكيم

(وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين)

اول هذه المبادئ أن لايكون في وثيقه التحكيم شرط يخالف النظام العام لأن هولاء كانوا قد أخبروا اتباعهم أنهم عندما يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم فعليهم أن لايقبلوا ما سوف يصدر عنه إذا قضي بالرجم ...وكذلك في شأن الديه اذا خالف عوائدهم ولهذا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إذا قضي بينهم بحسب عوائدهم فسوف يلتحقون بالإسلام فأخبره الله إنه إذا اعرض عنهم لن يضروه شيئا فجاءت (شيئا) نكره للتحقير من شأنهم

ثم أخبره أنه أن حكم أن يحكم بينهم بالعدل والعدل الحكم الموافق لشريعه الاسلام فقاعده التعامل مع الله هو أن تسعي إلي تطبيق مايحب الله تعالي ويرضاه (أن الله يحب المقسطين)

فهذه هي القاعده التي يجب مراعاتها وانت تحكم بين الناس بغض النظر عن أفكارهم وتصورتهم وان كانوا أعداء فأنت تتعامل مع الله فلا تتأثر بما يصدر عنهم من عدواه فالسعي لما يحب الله ويرضاه هو الكفيل بتحقيق العدل ففي الحديث (أن المقسطين عند الله علي منابر من نور عند الرحمن ...الخ

المبحث السادس

ان الاسلام هو الدين الذي يحقق العدل والقسط ولما كانت التوراه منسوخه بالإسلام فإن الرسول صلى الله عليه

وسلم حكم بينهم بالإسلام وانما أشار إلي التوراه ومافيها من حكم بشأن الرجم الزاني المحصن لبيين لليهود حقيقه شرعهم في التوراه وبيان خطوره العادات والتأويل الفاسد فاتضح بطلان ما كانوا يحكمون به لعدم موافقته لشرعهم فكان في هذا كشف وفضيحه اليهود لكتمانهم التوراه واخفاء ها ولهذا تأتي النصوص بعدها بأسلوب الاستفهام الانكاري (وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بـ المومنين)

فهذا استفهام ينكر الله عليهم ارائهم الفاسده ومقاصدهم الزائغه فهم يدعون الايمان والتمسك بالتوراه ويزعمون أن الذي يمنعهم من الالتحاق بالإسلام هو التوراه ومع ذلك تركوها لما سمعوا بحكم الجلد للزني الغير محصن وجاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران لبيان ان طلب هولاء هو الهوي وارضاء الشهوات الفاسده فهم لايطلبون الحق ولهذا عندما حكم بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم بـ العدل رفضوا القبول بالحكم ولهذا جاء باسم الاشاره الذي فيه نفي ايمان هولاء باي كتاب علي الاطلاق لتشنيع ماهم عليه فقال تعالي (وما اولئك بالمومنين)

القسم الثاني

بعد أن تناولت النصوص في الايات السابقه حال الذين لايقبلون بالاحتكام الي شريعه الله في حياتهم تأتي النصوص متناوله حال الذين لايحكمون بشريعه الله ومبينه الغايه التي جاءت بها الكتب السماوية فقال تعالي (انا انزلنا التوراه فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشو الناس واخشون ولاتشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق فهو كفاره له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظه للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون)

اولا

ابتدأت النصوص بتناول المراد من الكتب السماوية بذكر التوراه بقوله تعالي (انا انزلنا التوراه) بعد أن ذكر ت النصوص قبلها عجائب حال اليهود من تركهم التوراه وهم يعلمون وكيف أنهم يتبعون اهوائهم فجاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين التخفيف لما في حكم الزني المحصن فعرض ما فيهم من الفساد وعدم تلقي أوامر الله ونواهيه بالتعظيم والاجلال ولهذا ابتدأ (انا انزلنا التوراه) ولفظ انا فيها بيان أن الله هو الذي أنزل التوراه علي موسي عليه السلام فمصدر التوراه هو الله سبحانه وتعالى فأراد بهذا أن يبين الحق أن التشريع والأحكام في جميع القضايا والمشكلات وجميع جوانب الحياة للناس أمر اختص الله به نفسه ومرتبط بالالوهيه والربوبيه و العبودية لله تعالي ولهذا وصفها بالنزول لتدل علي انها وحي من الله

وبالتالي فإن هذا الأمر كان يقتضي عليهم الشعور بعظمه مافيها من أحكام ومقابله أمر الله بالتعظيم والاجلال و التقدير فدل هذا أن العيب فيهم يعود إلي عدم حفظ مقاصد الدين وعدم مراعاه حق الله عليهم بخوفه وتعظيم امره فأراد بهذا التحذير من هذا السلوك فإن هذا يدل علي الخروج عن دائره الايمان ولهذا نجد أن النصوص تتناول هذا الأمر من خلال المواضيع الاتيه

الأمر الأول

تأتي بأسلوب المدح علي التوراه (فيها هدي ونور)

الهدي أنه تعالي انزل فيها الأحكام والاداله والبراهين القاطعه اي أن في التوراه كل ما يهدي الي سبيل الرشاد

ويودي الي الحق فقد جاء فيها بيان كل شي وبالتفصيل لكل شأن ومن ذلك ثبوت نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وعطف علي ذلك النور وهو الكاشف الشبهات الموضح للطريق والنور احيانا يستعمل للايمان والحكمه كما قال تعالي (يخرجهم من الظلمات إلى النور) فهنالك بين النور والهدى عموم وخصوص والعطف بها هنا من المغايره بالعموم

الأمر الثاني

دلت النصوص أن الكتب السماوية منزله من عند الله لتكون منهج هدايه ليكون هذا المنهج هو القائد الذي يقود البشريه وينظم أحوالها فهو منهج هدايه وهو دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ولكن ليس انزال الكتب لتبقي في النفوس فلابد أن تخرج الي الحياه وتحكم جميع جوانبها هذا يعني أن النفس تتحرر من سلطه الدنيا ومناهج الحياه البشريه الوضعية تتحرر من الدنيا وملذاتها فالهدي يعني ترك كل المناهج ليكون المومن خاضعا لمنهج الله والاتجاه لله ولسلطان الله فقال تعالي (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا)

فالانبياء الذين ارسلهم الله بعد موسي الي بعثه عيسي عليه السلام قيل إنهم الف نبي فهولاء جاوا لاقامه التوراه في حياه الناس فهم لم ينزل الله معهم كتب وانما بعثوا لاقامه التوراه

فدلت النصوص :ـ

ان الكتب السماوية إنما انزلها الله غذاء روحاني للاتصال بالله ودليل عمل وتعامل مع الحياه تنير لهم الطريق ولتحكم واقع الحياه في جميع شوون الحياه

ولهذا خص الله بالذكر ان الانبياء بعثوا ليحكموا بني إسرائيل بالتوراه لبيان انه لابد من سلطه تقوم بتطبيق منهج الله وأحكامه في حياه الناس فهذا هو الهدف من انزال الكتب السماوية

وصيغه الجمع لبيان ان الله أرسل الرسل والأنبياء يحملون المنهج الرباني الذي يحكم حياه الناس في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي كل شأن والأنبياء كانوا يقومون بالقضاء بين الناس وادراه الدوله وفقا لشريعه الله وكذلك الحال لمن جاء بعدهم من الحكام والعلماء فهذه هي قاعده الحكم الإلهي علي الارض أن جميع الناس يخضعون ويستسلمون لأمر الله بالاذعان لشريعه الله عزو جل فقال تعالي (الذين اسلموا) اي انقادوا وخضعوا لأمر الله ولم يبقي لهم اختيار اصلا أمام أمر الله فليس لهم في أنفسهم اي رغبه في السلطه والحكم وانما هي سلطه كلها لله لايريدون علو في الأرض وانما يقومون بتنفيذ أمر الله وتطبيق منهج الله فهم منقادون للتكاليف الربانيه فلا انحراف فيه لأن الانحراف يعني خروج عن الانقياد والاذعان وهذا فيه اعتداء علي الواهيه الله فيما لم ياذان به الله

الأمر الثالث

تبين النصوص أن أساس القوامه في الأرض وحياه الناس في جميع شوون الحياه تقوم علي الخضوع والانقياد لأمر الله فالاستسلام والاذعان لأمر الله هي القوه التي تستمد منها السلطات قوتها والقواعد التي تحكم بها الناس هي شريعه الله ومبادئ الشريعة وقيمها وبالتالي فإن هذا يعني أنها لاتخضع للاهواء المتقلبه والمصالح التي لا ترجع الي أصل ثابت من شرع الله بل أنها تخضع لمنهج الله فهذا هو الأساس الذي قامت عليه الامم التي جعل الله الاستخلاف الإلهي في الأرض فجعل ذلك مرتبطا بقاعده التوحيد فهو الأساس الذي يربط الجزئيات والكليات فليس لأحد من خلقه أن يشرع للناس ما لم ياذان به الله

فيخبرنا الله أن الانبياء الذين ارسلهم لبني إسرائيل من بعد موسي كلهم كانوا منقادون لاوامر الله في التوراه وقاموا بتطبيق التوراه في حياه اليهود فقال تعالي (للذين هادوا)

وذلك فيه اشاره الي أن التوراه خاصه بامه اليهود وهي منسوخه بالإسلام والقرآن الذي جاء للناس كلهم وليس لقوم معين بل للعالمين في كل زمان ومكان

الأمر الرابع

عطفت النصوص (والربانيون والاحبار) علي النبيون ويقصد بهم العلماء والحكام أو الحكماء الذين تخلقوا بأخلاق الرب فنسبوا إليه أنهم كانوا هم أيضا منقادون لأمر الله وهذا فيه تعريض بأن اليهود ليسوا علي الطريق الذي كان عليه انبياءهم وعلماءهم فالله أخبرنا أن وصيه ابراهيم لبنيه فقال تعالي (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال تعالي بلسان يوسف (توفني مسلما والحقني بالصالحين)

فاخبرنا الله أن الربانيون والاحبار والأنبياء كلفوا بالمحافظه علي التوراه والرقابة علي تطبيق أحكامه أمرين (حفظ _ورقابه)

فقال تعالي (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)

اي أنه بسبب ما استمانوا من امانه حفظ كتاب الله بفهمه حق الفهم وان يحفظوه من التحريف والتبديل والتغير في ألفاظه ومعانيه من الزياده أو النقصان وجعلهم شهداء من الكتمان ليرجع إليهم الناس

والحكم عام هو أن الله قد حمل العلماء ما لم يحمله الجهلاء فيجب عليهم القيام باعباء ماحملوا فانتبهوا أن تفعلوا مثل ما فعل العلماء المتاخرون من بني إسرائيل الذين اخفوا الامانه وكتموا نعوت وصفات النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم

الأمر الخامس

ان حقيقه الايمان التي كان تعاقب هذا الرتل من رسل الله تستحق منك أن تقبل عليها بقوه فهي امانه الله التي أمر عباده بحملها والحفيظ علي الشي هو الأمين الذي يجب عليه حفظ الامانه وهذا يحتاج الي قوه فلا يخشي أحد من القيام بأداء الامانه ولكنه يخشي الذي استامنه فقال تعالي (فلا تخشو الناس واخشون)

فهذه هي صفات العلماء (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

والخطاب يجوز أنه من الله للانبياء والربانيون والاحبار ويجوز أنه لليهود في زمن نزول الايه ويجوز أنه خطاب للمومنين للتحذير من سلوك اليهود وقدم الخشيه لأنها حامل علي الإذعان والانقياد لأمر الله ثم ذكر التحذير من الرشوه التي تدفع الي التنازل عن أمر الله فقال تعالي (ولاتشتروا باياتي ثمنا قليلا) والاشتراء استبدال السلعه بـ الثمن اي اخذها بدلا منه بأن تأخذوا الرشاوي مقابل أن تغضوا الطرف عن العمل بها أو تخالفوا أحكام الله والايات تتناول المحافظة على اقامه كتاب الله وتطبيقه في الحياه وهذا إنما يكون في حاله أن تكون السلطه بايدهم فـ المراد بهذا أن وصولكم الي مركز القرار في النظام يجعلكم مسؤولين عن امانه احترام المبادي والقيم التي تعبر عن النظام الإسلامي في جميع مجالاته دون استثناء اي امر منها في شأن من شؤون الحياه فلا يجوز التفريط بـ الشوري الذي هو أساس اختيار الحاكم في الإسلام وأساس النظام الإسلامي رغبه في الرئاسه أن تحتكر في اسره من وصل إلي الحكم فإن هذا أن فرط بهذا الأساس مثلا لايكون نظامه اسلامي وان أقام الحدود مثل الزني وحد السرقه وجميع مبادئ الشريعة فالتفريط باي أمر من أوامر الشريعه يفقدها صفه النظام الإسلامي هذا في السلطه السياسيه والتزام الحكام وكذلك فإن القاضي المكلف بالقضاء في الخصومات بين الناس عليه أن يكون شجاعا فـ لا يخاف الا الله فلا يخاف من تهديد أصحاب النفوذ والسلطان فيخالف منهج الله فعليه أن يستحضر قوه الله وعقابه أن خالف منهج الله في حكمه وكذلك لايتاثر بالمال أو المناصب فلا يتأثر بالاغراء فهذا لايساوي شيئا أمام ما عند الله من نعيم فأراد بهذا غرس الزهد عن الدنيا وملذاتها بالنظر الي ما عند الله

وكذلك فإن الشهاده تعني الرقابه وهذا يعني أن أهل الحل والعقد أو المجلس التشريعي عليه أن يقوم بدوره الرقابي للقانونين التي ترد من السلطه التنفيذيه واللوائح هل تتفق ومنهج الله الذي هو الدستور الأساسي فإذا وجد هنالك تجاوز فاللازم وقف ذلك فلا تخافوا غضب السلطان فالله أولي أن تخافوه وكذلك لاتتاثروا بالاغراءت فانظروا الي ما اعد الله للمومنين من نعيم فقال تعالي (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)

جاء فيها الحسم أن الذي يرفض الاحتكام لشرع الله بأن هولاء هم الكافرون والحكم هنا عام في كل زمان ومكان ويدخل في هذا التفريط بقيم ومبادئ وأسس الشريعه التي يكون فيها بناء النظام الذي تقوم به الدوله اي التفريط بالدستور الأساسي الذي يحدد شكل النظام ومبادئه الاساسيه مثل (الشوري العدل والمساواة الحريه و الشرعيه الدستوريه ..شرعيه الامه الوحده الاخوه ...الخ

القواعد الاساسيه الذي تقوم عليه دوله الاسلام فمن رفض القبول بها وصنع للناس قواعد تنخرف عن أسس الاسلا م بحيث جعل شكل نظام الحكم مغاير لما رسمته النصوص في منهج الله فإن هذا يعني أن هنالك دوله لكن كما ق ال مالك نبي أنها ليست دوله الموحدين وان كان التوحيد في الصدور فذلك يعني أن الخلافه انتقلت من خلافه دوله الموحدين الي خلافه الأفراد وكذلك فإن المخالفه في بعض الأحكام التي يكون فيها الالتواء علي حق العباد كالقصص وغيرها فإن هذا يعني الظلم ولهذا سماهم الله الظالمون ومنهم جحد أو استهان بأحكام الله فهو كافر

ثانيا

بعد أن ذكرت النصوص مفهوم الدين والتدين الموافق للمطلب الرباني وهو أن تكون الحاكميه لله في الأرض وفق منهج الله فالحضاره التي تستمد قوتها من الاذان الرباني من خلال انزال المنهج الرباني الذي يحقق ويجسد مراد الله في كونه الفسيح هي الحضاره التي تتصف بخضاره الايمان وتتصل بحلقات موكب المومنين وتقوم بامانه الخ لافه علي الارض ووفق الغايه من وجود الإنسان فهذه الحضاره تستمد شرعيتها من التوحيد الذي يكون هو أساس النظام الذي تقوم عليه وتتصل في العقيده والعبادات والمعاملات وفي جميع شؤون الحياه ولهذا أخبرنا الله أن الذي يرفض الحكم بما أنزل الله فهو كافر فاساس الحضاره ان تقوم بالاعمار والتحسين وفق منهج الله وان تقصد بذلك عباده الله وان يكون ذلك عن علم واحترام للقيم والمبادئ التي جاء بها الكتاب السماوي وهذا يتطلب وجود سلطه تقوم بتطبيق منهج الله وتتولي تنظيم المجتمع والدوله وتعمل علي تحقيق الاهداف الاساسيه للدين وحمايته وحمايه الامه وقد بينت النصوص اهميه أقامه السلطه علي اساس الاذعان والانقياد لله تعالي (الذين اسلموا) وانه يجب التقيد بالدستور الرباني الذي يحكم جميع جوانب الحياة وأن الخروج عن هذا الدستور سواء في بناء السلطه أو أداءها يعني الخروج من الايمان الي الكفر وهنا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يعطف علي ماسبق (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفاره له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون)

وهذا فيه بيان الآتي

الأمر الأول

ان من ضمن ما احتوته التوراه في أحكامها التي فرضها الله عليهم معالجه مساله الدماء جرائم القتل والاعتداء علي سلامه الجسم فقد جاء في التوراه تفصيل لذلك بأن الذي يقتل انسان معصوم فإنه يقاد به وان الذي تقفا عينه يكون الاقتصاص منه وهكذا في كل ما يمكن إتلاف من جسمه مايقابل العضو الذي اتلفه

فهذه هي شريعه الله علي بني اسرائيل في التوراه ولم يكن في شريعتهم الديات وانما كان القصاص أو العفو بدون مقابل فقال تعالي (فمن تصدق به فهو كفاره له)

ولهذا يفضح الله اليهود أنهم لم يلتزموا بالتوراه فجاء التوبيخ لهم بأن هم خالفوا شريعه التوراه عمدا وعنادا

عندما عدلوا الي الديه مثلما خالفو التوراه في الزاني المحصن حيث أن الايه نزلت بمناسبه الخلاف بين قبيله بني النظير وقريظه بشأن الديات للقتلي من كل قبيله عن القتلي في الصراعات التي سادت بينهم فقد جعلوا ديه القتيل من القبيله المنتصره مائه ناقه وديه القتيل من القبيله المنهزمه خمسين ناقه فذم الله مخالفه هولاء التوراه ووصف تلك المخالفه بأنها ظلم لانه ظلم للنفس لانها تعدت حدود الله وظلم للناس لانه طبق عليهم شريعه غير شريعه الله فأقام حياتهم علي منهج مضطرب وترك مافيه تحقيق مصالحهم

الأمر الثاني

تبين النصوص أن شريعه الله تقوم علي اساس المساواه بين الناس فالمقصد الأول من وجود السلطه في الإسلام هي اقامه نظام حكم عادل يحترم كرامه الانسان ويصون ويحفظ حق الإنسان في الحياه فانزال الكتب السماوية التي تحقق هذا الهدف فهي منزله من الحق سبحانه وتعالى الذي يعلم مايصلح أحوال الناس وشؤؤنهم فحضاره ا لاسلام والأديان كلها بالأساس هي حضاره انسانيه تقوم علي تكريم الإنسان دون تميز ويتحرر فيها الإنسان من الخوف والأوهام ولهذا نجد أن الكتب السماوية جاءت تدعوا الي التوحيد وتوكد علي قاعده ان جميع الأحكام و القواعد ينبغي أن تتصل باساسها العقائدي التوحيد (لا اله الا الله) وهذا فيه التحرر من كل الأصنام فلا تخشي ا لا الله ولهذا ومعني الاحتكام الي منهج الله وفقا لما سبق هو إعلان المساواه بين جميع الناس أمام شرع الله يعني المساواه الانسانيه فالشريعه تحفظ كرامه الانسان وتحفظ حقه في الحياه

ولهذا يذم الله بني إسرائيل الذين انحرفوا عن مبدأ المساواة وقاموا بصنعه عقيده عنصريه وطبقيه لاتمت لما حملته التوراه بصله

الأمر الثالث

ان المتأمل للنصوص يجد أن السعاده والسلامه والنجاه من افات جرائم القتل إنما تكون في تطبيق منهج الله وان من عظمه شرع الله أنه يكافح الجريمه ويستاصل بواعثها وهو أيضا يربي النفس علي قمع بواعث الشر والنوزاع ا لاجراميه من قلب المومن حيث أن مشاهده المومنين للقاتل وهو يعدم قصاصا علي ما اقترف من جريمه من الموكد ان كل من فيه نوزاع اجراميه أنه سوف يفكر مائه مره قبل أن يرتكب الجريمه والذي يعلم أنه أن كسر يد شخص أنه سوف تكسر يده فانه قبل أن يقدم علي ارتكاب الجريمة سوف ينظر إلي النتيجه والعقوبه التي سوف يعاقب بها وبالتالي سوف يردتع وهذا ما لايحققه السجن

فالحق سبحانه وتعالى يأمر بالعدل والقصاص ويلزم الحاكم بعدم التساهل ويرتب علي التهاون في الأحكام الشرعية وصف الحاكم بالظلم وهذا فيه اضافه الي جريمه الكفر لانه لم يحكم بما انزل الله فكان الوصف الأول متعلق برفض وجحود أمر الله (كفرا) وأما الوصف الثاني فهو مضاف الي الكفر وسماه ظلما لانه اعتدي علي حق البشر فأراد بهذا التنبيه أن الترغيب في العفو الوراد في الايه (فمن تصدق به فهو كفاره)لايعني الاستهانه والا ستخفاف بحكم القصاص وابطال العمل به فحكم القصاص شرع لحكمه عظيمه فيها الزجر والردع وجبر خاطر أولياء الدم ومنع الترصد من أولياء الدم ومنع الفوضي الناتج عن الانتقام ويودي الي استاصل جذور الشر واقامه الحياه علي معاني الايجابيه والخير وبناء مجتمع مستقر ومنظم قائم علي النظام والقانون والانضابط وابطال العمل بحكم القصاص يعطل هذه المصالح فالتعطيل للحكم يعني إهدار حقوق المعتدي عليهم تعطيل المصالح أما العفو عن الجاني من المجني عليهم أمر يحقق المصالح السابقه فهو يودي الي المحبه لانه عن طيب خاطر ونفس

ولما كان غباء حكام بني إسرائيل قد أصابهم بسؤء الفهم للترغيب في العفو فجعلوا ابطال حكم القصاص بمنزله العفو فكان هذا وجه اعاده التهديد عقب استحباب العفو وجاء التنبيه من هذا التفسير والتأويل الفاسد بقوله (ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الظالمون

)يقول ابن عاشور أن المراد بالظالمين هم الكافرين لأن الظلم يطلق به الكفر فيكون هذا موكد لما ورد في الايه السابقه ويحتمل أن المراد به الجور فيكون إثبات وصف الظلم لزياده للتشنيع عليهم في كفرهم فهم كافرون وظالمون

ثالثا

تمضي سياق النصوص في بيان تاريخ الأديان والهدف منها واغراضها بأنها كلها انزلت من الله لاقامه الحياه كلها علي شريعه الله تعالي في حياه الفرد والمجتمع والدوله فقال تعالي (وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم)

الأمر الأول

يخبرنا الله أنه تعالي ارسل بعد أنبياء بني إسرائيل عيسي ابن مريم فجاءت النصوص معطوفه علي جمله (انا انزلنا التوراه)انتقالا من أحوال اليهود الذين ذكر أنه أرسل الانبياء إليهم لاقامه التوراه الي أحوال النصاري لقوله (ليحكم أهل الانجيل) فالنصوص تبين نوع اخر من افات وأمراض بني إسرائيل وتعاملهم مع الكتب السماويه فذكر ان ذلك يعود إلي تحريفهم للتوراه كما أخبرنا الله في الايات السابقه وانهم بسبب ذلك عاشوا في ريبه وشك من بعد ما حرفوها وقست قلوبهم ولذلك جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم قاصدين الالتواء علي أحكام التوراه وطالبين التخفيف ثم إنهم أعرضوا عن حكمه ولم يتحرجوا من ابطال حكم القصاص وان النوع الثاني من فساد بني إسرائيل فهو أعراضهم عن أمر الله لهم باتباع عيسي عليه السلام فقد كذبوا رسالته ولهذا قال تعالي (وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم)

والتقفيه مصدر قفاه اذا جعله يقفوه اي يأتي بعده ومعني قفاه سار نحو قفاه والقفا الظهر اي سار وراه فالتقفيه ا لإتباع مشتقه من القفا مثلما التوجه مشتقه من الوجه والباء في قوله (بعيسي) لتأكيد معني (آثارهم) لتأكيد أنه سار علي طريقتهم اي الانبياء الذين ذكر أنهم (اسلموا) وهديهم ولهذا قال بعدها (مصدقا لما بين يديه من التوراة) والمصدق المخبر بتصديق الخير واريد به هنا الموعد المقرر لصدق التوراه وجعلها بين يديه لأنها تقدمته فهو شاهد بصدق هذا الطريق ولهذا انتقل من مدح عيسي عليه السلام الي مدح الانجيل فقال تعالي (واتيناه الا نجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة)

ان الله أعطاه الانجيل فيها من الأحكام التي ترشدهم الي سبيل الهدايه اي بيان ماحهله الناس في زمانه من حكم الله ونور ضياء ينير لهم الطريق وهي مكمله للتوراه

الأمر الثاني

والجمله (فيه هدي ونور) حال ومصدقا حال أيضا من الإنجيل ولهذا فلا تكرار في قوله (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) لأن هنا حال من الإنجيل أما في الاولي متعلقه بحال عيسي فهنالك اختلاف لأن تصديق عيسي للتوراه متعلق بأحياء أحكامها وهو تصديق حقيقي

أما تصديق الانجيل التوراه فهو اشتماله علي ما وافق أحكامها وهو تصديق مجازي وهذا التصديق لايتنافي مع أنه ناسخ لبعض أحكامه كما قال تعالي (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم)لان الفعل المثبت لاعموم له

الأمر الثالث

تبين النصوص أن المنتفع بهديه الكتاب وموعظ الله هم المتقون الذي يخافون الله فهم الذين تنتفع قلوبهم بالعلم فقال تعالي (وهدي وموعظه للمتقين) والله يقول في موضع آخر (إنما يخشي الله من عباده العلماء) لأن القلوب القاسيه لاتنبت بها النبات فلا تنتفع بالعلم الا القلوب الطاهره الصالحه لتنمو فيها الموعظه فهي التي تتذوق طعم الموعظه والطاعه فالموعظه هي الكلام الذي يلين القلب ويزجره عن فعل المنهيات وهذا يحتاج الي أن تكون

منافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال الانور فالذي يغلق نوافذ منزله كيف له أن ينعم بدخول ضوء الشمس الي منزله لتقتل الجراثيم فعليه أن يفتح النوافذ والأبواب لدخول اشعه الشمس وكذلك فإن القلوب التي تبغض الحق وتكرهه لايمكن أن تنتفع بهدايه الله فمن أراد الانتفاع بنور الايمان أن يفتح منافذ الهدايه

الأمر الرابع

تأتي النصوص مبينه أن جميع الكتب السماوية انزلها الله لتكون دستور حياه ولتحكم حياه الناس وواقعهم فقال تعالي (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه)

فجعل الله الانجيل شريعه تحكم أحوال الناس من بني إسرائيل فشانه شأن التوراه ورساله كل رسول ماعدا الاسلا م فهو دين للبشريه كلها وختم الله الايه بقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون)

ان الذين يرفضون الحكم بشريعه الله هم فاسقون اي خارجون عن طاعه الله فمشروع هولاء ابطال المشروع الرباني بالخروج عن منهج الله وهذا هو مشروع ابليس الذي خرج عن طاعه الله فالشيطان ومدرسته يسعون الي ابطال المشروع الرباني

وهنا قد يقول قائل لماذا ذكر في الاولي الظالمون ..وهنا الفاسقون .

وقبلها ذكر فاولئك هم الكافرون)

اذا تأملنا للنصوص نجد أنها وردت في إطار تناول تطور البشريه في الأرض ابتداء من ذكر ابني ادم حيث لم تكن هنالك دوله تقوم بتنفيذ أمر الله فلم تكن هنالك عقوبات فكان الانتقال الي بني إسرائيل لبيان ان الاجتماع الإ نساني ضروري للنوع الإنساني ولذلك كان نشاه الدول مع نشاه العمران والانتقال الي حاله المدنيه ولذلك كان لابد من قوانين وشرائع تنظم أحوال الناس لمنع الظلم ولتحقيق الاستقرار والأمن والعمران فمن المستحيل تنظيم احوال الناس بدون دوله يتم رعايه المصالح للمجتمع والموزانه بين المصالح العليا والخاصه وبين مطالب الدنيا وا لآخرة ولهذا فإن الأمم والدول تنمو وتتطور وتكبر وبنفس الوقت تموت ولها صورتان للوفاه الذي يقضي علي العمران فالصوره الاولي تنتج عن الظلم حيث أنه يدمر العمران لانه اعتداء علي دماء الناس واديانهم ومعتقداتهم وأموالهم وحرياتهم وبذلك تذهب آمالهم في اكتسابها وتحصليها وهذا يحدث انقباض أنفس الرعايا في الكسب و الحركه فيقل الإنتاج حتي وان كان الظلم يسيرا فهو يقتل المواهب والقدرات ويفسد الحياه وينشأ عنه فساد العمران وخرابه والافساد في الأرض لانه يوضع الشي في غير محله وهذا يكون ناتجا عن قساوه القلوب فأشارت النصوص الي فساد اليهود نتيجه قساواه القلوب

وكذلك فإن الترف يقضي علي العمران حيث أنه يولد جرائم تحصيل الملذات والشهوات ويرفض أن يمنعه مانع من ذلك فيكثر منهم الفجور والمجاهره بالفسق دون أي حياء ومن مفاسد هذه الحضاره الانهماك في الشهوات والا سترسال فيها لكثره الترف فيكون تدمير الحضاره قال تعالي (واذا أردنا أن نهلك قريه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

فأشارت النصوص الي أن الظلم يدمر علي العمران وان الفسق يقضي علي الحضاره بعد أن بين أن كلا الفريقين كافرون لانهم لم يحكموا بما أنزل الله

القسم الرابع

قال تعالي (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بمآأنزل الله ولا تتبع أهوآهم عما جآءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم امه واحده ولكن ليبلوكم لي في مآءاتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بمآ انزل

الله ولاتتبع أهوآهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض مآنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)

اولا

بعد أن جالت الآيات المتقدمه في بيان اغراض انزال المناهج الربانيه وإرسال الرسل مبينه أنها انزلت من عند الله لاقامه الحياه كلها علي أساسه في حياه الفرد والدوله فهي الدستور الذي يحدد شكل الخلافه علي الارض وكيف يكون الاعمار والتحسين علي الارض بما يودي الي التطور والاستقرار ويمنع الفساد والافساد في الأرض وبما يحفظ كرامه الانسان ويصون طاقاته ويوجه نشاطه وقدرته عن علم ومعرفه فالمنهج هو الوسيله والاليات التي يتوصل بها الي الغايه والمقصود من الوجود الإنساني علي الارض بحيث تكون الحضاره موافقه للمطلب الرباني فجعل المنهج الرباني هو الصله التي تربط الانبياء والرسل ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم مدرسه الابواه الشرعيه التي توصف أهلها بالإيمان فابواه الايمان اتباع المنهج واقامه العهد وبها يتم تسلسل الارتباط وبدونها ينقطع الارتباط وينفصم التسلسل فقال تعالي (ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الكافرون...الظالمون ...الفاسقون)

ولهذا عطف علي الانبياء والرسل (وقفينا بعيسي ابن مريم) ولتأكيد هذا التسلسل والارتباط في المراحل المتلاحقه رغم تباعد مسافاتها يقول تعالي (وانزلنا اليك الكتاب بالحق)

فكان المقصود من ذكر التوراه والإنجيل هو انزال القران الكريم فكان كرد العجز علي الصدر لقوله تعالى (يايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر)

ليتبين أن القرآن جاء ناسها لما قبله وان مؤخذه اليهود والنصاري علي ترك العمل بالتوراه والإنجيل مؤخذه لهم بعملهم قبل مجئ الاسلام فلا يطمع هولاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بغير ما شرعه الله في القران فوقع قوله تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق اتماما لترتيب نزول الكتب السماوية وتمهيدا لقوله تعالي (وان احكم بينهم بما أنزل الله)

وأما الاتمام به لترتيب نزول الكتب السماوية فأراد بهذا بيان أن القرآن هو الكتاب المعتمد في قراءه مراد الله وان الاسلام هو الوراث لجميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإنسانية وأنه بالمقابل قد دامج مشروع الانحراف الشيطاني مع بعض في كل صوره التاريخية فالإسلام هو الدين الحق الذي يحقق المطلب الرباني والقرآن هو الصراط المستقيم الذي امرت الأمم الانسانيه باتباعه في المرحله الاخيره ولهذا قال تعالي (وانزلنا اليك الكتاب بـ الحق مصدقا لما بين يديه من الكتب)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ان القران منزل من عند الله ليكون دين للبشريه كلها ولتكون شريعته للبشريه كلها وليهمن علي كل ما كان قبله فهو ناسخ لجميع الكتب فهو الصراط المستقيم الذي امرت الأمم كلها باتباعه في المرحله الاخيره وهذا أمر خالق البشر سبحانه وتعالى فهو سبحانه وتعالى يقول (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)

فالبشريه كلها ملزمه باتباعه واقامه حياتها ونظامها ونشاطها وفقا لما جاء به فقوله تعالي (انزلنا) يعني أن نزوله ليحكم الأرض فلابد من انشاء دوله يحكمها القران الكريم لا لمجرد القراءه والدراسه وليس أن يكون مجرد ثقافه ولكن لأجل أن يحكم الأرض وأن تقام الحياه علي أساسه فلابد أن يعيد خلق الانسان به علي الصوره التي يرضاها الله لابد من إنشاء المجتمع المسلم والدوله المسلمه التي يحكمها القران دوله التوحيد

الأمر الثاني

يقول الحق لنبيه لاتحزن من هذا الذي يسرع في الكفر ويريد أن يتجاوز الاسلام وتطويعه للاهواء وتطبيعه وترويض اتباعه بأن هولاء قد خرجوا عن الدين والتدين واصبحوا خارج ميدان الدين وانقطعت صلتهم بالانبياء و الرسل فلا تحزن من فعلهم لان هولاء أصبحوا تابعين لمدرسه الشر الشيطانية التي تسعي لابطال منهج الله وتسعي لنشر العشوائية والفوضي في الحياه وترفض القبول بالحق فقال (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) اي أنه نزل بالحق من حيث الجهه التي أصدرته فهو الله سبحانه وتعالى من يملك الحق في أنزله ومن الجهه التي تملك حق التشريع علي البشر وهوالله جلا جلاله ومنزل بالحق لانه يفرق بين الحق والباطل وأنه مشتملا بالحق في كل ما جاء فيه

الأمر الثالث

ان الايات تضمنت اعلان أن الإسلام هو دين العالمية الحقه فهو جامع لجميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإ نسانية كلها

ولهذا قال تعالي في وصفه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب)

فالكتاب الاول (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) هو القرآن فال فيه ال التعريف للعهد أما في الثاني (من الكتاب) فهي ال الجنس لتشمل جميع الكتب المتقدمه والمصدق بموافقته لما جاء ت به الكتب السماوية فهو جامع لجميع الديانات السماوية وصور التدين ومحقق ومقرر لما فيها فهو الدين المهيمن علي بقيه الرؤوي والأفكار والتصورات في الخليقه فهو مصدر مهيمن علي المصادر الأخري فعلي المسلم أن لايقبل من اي مصدر آخر ما يخالف القران باي صوره من الصور ولا ينبغي رفض أي شي منه لانه الكتاب الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف والتبديل ولم يدخله اي تغيير فكل ما فيه منزل من عند الله تعالى لفظا ومعني فهو لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكل ما فيه من مبادئ وقواعد وقيم وقوانين حق لامرء فيه ولاخطا ولهذا فهو المعمول به ولانه مثبت لبعض الأ حكام وناسخ البعض الآخر فهو المرجع عند الاختلاف فهو ميزان عدل في إبراز موقع الصدق الايماني في المتدين أو إبراز موقع الكفر والخيانه لمن يرفض القبول به

ثانيا

بعد أن أقام الدليل علي أن القرآن الكريم هو المنهج الرباني المعتمد الذي أمر الله تعالى جميع أهل الكتب السماوية بقراءه مراد الله منه والتحول والانطواء تحت هيمنه القران الكريم فقد تعطل العمل بالكتب السماوية رتب الله سبحانه علي ذلك أن يكون الحكم علي أساسه فقال تعالي (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواء هم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امه واحده ولكن ليبلوكم في ما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

الأمر الأول

أنه يجب تطبيق أحكامه في حياه الناس ونظام الحياه كلها فيجب أن يحكم العالم كله فهو الكامل الذي لانقص فيه ولاتبديل فالهيمنه تعني أن تكون قيم الإسلام ومبادئ الشريعة أساس النظام العالمي في رعايه حقوق الناس وحريته وكرامته فقد أوجب الحق سبحانه وتعالى رفع الظلم عن المظلومين حتي اولئك الذين ليسوا من أهل الإس لام فقال تعالي (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا علي الظالمين) فالمراد بـ الدين هنا هو هيمنه الاسلام علي العالم بارساء ما جاء به من قيم ومبادئ الحريه والعداله والمساواة و الحرية...لرفع الظلم عن المظلومين ليكون النظام العالمي خاضعا لقيم الاسلام ومبادئه ولايعني هذا اعتناق الإسلام فالإسلام لايرغم الناس علي الإيمان فالله يقول (لا إكراه في الدين) ولهذا عندما قصد اعتناق الإسلام قال تعالي

(وقاتوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله) في الحديث عن القضاء عن الشرك في جزيره العرب أما الايه في سوره البقره فهي تتحدث عن إرساء نظام العدل والمساواة الحريه التي جاء بها الاسلام فقد وردت الآيات بمناسبه الحديث عن حق الحصانه والتعامل مع الدول الأخري في الحرب والسلم

والنصوص وردت هنا في هيمنه الاسلام علي العالم فكان مناسبا التحذير من أن يودي الانفتاح علي الثقافات الأ خري التهاون والتساهل في اقامه العدل في الارض وفقا لحكم الله الوراد في القران فيحذر الله من الأعذار و التبريرات التي سوف يحاول البعض إثارتها تحت مزاعم السياسه والحاجه الي المرونه لخدمه الاسلام وتحت شعار تأليف القلوب فياتي الجواب من الله للرد علي مثل هذه الهواجس أن قياده العالم ينبغي أن تكون وفق منهج الله فلا إفراط ولاتفريط في هذا الأمر ولايعد التساهل في الأحكام تسامح

ولايخدم الاسلام وانتشاره وهذا لان اليهود عندما حكموا الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا طامعين أن يحكم عليهم لما يقرره من عوائدهم فجاء النهي عن الحكم بغير ما أنزل الله مبينا أن القرآن نزل مهيمنا ناسخ لما قبله فابطل كل ما خالفه والرسول صلى الله عليه وسلم لايجوز له أن يحكم بغير شرع الله

فكان المقصود من النهي اعلان هذه الحقيقه لتعليم الناس بأن أسس حضاره الاسلام تقوم علي ١ احترام كرامه الا نسان وحقه في الحياه والعيش ٢ التحسين والاعمار في الأرض بوضع كل شي في محله وعدم الافساد فيجب التزام الحق في كل شئ والابتعاد عن الباطل والفساد ٣الاستقرار في الحركه بالابتعاد عن العشوائية والأهواء التي لاضابط لها فلا يكون ترك منهج الله والنزول عند أهواء البشر لأن ذلك يودي الي الاضطراب ٤وان معرفه الحق يتطلب العلم بما أنزل الله في كتابه ولهذا كان هذا الاعلان ٥المخافظه علي القيم ولهذا اغلق الحق المداخل التي تدعو الي التفريط بالاحكام تحت شعار التسامح وغيرها أو وحده الصف بأنه لايجوز التضحية باي جزء من شرع الله ٦:السلطه التي تكون مقيده بتطبيق منهج الله ولهذا جاءت النصوص لتياس الطامعين أن يحكم لها. بما تستهويه فخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل من يتولي الحكم في الاسلام (ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)

فأراد أن يتقرر ذلك في علم الناس كما قال تعالي (لئن اشركت ليحبطن عملك) او لتبين للرسول صلى الله عليه وسلم وجه الترجيح عند تعارض دليلين بأن لايكون لاهواء الخصوم طريق للترجيح فلا يكون شده الرغبه في هدايه الناس سببا لوقف الفصل ولاموثرا علي الحكم فالحق أحق أن يتبع

الأمر الثاني

انه لما بعث الله الرسل علم أحوال العباد ومايطرا علي مراحل الوجود الإنساني من تحولات وتقلبات فعدد الله الا نبياء للأمم وعدد وسائل تبليغهم بل عدد حتي معجزاتهم فجعل لكل نبي معجزه تتناسب مع عقليات أهل زمانه لتقوم عليهم الحجه فجميع الكتب السماوية وان كانت حاويه في مجموعها معني واحد فيما هو مطلوب وهو التوحيد الأساس الاعتقادي الذي تقوم عليه الحياه لكنها عددت الأساليب ونوعت الوسائل في إقناع العقل البشري واقامه الحجه عليه فالشريعه هي السبيل والمنهاج هو السنه والطريقة فالطقوس والعبادات التي كان اختلاف الأ ديان فيها هي وسائل أما الغايه فهي واحده وهي عباده الله والتوحيد قال تعالي (وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

وان التحديث والتجديد للوسائل شأن له أثر في قبول الفكره ورسوخ أهدافها ولو أراد الله أن يجعل الوسائل والأ ساليب ثابته غير قابله للتجديد ولجعل ادم ينقل لابناءه الدين جيلا بعد جيل ولن يعدد الانبياء والرسل ولن يعدد وسائل عباده الله تعالي ولم ينوع الأساليب أو أن يجمعهم علي دين واحد مثلما أن اشكال الناس الاساسيه في الخليقه متميزه بالثبات فوحده النوع لاتقبل التجديد فالناس كلهم لهم أوجه وأيدي واقدام ورأس ...الخ

لكن المتغير في الإنسان التطور الفكري والعقلي وأساليب الحياه حيث أنها تقبل التحسين وتتاثر بما يطرأ علي مراحل الوجود الإنساني من تحولات وآثار الاحتكاك مع أهل الباطل ولهذا جعل مساله التجديد للرؤي والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنه علي شروط تتسم بالثبات فعدد الانبياء للأمم وجعل الرسالات ومعجزتها متناسبه مع عقول الناس وحدود وعيهم المعرفي لتقوم عليهم الحجه ولهذا يقول تعالي ان هذا لحكمه (ولكن ليبلوكم في ما اءتاكم)

ان هذا متعلق بالامتحان والإختيار لأجل تقسيم الناس إلي قسمين أهل الخير وأهل الشر كلا بحسب استعداده لقبول الحق أو رفضه فمن كان مستعد لقبول الحق منحه الله التوفيق والنجاح والفلاح وأما الذي ليس لديه استعداد بالخذلان وبذلك يظهر أهل الخير فمن ينحرف عن الحق وعن منهج الله يلتحق بمدرسه الشر ومن يمتثل لأمر الله يكون منتسبا لاهل الخير والايمان

الأمر الثالث

بعد أن بينت النصوص أن انزال القران هو الابتلاء والامتحان لمن يأخذ به ومن يرفض القبول بأمر الله فيه وان الإ سلام جامع لجميع الديانات السماوية وصور التدين الانسانيه فهو الدين المقبول عند الله وهو رساله للعالم كله فهو الوراث لجميع مراحل الديانات الانسانيه كما قال تعالي (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذان الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها)

فتبين النصوص أن المسلمين سيكون منهم الظالم لنفسه الذي تزيد سئياته علي حسناته ومنهم المقتصد ...ومنهم السابق بالخيرات .

ولهذا تأتي الآيات تحث المومنين علي التسابق علي الخيرات فقال تعالي (فاستبقوا الخيرات)فيامرهم بالاسراع في الاعمال الصالحه التي تقربهم من الله بالخيرات الشامله في كل أمر وهذا فيه الحث علي المبادرة إليها واستغ لال الفرصه فهذا فيه التحفيز علي اعمال الخير وتحسين الأداء فلا يكتفي بالقروض بل يجب أداء الواجبات و المستحبات فالتنافس هنا بالتسابق أنه به يكون ظهور اثر التوفيق بشكل اوضح وجلي والتسابق مجازي والعامل لايمنع غيره من فعله فاستعمل الاستباق لانه لايكون إلا الي أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفه الجنه ومافيها من نعيم فالله يقول عليكم أن تدركوا أن رساله الاسلام هي اخر الرسالات وهي من علامات الساعه فاليوم هو المضمار اي الميدان الذي يكون فيه العمل الرصيد الحقيقي الذي ينفع في الاخره حيث انكم سوف تموتون وتعودون الي الله الأمم كلها السابقه واللاحقه وسوف يحاسب الله علي أعمالهم فيثيب أهل الحق والعمل الصالح ويعاقب أهل الباطل والعمل السئ فقال تعالي (الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

ثالثا

تعود النصوص الي بيان هيمنه الاسلام علي جميع الأديان ولتأكيد عدم التهاون والتساهل في الحكم فيما جاء به القرآن تأتي النصوص لتأكيد الأمر بالحكم بما أنزل الله وعدم التأثر بالاهواء والرغبات فقال تعالي (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثير ا من الناس لفاسقون)

الأمر الأول

ماالمراد بالتكرار في الايه (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ذهب البعض للقول انها ناسخه لقوله تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم)

وذهب البعض أنها تأكيد لما تقدم باعتبار أن هذا عطف جمله (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما

جاءك من الحق) يقول ابن عاشور:_فيكون ذلك رجوعا الي ذلك الأمر لتاكيده وبني عليه قوله (واحذرهم أن يفتنوك) كما بني علي نظيره قوله (لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا) فتكون (أن) تفسيريه تقويه ارتباط التفسير بـ المفسر لأنها يمكن الاستغناء عنها بصحه أن تقول ارسلت إليه أن أفعل كذا وكذا..كما تقول ارسلت إليه افعل كذا فلما ذكر الله أنه انزل الكتاب الي رسوله رتب عليه الأمر بالحكم بما أنزل الله واستعمل حرف الفاء فقال (فحكم)فدل أن الحكم بما فيه هو من آثار تنزيله وعطف عليه ما يدل علي أن الكتاب يأمر بالحكم بما فيه بما دلت آياته التفسيرية في قوله (وان احكم بينهم) فجعل أن مصدريه داخله في فعل الأمر كما قال تعالي (انا أرسلنا نوحا الي قومه أن أنذر قومك) اي ارسلناه بالأمر والانذار

الأمر الثاني

ان التحذير الأول جاء بعد ذكر تفوق الاسلام علي الأديان والحضارات فهو جامع لجميع الديانات السماوية وصور ها وناسخ لها فهو مهيمن علي جميع الأديان ولهذا فإن منهجيه الاسلام في التعامل مع الحضارت ومافيه من أحكام وشرائع يقوم علي قاعده الفحص والدراسه لكل ما يرد عليه من الشرائع السابقه بأن يعرضه علي مبادئ وقواعد وقيم وقوانين الشريعه الاسلاميه فما وافقها قبل وما خالفها رفض وان شريعه قبلنا شريعه لنا اذا لم يوجد في شريعتنا ما يخالفها إنما تكون لما ذكر في القران عن تلك الشرائع وليس اخذها من مصادر الكتب التي في يد اليهود والنصاري لأنها تعرضت للتحريف والتبديل والتغير فلم تعد محل ثقه ...وهنا تأتي النصوص لتأكيد هيمنه ا لاسلام علي جميع الأديان لبيان رفض الاسلام التهاون أو التساهل في مجال التشريع بالتخلي عن شريعه الله أو التساهل في مساله الحكم بما أنزل الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الي أي تشريع من وضع البشر لأن ذلك يعني اتباع الهوى ولهذا جاء التحذير هنا بشكل أدق وا شد سؤاء في مقام الحكم أو الفتوي للنبي صلى الله عليه وسلم من الانحراف الي حكم غير حكم الله وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخالف أمر ربه وانما هذا التحذير ليكون تعظيم الأمر الإلهي من قبل المسلمين فإذا كان الله قد خاطب نبيه بهذا التحذير وهو المعصوم لتنبيه أن يتخذ الاحتياطات اللازمة التي فيها الوقايه من الفتنه التي ينزلق فيها من لم يغلق الباب أمام التسيس لهذه القضية تحت اي مسمي ولو كان ذلك تحت شعار مصلحه الدعوه والمرونة حيث أن الداعيه يطمح في انتشار الدعوه وكثره أنصارها ولهذا قد ينظر أن التساهل مع الأعداء في بعض الأحكام وسيله تدفعهم الي الا يمان بالرسالة فينظر أنه إن قدم بعض التنازلات سوف يولد فيهم حب الاسلام ولهذا يحذر الله المسلمين أن ينتبهوا من هذه المداخل ويخبرهم الله أن مساله الرغبه منكم في التحاق هولاء بالإسلام لايعني التنازل عن قيم ومبادئ الشريعة وأحكامها فعليكم اقامه الشريعه ومساله ايمان الناس لايكون بالتقريط بقيم ومبادئ الاسلام

ولهذا يقول المولي سبحانه وتعالى لنبيه (فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)

فليس عليك حرج إن لم يقبل هولاء بحكم الله مبينا أن ازمه هولاء تعود إلي اراده الله عقاب هولاء لذنوب سابقه ارتكابوها فدل هذا أن الخذلان من الطاعه يعود إلي ذنوب اقترفها الإنسان .....ولهذا فإن عليك ايه المسلم إذا وجدت نفسك غير موجود في موقف الطاعه كان تتأخر عن صلاه الفجر مثلا أن تدراك أن هنالك ذنوب اقترفتها كانت وراء هذا الخذلان فحاسب نفسك وتفقد أحوالها لتعرف سبب الإخفاق اسال نفسك ماهي الأخطاء عليك أن تعرف جنايات نفسك

عليك أن تتذكرها لتخاف الله والوقوف بين يديه لتكون في يقظه دائمه ولتولد النشاط والرغبه في الاعمال الصالحه التي تمحو الذنوب لتكون دافعا علي تحمل المشقه والمتاعب لترويض النفس علي الطاعه لتبحث عما يرضي الله ويبعد عن سخطه ليكون الا

دمان علي مناجاه الرب وطلب التوبه ومعاقبه النفس بعد مراقبتها وايضا عليك أن تدرك أن وجودك في مواقف الطاعه تعني أنك في نعمه الله الذي وفقك وهذا يوجب عليك أن تشكر الله علي نعمته

الأمر الثالث

(وان كثير ا من الناس لفاسقون)

وردت الايه الكريمه في مقام التحذير من التنازل عن قيم الإسلام ومبادئ في الحكم والفتوي فخص هذا التعقيب لبيان ان الحكم بالشريعة الإسلامية والتمسك بالقيم والمبادئ أمر واجب فلا تنظر إلي اراء الاغلبيه من الناس ف التشريع لا علاقه له برأي الأغلبية كما ينظر إليها دعاه الديمقراطيه فيحذر الحق من ذلك فيقول إن المساله ليست اغلبيه أو اقليه بل هو منهج الله وان القبول بالمنهج الرباني أمر شاق علي النفوس لانه يتعارض مع رغباتها في أغلب الأحوال ولذلك تجد أن أغلب الناس ينحرفون عن أحكامه في أغلب الأحوال لأن النفوس ترغب بالملذات و الشهوات العاجله ولذلك يخرجون عن منهج الله ف الله يقول في موضع آخر (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) ويقول تعالي أيضا (وما أكثر الناس ولوحرصت بمومنين)

وهو ما يفهم منه

المفهوم الاول

أن علي الداعيه ان لايركز علي الكم من الناس الذين يلتحقون بالدعوه وانما عليه أن يركز علي الكيف هل لدي اتباع الدعوي القبول بالإسلام وأحكامه ام لا فهذا هو الأساس الذي تبني عليه الجماعه الاسلاميه الكيف لا الكم

المفهوم الثاني

ان علي الداعيه وهو يعرض علي الناس الاسلام أو يدعو إلي تطبيقه أن لا تقيمه في أذهان الناس كافكار مبعثره واجزاء متناثره ولايكون إقامته في ميادين الحياه جزئيات وتفاريق منفصله عن أساسها الاعتقادي الذي يثبت اصوالها وينظم مجراها ويحكم وضعها فهو نظام جامع محكم الأسس ويقوم علي مبادئ حكيمه وأركانه الكبيره والجزئيات الصغيره الدقيقه كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا منطقيا

رابعا

تبين النصوص أن الذي يرفض القبول بحكم الله فهذا هو الجاهل الذي يتشبث بتقاليد صنعتها الجاهليه المتخلفه ثم جمدتها احكام طباعها الفاسده فصارت مصبوغه بتخلف الطباع والطبيعه وهذه المجتمعات يصعب عليها التخلص من التخلف لأن طباعها المتخلفه وطبيعتها الجامده تشكل عائقا أمام التقدم فهي تجد صعوبه في الا نتقال الي اوضاع جديده ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (افحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)

فالفاء مرتبطه علي مضمون فإن تولوا فاعلم... استفهاما علي مرادهم من ذلك التولي والاستفهام انكاري لانهم طلبوا حكم الجاهليه وحكم الجاهليه كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحكم الجاهليه يعني الظلم والجور والبغي بينما جاء الاسلام بمنهج الوسيطيه والاعتدال الذي فيه العلم والعدل والهدي و السعاده هذا هو الفرق بين حكم الاسلام وحكم الجاهليه والموافق هو الذي يعرف هذا الفرق فما دام حكم الله هو الاحسن فلماذا يريد هولاء العوده الي الجاهليه ولهذا أشار إلي المساله تعني الوقوف عند مفترق طرق أما الانطلاق الي مافيه التقدم والتطور أو العوده الي الوراء فربط اعتبار النظره الي افضليه حكم الله بأن هذه المساله داخله في الايمان فالذي يشك في ذلك يكون من أهل الجاهليه فهو لم يومن حقيقه لان مساله الافضليه لاتنكشف لكل الناس وانما تكون لمن كان مومنا باليقين القاطع فهذا يرزق نورا يري فيه مظاهر الافضليه التي حملها القران الكريم في تشريعاته

ولهذا فإن أول خطوات إنجاح مبدأ الوسيطة والقدره علي رويه افضليه هذا المشروع إنما يكون من خلال العمل

الواعي الدؤوب علي تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه من مخلفات ركام الفكر الجاهلي فالامم لا تتطور الا برفض أبناءها لواقعهم المتخلف الجاهلي وليس برضاءهم عنه وقناعاتهم به والجاهليه صفه ولها صور واشكال متعدده في الازمنه والامكنه كلها إلي قيام الساعه فقد أزال الاسلام الجاهليه الاولي فقال تعالي محذرا من عوده الجاهليه (ولاتبرجن تبرج الجاهليه الاولي) ولهذا فقد عادت الجاهليه الي واقع المسلمين بصورتها (الجاهليه الثانيه) ولهذا فإن الامه بحاجه للخروج من الجاهليه الثانيه وازاله آثارها بما أزال الرسول صلى الله عليه وسلم الجاهليه الاولي بالشريعه المطهره وبتوحيد قرار المسلمين والعوده الي منابع التوحيد وبناء الامه التي يحكمها القران الكريم فهذا هو الامل الوحيد الذي يمكن استعاده كرامه المسلمين فالعزه بالقران فهو الذي يحكم الأ فراد والجماعه والدوله فالمساله تحتاج إلي الوحده حول هذا الهدف ببذل الجهد من المجموع من خلال كراهيه الكفر وأهله والنظر الي كل ما يخالف الاسلام أنه فيه التخلف والانحطاط والهون وان عزتنا هي بالعوده الي الاسلا م فالخطاب هنا للمسلمين اي ولا احسن منه تعالي حكما إذ لافائده من خطاب اليهود بهذا ليكون هذا دافعا علي خلق باعث العمل علي اقامه شرع الله في الحياه كلها بعد قطع الصله بالجاهليه وعادتها وتقاليدها التي تتعارض مع قيم الإسلام الحنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الخامس من سوره المائده

(يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشي أن تصيبنا دآئره فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا علي مآ أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهولاء الذين اقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين

يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

يايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن ءامنا بالله ومآ انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثرمكم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واصل عن سؤاء السبيل واذا جاءؤكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وتري كثير ا منهم يسارعون في الإثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثير ا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لايحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون)

القسم الاول

(يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشي أن تصيبنا دآئره فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا علي مآ أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا الذين اقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين)

اولا

وردت الآيات بعد أن تناولت أن وصف الخلافه لاينطبق الا علي الإنسان المسلم الموحد فالخلافه لاتطلق الا علي المسلمين فقال تعالي (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) فوصف الانبياء الذين أرسلوا لبني إسرائيل بأنهم مسلمون وكذلك يقول الحق (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)والإنسان في الأصل يولد علي الفطره والاسلام دين الفطره وبعدها يفرض أبويه عليه اليهودية والنصرانيه فمن اختار الاسلام فقد صار خليفه في الأ رض ولهذا أخبرنا الله أنه الدين المهيمن علي جميع الأديان السماوية وأمر اليهود والنصاري الي التحول في قراءه مراد الله الي القران والانطواء تحت رايه الاسلام اذا اردوا الحفاظ على انتسابهم الي أهل الدين واخبر أن الرافض منهم لحكم الاسلام يعني أنه ينحرف في مساره الي الجاهليه فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من

الله حكما لقوم يوقنون)

وهنا بعد تقرير هذه الحقائق يأتي الخطاب موجها للمومنين (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء.....الخ

ومن هنا ندرك الارتباط بين الايه السابقه التي اختتم بها المقطع السابق وبين ما تناولته الآيات في هذا المقطع بـ الوقوف علي الآتي

الأمر الأول

يعلمنا الحق الأسلوب الفعال في تثبيت المعلومه في ذهن السامع والمتعلم والطريقة التي نحتاجها في تربيه الجماعه الاسلاميه وانشاءها وإعدادها وتأهيلها وتزويدها بالخبرات والمهارات وكيفيه غرس القيم في أعماق النفس المسلمه أن هذا لابد أن يسبقها تهئيه النفوس لقبول النهي عن مولاه أهل الكتاب ولهذا نجد أن الايات وردت بعد أن سمعوا من الاضطراب الحاصل من اليهود والنصاري ومحاولتهم تضليل المسلمين وكتمان حقيقه ماورد في كتبهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليفهم المخاطب أن هولاء فقدوا العلم فأصبح حالهم ادني من أهل الجاهليه برفضهم الانصياع للحق وحكم القران فاخبرنا الله أن فساد الارده لديهم هي دفعتهم الي كراهيه الحق وحب الجاهليه فأراد بهذا تصحيح التصورات الفاسده بما يسمي القواسم المشتركة كما تسمع اليوم من ينادي بـ العهود الابراهيميه بين اليهود والنصاري ومن يدعي الاسلام من حكام العرب ولهذا نجد الآيات ورد فيها

١

النهي عن مولاه اليهود والنصاري فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء) والنهي عام لجميع المومنين في كل زمان ومكان وليس كما حاول البعض القول انها خاصه بقوم هموا في أحد أن يلتحقوا بـ اليهود لحمايتهم من المشركين وقال آخر أنه سوف يلتحق بالنصاري ويتنصر كي يجد الحمايه ...بينما ذهب البعض الي قصرها علي واقعه عباده بن الصامت رضي الله عنه الذي تبرأ من حلفه مع اليهود بينما تمسك عبدالله بن أبي بن سلول بذلك الحلف وغيرها من الروايات التي هي في الحقيقة توكد أن النهي عام وليس مقصورا بفئه محدده من المومنين بل هو نهي إلي قيام الساعه

٢

تبين النصوص أن الولاية إنما تبني علي الوفاق ..والوئام ...والصله وليس هولاء بأهل لولايه المسلمين لبعد مابين الصله بينهم وبين المسلمين ولاضمارهم الكيد والشر للمسلمين فقال تعالي (أولياء) اي تنصرونهم وتستنصرون بهم وتعاشرونهم معاشره المومنين ثم علل ذلك النهي (بعضهم أولياء بعض) إنما يتوالي بعضهم البعض لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه الاسلام من مولاتهم

٣

رتب علي ماسبق بيان حكم الذي يصر علي مولاه اليهود والنصاري أنه ينتقل الي دينهم ويخرج من الإسلام

٤

وبين أن الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فوالي اليهود والنصاري مع عدواتهم لله ورسوله والمؤمنين فهذا يكون مخذول

الأمر الثاني

ان الايات تبين للمومنين أن هنالك قوي تسعي للعوده بالمسلمين الي الوراء اي الجاهليه البغضيه وما فيها من فساد وظلم وتخلف وجهل وتمزق بعد أن أزال الاسلام بثورته جميع تلك المظاهر ومن هنا نفهم تكرر النداء (يايها الذين آمنوا) لان هذا لايكون إلا في حاله أن الثوره لم تنجح في تحقيق أهدافها أو أن هنالك فسادا جديدا قد وقع وظلما اخر قد ضرب جذوره في الاعماق يدعي أنه قريب من المومنين وأنه يحمل نفس الأفكار وهو في الحقيقة بعيد عن فكره الدين والتدين ويشكل خطر علي الامه وأهدافها ان هذا العدو يعمل من داخل كيان الامه وباسمها ومحسوب عليها وايضا لأن البعض لم يستوعب مساله التسامح مع المخالفين لنا في الدين وايضا لأن البعض قد فهم التكليف بالدعوه بالتي هي أحسن أنه يندرج ضمن مفهوم ذلك التنازل عن بعض الأمور لأجل تأليف القلوب ولهذا جاءت النصوص ترسم الطريق الذي يحقق الأهداف وتبين كيف يكون جعل الأهداف سلوكا عاما يلتزم به الحكام والمحكومين فكان النداء (يايها الذين آمنوا) لبيان اهميه التنظيم الذي يتوسط النظريه والممارسه بما يحقق الهدف فكان التنبيه من احتضان عناصر انتهازيه تسعي لنخر الدوله من داخلها بالتنسيق مع الأعداء من الخارج ولأنه لا يتم اكتشافها عاده بسرعه المطلوبه ولهذا بينت النصوص اهميه الولاء والبراء فهذا المبدأ هو المعيار الذي يكون به معرفه من له حق الانتماء الي جماعه الايمان ومن لايكون له اهليه العضويه وان صلي وصام وحج البيت فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء) فيها النهي عن مولاه اليهود والنصاري اي أنصار وحلفاء علي أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم أولياء وحلفاء من دون الله ورسوله و المؤمنين فإنه منهم في التحزب علي الله ورسوله والمؤمنين وان الله ورسوله منه برئيان

الأمر الثالث

تبين الآيات اهميه خلق الشعور المشترك بالخطر الذي يمثله الأعداء للامه قاطبه ولهذا نجد أن التوجيه بالنهي عن مولاه اليهود والنصاري جاء بأسلوب استنافي وسبب النهي ما وقع من اليهود ولكن النهي لم يقتصر علي اليهود فعطف عليهم بالنصاري حتي لايتوهم البعض ان النصاري مأذون في مولاتهم فكان دفع هذا التوهم لأن السبب الداعي لعدم المولاه واحد في الفريقين فهم وان لم يحدث من النصاري اذيه والله يقول (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) لكن الخطر مفترض فالمنهي عنه هو االتناصر والتحالف فذلك خروج عن الإس لام ...فأراد بهذا غرس حصر الولاء بين المومنين في عقولهم وقلوبهم ليكون الشعور بالمصلحه المشتركه بين جميع المومنين والحفاظ عليها ومواجهه الأخطار التي تهدد كيانهم ودولتهم ليصير هذا الشعور قوي تنبض بها قلب كل مومن بأن وجوده أصبح مهدد بالخطر

فالله قد أخبرنا أن الحسد والكبر قد دفع اليهود الي ترك امانه حمل المشروع الرباني اعتراضا علي اختيار الله النبي الخاتم من امه العرب ولهذا بدوا يخططون للقضاء علي قوه المسلمين ويبحثون عن الوسائل التي يعيدون فيها المسلمين الي ما كانوا عليه قبل الاسلام اي الي الجاهليه فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون...الخ

وقال تعالي في موضع (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)

حيث أنه عندما جاء الإسلام كان العرب قبائل متناحره ممزقه متصارعه فجمع الاسلام شملهم ووحد بينهم بنعمه ا لاسلام صاروا دوله وقوه ولهذا فقد كانت امنيات أهل الكتاب أن لو يستطيعون اعاده المسلمين إلي ما كانوا عليه من الذل والهون

فجاء التحذير للمومنين من التهاون في الولاء والبراء يقول لهم انتبهوا من استغلال هولاء الظروف الموضوعية التي أشعلت الحروب في الماضي بينكم وان تعودوا الي الجاهليه فقوتكم هو بالاخوه والوحده والايمان والا عتصام بحبل الله وقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف أن غياب مشاعر الخطر المشترك بين أقطار العالم الإسلا مي ادي فقدان اهتمام المسلمين بالمصلحة المشتركه وصارت دول العالم الإسلامي العوبه بيد اليهود والنصاري لقد أصبحنا نشأهد دولا عربية وإسلامية تتآمر علي بعضها البعض بل لقد أصبحنا نشاهد من يتآمر علي المقاومه في فلسطين دون خجل لماذا لانهم لاينظرون الي الخطر علي الاسلام نظره قوميه جماعيه بل ينظرون إليه أنه

يهدد حماس وحدها أو يهدد المقاومه الفلانية أن غياب عنصر قوميه الخطر عن مشاعر الدول العربية والإسلامية اليوم هو السبب الذي أوصل الامه الي ما وصلت إليه من الذل والهون

وتكمن أهمية (قوميه الخطر) ليكون شعورا مشترك بين جميع عناصر من ينتسبون الي الاسلام أنه يشكل قوه تحصن كيان الامه من الانهيار والضعف وقد أثبت التاريخ أن غياب هذا العنصر من روح الامه عندما ظهرت القوميات العربيه والكردية والتركيه ...

لقد تسبب بتمزق الامه الي أقطار متحاربه وعاجزه عن مواجهه العدو الإسرائيلي الذي تم صناعته وزرعتها في قلب الامه فعندما مزقت الروابط العضويه بين أبناء الامه صارت لقمه سائغه الأعداء

كما أن وجود الشعور بالخطر المشترك يعني أن يكون هنالك هدف واحد تسعي الامه الي تحقيقه في الحياه ومعركه الهدف تبدأ بمعركه المعرفه بالنفع والضار ولهذا يقول الله (أن الله لا يهدي القوم الظالمين)

اشاره الي أن الذي يفرط بمبدأ الولا والبراء يكون ظالما لانه قد وضع الشي في غير موضعه فهذا محروم من الهديه الربانيه لأن الله لايمنحها للظالمين وانما هي منحه من الله الي أولياءه وهذا فيه تحذير من التميع باسم التسامح بأن من يفعل ذلك فإن هذا لم يعد في الصف المسلم لأن أهدافه لم تعد تتفق وأهداف المسلمين فهذا أهدافه قد تحولت في مسارها الي اتجاه يودي الي طريق الظلم والهلاك فالذي يتولاهم ينتقل الي دينهم وان كان هذا التوالي قليل فإنه يدعو إلي الكثير ثم يتدرج شيئا فشيئا حتي يكون منهم فاخبرنا الله أن حكمه هو حكمهم (فإنه منهم)فهو كواحد منهم في الكفر والعذاب والعقاب لأن (من) شرطيه تقضي أن كل من يتولهم دخل في ملتهم لأن من تبعيضه تقضي أنه تارك لدينه لأن المسلم لابد أن يشعر بألم أخيه المسلم فكيف له أن يناصر اليهودي ضد أخيه المومن في غزه مثلا ويدعي أنه مازال مومنا ويقول إن القضيه تخص الفلسطينين وانا لست فلسطنينا فهذا ليس بمسلم وانما صار صهيونيا بشهاده الله تعالي القائل (,ومن يتولهم منكم فإنه منهم)

ثانيا

ان قضيه الولاء والبراء قضيه عامه تجتمع فيها المعاني الاعتقاديه الايمانيه والمطلوبات العمليه من وجوب التناصر والتازر والتآخي بين المسلمين علي نطاق الامه في كل بقاع الأرض كما توجب البراءه والمفاصله و التجافي بين المسلمين وغيرهم علي اساس العقيده الا في اطارات محدوده فلابد من التجافي والتباعد بين المسلم والكافر ولهذا نجد أن الحق يذم من يتمسك بالعلاقات مع الكفار فقال تعالي (فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشي أن تصيبنا دآئره فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا علي مآ أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا...الخ

فالنصوص تبين لنا الآتي

الأمر الأول

ان الايه قبلها قد ورد فيها النهي عن مولاه اليهود والنصاري ولما كانت المولاه من الإنسان لغير قومه تكون في غايه الصعوبه تحتاج إلي مجاهده النفس ولابد لها من مقدمات يعملها الإنسان ولهذا استعمل الحق صيغه افتعال فقال (لاتتخذوا) فدل هذا أن الأمر لايتاتي بسهوله فالله يقول لو كان الأمر سهلا لاينبغي لكم إن تفعلوه فكيف وهو لايكون الابذل الجهد فلا يقبل العاقل سليم العقل أن يفعل مع هولاء الأعداء ما يفعل مع القريب وهم أكثر الناس استخفافا بكم وازدراء لكم ولهذا يقول الحق احذروا من تسلل عناصر مريضه في صفوفكم تطمح أن تصل

الي مراكز القياده فهولاء لو وصلوا لما يطمحون فسوف يؤثرون سلبا علي قرار الامه وإصابتها بالشلل فهولاء لا يمثلون ارداه الاسلام والمسلمين ولا تطلعاته فأنت تري حالهم عجيب وهم يسارعون في مولاه اليهود والنصاري فهولاء في قلوبهم مرض الشك والريبه هولاء لم يومنوا حقا لايثقون بنصر الله فهولاء فالمومن الحقيقي لايستمد عزته من جاه ولامال وانما يستمد عزته من العبودية لله التي حررته من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولامستخذيا طامعا لاتذله الأحداث ولاتجني جبهته الازمات

أما الذي لم يعمر قلبه الايمان لايصمد في وجه الازمات ولهذا يقول لنا الله أن مولاه اليهود والنصاري لايقبلها الا المريض الذي يري انه بذلك يضمن القوه والاستعلاء وهذا هو واقع الكثيرون من الحكام العرب اليوم فقال تعالي (فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم)

الأمر الثاني

يخبرنا الله أن مولاه الكفار لايصدر الا عن المغشوش المريض الذي امتلي قلبه بالأمراض فقال تعالي (فتري) اي أنه بسبب حرمان هولاء من الطاف الهدايه الربانيه بسبب ظلم أنفسهم بمولاه الكفار انك تري الذين في قلوبهم فساد يهرولون مسرعين بسبب الاعتماد علي الناس دون الله (فيهم) اي في مولاه أهل الكتاب حتي يبدوا لك هولا ء كأنهم داخلون فيهم من شده ملابستهم كأنهم قد ذابو في كيانهم فالمولي يبين انه بسبب هذا المرض الذي يسكن قلوبهم صاروا يتحركون في مسار محدد الاتجاه لدرجه انك تراه كانه اجباري الاتجاه وكأنهم لا ارده لهم إلا السير في الخطوط التي رسمها لهم اليهود والنصاري وهذا ناتج عن انفصل اردتهم عن الأهداف الحقيقية التي تمثل اماني الامه وهذا هو حال الكثيرون الذين يبتعدون عن أهداف الامه ولاينظرون الي مصالح الامه ومن لا هدف له في الحياه ولايكون الاسلام هو النظام الذي يحكم حياته فالايات تتحدث عن واقع المنافقون وعلي رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول الذي رفض قطع علاقاته مع اليهود والنصاري ولهذا يعيطنا القران علامات المصاب بمرض النفاق (يقولون نخشي أن تصيبنا دآئره)

ان علامات المنافقين أنهم يحاولون تبرير أفعالهم أنهم يقصدون بذلك خدمه الاسلام خوفا من المصائب التي قد تحل بالمسلمين ليكونوا لهم يدا يدفعون عن المسلمين الضرر وهذا يدل علي ضعف الايمان وعدم الثقه بنصر الله ووعده

والنصوص تشير الي أن الأحوال والظروف التي كانت عليها جماعه الايمان وقت النزول أن هنالك قوه مازالت لدي اليهود فالواقعه تدل أن ذلك كان في وقت مازالت بني قريظه وبني قينقاع وقبائل اليهود مازالت في المدينة ولديها قوه كان المنافقون يحاولون اخافه المسلمون بقوه اليهود ويصفون أن ارضاءهم لليهود فيه منافع تخدم المسلمين قائلين اننا نخاف من دائره تدور علينا من الأعداء فالايات تدل أيضا أن هنالك مصالح وعلاقات اقتصادية واجتماعية وتجاربه يرتبط بها المسلمون مع اليهود فكان لابد من المفاصله فنزلت الايه لتغرس عنصر الا نتماء للايمان باعتباره هو الوطنيه التي جسدها الاسلام في اجتماع المسلمين ليكون التضحيه بالنفس والمال في سبيل الله فهذا هو الوطنيه بمفهوم الاسلام وهو ما يعطي قوه للدوله لانه يدفع بالإنسان الاندماج في المجتمع المسلم برض وقناعه واختيار ليكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء مما سواهم في جميع تعاملات المسلم ونشاطه ولهذا جاءت النصوص مبينه أحوال المنافقين وأقوالهم لكشف صورتهم فهذا إنما يصدر عن عنصر فاسد ولهذا يعقب الله علي ذلك بقوله (فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا علي مآ أسروا في أنفسهم نادمين) وهذا فيه الآتي

١

قيل إن الفتح هو القضاء اي الفصل لقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا)وقيل هو فتح مكه لانه أعظم الفتوحات وعموما فإن اللفظ فيه التبشير بالفتح والنصر والظفر بانتصار المسلمين سؤء في فتح مكه او غيره

(أو أمر من عنده) اي أمر من عند الله يقطع شاقه اليهود ويجليهم عن بلاد الإسلام

٢

(فيصبحوا علي ما أسروا في أنفسهم نادمين)

ان عندئذ يندم المنافقون علي تامرهم وخيانتهم لانهم كانوا يشكون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لكن النص يبدوا أنهم أسروا الكفر فندم هولاء ليس لأنهم شكوا فمن سكن المرض قلبه لايندم عندما تنجلي له الحقائق ندم التوبه . وانما الندم من هولاء لانهم حرموا الغنائم ولان خطتهم لم تنجح في القضاء علي الاسلام لانهم كانوا لهم طموحات أن يستولي علي السلطه بعد القضاء علي الاسلام خاصه ابن أبي فقد كان يسعي من حياكه المومرات مع اليهود أن يستقوي بهم وباعداء الاسلام ليظهر نفسه أنه المنقذ لهم

فالايه فيها تهديد لمن يستقوي بالاعداء بكشف أمرهم وإظهار حقيقه ما اخفوه ولما كانت المصيبه عند الاصباح أعظم داهيه فقال تعالي (فأصبحوا) اي بسبب كشف خيانتهم أن يصبحوا مكشوفين فهم كانوا يرون الفتح أمر محال فكان النصب اشاره الي ما يخفون من ذلك (علي ما أسروا) لان الاسرار ما يخشي إظهاره لما فيه من فساد وهو ما يطلق علي ما يدور بين جماعه علي وجه الكتمان عن غيرهم وهذا يعود إلي خوفهم من إظهاره لانه يمثل فضيحه لهم

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول بعدها عن حال المومنين وهم يشاهدون حقيقه هولاء وخيانتهم فقال تعالي (ويقول الذين آمنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين)

لما انفضح حال المنافقين وانكشف أمرهم للمومنين يتعجب المومنون من أمرهم كيف أنهم كانوا يظهرون الايمان وانهم مع المومنين وهم يتآمرون عليهم مع أعدائهم يتعجبون من التملق الذي كان المنافقون يحاولون إظهاره ويقولون كيف استطاع هولاء اخفاء كل هذه الخيانه اشاهدتم كيف أنهم كانوا يبذلون كل جهدهم لاظهار أنهم مخلصون حتي لايشك أحد بهم فيوكدون ذلك بالحلف بالله الايمان المغلظه وإطلاق الجهد هنا تدل أنهم كانوا يعملون الاعمال الصالحه مثل الانفاق وغيرها من الاعمال الخيريه لأجل إقناع الاخربن أنهم أهل خير قاصدين أن يخدعوا المومنين ولهذا يخبرنا الله أن أعمالهم هذه ذهبت بلا فائدة لم ينتفعوا بها فقال تعالي (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) خسروا الدنيا والآخرة

القسم الثاني

تأتي النصوص مبينه أن الذي يرفض المفاصله بالبراءة من الكفار ومن يرفض ترك مولاه اليهود والنصاري بأن هذا قد اختار طريق غير طريق الهدايه فقال تعالي (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله

اولا

يأتي الخطاب للمومنين بأن الذي يرفض التوقف عن مولاه اليهود والنصاري فإن هذا مرتد قد خرج من دائره الا يمان والاسلام وانتقل الي الكفر اي عاد الي الجاهليه فهذا الاصرار رده عن الإسلام وان التزم بالصلاه والصيام و الحج والزكاة...فالنداء تأكيد لقوله تعالى (ومن يتولاهم فإنه منهم) وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد أنها تتناول عده قضايا

الأمر الأول

ان النصوص تهدف إلي القضاء علي دوافع الرده واستصئال بواعث الرده ومهادنه أهل الكفر

حيث أن البواعث الدافعه لذلك متعدده منها أهمها الآفاق الضيقه الناتجه عن العصبيه والشلليه والقوميه وأحزابا حيث يكون تداعي القلوب الي اهواء الباطل والميل الي الدنيا والتنافس عليها حيث ينقض ميثاق الاخوه ويصير الصراع علي المناصب والسلطه وينتج عن ذلك عدم احترام الهيكل التنظيمي والاداره فيجد الفاسدون ثغرات ينفذون منها وحينها يتحول الأمر الي صراع علي المصالح ويتحول الهدف الذي يمثل امنيه وارداه الحكام و المحكومين وهو الإذعان والانقياد لأمر الله واظهار سلطانه باقامه الحياه وفقا لمنهج الله الذي يلبي المطلب الرباني ويحقق الغايه من الوجود الإنساني عندها يصبح الهدف والغاية هو السلطه والزعامه والمصالح الشخصية وارداه التغلب فيكون تدمير القيم من واقعهم فلم يعودوا يعيشون لتحقيق القيم النبيلة بل يعيشون لذاتهم ومصالحهم الغريزيه ويكون الاستعلاء بالجاه والمناصب والمال ولهذا نجد أن هولاء يلجأون الي الأعداء اليهود و النصاري لطلب الاستقواء بهم علي إخوانهم المومنين لهدف تقويض سلطه الطرف الآخر ولأجل أن يحل محلهم

ولاينظر الي فعله أنه كفر ...لانه ينظر إلي الصراع أنه صراع مصالح لاعلاقه للإسلام به ...أنه صراع شخصي مع الحاكم أو الاداره فاساس الرده أنه يبدأ من انحراف وفساد قوي الحب والغضب حيث تجد المسلم يعيش بثوابت غير ثوابت الاسلام ويتحول الكتاب والسنه الي سلاح فئوي وسلاح سياسي وحزبي يستفرغ كلا طرف به حقده ضد الآخر ولهذا نجد أن الله تحدث مخبرا عن قدرته العظيمه في استبدال قوم آخرين غيركم اذا لم. تقبلوا أن يكون هدفكم في الحياه طاعه الله وان تبيعوا أنفسكم له تعالي وحده لاشريك له مخبرا أنه اختار الجماعه المومنه لتكون التنظيم الذي يحقق قدر الله في الأرض من خلال انشاء دوله يحكمها القران في جميع شوون الحياه ونشر الخير الذي أمر الله به فالاصل أن هذا الاختيار دافعا للنهوض بالتكاليف وحمل الامانه فهذا فضل من الله وهو تعالي يختار من يعلم أنه اهلا لهذا الفضل ولهذا فإنه تعالي بيده أن يسلب هذا الفضل عنكم كما قال (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم) وقال تعالي (أن يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك علي الله بعزيز)

فأراد الحق بهذا الاخبار عن عظمه قدرته أن يعرف العبد أنه مملوك لله وأنه في قبضه الله وان الملك هو ملك الله وأن الهدف والامنيه التي فيها سعادتهم وعزهم هي الاستعلاء بالعبوديه لله فهذا هو الهدف الذي يسعون الي تحقيقه في الحياه وهو إرضاء الله تعالي ولهذا فإن فاعليه المومن إنما تكون من خلال استحضار وجود الله وعظمته

فالحق يريد أن تكون ارداه الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين صادره من اراده حره فجعل الولاء هدف وامنيه ينبغي أن تكون ارداه الحكام والمحكومين في المجتمع المسلم تعبير تنفيذي لامنيه الولاء الحب في الله والبغض فى الله..فيكون اتصال الارداه بالهدف عن طريق الاختيار الناتج عن اراده حره فيكون هنالك ارتباطا عضويا بين الارده والهدف فالنصوص تتناول موهلات العضويه ويحذر أن تسلب الامه اردتها من خلال خضوعها لارداه الأعداء يحذرها من مولاه اليهود والنصاري فقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف صار حال المسلمين عندما صارت الشعوب منصاعه لمشئيه القوي الاجنبيه عندما فرطت الامه بمبدأ الولا والبراء عندما سمحت الامه للذين في قلوبهم مرض الوصول إلي مركز القرار

أنظروا الي حالنا اليوم عندما استولت قياده خاضعه لليهود والنصاري علي زمام الأمور في الحياه فالنفوذ الصهيوني للاسف صار يحكم ويتربع علي جميع كراسي الحكم في العالم الإسلامي

عندما اوجد قياده اجلسها علي مقاعد السلطه ورسم لها حدودها الاقليميه واوجب عليها التشبث بتلك الحدود وحدد لها النظام الذي تسير عليه وبشكل اجباري في مسيرتها باتجاه محدد رسمه الاستعمار لقد شاهدنا كيف أن أمريكا قامت بتغيير الانظمه التي تمردت عليها وقامت بقتل من تمرد عليها والبعض الآخر كان نفيه وكيف أن الحكام العرب ازدادوا ذل وهون بعد مقتل صدام حسين

فإن المتأمل في تاريخ العرب والمسلمين يجده حافل بمسيره الكثير من الحكام الذين صنعهم الاستعمار لحكم المسلمين فإن شاءت فانظر لمن حالك واسأل نفسك كيف جاوا وكيف خكموا وكيف ذهبوا فسيطره اليهود و النصاري علي مركز القرار في أمتنا جعلت الحكام المصابون بمرض النفاق كما وصفهم الله يتسابقون علي كسب رضاء اليهود والنصاري بمحاربه الاسلام والعلماء أنهم يقدمون الطاعه لليهود والنصاري لقد اصبحت صوره الامه في تخلف وذل بسبب عدم امتثال أمر الله بعدم مولاه اليهود والنصاري لقد اصبحت خيرات الامه مسخره لخدمه اهل الكفر والمسلمين في جوع تشاهد الصراعات بين أبناء الإسلام في حين يظهر الصداقه والموده لاهل الكفر لقد تزحم الأوصياء علي الامه الاسلاميه يبثون فيها الأمراض والصراعات وينزعون عن الامه مصدر قوتها من خلال تميع الشعوب وتسليم الحكم لمن هم صهاينه في سلوكهم أكثر من الصهاينة انفسهم وهذا ما حذر الله منه

الأمر الثاني

اعلم أن التوحيد الذي جاء به جميع الرسل إنما يتضمن إثبات الالهيه لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله لايعبد إلا إياه ولايتوكل الا عليه ولايوالي الا له ولايعادي الافيه ولايعمل الا لأجله ولهذا لما نهي الله عن مولاه اليهود و النصاري أخبرنا أن هولاء أعداء لله ودينه ورسوله وبالتالي فإن الذي يصر علي مولاه أعداء الله فهو مرتد وقد أخبرنا الله تعالي أن الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم فدل أن هذا لايتذوق حلاوه الايمان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وان بكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)

وهو مايفهم منه أن الحد الفاصل بين القلب السليم والقلب المريض هو تغلل حب الدنيا وشهواتها في القلب وتفضيله علي حب الله ورسوله ودينه حتي لو كان هذا الحب في الأمور المباحه فإن هذا عليه أن يدرك أنه صار هدفا لأمر الله باستبدالهم باخرين فالله يقول (قل إن كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

ولهذا قال تعالي (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومه لائم)

والارتداد عن الدين هو باي صوره سواء كان الارتداد عن القيم التي يتم بها بناء السلطه السياسيه كا لشوري التي تم التضحية بها من قبل بني اميه أو التضحيه بالعدل في نظام الحكم أو مولاه الأعداء فالدين يشمل جميع اوامر الله ونواهيه في جميع شؤون الحياه فيجب أن يكون تنفيذها طاعه الله ومحبه الله وطلب إرضاء الله تعالي

ثانيا

انه بالوقوف علي التهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يرتد عن دينه نجد أنه لم يتوعده بالنار الحارقه وانما يهددهم بأن يستبدل بهم قوما يحبهم ويحبونه فقال تعالي (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فجعل القيمه الوحيده التي تقف علي نقيض الرده والشرك ...هي حب الله لهم

ومن هنا كان لابد من الوقوف علي مدلولات ذلك .....

الأمر الأول

ان التهديد يدل أن الذي يرتد لن يضر الله شيئاً وانما يضر الإنسان بنفسه لأن الإنسان هو المحتاج الي حب الله و

الله غني فالله يدعو عباده الي رحمته وعطفه وعطاءه وفضله وإحسانه بالتقرب إليه بما يودي الي أن يحبهم الله

فحب العبد لسيده أمر طبيعي بالنظر الي عطاءه وإحسانه اي الخالق سبحانه وتعالى علي العباد لكن الاعظم هو حب الخالق سبحانه وتعالى لعبده فهذا الحب لايدرك قيمته الا من عرف نفسه بضعفها وافتقارها وحاجتها الي ربها ومولاه ومن عرف عظمه الخالق سبحانه وتعالى وجماله وجلاله وكماله وبالتالي فإن هذان العلمان هو الذي يجعل العبد يتغذي علي طاعه الله وتنفيذ امره طلبا لحب المتفضل الذي يملك الإنسان وكل شي فيكون ذلك مصدر للطاقه والنشاط والانس والخروج من الغربه فعندما تشعر أن لك ربا يمنحك الانعام فإنك حينها سوف تنطلق وانت تأنس بالله فتخرج من وحشه الغربه الي رحاب الايمان بالاتصال بالله فتحرر من الخوف وتحرر الطاقات من السكون بالثقه بالله والتوكل عليه

الأمر الثاني

ان قانون الحب الاعلي يعرف أنه العطاء ولهذا قال جلال الرومي ان العشق هو المحبه بغير حساب ولقد قيل إنه صفه حقيقه لله أما اتصاف العبد به فمن قبيل المجاز وقال إن كلمه (يحبهم) هي حب حقيقية أما كلمه (يحبونهم)

فمن ذا الذي يصدق عليه الوصف

لان الله هو المعطي وحده في الحقيقه فقد اعطي الإنسان الحياه بأن اوجده من العدم واعطي للإنسان القدرات التي تمكنه من استغلال الأرض وسخرها له وانعم عليه بنعمه الايمان والادخال في رحمته فماذا يعطي الإنسان بالمقابل

ان الانسان لو أنفق كل ما يملك فإنه لم يعطي شيئا لأن ما أنفقه هو المال الذي حق ملك الله وانما هو لدي الإنسان امانه وبالتالي فإن اعاده الحق لمالكه لايسمي عطاء ولو قدم الإنسان روحه في سبيل الله ومزق جسده وروحه كل التمزيق فإنه لم يعطي شيئا لأن الجسد والروح هو ملك الله فأنت لاتملك شيئا

فقانون العطاء حقيقه لايسري الا علي الله فالله هو المحب لعباده فالله يقبل الشكر بدلا من العطاء ويجعله رحمه منه سببا في زياده العطاء فقال تعالي في موضع آخر (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم)

ولهذا يخبر الله المرتد أنه لن يضر الله شيئاً وانما هو يضر بنفسه فهو الخاسرن وأنه تعالي قادر علي استبدالهم بعباد مخلصين له تعالي وصادقين يتكفل الله بهدايتهم فهم احسن أخلاقا وأكثر طاعه منكم

الأمر الثالث

تبين النصوص أن العباده في قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) لها قمتان قمه العقل (المعرفه) وقمه الحب فحضاره الاسلام تقوم علي حب الله قال تعالي (والذين آمنوا اشد حبا لله) وهذا الحب يكون بامتثال ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله قال تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فاساس اي حضاره هو الحب ولهذا نجد أن أدعياء الحضارات يرفعون شعارات الحب لكن هذا الحب هو للماده و الحب العابر السطحي الذي يخضع للصداقه والموثرات التي يقع فيها الإنسان وهذا يعني أنه إحساسا عابرا وقتيا يزوال بزوال الموثر والذي يكون مجهولا ولايمكن دراسته أما حب الله فهو حب عظيم وحي دائم لايموت

ولهذا يخبرنا الحق أن حب الله يعود إلي الروح ومن لوزام حب الله أن تعرفه باسماءه وصفاته وكماله فتقدره حق قدره ومعرفته إنما تكون من خلال منهج الله ثم ان هذا العلم النظري في محبه الله يتطلب الانتقال الي التطبيق بالقيام بأمر الله والتقرب من الله والاكثار من ذكره تعالي فالحب بدون معرفه تكون ناقصه ومن عرفه ولم يذكره

كان حبه ناقص ولهذا فإن الحب فن يتطلب الجد والاجتهاد وبذل الوقت والجهد والمال والنفس في سبيل إرضاء المحبوب فهو يرتبط بالعمل والمعرفه لأن الذي لايعرف وفقد القيمه أن يحب لأن الحب هو الحجر الاخير في هرم القيم ومن المستحيل أن يوجد الحجر الاخير والهرم نفسه غائب لانه لايقدر علي الحب الا من يقدر علي الفهم والم لاحظه والاحساس والعطاء فكلما زادت معرفته زاد حبه وهذا يتطلب اخراج الانانيه من الذات ليكون محبا لله وللرسول والمومنين يحب الفكره عباده الله ويعيش لاجلها ويموت لأجلها فاتصاله بالله علمه إن لايخاف من أحد فالله معه ولهذا قال تعالي (اذاله علي المومنين اعزه علي الكافرين)فاخراج الانانيه من ذاته تعني أن يحب المومنين فهو يحزن لحزنهم لين في تعامله معهم ودودا وليس في ذله من مذله ولامهانه وانما هي علاقه الاخوه التي ترفع التكلفه بينهم بالشعور بالانتماء إلى الإيمان وعطف علي ذلك (اعزه علي الكافرين)وهذا ناتج عن الاستع لاء بالعبوديه لله انها ليست عزه نسب ولاعزه واستعلاء للذات وانما عزه العقيده والاستعلاء بالله تجعله يعادي الكفار ويقف في وجهه الكفار بالتوكل علي الله والثقه بما عند الله واعلاء كلمه الله فالغلظه علي الأعداء مما يتقرب بها الي الله فقوه الحب لله وقوه الغضب لله فالمسلم عنده ارقي انواع الحب هو حب الله ..والمسلم يحب الانسان والكون ولهذا فإن الباعث للجهاد هو حب الله واعلاء كلمه الله ولأجل اقامه الحق ونشر الخير في الأرض باقامه الحياه وفقا لمنهج الله الذي يرفع الظلم والاضطهاد والطغيان لأن الطغاه والملوك والجبابره يمنعون عن الناس ضوء الحقيقه ويمنعون الناس عن الاتصال بالله ويقفون ضد رقي العقل البشري وينتكسون به الي عباده الكفته والاصنام ولهذا فإن المسلم يحزن للبؤس الإنساني ويحس بالعار عندما يري التعاسه والباس في الأرض و الفساد والتخلف ولهذا يضحي بنفسه وماله للتقليل من كميه الحزن في العالم ويسعي لرفع المظالم والعمل علي اع لاء كلمه الله فقال تعالي

(ويجاهدون في سبيل الله)

الجهاد في طريق ليس طريق العصبيه ولا لأجل طلب السلطه ولا لأجل القبيله ولا لأجل الوطن وانما العلاء كلمه الله وتقرير سلطانه تعالي

فحب الله هو الباعث علي التضحيه بالنفس والمال شوقا الي لقاء المحبوب فحب الله جوهر الأديان وهو أصل خشوع القلب وطهر اللسان وحركه الجوراح فالحب العظيم لايليق الا بالعظيم وهو الله الحي الدائم الذي لايموت ولهذا فان ربط حب الله بالجهاد في سبيل الله تعني قطع كل ماعدا الله ولهذا فقد تحررت نفوسهم وقلوبهم من الوهن والضعف فقال تعالى (ولايخافون لومه لائم)

فلماذا يخافون الناس ولومهم وقد تحررت قلوبهم من كل المخاوف فلم يبقي فيها الا الله وحده لاشريك له فلا مصالح شخصية يخافون عليها فهم يسعون الي رضاء الله ومن كان هذا هدفه كيف له أن يخاف لوم البشر طالما أن طريقه يصله بربه تعالي فلا يردهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد بالنفس والمال والقلم اي قوه في الأرض

ولهذا يشير الحق سبحانه وتعالى أن هذه السمات التي منحها الله لعباده المؤمنين الذين يناولوا حب الله وعطاءه الامحدود فقال تعالي (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

ان هذا الفضل الذي اختصكم الله به هو من عطاء الله وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم ولتذكيرهم ان الله جعل علب عطاؤه كله واجب الشكر فقط ليزيدهم من فضله والله وسع هذا العطاء الذي يختار من يشاء وهم عليم بمن يستحق هذا الفضل فالله اعلم حيث يجعل رسالته

ثالثا

تمضي سياق النصوص في مناقشه مساله الولاء والبراء وتبدأ بتحديد الجهه الوحيده التي يجب عليك أن تبذل لها

الولاء المطلق وان تتبرء مما عداها فقال تعالي علي سبيل الحصر (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)

فقد جاءت قضيه الولاء محموله علي ادوات الحصر يعني وجوب حصر الولاء في أهل الإيمان وان يكون ذلك لله وان الابواه الشرعيه هي أبواه المنهج بعد النهي عن مولاه غير المسلمين وان كانوا أهل كتاب تأكيدا لوجوب توجه الولاء للمومنين وحدهم فجاء وصف منهم المومنون (الذين يقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه وهم راكعون)

واقامه الصلاه تعني القيام بحق الله بتقديره حق قدره وتلقي امره بالخشوع والاذعان والخضوع وأما اتياء الزكاه فتعني القيام بحق الناس بالاحسان إليهم فالإيمان اتصال بالله وحب نظري والصلاه في الإسلام هي التطبيق العملي للحب النظري فهي حركات يقوم بها المسلم يذكر الله فيها ويقف بين يديه مستسلما له تعالي وفيها أيضا الا نتظام في الصف أمام الله لافرق بين غني ولافقير ولا كبير ولا صغير وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر

والزكاه في الإسلام تصرف اقتصادي ينطوي علي فعل من أفعال الحب هدفه انتشال الفقراء من الفقر واسعادهم بالحياه الكريمه وهم راكعون اشاره الي الركوع الذي فيه تميز طقوس الصلاه بالمسلمين لأن اليهود والنصاري ليس في طقوسهم ركوع فالايات تبين أن الإيمان مقرون بالوجل والمهابه التي تملأ قلوبهم فالإيمان الذي يحدثنا عنه القران هو اعتقاد عقلي يوثر في احاسيس القلب وهو عمل تقوم به الجوراح في العبادات وهو سلوك اقتصادي يطبع تصرفات المومن ولهذا يأتي بعد التعقيب الذي فيه الوعد من الله بالغلبه والنصر والظفر لمن يتولي الله ورسوله والمؤمنين فقال تعالي (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

فالشطر الأول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا)من الجمله اسلوب شرط بأن تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءه من الكفار أسباب لتحقيق النصر والغلبه

فقال تعالي (فإن حزب الله هم الغالبون)

فأراد الحق بهذا أن يبين لهم أن عليهم الأخذ بالاسباب وان النتيجه بالعز والتمكين للإسلام في الأرض فهي من ثمرات ذلك تأتي لتحقيق قدر الله من تمكين هذا الدين فأنت ملزم بالاخذ بالاسباب وأما احداث النتيجه فهي بيد الله تعالي فأنت تعمل لله فإذا حصل التمكين فإنه لايعني أنه للذوات بل هو انتصار للحق انتصار للبشريه كلها لانه فيه اقامه العدل وازاله الظلم من الحياه ولهذا فإن عدم تحقيق النصر والتمكين والانهزام في بعض المواقف لايؤثر في ايمان المومن لانه يأخذ بالاسباب ويترك النتيجه لله تعالي فالمسلم يدرك أن تأخير التمكين يعني أنه ليس أهلا بعد لفضل الله في الوقت الحالي فالذي ينبغي أن يفهمه أن الوعد من الله في جواب الشرط فيه بيان أن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو الطريق المؤدي لتحقيق وعد الله في نهايه الطريق

القسم الثالث

لما نهي الله في الايات السابقه عن مولاه اليهود والنصاري وارشد المومنين الي خطر ذلك وأنه يخرج المرء من الإسلام الي الكفر فالرده إنما تكون بالعوده الي الكفر بعد الاسلام وحصر الولاية في الله سبحانه وتعالى وختم الله الايه قبلها بأن الأعداء سوف يخسرون فالغلبه والظفر لمن يتولي الله ورسوله والمؤمنين تأتي النصوص بعدها بالتنبيه من عله اخري توجب البراءه من الكفار واليهود والنصاري وتوجب معادتهم فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

ان الايه وردت في إطار بناء الشخصية الإيمانية ولهذا نجد

ان الايات ورد فيها استناف تأكيد لمضمون الكلام قبله المتضمن النهي عن مولاه اليهود والنصاري وان الناس

ينقسمون إلي قسمين لاثالث لهما الاول حزب الله وهم الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا والقسم الثاني هم حزب الشيطان مهما تعددت عقائدهم وأفكارهم فهم خدم الشيطان .. .ولما كان قد ذكر أن الغلبه هي لحزب الله وان أعداء الله سوف يهزمون وان مولاتهم لاتورث الا الخساره والهلاك وهذا فيه الدعوه للاستعلاء بالحق وعدم الا نخداع بالمظاهر الخادعه فالنصر للمومنين وهذا من اهم عناصربناء الشخصيه المومنه فجاءت الآيات هنا فيه تحريض المومنين علي معاداه كل من يسخر ويستهزي بدين الله وكل من يتخذ الدين والانتماء له هزوا مبينه أن ولايقابل ذلك الالتزام بالجد والاجتهاد في اي أمر من أمور الدين كان فجميع قيم الدين وأحكامه سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو الشعائر الدينية كلها تنطلق من عقيده التوحيد لايقبل المومن السخريه باي منها

ولهذا استخدام صيغه الافتعال (لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم) اشاره الي أن هولاء يبذلون جهودا حثيثة للنيل من دينكم الذي هو شرفكم وايمانكم الذي يميزكم عن غيركم فعليكم الإنتباه لأن الذي يتخذ عقيدتك ونظام حياتك هزوا فإن هذا يحتقر عنوان عقلك ويزدريك وبالتالي فإن هذا غير جدير بعلاقه الود والاحترام منك ولا يمكن أن يكون وليا لك فذكرت النصوص تعريف هولاء فقال تعالي (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار)

وجاء بناء الفعل للمجهول (أوتوا الكتاب) وهويشمل جميع أهل الكتب السماوية اشاره الي أن تعاقب الأجيال وتطاول الأزمان تولد العصيان والتمرد فاستعمل مافيه البعد الزماني وأكد ذلك (من قبلكم) اشاره الي فعل هولاء يعود إلي العناد والمكابره والحسد بعد تحققهم من صحه الدين الاسلامي

ولما خص عم بعده فقال (والكفار) لأن كلاهما اجتمعوا علي الحسد الذي جعلهم يزدرون الاسلام وهو ما يوجب مراقبه الذات ومحاسبه النفس هل هي ملتزمه بأمر الله وعليك استحضار أن الله مطلع علي أفعالك واقوالك وعلقت امتثال ذلك بالإيمان لانه هو الذي يدفع العبد الي الالتزام بأمر الله تعالي فالاتصال بالله يجعل المومن مطمئن لربه والانس بجوراه والأمن في حماه

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

التشديد في النهي عن مولاه الذين يسخرون ويستهزون بالدين في أي جزء منه لأن ذلك كفرا وان صدر من مسلم فإنه يخرج عن الدين بالكليه فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون لاتعتذروا فقد كفرتم بعد ايمانكم) فمن هزا بشي فيه ذكر الله أو القران أو الرسول فقد كفر فقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن محمد بن كعب وغيره أن رجل من المنافقين في غزوه تبوك قال ما رأينا مثل قرائنا هولاء ارغب بطونا ولا اكذب لسانا ولا أجبن عند اللقاء يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرا فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لاخبرن الرسول صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الي الرسول صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق

فالاستهزاء بالدين رده عن الإسلام وكفر فهنالك فرق بين العفو الذي يحبه الله ويرضاه وبين الغلظه علي أعداء الله فلا يجوز التساهل بها فهذا لايعد عفوا بل هو ديوثه لايقبل بها المسلم

الأمر الثاني

أن الحق جمع في هذه السوره النهي عن مولاه ليهود والنصاري والكفار لان عدواتهم الدين الاسلامي جمعهم علي محاوله النيل منه من خلال السب والسخرية من أحكامه وقواعده لانهم أهل ضلال والاستهزاء أما أن يكون

صريح مثل قول المستهزي دينكم أخرق ورجعي ومن يستهزئ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول جاءكم العلامه ناصحا وكذلك القول بأن احكام الإسلام وحدوده وحشيه أو أنه يظلم المراه وغيرها من الأقوال وقد يكون غير الصريح بالغمز واللمز عند رويه أهل الإيمان

ولهذا فإن الجمع لاهل الكتاب والكفار من المشركين لانه وقعت المولاه بينهم علي معااده الاسلام واجتمعوا علي الفسق والعصيان كما قال تعالي (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا موده بينكم في الحياه الدنيا ثم يوم القيامه يكفر بعضكم ببعض ...الخ

الأمر الثالث

ان المعلوم أن الكفار عندما يشاهدون الملتزم ديننا أو يشاهدون الشعائر الدينية التي ترسم اجتماع المسلمين مثل صلاه الجمعه او الحج أو غيرها من القيم والمبادئ الإسلامية فإن هذا يغيظهم ويدفعهم انفعال الرغبه في صرف المسلمين عن دينهم فيلجاون الي استعمل وسائل الدعابه الممتزجه بما يثير السخريه بتشويه سمعه النشاطات وا لأعمال الاسلاميه فتجد هولاء يلجأون الي تفسير اي تقدم فكري او سياسي أو اجتماعي اسلامي بطريقه تظهره بمظهر الجهل والتخلف قصدهم من ذلك عزل الاسلام عن الحياه والباعث لذلك هو الحقد والكراهية للاسلام

فالاعداء يستقبلون مافي الاسلام من قيم ومبادئ بلون من السخريه فهم لايفهمون أن ذلك فيه خير لهم وهم يسعون لأجل أن ينحرف المسلم عن هذا الطريق فهم يريدون أن يترك أهل الايمان الحق ويصيروا مثلهم علي الباطل فإذا لم يستطيعوا تحقيق ذلك قاموا بتشويه صوره الحق التي حملها القران الكريم للبشريه فالمومن عليه أن يدرك أنه سوف يجد مضايقه من الأعداء فالله يقول (أن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون) وقال تعالي(واذا انقلبوا الي اهلهم انقلبوا فاكهين)وقال تعالي (واذا رواهم قالوا انا هولاء لضالون)

ولهذا فقد أراد الحق أن يربي المومنين علي اليقظه فلا يوالي الأعداء ولايسمح الاستهزاء بالدين من اين كان فأول خطوه في اليقظه هو أن ينفذ المومن المنهج فلا يخجل من ذلك فعليك أن تعتز بدينك

الأمر الرابع

ان القران هو اداه التغيير التي حدث في امه العرب فهو المنهج الذي احدثه ذلك الانتقال في امه الاسلام فقد أعاد تشكيل المجتمع المسلم وبناء عقولهم وقلوبهم وتفكيرهم وحصل ذلك التغيير الذي انتقلت إليه الامه عندما تمسكت بالقران ولهذا نجد أنه بعد أن وعد الله عباده بالنصر والظفر وبين لهم أن الطريق الموصل الي الفلاح و الغلبه هو مولاه الله ورسوله والمؤمنين دون غيرهم ولهذا جاء بعدها النداء مبينا أن الاستعلاء بالحق يقتضي من المومن أن يكون فيه غيره وحميه علي دينه فاحذر من التغاضي عن كل ما ينافي الحميه والغيره فلا يصح أن ينسب الي الصف المومن من يقبل أن يعيش بلا كرمه ويقبل أن يهان دينه وعقيدته وصلاته ولايتخذ موقفا ممن يسخر ويستهزي بعقيدته فكيف بمن يتخذهم أولياء فإن هذا التصرف مما ينبغي أن يخجل منه المومن وان ينهض لمواجهه الأعداء الذين يقدحون بالإسلام فلا يكون مسلما من سمح الاستهزاء بالإسلام وقيم وقوانين الشريعه وسكت فالشخصيه المتقيه التي تكون الحاله النفسيه والعقليه للفرد المسلم والمجتمع والدوله المسلمه تجعل كل فرد في يقظه دائمه لكل تصرف من قول أو عمل يقومون به فالتقوي هي السياج لمنظومه القيم و المبادئ الإسلامية في حياه المسلم بجميع أبعادها وجوانبها ولهذا فإن مراقبه الله ومحاسبه الذات توجب اليقظه والحذر من مخالفه ما أمر الله باجتنابه ولهذا علق النهوض للدين ورفض أي استهزاء أو سخريه له أو لرموزه بالإ يمان (إن كنتم مؤمنين) فالإيمان يوجب الغيره والحميه لدين الله ولهذا فإن غياب الايمان من الحكام العرب و المسلمون نجد أنهم لا يخجلون من استمرار العلاقات الدبلوماسية مع دول قامت بانتهاك حرمه الدين الاسلامي مثل احراق الدنمارك للقران والرسوم الكارتوتيه التي فيها اساءه للرسول صلى الله عليه وسلم فدل هذا السكوت

منهم علي ابتعادهم عن الإيمان وخوف الله والله يقول في موضع آخر (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب اليم) وقد ورد عن سفيان قوله إن الفتنه الشرك وعلق الامام أحمد علي ذلك بأن الفتنه الشرك لعله اذا رد بعض قوله إن يقع في قلبه شي من الزيغ فيهلك) وهذا فيه أنه يؤول الي زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرا وبهذا تعم البلوي بهذا المنكر خصوصا من أهل العلم فالاصل أن يستقبل أمر الله بـ التعظيم فمن بلغه أمر من أوامر الله بدليل من كتاب اوسنه وفهم معني فعليه أن ينتهي به ذلك الي العمل به وان خالفه من خالفه من الناس وان يكون معتزا بدينه وعقيدته كما قال تعالي (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالي (أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم أن في ذلك لرحمه وذكري لقوم يؤمنون) فإذا كان الله قد قال (فليحذر الذين يخالفون عن أمره...الخ

يقول ابن تيميه رحمه الله في معني ذلك فإذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم دل علي أنه قد يكون مفضيا الي الكفر والعذاب الأليم ومعلوم أن افضاءه الي العذاب الأليم هو لمجرد فعل المعصيه فافضاءه الي الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الأمر كما فعل ابليس لعنه الله تعالي ولهذا يقول الحق احذروا من الاستخفاف بأمر الله فإن ذلك يتناقض مع الايمان ويفضي الي الخروج عن الإيمان فقال تعالي (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين)

ثانيا

بعد التعميم (الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا...الخ.

تأتي النصوص بصيغه التخصيص فقال تعالي (وإذا ناديتم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

فالاستهزاء منهم بالصلاه والاذان فذكر ابن عباس أن قوما من مشركي المدينه واليهود اجتمعوا يوما أثناء سجود للصلاه فسخروا من ذلك وكذلك كانوا إذا سمعوا الاذان قالوا صياح مثل صياح العير وتضاحكوا فأنزل الله الايه الكريمه فالايه فيها الآتي

المبحث الأول

اظهار سفاهه ودناءه هولاء القوم الذين نهي الله المومنين من اتخاذهم اصدقاء وأولياء فهم لايحترمون الشعائر الدينية التي تميز المسلمين فقد وصلت بهم الوقاحه الي اتخاذ الطقوس الاسلاميه محلا للسخريه فكيف يمكن لمسلم أن يوالي هولاء فالحريص علي قيمه ودينه وايدلوجياته لايمكن أن يقبل بعلاقه أو ارتباط مع هكذا طرف اين كانت المصالح التي ترتبط بينك وبينه فلا تحرص علي صداقه اي دوله لاتحترم مبادئك ونظامك فالحاجه الي كسب صداقه جميع الدول إنما يكون لتلك الدول التي تحترم وترحب بصداقتنا ولاتفرض عليكم قيودا اوشروطا يلغي أو ينتقص من وجودنا العقائدي ولهذا جاء التحذير من مولاه من يتخذ الاسلام ونظامه مصدر للسخريه فلا تحرص علي صداقه هذا النوع فجاء النهي مشتملا علي صور تنفر من التقرب الي هولاء وهذا فيه

بيان أن سياسات الأعداء لانتزاع قوه المومن يبدأ من خلال الدعابه الممتزجه بالسخريه من قيم ومبادئ المجتمع لترويض الناس علي قبول فكره نقص وعدم صلاحيه القيم والمبادئ لحكم المجتمع المسلم فإذا حصل السكوت من المسلم كان لهذا الغزو أثره في غرس اهتزاز الثقه بمصدر الهام الامه ثم الشعور بالهزيمه الفكريه فيكون المسلم في موقع التلميذ وأهل الكفار في موقع كرسي المعلم وهذا هو حال الكثيرون في هذا الزمان ..ولهذا جاء التحذير من مولاه كل من يتطاول علي دينك فلا تسمح له بذلك وعليك اظهار الغيره والحميه لدين الله وان تظهر اعتزازك به فلا تقبل أي تطاول من الأعداء لانك أن تساهلت فسوف يصل التمادي الي السخريه بالصلاه والاذان الذي هو لغه الإعلام ولهذا تبين النصوص خطوره الإعلام في الصرعات فهو سلاح مهم ينبغي علي المسلمين أن ينتبهوا الي

ذلك فالواجب عليهم أن يكونوا متفوقين علي العدو في هذه المعركه فلا يسمحوا لاي كان أن يتطاول علي قيم الإ سلام ومبادئ الشريعة الإسلامية فيجب الوقوف بحزم أمام كل من يحاول المس بالدين الاسلامي ولهذ تبين لنا أا لآيات ان الأعداء لهم برنامج وأهداف وخطط وسياسيات في معركتهم مع الحق وأن لديهم خبراء يقومون بصناعه المشروع الاستعماري وأهدافه وغايته وان اول خطواته هو خلق مجتمع استهتاري غير شاعر بالمسووليه مجتمع متبلد لا يخجل أن يشارك الأعداء في تناقل الدعابه والفكاهه التي تمس دينه وعقيدته فالاعداء لديهم خبراء يقومون بصناعه وسائل تحقيق أهدافهم ليكون توظيف طاقات المجتمع المسلم في خدمه المشروع الاستعماري ليكون الانفصال بين القيم والمبادئ الإسلامية وبين واقع حياه الناس فأراد الحق أن يزود المسلمين بهذه المعلومات لتكون هذه المعرفه مناعه لوقايه المسلمين من التأثر بما يسعي إليه الأعداء

المبحث الثاني

ان تخصيص استهزاء هولاء بالاذان والصلاه يعود إلي مافي الاذان من معاني معبره عن الإسلام فالاذن لغه الإعلا م وشرعا الإعلام بوقت الصلاه بألفاظ مخصوصة يقول القرطبي أن الاذن علي الرغم من قله ألفاظه فإنه مشتمل علي مسائل العقيدة لانه بدا بالاكبريه وهي تتضمن وجود الله وكماله ثم ثني بالتوحيد وأنه لاشريك له ثم بإثبات الرساله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء الي الطاعه المخصوصه عقب الشهاده بالرسالة لأنها لاتعرف الا من جهه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دعا الي الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الاشاره الي المعاد ثم أعاد ما أعاد توكيدا حيث يحصل من الاذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء الي الجماعه وإظهار لشعائر الاسلام وفي الاذان التميز للمسلمين عن النصاري واليهود فقد ذكر عن أنس قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصاري فأمر بلا ل أن يشفع الاذان ويوتر الاقامه) وذكر في صحيح البخاري عن نافع أن ابن عمر كان يقول كان المسلمون حين قدموا المدينه يجتمعون فيتحينون الصلاه ليس ينادي لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصاري وقال بعضهم بل بوق مثل قرن اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يابلال قم فناد للصلاه)

ولهذا نجد أن انزعاج اليهود من الاذان يعود إلي الشعور بالغيرة لما تميز به الاسلام ولهذا نجد أن الحق يعقب بقوله تعالي (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) ولهذا فإنه لمعرفه المراد بنفي العقل عنهم هنا لابد أن نقف على الآتي

الأمر الأول

ماهو المراد بنفي العقل ؟

ليس المراد رفع التكليف عنهم كان تتصور انهم غير عقلاء علي الحقيقه كما هو حال المجانيين فالعقل له ثلاث معاني الاولي علي الحقيقه باعتباره غريزه وضعها الله في الإنسان ويعرف العاقل بأفعاله وهذه الحقيقه يشترك بها أهل غريزه العقل المكلفين دون استثناء ...اما بقيه المعاني للعقل هي صفوه الروح أو خالص الروح ويسمي (اللب) ولب الشي خالصه وسمي العقل لب قال تعالي (إنما يتذكر أولو ا الألباب) والمعني الآخر البصيره اي نور القلب مثلما أن البصر نور العين فمن رزق هذا النور رزق الفهم

والمعنيان الاخرين متعلقان بموضوع الفهم والاصابه للمعني وهو البيان كما قال تعالي (فاستمع لما يوحي) اي اعقل لما اقول لك فيقول الحق أن هولاء سمعوا الاذان لكنهم لم يفهموا المراد به فهم ليس لديهم وعي وليس لديهم استعداد للفهم ولم ينتفعوا بمعرفه الكتاب فلم تحدث المعرفه تنميه لعقولهم فمحل الفهم هو القلب وهذه المساله يشترك فيها أهل غريزه العقل من أهل الهدي والضلال من أهل الكتاب لما تقدم عندهم من علم الأديان

ويجتمع عليها أهل كل ايمان وضلال في أمور الدين والمطيع والمعاصي وهو فهم البيان قال تعالي في ذم أهل الكتاب (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

والعرب تسمي الفهم عقلا لأن ما فهمته فقد ثبته بعقلك وضبطته كما يضبط البعير بشده الي ساقه وفخذيه فيقال عقلته ويقال اعقل لسانك واحبسها

الأمر الثاني

ان الامور بمنافعها وأضرارها وهذا فيه الناس متفاوتون بتفاوت الفهم والإدراك وأثر المعرفه في الإنسان من خلال نظرته للحياه فالبصيره والمعرفه أساس تنظيم قدر الاشياء النافعه والضاره في الدنيا والآخرة ومنه العقل عن الله تعالى فالاذان ابتدأ بالاكبربه (الله اكبر الله اكبر) ثم ثني بالتوحيد (اشهد ان لا اله الا الله) وحده لاشريك له فالا صل أن معرفه الله أن تولد قوه تعظيم قدر الله تعالي فمن كان معظما لله كان لله مجلا هابيا ومن كان مجلا هابيا كان مستحيا أن يراه الله في معصيه وكان مسارعا الي طاعته وتجنب المساخط فمن كان معظما لما ينال به النجاه من العقاب والظفر فإنه يكون مسرعا الي الايمان ويكون لديه رغبه في الفهم والعقل عن الله اكثر فتقوي همته فيكون جادا ومنتجا ومن زال عنه ذلك ومعه غريزه العقل التي منحها الله له ليكون من العقلاء فهو غير عاقل عن الله تعالي وهو عاقل للبيان الذي لزمته من أجله الحجه فقد وصف الله هولاء أنه ليس لديهم عقول يفهمون به (لهم قلوب لايفقهون بها) وقال تعالي (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)يعني عقل البيان لكنهم لايعقلون معانيه بالفهم له أما مشركين العرب فوصفهم (أن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا)

وهنا جمعهم بنفي العقل اي اليهود والمشركين العرب لجهلهم بحقيقه الاذان وما أوجب الله فيه من تعظيمه فهم قد عطلوا العقول التي منحها الله لهم ولهذا قابلوا الدعوه الي مافيه الفلاح والنجاه والسعاده بالسخريه والا ستهزاء وعدم الجديه فهم لم ينتفعوا بعقولهم

الأمر الثالث

تبين النصوص أن سبب هذا الانحراف وعدم العقل عن الله

لان هولاء متمردون عن الطاعه ولهذا فإن الاستهزاء بالاذان عندما يسمعونه يعود إلي تجنيد هولاء في حركه العمل الشيطاني فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توداي للصلاه أدبر الشيطان له ضراط حتي لايسمع التاذين)

فهو يتعمد اخراج ذلك اما ليشتغل بسماع الصوت الذي يخرجه عند سماع الموذن أو يصنع ذلك استخفافا كما يفعل السفهاء ولهذا يخبرنا الله أن هولاء السفهاء يلجأون الي الاستهزاء بالاذان لسفهاتهم وحماقتهم فعدواتهم للإ سلام دفعتهم الي الاستهزاء فكلامهم مثل ضرط ابليس عندما يسمع الاذان فهم مطايا للشيطان وتابعين له

القسم الرابع

(قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن اكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل سبيلا

اولا

في إطار التعقيب الذي وصف أهل الكتاب والكفار الذين يسخرون ويستهزون بالدين بأنهم قوم لايعقلون تأتي النصوص بحوار تطلب فيه حضور العقل باسئله تطلب مشاركته في صناعه الجواب فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون)

فالاسئله تتضمن إنكار لواقع اليهود وتكشف البواعث الحقيقه الدافعه لعدواتهم للإسلام والمسلمين حيث وان

معرفه كل هذا ومعني الايه الكريمه التي تضمنت اسلوب رد قاطع وقاسي لاهل الكتاب مع أن الله تعالى يقول في موضع آخر (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)

فهذه الغلظه عليهم تدل أن هنالك مواقف منهم تتطلب الرد والمواجهة لهم بهذه القوه فالموقف يتطلب الحزم ولهذا فإنه بالرجوع الي سبب النزول يتضح لنا شده الموقف حيث ذكر الواقدي أن سبب النزول يعود لمجي بعض اليهود الي النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عما يومن من الأنبياء والرسل فأخبرهم أنه يومن بجميع الرسل ومنهم عيسي عليه السلام فلما سمعوا ذلك قالوا لانومن بعيسي ولانعلم دينا شرا من دينكم وما أنتم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة فأنزل الله تعالى الايه فيها ذم اليهود وكشف ما لحقهم من اللعنه والسخط الإلهي وما حل بهم من المسخ ..وابتدا بالاستفهام الانكاري (ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل)

اي ما هو العيب الذي لكم علينا لتطعنوا فيه بديننا لماذا تكرهوننا فهل تنظرون الي التوحيد الذي هو ايمان المسلمين بالله وحده لاشريك له وايماننا بالقران والكتب السماوية هل تعتبرون ذلك عيبا لانكم تعتقدون بعقيده التشبيه والتعطيل ولانكم تكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم رغم أنه في كتبكم ما يوكد صدق نبوته ولانكم تكذبون بالرسل وانتم متعصبون في عقيدتكم فأنتم تكرهون أمور لاتكره فهذا يدل علي فساد الطباع لديكم فقد اختل لديكم بواعث الحب والكراهية فأنتم تنظرون القبيح بأنه حسن وتنظرون للأشياء الجميله أنها قبيحه وهذا يعود إلي فساد الفطره التي خلق الله بها الناس نتيجه التعصب للجنس وادعاءكم انكم أبناء الله واحباءه ثم تبين النصوص أن جذور هذا الادعاء منهم وحقدهم الي أساس التسلل العائلي المذموم الفاسقون الانويه الابليسه التي رفضت الاعتراف لادم بالفضل وألزمت نفسها الرؤيه الانويه القائمه علي التحدي المتمثل في الشعار الابليسي (انا خيرا منه)

وطرح فكره التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه من خصوصيات في خلقه وهي ما تسمي في عصرنا العقلانية المجرده فهذه سياسيه مدرسه الفسق المسؤوله عن الانحراف التاريخي في الأرض فقال تعالي (,وان اكثركم فاسقون)

اي خارجون عن طاعه الله فليس لكم من الدين إلا العصبيه والتقليد وقوله اكثركم اشاره الي أن هذا هو سلوك الا غلبيه بأنهم حاملون للتمرد والفساد وان كان هنالك مطيعون فهم قله فالنصوص تبين ان المعركه بين الحق و الباطل مستمره إلي قيام الساعه وان أهل الكتاب يسعون الي محاربه الاسلام للانتقام لان القياده الدينيه انتقلت الي امه العرب فهولاء غارقون في التعلق بالدنيا والسلطه وفقدت شعورها بالمسؤولية وتحولت الي عصابه مقفله كل همها أن تحتكر السلطه الدينيه لأنها تري في ذلك مكاسب ومصالح سياسه لهم فقد أصبح عملها الأساسي و الوحيد ان تستبقي سيطره اليهود علي القياده الدينيه لتكون مصدر للسلطه وهذا الطبع مورث من حياه الذل و الهون لدي الفراعنه ولهذا يخبرنا الله كاشفا لنا ماضي هولا بأن هولاء جعلوا من الانتساب للدين مجرد هدف وصول للسلطه وليس هدف انطلاق ولهذا لما جاء الإسلام بالحق الذي يرفض كل أشكال الانحراف والشرك ويرفض المتاجره بالاديان ولهذا كان من هولاء هذا الانتقام علي الاسلام لانه قد جاء يهدم كل الأفكار المنحرفه التي وضعها الاحبار والرهبان في كتب الله جاء لازاله كل تلك اللطخ التي شوهت الاديان

ثانيا

تكشف النصوص حقيقه ارتباط هولاء بالاديان بأنه تدين مغشوش فهم لم يتوجهوا إليه بإخلاص وانما اردوا جني ا لأموال والامتيازات فقال تعالي (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل سبيلا)

الأمر الأول

فالخطاب استنافي من الله لنبيه يعلمه الحجه التي يواجه بها اساءه أهل الكتاب للإسلام ورفضهم القبول بدعوه ا لايمان وسخروا منها فابتدات الآيات هنا بأسلوب فيه التهكم من تصورات اليهود الاسلام فجاء الاستفهام الا نكاري (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله) ولهذا استعمل (شر) وهي اسم تفضيل أصله اشر وحذفت الهمزه تخفيفا لكثره الاستعمال والمراد بها التهكم لأن اليهود قالوا للمسلمين لادين اشر من دينكم والمراد بهذا التهكم باليهود وطريقه تفكيرهم فأمر المسلمين بمقابله الغلظه بالغلظه لكشف أحوالهم فالايات قبلها قد أوضحت فسادا معايير الحسن والقبيح لدي هولاء وبما لايقره عاقل ولهذا استعمل اسم الاشاره (من ذلك) اشاره الي قدحهم بالإيمان الذي هو حال المسلمين وطريقهم المستقيم الذي تناوله اليهود بالقدح كما ورد في قوله (هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله...الخ باعتبار أنه منقوم علي سبيل العرض والتقدير لما كان شأن المنقوم أن يكون شرا بني عليه التهكم في قوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك)

اي هل أخبركم بما هو شرا في الحقيقه نتيجه فساد تفكير هولاء لبيان مخاطر العنصريه والعصبيه عندما تصير عقيده فإنها تكون معول هدم تقوض أسس الاعتقاد الذي تأتي به الأديان السماوية يقول الحق أن مرض هولاء و الخواء بين العقل وبين الوعي الناتج عن المعرفه التي حملتها الكتب السماوية يعود إلي اتخاذ هولاء الانتساب الي الانبياء والتوراه قوه يستمدون منها المنزله والمكانه التي صنعتها الأفكار العنصريه بأن أدخلت تلك النظريات للتوراه لتبرير الاستغلال الطبقي والعنصري وليكون مقبولا من العوام حيث وجد الإنسان العادي في المجتمع اليهودي نفسه محاطا بتلك الأفكار المزيفه المنسوبة للدين كذبا وبهتان وتتورثها الأجيال يتشرب من وجهه النظر الخاطئه التي صاغها الرهبان والاحبار ونسبوها الي الله كذبا فقد شكلت تلك النظريات عقليه هولاء وهي الاسس التي ينطلق منها هولاء فقد كان فسق وانحراف الأحبار والرهبان سببا في إسقاط جميع القواعد والقيم التي جاءت بها التوراه فاتخذ هولاء الدين وسيله لإثبات كل عنصر منهم امتيازه فنظريه العنصريه هي السياج الذي أحاط به الجهله والمتعصبين أنفسهم ولهذا فسدت المعايير لديهم واجتمعوا مع المشركين في الاستهزاء والسخريه وهم يدعون أنهم اهل دين وكتاب ولهذا كان توجيه الخطاب لهم لأن انتسابهم

للأديان تعني أن عليهم المبادره للإيمان فهم أهل علم ولهذا نجد التهكم موجها لهم بأن حقدكم غير مبرر فما ندعوكم إليه فيه الخير والصلاح وليس هنالك مايعيب فيه فلو عقلتم عظمه الله وجلاله وكماله وقدره لما تجراتم علي السخريه من منهج الله فجحودكم ناتج عن طلب الدنيا والإعجاب بالنفس والتقليد فقد اعمالكم ذلك عن طلب الحق فلم تعقلوا البيان الذي جاء به القرآن وأقام عليكم الحجه ولهذا أشار أنهم انقطعت الصله بينهم وبين الأديان والانتساب الي مدرسه الخير التي تقوم علي اساس المنهج الرباني واقامه العهد وهولاء رفضوا الانطواء تحت رايه الاسلام وخرجوا عن طاعه الله بالوفاء بالعهد فقال تعالي (وان اكثركم فاسقون)

فهذا هو الباعث لرفض الايمان ويبين الحق أن الفسق لدي اليهود صفه لاصقه فطبيعه هولاء عدم الامتثال لأمر الله فهم لم ينظروا الي أن الإسلام والإيمان هو الذي يحقق مراد الله فلم يقصدوا إرضاء الله واتقاء غضبه لم ينظروا الي الثواب الذي عند الله فهم لم يعتنقوا اليهوديه عن إيمان بالله حتي يكون منهم التصديق والايمان ب القران والاسلام وانما كان اعتناقهم اليهوديه لأجل الاغراض الدنيوية فلم ينظروا الي أن الهدف من الأديان الإذعان والانقياد لأمر الله ونشر الخير وان الثواب في الاخره فدلت الايه أن الانحراف فيهم ليس وليد اللحظه التي ظهر فيها الاسلام فالأمر ليس كذلك بل لها جذور قديمه من عهد نبي الله موسي عليه السلام ولهذا تأتي النصوص تكشف لنا الخواء والانحراف الذي أصاب العقل اليهودي وسقوط الوعي لديهم بأن هذا يعود إلي ماضي هولاء فيكشف لنا الحق جزء من هذا الماضي فقال تعالي (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله) لبيان ان العقليه العنصريه هي التي شكلت عقليه هولاء وان خبث النفوس ودنائتها قد أفسدت فطره هولاء فهولاء لم ينظروا الي الخير الذي عند الله في اليوم الآخر والذي يولد الشوق فيكون الزهد عن الدنيا ولكن هولاء نظروا للدين أنه وسيله لجلب المصالح الشخصية في الدنيا فقد اردوا تطويع المنهج ليلائم ملذاتهم ورغباتهم واهواهم ولهذا فلا غرابه عداءهم العنيف للإسلام واحتقارهم الشرعيه التي أختص الله بها الاسلام باعتباره الدين المقبول عند الله ولهذا استعمل كلمه (مثوبه

للتعبير عن ما حل بهم من عقاب وما ينتظرهم من عذاب يوم القيامه للتهكم عليهم لأن مثوبه لاتستعمل الا في الخير يقول ابن عاشور (ان الكلمه مشتقه من قلب يثوب اذا رجع فهي بوزن مفعوله سمي بها الشي الذي يثوب به المرء الي منزله اذا ناله جزء عن عمله أو سعي سعاه وأصلها مثوب بها فهي تطلق علي الجائزه أو العطيه ثم حذف المتعلق لكثره الاستعمال وهي لاتطلق الا علي شي وجودي يعطاه العامل ويحمله معه فلا تطلق علي الضرب و الشتم لأن ذلك ليس مما يثوب به المرء الي منزله ولأن العرب يبنون كلامهم علي طباعهم وهم اهل كرم لتنزيلهم ف لايريدون بالمثوبه الا العطيه ويصح إطلاقها علي الشي النفيس والحقير ولهذا كان التهكم لبيان ان اتجاه هولاء أثناء التحولات يتغلب عليهم اتجاهات الوهم والرياء في حدهما الاقصي والوحشيه واليأس في حدهما الاقصي من الناحية الأخري فيلجاون لذلك للهروب من مواجهه الآفات والأمراض التي فيهم فهم واقعون تحت تأثير الفكر العنصري

الأمر الثاني

تبين النصوص أن هولاء يعرفون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الله فقد كانوا يستفتحون علي الكفار بمجي الرسول الخاتم فلما جاءهم من امه العرب وليس منهم كفروا واخبرنا الله أنهم نبذوا التوراه وراء ظهورهم ولجاوا الي اختيار بديل عنه وهو الكتب الشيطانية كما ورد في سوره البقره (واتبعوا ماتتلوا الشيطان علي ملك سليمان...الخ فدلت الآيات إن طبيعه هولاء أنهم ينطلقون من اصوال المطلب الشيطاني مؤسس مدرسه الشر والفسق وهذا الاصوال هي مخالفه المنهج وابطال التشريع الايماني والقدح في كل أمر لا يلبي رغباتهم ويحاولون تطويعه لما يشتهون ولهذا فإن هولاء قد استحقوا اللعن (الطرد من رحمه الله) واستحقوا السخط الإلهي وعاقبهم بأن مسخ أسلافهم الي قرده وخنازير وعاشوا في الذل والهون خاضعين للطغاه وانظمه الفساد فكانوا عبيد الطاغوت فالطاغوت يطلق علي كل حكم لغير منهج الله والسبب أن هولاء يعتمدون في اختيار البدائل علي الاصوال الشيطانيه فقد أخبرنا الله أن اليهود اختاروا لأنفسهم طعاما وشرابا يرغبونه ويوفي بحاجه غرائزهم

فسماه الله بالقران مطلب ادني بديل سئ فقال تعالي

(اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير) ولهذا فقد اوكلهم الله الي اختيارهم الغريزي فقال (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذله والمسكنه)

فالله يقول أن هولاء قد إصابتهم لعنه الله اي ابعدهم عن رحمته والسخط الإلهي فكيف يدعون انهم ابناء الله واحباوه ثم يذكرهم بما حل بهم من المسخ (وجعل منهم القرده والخنازير) وان خبثهم جعلهم عبيد للبشر اذلاء محكومين فاي ذل وهون وغضب أكثر من تعيش محكوم ولهذا أشار إليها الحق سبحانه وتعالي فقال (اولئك شرمكانا واضل عن سؤء السبيل)

فاولئك الذين اتصفوا مما ذكر من المخازي وشنيع الأمور شر مكانا ولامكان لهم في الاخره وهم اضل عن مصدر الهدايه ولا الطريق المستقيم ومثل هذا لايحمله علي الاستهزاء بالدين المستقيم الا فساد قوي العقل والحب و الغضب وعمي البصيره

ثالثا

تمضي سياق النصوص في كشف فساد اليهود وعدواتهم العنيفه في مواجهه الاسلام حيث أنهم استخدموا كل الحيل للنيل من دعوه الاسلام ومن ذلك أنهم قالوا لبعضهم البعض ادخلوا في الإسلام اول النهار واكفره آخره لأ جل احداث فتنه في صف المسلمين بالذات ضعاف النفوس منهم كما ورد في سوره ال عمران ولهذا يذم الله ذلك منهم هنا علي ذلك فقال تعالي (واذا جاءؤكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا

يكتمون)

وهذا فيه بيان الآتي:ـ

الأمر الأول

أن الايات ترسم صوره متحركه لدخول هولاء بالكفر وخروجهم به والمقصود بهم هم اليهود علي الأرجح الذين استعملوا الدخول في الإسلام وسيله محاربه الاسلام من خلال إعلان الايمان ثم الرجوع لأجل اتخاذ ذلك وسيله دعايه ضد الاسلام بأنهم اكتشفوا أنه ليس دينا من الله مستغلين ما يحظون به من سمعه أنهم اهل دين كما قال تعالي في سوره ال عمران (وقالت طائفة من أهل الكتاب ءامنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون...الخ وعلي هذا فإن العطف عائدا علي ماقبله بأن اليهود كانوا يدعون الاسلام لأجل التشكيك بالإسلام ويجوز أن العطف في الايه عائدا علي قوله (وإذا ناديتم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا..الخ

وخص بها المنافقون من اليهود من جمله الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا فاستعمل هذا للتحذير منهم باعتبار أن العطف لايصح علي حيثات أهل الكتاب في قوله (منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل عن سؤء السبيل)لعدم استقامه المعني علي ذلك عند البعض

ويجوز أن يدخل في هذا المعني المنافقون باعتبار أن الضمير عائد علي اليهود والمنافقين لأن النصوص قد وصفت أنهم سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك...الخ

والله يقول (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا الي شيطانهم قالوا...الخ بشأن اجتماع اليهود والمنافقين وتامرهم علي الاسلام

الأمر الثاني

يقول الحق سبحانه وتعالى لعباده احذروا أن تغتروا بالقول الحسن الذي يظهره هولاء وادعائهم الايمان بقولهم بألسنتهم (امنا) وقلوبهم كافره وجاحده فهم قالوا ذلك نفاقا ومكرا فيخبرنا الله أن الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفه عين فقال تعالي (وقد دخلوا بالكفر) فاعلانهم الاسلام إنما كان من قبيل المكر والمكائد لأجل تشكيك المسلمين بدينهم فقد دخل مستصحب بالكفر في قلبه ثم خرجوا به فهم لم ينتفعوا بما سمعوا من الرسول من الموعظ ولم يتأثروا بما سمعوا وذلك يعود إلي قساوه قلوبهم لانهم محرمون من العنايه الالهيه فالكفر مستقر في قلوبهم لايتزحزح فالمحل غير صالح لاستقبال انور الله ولهذا استخدام الجمله الاسميه (وهم قد خرجوا به) لبيان أن ازاله اللطخ التي شوهت أرواح هولاء قد أصبحت طبيعه كامنه فيهم وجوهر ذوات هولاء هو الكفر فهم قانعون راضون متشبثون بالتقاليد التي صنعتها البئيه المصريه فيهم ثم جمدتها احكام طباعها وتورثت الأجيال هذه التقاليد منفعله بسهوله الإتباع والتقليد فكان تواصل التخلف في الطبيعه والطباعة فهم لم يتأثروا بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم الجميل ودينه العدل وهديه الحسن فلم يتأثروا لما عندهم من الحسد الموجب للعناد اخبر عن ذلك بابلغ من الجمله التي أخبرت بكفرهم تأكيدا للاخبار عن ثباتهم علي الكفر لانه أمر ينكره العقل ولهذا ادخل حرف التوقع (قد) وهو متعلق بقوله (قالوا امنا) فذكر في الثانيه الجمله الاسميه (وهم قد خرجوا به) فاستغرق كفرهم الزمنين الماضي والحاضر لأن ذلك هو المتوقع من النفاق إذ حالهم لايتبدل ولايتغير فقد دخل بـ الكفر وكذلك خرج فكان تأكيدا اتحاد حالهم نتيجه تصورهم الفاسد أنهم أن اضمرو

الكفر فانهم قادرون علي اخفاء ذلك في نفوسهم ولما كان هذا التصور عائدا الي سوء الظن بـالله وهذا إنما يكون عن من لم يعقل احاطه الله به علما يأتي التعقيب للتهديد بكشف مافي قلوبهم من فساد فقال تعالي (والله اعلم بما كانوا يكتمون) بأنه تعالي محيط بما يخفون فاستعمل لفظ (اعلم) فعل تفضيل لانه لايمنع أن أحد من الناس يعلم بنفاق هولاء لكن علم الله أعظم فهو محيط بما يخفون في نفوسهم فهو يطلع علي ذلك فقال تعالي (بما كانوا

يكتمون)

والكتم الحبس للنفس أن يخرج أو أن يظهر واضحا وهي عمليه غير طبيعه لان الكفر يكاد أن يظهر ويخرج لكنهم يكتمونه ويخفونه فهم حريصون الا ينكشف أمرهم ولهذا جاء التهديد للمنافقين من جهه ومن جهه تطمئن المومنين أن الله يتولي حمايتهم ورعايتهم وحفظهم من كيد أعداءهم

رابعا

تستمر النصوص في تعداد معايبهم انتصارا منهم لما افتروا ضد دين الله وعباده المومنين فقال تعالي (وتري كثير ا منهم يسارعون في الإثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)

المبحث الاول

ارتباط الايه الكريمه بما قبلها :_

لما كذبهم الله بدعوي الايمان وهدد بفضح ما يخفونه أقام الدليل علي كفرهم فقال مخاطبا نبيه صلي الله عليه وسلم أن هذه هي علامات تعرف بها المنافقون كما قال تعالي في موضع آخر (ولتعرفنهم بسيماهم)(ولتعرفنهم في لحن القول) فاستعمل هنا لفظ (وتري) فعل مضارع لبيان ان هذا الحال سوف يتجدد باستمرار ولهذا نجد أن النصوص تنقل صورتهم بما ترسم لنا من مشهد يجسد حركاتهم

لتجعل القارئ يشاهد الصوره ماثله أمامه فحالهم هذه ظاهره فاضحه لهم فهي لاتخفي علي أحد والخطاب لكل من سمع فجاء التعبير بالمسارعه من المفاعله فهذه الجمله قادره علي إيصال الصوره الي الذهن بما ترسم من صوره الانحطاط الذي وصل إليه هولاء حتي صار سلوكا يعيشه جميع أفراد هذا المجتمع الأقوياء والضعفاء علي السؤء فهم يتسابقون علي المعاصي ومخالفه منهج الله والاعتداء علي حدود الله وأحكامه وعلي حقوق الناس فلا يبالون ولايتورعون عن الظلم فهم مجبولون علي حب المعاصي والتسابق عليها فقد وصل بهم الانحطاط أن صار الفساد والظلم هدفا يتسابقون عليه حتي اولئك الذين لايقدرون علي العدوان فإنهم يبحثون جاهدين عن الفرصه التي تجعلهم يمارسون الظلم والعدوان واكل السحت وهو المال الحرام فهم اذا تمكنوا من فرصه تمنحهم القدره أن يمارسوا الظلم والعدوان فإنهم لن يترددوا من القيام به وهذا فيه بيان أن الفساد والرياء بضاعه ازدهرت في هذه المجتمعات لأن الثقافه التي شكلت عقولهم قد وصل فيها الانحطاط في القيم والمبادئ ما جعلت الناس ينظرون إلي أهل القيم أنهم حمقاء حيث صار اللص فيهم ذكي والظالم رجل دوله فهذه هي حال الناس عندما يتربع الشر علي السلطه السياسيه والدينيه علي الحياه فإن الفاعليه للحركه تكون سلبيه فيها إفساد الحياه الروحانيه فلا يتورعون عن ارتكاب الآثام وهو الكذب والكفر والعدوان الظلم وأكل أموال الناس بالباطل والكل يتسابق علي ذلك ولاينظرون الي أعمالهم أنها أفعال قبيحه بل ينظرون إليها انها حسنه ولهذا قال تعالي يسارعون في الإثم ولم يقل الي الإثم للدلاله علي أنهم مستقرون في الإثم وان مسارعتهم هي في دائره الإثم ومراتبه و الجمع بين الماضي والمستقبل في صيغه (لبئس ما كانوا يعملون) للدلاله علي الاستمرار فأقسم لبيان ان عملهم القبيح بأن كفرهم صار غايه لعملهم ولاينظرون إليه أنه قبيح بل ينظرون إليه أنه أمر حسن وجميل

المبحث الثاني

تشير النصوص الي خطوره فساد الرئاسه السياسية والرئاسه الدينيه فعندما يفسد العلماء والحكام فإن هذا يكون شرا تفسد الرعيه فصلاحهما يودي الي صلاح الرعيه وفسادهما يودي الي فساد الرعيه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالي (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)

فيها ١

لولا تخصيص اريد منه التوبيخ واقتصر علي توبيخ الربانيون والاحبار وهم الحكام والعلماء لتركهم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف فدل هذا التوبيخ أن الانحطاط وصل إلي الحكام والعلماء فلم يعودوا ينظروا الي المنكر أنه أمر يوجب النهي عن فعله فدل هذا أن المنكر صار مألوفا فلم يعودوا يشعرون بقبح تسابق الناس في دائرة الشر والعدوان والرشاوي

٢

أراد الحق بهذا بيان أن الرقابه لها صور واشكال وانواع الأول في الضمير الإنساني بالشعور برقابه الله لتكون الفاعليه ايجابيه لكن احيانا الناس يصابون بالغفله والنوم وهنا يأتي دور العلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورقابه المجتمع لحراسه تطبيق منهج الله في الحياه وكذلك رقابه السلطه التي تقوم بحمايه المنهج من خلال تنفيذ العقوبات بحق المخالفين وضبط الحياه ليكون إقامتها وفق منهج الله ولهذا فإن دور هولاء النهي عن قول الزور والاثم فلا يجوز الحكم من بعد أن يحكم الله لأن هذا يعني أنهم اتخذوا الدين وسيله للمتاجره والله يقول (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ...وويل لهم مما يكسبون) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (أن كثير من الا حبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

والله يقول في موضع آخر (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ..الخ

وقد أخبرنا الله عن انحطاط أهل الكتاب فقال تعالي (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه)

وقد ذكرعن الامام علي رضي الله عنه قوله ايها الناس إنما هلك من قبلكم أنهم كانوا لايتناهون عن المنكر ..الخ

٣

تبين النصوص أن السكوت عن إنكار المنكر يودي الي إفساد الفطره حيث أن النصوص يرتكبون الجرائم ويتصورن أنهم يحسنون صنعا فقال تعالي (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فالتقليد والإعجاب بالنفس والتعصب الديني يولد الانحراف في المجتمعات ويولد الانحطاط الأخلاقي والقيم في الإنسان ولهذا نجد اللؤم علي الحكام والعلماء باشد العبارات من تلك التي خاطب بها العوام فقال تعالي هنا (لبئس ما كانوا يصنعون) بينما قال في الاولي (لبئس ما كانوا يعملون) فالذي ارتكب المناكير لم يسمي صانعا بينما الساكت عن المنكر من الحكام والعلماء سمي سكوته أنه صانعا للاثم والعدوان والرشاوي اشاره الي أن صناعه الفساد ليكون ثقافه وسلوك اجتماعي يعود إلي موافقه السلطان والعالم وفعلهم اشد قبحا لأن مرتكب الجريمة يجد اللذه والشهوه والمتعه وبالتالي فإن الذي يفرط في الإ نكار اشد حالا من الموقع لانه لاتوجد شهوه تحمله علي السكوت ولأن العالم هو الملزم أن يذكر الناس مما علمه اذا نسوا وعليه أن ينبه المتهاون فكان تقبيح سكوتهم بصيغه الصناعه لأن الصنع اقوي من العمل فلا يسمي الفعل صناعه الا إذا صار راسخا فجعل ذنبا العاملين ذنبا غير راسخ أما ذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا ولهذا ذم الخواص لان ترك الإنكار للمعصيه أقبح من مواقعه المعصيه من الجاهل وهذه الايه اشد ايه فيها التخويف للعلماء في القران من أن يغفلوا عن القيام بدورهم فهم ورثه الانبياء

خامسا

بعد أن تناولت النصوص انحطاط القيم الروحانيه في حياه المجتمع اليهودي وجراتهم علي الله ومخالفه منهج الله فصار المنكر أمر مألوف لاينظر إليه أنه قبيح ولهذا تستمر النصوص في نقل جانبا من هذا الفساد الذي شكل حياه اليهود فقال تعالي (وقالت اليهود يد مغلوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثير ا منهم ما نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه كلما

اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لايحب المفسدين)

المبحث الأول

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (وقالت اليهود يد الله مغلوله)

وهذا القول أما أن يكون معطوفا علي قوله (واذا جاءؤكم قالوا ءامنا) فيكون هذا من قبيل ايضاح ازدهار تجاره الرياء والوحشيه واليأس في حياه اليهود فكان ذكر سؤء معتقداتهم وخبث طويهم ليظهر فرط التنافي بين معتقداتهم وبين معتقدات الاسلام وهذا قول اليهود الصرحاء غير المنافقين منهم ولذلك أسند الي اليهود القول لبيان دناءتهم فعبر عنهم باداه التأنيث (وقالت اليهود)

لبيان ان الحضاره اذا لم تقترن بالقيم الروحانيه فإنها تودي الي ولاده حضاره ماديه منحرفه مصحوبة بالانحطاط بالقيم الروحانيه حيث أن الانحطاط يشدها الي أسفل السافلين نتيجه تقديس الماده والمال في حياه المجتمعات المنحرفه فتكون حركتهم كلها تسابق علي المال والجاه والسلطان لانهم ينظرون إليه أنه مصدر القوه والاستعلاء ولهذا ذكرت النصوص نموذجا لقولهم الإثم باعتبار أن الايه معطوفه علي ما قبلها وهو يتفق في المفهوم مع المعني السابق فالايات تبين سؤء ادبهم مع الله وان هولاء لايعقلون عن الله تعالى ما عرفوه من عظمه الله وجلاله وكماله وثوبه وعقابه وانعامه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان فالايات تبين سؤء تصورهم وظنهم بالله فقالوا (أن الله فقير ونحن أغنياء) عندما أمر الاسلام بالزكاه وهنا يقول الحق أنهم قالوا (يد الله مغلوله)

اي أنهم وصفوا الله سبحانه وتعالى بما لايليق بالله وكماله فهذه الجراءه منهم تدل علي الجهل وعدم عقلهم عن الله عظمته وعطاءه الامحدود فلم يخجلوا أن يستعملوا هذه الوصف ويطلقوها علي الله تعالي عما يقولون علوا كبيرا وقد استعملوا استعاره مغلوله وهذا فيه قدح بكمال الخالق لأن ويدل علي فساد الطباع وقساوه القلوب وغلاظه الحس لأن مغلول اليد لايستطيع بسطتها في الازمات ولهذا تستعمل في التعبير عن البخل الشديد كما قال تعالي (ولاتجعل يدك مغلوله الي عنقك)ولهذا فلا يجوز أن يطلق هذا الوصف علي الله تعالي ولهذا فقولهم هذا أما أن يكون قد صدر علي سبيل التهكم والسخرية بالمسلمين خاصه في بدايه الهجره حيث كان الفقر صفه اساسيه في حياه المهجرين فيحتمل أن اليهود كانوا يسخرون من الحاله الماديه للمسلمين أو أن ذلك بسبب فرض الصدقات

او الأمر متعلق بمساله طلب اعانه المسلمين بديه المقتول حيث قال اليهود أن رب محمد فقير لما نزلت الايه (من ذا الذي يفرض الله قرضا حسنا) وقد أخبرنا الله عن ذلك فقال تعالي (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء...الخ

أو أن ذلك القول قد صدر من اليهود في زمن القحط والجوع الذي تعرضوا له فربما أنهم بدوا يتذمرون فقالوا إن الله امسك يده عن العطاء والرزق حتي يرفع عنا الجوع أو أن يكون هذا قد صدر علي سبيل العجرفه والتافف و الضجر من أحوالهم المعيشية فلم يتادبوا مع الله فأراد الحق أن يربي المومنين علي اجتناب كل تلك المظاهر السلبيه التي شكلت ظروف جلافه القلوب لدي اليهود وسؤء الاداب منهم في التعامل مع الله تعالي فعقيده التجسيد فيهم قد أفسدت فطرتهم فالله ليس كمثله شي

المبحث الثاني

تأتي سياق النصوص برد الله علي القول الباطل الذي وصف به هولاء الله بما لايليق بجماله وجلاله وكماله وقدرته وعطاءه الامحدود للإنسان وانعامه وإحسانه فقال تعالي (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)

تضمنت بيان العقوبه لما نطقوا من المقوله التي قالتها اليهود بحق الله بأن جعلهم الله اشد الناس بخلا وطردهم

من رحمته سبحانه وتعالى جزء علي قولهم وبالوقوف علي مدلولات ذلك نجد الآتي

الأمر الأول

يحذر الله عباده من سؤء الظن بالله واساءه الاداب مع الله لأن ذلك يوجب العقاب الغليظ فاللازم عليك أن تصدق في قولك وان تعلم أن الله مطلع علي دخيل امرك سره وعلانيته فاللازم عليك بوعد الله وتطمئن الي ضمانه ثقه منه بوفائه ورضاء بقضاءه وقدره واستسلاما منك لأمره فهذا من الآداب التي تودب بها نفسك في تعاملك مع الله

فتكون واثقا بالله ثقه من حسن ظنه به وقلت تهمته له وصدق بوعده وسكن قلبك عن الاضطراب الي وعده وعظيم وعيده ولهذا تبين لنا النصوص أن اليهود لم يكن منهم مراعاه قواعد الاداب مع الله فقالوا إن الله بخيل وهذا قول لايليق بالله وكماله فدل هذا علي أن هولاء لم ينتفعوا بالمعرفه التي جاءت بها التوراه إذ كيف يصدر هذا القول ممن يدعي معرفته بالكتب السماوية التي أقامت الاداله علي وحدنيه الله وربوبيته ونفاذ مشئيته وقدرته وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان ولهذا فقد استحق هولاء العقاب بان جعلهم اشد الناس بخلا وطردهم من رحمته سبحانه وتعالى جزء علي قولهم الغير لائق علي الله

الأمر الثاني

تضمنت الايه معني الدعاء بقوله تعالي (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) قال المفسرون أن المراد به الدعاء عليهم بـ البخل والنكد فكانوا ابخل الناس واقلهم احسان واسوهم ظنا بالله وابعدهم عن رحمه الله التي وسعت كل شيء

والقول بان الايه تضمنت الدعاء بصيغه الاطلاق لايتفق وكمال الله عز وجل لأن الدعاء بالمعني المطلق إنما يكون من ادني الي أعلي وهذا لايمكن وصف الخالق سبحانه وتعالى وايضا يستحيل أن يدعو عليهم بالبخل لانه لم يرده

وانما يراد به أنه تعالي خلق الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم فهو الداعي والخالق فهو خلق فيهم البخل ويتقدس عنه سبحانه وتعالى فهو (لايسال عما يفعل وهم يسألون) فالدعاء تضمن معني الخلق لأن الله له الخلق والأمر والايات وردت في إطار مناقشه انحراف اليهود عن الطريق المستقيم فقال تعالي (اولئك شر مكانا واضل عن سؤء السبيل) فذكرت النصوص أوجه لفشل اليهود في حمل الامانه وبواعثه فذكر الحق أن الله خلق في الإ نسان غرائز كما أخبرنا فقال تعالي (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطره ...الخ

والمراد بهذا انه لم ظهر من هولاء الجراءه علي الله وعدم خوف الله وهم يعرفون شده نقمته وكثره انعامه وعطاءه

فإن ذلك إنما كان بسبب فشل هولاء في الاختبار حيث أن الله خلق في الإنسان غرائز الشهوه والغضب فقال تعالي

(أن الإنسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعات الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون)

فالايه تدل أن الله خلق الانسان جبانا هلوعا يفزع وبجزع إذا أصابه شر كما خلقه شحيحا حريصا يبخل ويمنع إذا أصابه خير وما يدفعه الي الجبن والبخل الا شده حبه لنفسه وماله وولده فقد جعل الله هذه الغرائز ابتلاء للإنسان واختبار ا لصدق إيمانه وقوه أردته في طاعه ربه بقوه هذا الحب الغرئزي الذي يسيطر علي نفسه وعقله وهذا إنما يكون من التقي الذي يقيم الصلاه ويخشي الله ويخافه خوف من عرف شده نقمته ولذا نزهه تعالي عن الخضوع لغرائزه والاستسلام لجبنه وبخله وإغراء هواه فقال تعالي (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)

ولهذا أخبرنا الله تعالي أن اليهود فشلوا في الاختبار لانهم لم يتقوا الله ولهذا تجروا علي الله فقالوا ما قالوا ولهذا عقابهم الله بالحرمان من التزكيه بالمنهج الرباني فلم ينتفعوا بالموعظه والمعرفه بالله الوراده في التوراه

الأمر الثالث

يخبرنا الله أن الإنسان أما أن يحب الله ويتحرر من كل القيود التي تمنع وصوله بالله وهذا يكون بالقيام بحق الله فلايسكن قلبك الا الله أما الذي يحب الشهوات والملذات فإن هذا الحب يكون سببا للنقمه عليه فذكر سنه الله في ذلك بأن الذي يفشل في هذا الامتحان ويضل السبيل فإنه يقضي حياته أسيرا لماله يحرسه ويسهر علي استثماره فيحول السعاده به الي شقاء في الدراين اذ يعاقب في الاخره علي منعه كما يعاقب علي طريقه جمعه فالذي يتعلق قلبه بحب المال والشهوات فإن ذلك يغريه بالجراه علي ربه لأجل أن يرضي من يحب سواء نفسه أو زوجته أو ولده ولايبالي بغضب الله كما يبالي بغضب من يحب فقد جعل الأموال والأولاد فتنه يختبر عباده بحبهما الشديد الذي يغري علي العصيان لأوامره تعالي فقال تعالي (إنما أموالكم واولادكم فتنه والله عنده اجر عظيم)

ولهذا فإن عليك ان تشتاق الي ما عند الله وتثق بوعده وان تجعل حبك خالصا لله وتطلب رحمه الله فما عنده من نعيم يفوق التصورات فلا مثيل له ولهذا قال هنا (ولعنوا) اي طردوا من رحمه الله لانهم لم يرغبوا بما عند الله من أجر يجعلهم يزهدون عن الدنيا فقال تعالي في سوره التغابن (والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم .....

الي أن قال (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

الأمر الثالث

استعمل الحق سبحانه وتعالى (غلت أيديهم) للتعبير عن حاله حب المال انه يدفع الي الشح ويغري بالبخل فعاشق المال يبخل به حبا في ازياده وادخاره فيكون أسيرا للمال لايقدر علي إخراجه كانه مقيد اليدين غير قادر علي الانفاق من شده خوفه علي ضياع المال وحرصه على جمعه وادخاره ولهذا استعمل غل اليد والبسط للتعبير عن البخل والجود وهما حقيقتان معنويتان ولهذا استخدام التعبير المجازي لأجل نقل الصوره الي الذهن لأنهما لا يدركان بالحس ولهذا كان استعمل المجاز للايضاح والانتقال من المعنويات الي المحسوسات بان الشح صار قيدا مانعا من البسط ولهذا فإن التقوي هو اداه التغلب علي قوه غريزه الشح فخوف الله هو الذي يغلب الغرائز ويغلب العقل الهوي ولهذا وصف هولاء بأنهم قوم لايعقلون لانهم لم ينتفعوا بهدايه الله وموعظه ولهذا فقد حرموا أنفسهم الطاف الهدايه والرحمه لأن الله سبحانه وتعالى خلق الغرائز لتنفع الإنسان فاوجد الخوف والحرص علي الحياه وحب النساء والبنين لأجل أن يحافظ الإنسان علي حياته ولأجل بقاء النوع والحياه ولأجل أن يرقب نفسه ويحاسبها لانه يدرك أن هنالك حياه هي التي فيها السعاده أو الشقاء كما اوجد حب المال في الإنسان لأجل أن يسعي في طلب رزقه ورزق أولاده بالعمل الدؤوب وكذلك العمل لما فيه الرزق في الاخره

المبحث الثالث

يخبرنا الحق انه من عبد هواه وخضع لنفسه الاماره بالسوء فإن هذه النفس تقوده الي ما يغضب الله وعندها تكون غرائزه نكبه اضلته عن سبيل الرشد واختياره وتقذف به الحجيم وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنه هي الماوي لانه اثبت جدرته بحب الله واستحقاقه لنعيمه بأن اتقاه حق تقاته فالغرائز مواد امتحان الإنسان في الحياه الدنيا التي أوجدها الله تعالي ليثبت الإنسان جدراته بحب الله وتحفظ كرامته وتدل علي درجه استحقاقه بمقدر جهاده وسعيه لتاديه واجباته وبمقدار إحسانه ومسارعته في الخيرات ليقدم لحياته ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يبين للناس الطريق المستقيم ليكون ضبط الغرائز وفق منهج الله وبه يعرف العبد حق الله عليه وحق الناس وحق الله يكون بالتقوي الخضوع والاستسلام لأمر الله بتعظيم أمر الله وتنزيه الله وتوحيده في الأسماء والصفات والالوهيه والربوبيه والعبودية..وأما حق الناس برحمتهم وهذا يكون بالاحسان إليهم ولهذا يقول الحق لنا (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثير منهم ما نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا)

وهذا فيه

الأمر الأول

تصحيح التصورات الخاطئه التي أوردت هولاء في الهلاك والطرد من رحمه الله عندما قالوا يد الله مغلوله...

فجاءت النصوص مبينه ابطال تلك المقوله (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) لتنزيه الله تعالى عما قالوا فاخبرنا الله بانه واسع الفضل وجزيل العطاء فكل مافي الكون هو من عطاءه وإحسانه فأنت تتنافس من هواء الله وتاكل من انعامه وتشرب من ماء الله انك تعيش في ارض هي أرض الله وقد خلقك الله فأنت موجود بفضل نعمه الايجاد التي انعم الله بها عليك أن نعم الله لاتعد ولاتحصي قال تعالي

(وان تعدو نعمه الله لاتحصوها)

وهو يجود علي أولياءه بالتوفيق للأعمال الصالحه

الأمر الثاني

يخبر الله عباده ان مشئيته وقدرته نافذه وهو لايسال عما يفعل وعطاءه ينفقه كيف يشاء يعطي اقوما ويمنع عن اقوام فهو المعطي والمانع ولهذا قال (كيف) اي كما يشاء يبسط ويقبض وجاء تثنيه اليدين (يداه مبسوطتان) بينما ذكر في قولهم (يد) مفرده وذلك ليكون إنكار لقولهم وأبلغ في الدلالة علي السخاء والجود فما من شي الا عنده خزائنه ولأن العرب تعبر عن السخاء بالعطاء بكلتا اليدين وهو استعمال مجازي فلا يكون التشبيه تعالي الله علو كبيرا

المبحث الرابع

يحذر الحق المومنين من سلوك اليهود وقبح أقوالهم واستغناهم عن الله الذي الناس كلهم محتاجون إليه فنحن فقراء الي الله والله غني حميد ليس محتاج من عباده شي

وعطاء الله ورزقه يجود به علي المومن والكافر علي السؤء

ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى لو يعامل اليهود علي ماقالوا لهلكوا فهم يتنافسون وياكلون ويشربون من عطاء الله ولكن الله يمن ويجود بعطاءه لعباده كيف يشاء أما الهدايه فهي رحمه خاصه يمنحها المومنون الذين لديهم استعداد للايمان وقبول الهدايه الخاصه أما الذين ليس لديهم استعداد ولايستقبلون أوامر الله بالتعظيم والاجلال فهولاء غير جدرين بالرحمه الخاصه وأنه لاحجر علي عطاء الله وإحسانه فلا مانع لما أراد فقال تعالي (وليزيدن كثير ا منهم ما ا نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه)

تبين النصوص الآتي

الأمر الأول

أن من أعظم العقوبات علي هولاء هو أن القرآن الكريم الذي أنزله الله علي النبي صلى الله عليه وسلم رحمه للناس سوف يكون نقمه بحق اليهود فكلما زاد المومنون صلاحا وهدايه واستقرار النفس لشعورها برضا مولاها عنها لأنها قامت بما أمرت خير قيام وسعت للاخره سعيها لأن نفوسهم رضيت عن الله كما رضي الله عنها فلم تسخط ولم تتذمر ولم تتبرم بما قضاء الله بل صبرت واحتملت في سبيل الله فإن رضا الله جنه أعظم من الجنه واطمئنان النفس برضاءه أعظم متعه واكبر نعمه

لكن اليهود والكفار عموما يزددون حقد وحسد به فلا

ينتفعوا بنعمه الله من الذكر الذي أنزله الله علي رسوله الذي فيه حياه القلب والروح فهو أعظم النعم والعطاء وكان المفترض أنهم أهل علم أن يبادوا الي قبوله والاستسلام لأمر الله ومع ذلك بالغوا في إنكار ماجاءهم مع أنهم يعلمون صحه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحه ما جاء به القرآن لكن الحسد دفعهم الي (الطغيان)

المبالغة والمجاوزه للحد مع علمهم بصحته وإدخال في تجاوزهم الحد (وكفرا) داخل فيه دال علي ذلك ادغام التنوين مع الواو في (طيغانا وكفرا) لبيان أنهم لم يكتفوا برفض مافيه الرحمه والهديه وماهو عطاء من الله وأعظم انعامه بل سعوا الي ستر الحقيقه واخفاءها عن الناس بكل ما أتوا من قوه نتيجه الحسد الذي سكن قلوبهم فهذا المرض سبب عدم انتفاعهم بهدايه القران قال تعالي (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء والذين لايومنون في آذانهم وقرا وهو عليهم عمي اولئك ينادون من مكان بعيد)

وقال تعالي (وننزل من القران ماهو شفاء ورحمه للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا)

ولهذا ذكر صيغه التبعيض (كثيرا منهم) لأن هنالك القليل منهم مومنون امثال عبدالله بن سلام فالله يقول في موضع آخر (ليسوا سواء من أهل الكتاب امه قائمه يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات اولئك من الصالحين)

الأمر الثاني

اخبر الله نبيه أن الحسد اعمي بصيره اليهود لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم ولهذا زادهم طغيانا وكفرا اي عنادا وتمردا جعلهم لايذعنون للحق مع انهم علموا صحته فقد حملهم الحسد علي العناد والحقد ولهذا فإن عدواتهم للإسلام والمسلمين سوف تستمر الي يوم القيامه فعطف علي ذلك (والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه) لتطمئن المسلمين أن لايخافوا من المكائد التي يصنعها اليهود والنصاري للإسلام والمسلمين فعليهم الحذر والله يتولي رعايه المومنون ورد كيد أعداءهم حيث

قدر الله لهم من التعادي والتباغض والشقاق بينهم مافيه ابطال كيدهم فهم مهما اجتمعوا يخذلهم الله وقدر أن لا يجتمعوا الي يوم القيامه وهم كلما أشعلوا نار للحرب علي المسلمين خذلهم الله فقال تعالي (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله)

اشاره الي الاستعداد الذي يسبق الحرب وهو التهيو للحرب والاستعدادات لها والعزم في أمرها فشبه هذه الحاله بحال من يوقد النار لحاجه لها فتنطفي لانه شاع استعمال النار للتعبير عن الحروب فيقال حمي الوطيس ومسعر حرب وغيرها والمراد بها أنهم كلما عقدوا اسبابا يكيدون بها وكلما ابرموا أمورا لمحاربه المسلمين ابطلها الله ورد كيدهم في نحورهم فلا يلئتم لهم امر حرب ولايستطعون النكايه بالمومنين فهم كلما حاربوا انهزموا فلا يكون لشرهم فائده ولايلحق بالمومنين ضررا فالله يخذلهم لانهم يسعون في الأرض لنشر الشرور فهم اصل الشر و الفساد في الأرض فقال تعالي (ويسعون في الأرض فسادا) أنهم مجتهدون اجتهاد الساعي علي سبيل الاستقرار لما فيه ابطال المنهج الرباني ومخالفته وهذا مخالف للفطره فالاصل أن الإنسان يتحرك لما فيه الخير لكن هولاء فسدت فطرتهم فأصبح الفساد من طباعهم والسعي له سجيه من سجيتهم ونحن نشاهد الان صدق هذه الايه فنري أن أصل الفساد في الأرض يعود لليهود فهم المروجون للدعاره في العالم ومراكز القمار والخمر يملكها اليهود والفساد المالي والبنوك الربويه ملك اليهود وهم من يعبثون بالكره الارضيه ويقفون ضد مكارم الاخلاق فهذا هو عملهم في الأرض ولهذا يخبرنا الله أنه يخذل كل مشاريعهم لأن الله يبغض المفسدين فقال تعالي (ويسعون في الأ رض فسادا والله لايحب المفسدين)

ولهذا إذا شاهدنا انتشار فساد بني إسرائيل واجتماعهم فاعلم أن ذلك يعود لأننا ابتعدنا عن اخلاص العبوديه لله

وأننا انحرفنا عن منهج الله فإذا أردنا وقف فسادهم فعلينا أن نعود الي الله ومنهج الله القران الذي هو مصدر العز لهذه الامه فالعالم الاسلامي اليوم يشكو الضعف والدهون نتيجه اجتماع اليهود والمنافقين والنصارى علي المسلمين ولم يبحثوا عن ألسبب والمخرج من هذا الحال لأننا لا نقرأ القرآن الكريم كما ينبغي فلو وقفنا عند هذه ا لايه الكريمه لعرفنا أن الله وعد بأنه سوف يطفئ النار التي يوقدها هولاء ضد الإسلام ويخذلهم لكن بشرط أن نكون حاملين مشروع الإصلاح في الأرض نحمل رساله الاسلام للعالم ونلتزم بمنهج الله فهو تعالي لايحب المفسدين أما ونحن اداه من أدوات الفساد فإنه من الموكد أن الله سوف يجمع المسلمين مع المفسدين من اليهود لأن الله قد أخبرنا أنه يبغض المفسدين بشكل عام بغض النظر عن اديانهم

القسم الخامس

تأتي النصوص بعد ذكر معايب أهل الكتاب ومفاسدهم نتيجه مخالفه المنهج الرباني الذي انزل إليهم يخبرنا الله كيف نتجنب تلك المفاسد التي كانت وراء النقمه التي حلت بأهل الكتاب فقال تعالي

(ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون)

اولا

تبين النصوص أن الإيمان والتقوي هما اداه النجاه من المهالك والفوز والظفر بالجنه لانه اذا وجد الإيمان الصادق بالله ورسوله والقرآن والكتب السماوية والجنه والنار والملائكه وتقوي الله بأن تخافه خوف من قد عرف سطوته وشد نقمته واليم عذابه ومثلته وآثاره ووقائعه بمن خالف امره وعصاه تودي الي محو السئيات مهما كانت لان اجتماع الايمان والتقوى يعني أن يختلط الخوف بالإيمان فيكون مفارقه المعاصي والذنوب وذلك يولد رضاء الله عن عبده ويمحوا ذنوبه حيث تزول الوحشه التي بينه وبين الله وتقرب منه الملائكه وتبعد عنه الشياطين فيجد طعم الإيمان ويتذوق حلاوه الطاعه ويجد حلاوه الايمان وتتنزل عليه الملائكه فالله يقول (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري) ويقول تعالي (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا) وبذلك يحصل خمول للنفس الاماره بالسوء ويطرا علي الإنسان انقلاب تصل فيه نفسه في الغذاء الروحاني الي أعلي مراتب السعاده النفس المطمئنة حيث تنشأ بداخل الإنسان جنه ناتجه عن إيمانه وأعماله الصالحه ومحاسبه النفس تبدأ بالتلذذ بامتثاله أمر الله فتصبح تلك هي الجنه التي يعيش بها فالمومن يدخل الجنه وهو في الدنيا فيكون في أمن من الخوف ولايحزن لثقته بوعد الله

ثانيا

تبين النصوص أن القاعده الثانيه للسعاده وفق التصور الإسلامي هي اقامه منهج في الحياه فإنه فيه تحقيق سعاده الإنسان في الدنيا والآخرة فقال تعالي (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)

الأمر الأول

بأنهم لو عملوا بها دون تحريف ولاتبديل ولاتغيير لقادهم ذلك إلي اتباع الحق والعمل بمقتضي ما فيه من الإيمان بـ الرسول صلى الله عليه وسلم لأن كتبهم ناطقه بذلك وتامر باتباعه

فالنصوص تبين أن منهج الله هي الذي يحقق احتياجات الإنسان الجسديه والروحانية لأن الإنسان مخلوق من الأ رض شي مادي وهنالك الروح فالجسد يحتاج الي الغذاء من الأرض والروح يحتاج الي غذاء روحاني بالاتصال بمصدره فهو نفخه من الله ولهذا فإن القران الكريم فيه الغذاء الروحاني فمهمه الدين مزدوجه تحقق للناس

الضرورات لكي يجدوا الفرصه للتفكير في الكماليات فالدين يريد الارتقاء بمستوى الإنسان فلا يعيش في الحياه في صراع من اجل اللقمه فالإسلام يجعل مطالب الحياه الكريمه فرض يجب توفيره لكل إنسان وجعل الكفاح من أجلها عباده لله فجعل العقيده حارسه لهذا الكفاح لان الله جعله خليفه في الأرض وقد ربط الحق التمكين والا ستخلاف الشرعي مرتبطا بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المجتمع المسلم فقال تعالي (يعبدونني ولايشركون بي) وقال تعالي (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)

فالسعاده كلها باقامه منهج الله

الأمر الثاني

يخبرنا الله أن الإيمان بالله وخوف الله واقامه منهج الله في الحياه لايعني أنه يسرق الإنسان من الدنيا وان الإ نسان لم يخلق في هذه الحياه ليكون كل عمله فيها أن ينسرق منها حثيثا لكي يتجنب غضب الله فالدنيا هي دنيانا نحن ويتوقف علينا أن نجعلها فردوسا أو جحيما وكلا الأمرين يتوقف علي حسن فهم المنهج الرباني وإقامته في الحياه فإذا حسن فهمك لمراد الله وأحكامه في هذا المنهج فإنك حينها سوف تعيش حياه الرفاهيه و الرخاء والازدهار والسعاده لان الانسان خلقه الله خليفه في الأرض والاسلام لايجعل الصوره المثاليه بالعكوف علي شعائر العباده والانقطاع عن الدنيا فلا يصرف الإنسان عن الدنيا ولايحجزه عن العلم وانما يأمر بالعلم وجعله فريضه مثلما جعل العمل فريضه وحث علي الإنتاج وأمر بالعمل الإيجابي الذي يودي الي الاعمار والتحسين فالإ يمان والمنهج يوجب الإصلاح في الأرض وازاله الفساد فغايه الدين هي نفع العباد فالله غني عن العالمين وهذا النفع محقق في الدنيا التي فيها تطبيق الرسالات التي انزلها علي الرسل قبل أن تحقق النفع في الاخره التي يتلقي فيها العبد الجزء من الله فالإسلام لايحارب الفطره وهو يوافق المنطق فهو يكفل سلامه الاداه الانسانيه في الحياه ويشترط علي الخليفه أن يكون منتجا ولهذا جاءت قواعده بأحكام تضمن استقرار الأوضاع واقامه الحياه علي ميزان العدل فطريق صلاح الاخره مرتبط بصلاح الدنيا ولهذا فإن الإسلام يرفض التدين المغشوش الذي جعل البعض ينظر أن الخلافه هي التفرغ للعباده وترك الآخرين إمكانيه النظر والتفكير وبلوغ العلوم والتكنولوجيا و الصناعات وإتقان تدابير الحياه ليكونوا في خدمه عباد الله الصالحين يعالجون قضاياهم ويقومون نيابه عنهم في عماره الأرض ليتفرغوا هم في عباده فإن هذا تدين مغشوش لايرضي به الإسلام فالواجب علينا أن نقوم بعباده الله وان نشارك في عماره الأرض فهذا هو الخليفه الذي يريده الله وانزل الكتب السماوية إليه لعماره الأرض وفق منهج الله ووعدهم الله أنهم لو فعلوا ذلك (لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) مما ينزل من السماء من خيرات ومن تحت أرجلهم اي من باطن الأرض وما فيها من خيرات اذا قمنا بالاخذ بالاسباب فهذا هو التكامل الذي أمر الله به ولهذا ذكر (منهم امه مقتصده) جماعه عملت بالتوراه والإنجيل وامنت بالرسول صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم ساء ما يعملون) أن المسي منهم هم الكثيرون فجاء الذم لافعالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السادس من سوره المائده

(يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثير ا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس علي القوم الكافرين أن الذين آمنوا والذين هادوا و الصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين ق الوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل أعيدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه وماوئه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم ا لآيات ثم انظر اني يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سؤء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان دواد وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير ا منهم فاسقون)

اولا

ابتدأت الآيات بالخطاب الإلهي لرسوله جاء النداء فيه بعنوان الرساله (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين)

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تضمنت الآتي

١

الأمر الحاسم بتبليغ جميع احكام الله التي انزلها دون نقص ولاتفريط باي شي منها

٢

التحذير من المداهنه في أمور الدين وعدم كتمان اي شي منها

٣

الثقه بوعد الله وضمانه في حمايه الرسول صلى الله عليه وسلم من الأعداء فلا يخاف من أحد عند قيامه بتبليغ أمر الله

٤

أنه تعالي لايوفق الكفار الي الهدايه

فالايات تتناول واجبات يجب القيام بها وبنفس الوقت تطمئن برعايه الله وحمايته للرسول صلى الله عليه وسلم

عند قيامه بتبليغ أمر الله وحدود المهمه البلاغ وهنا لابد أن نقف علي الآتي

ان الايه نزلت في سوره المائده وهي من اخر السور وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ الوحي اولا بأول فلو نزلت في بدايه البعثه لقلنا أن هذا يهدف لتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر في قوله (فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين...وقوله (انا كفيناك المستهزين) لكن الايه نزلت متاخره وهذا يدل انها نزلت بشأن خاص اقتضي اعاده تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم علي تبيلغ رسالته أو أنها اريد بها بيان واجب الرساله ليعلم الناس بما يجب عليهم لأن المسلمين هم الذين يجب عليهم إبلاغ دين الله بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم وبالوقوف علي الأحوال التي نزلت بها الايه نجد أنها وردت بعد أن تناولت الآيات قبلها ماكان من أهل الكتاب من التمرد والعصيان وعدد معايبهم وكيف أنهم استحقوا اللعن والطرد من رحمه الله والتي ورد ذكرها بمناسبة قوله تعالى (يايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا...الخ وذكر فسق وانحراف أهل الكتاب وانهم يسعون في الأرض فسادا جاءت النصوص بهذا النداء للنبي صلى الله عليه وسلم فيه الأمر الحاسم بتبليغ جميع ما اوحي إليه

المفهوم الأول

أن الأصل بالدعوه أن تكون جهارا في اعلان وإظهارها للناس بلا تخف من أحد ولا اسرار وكتمان لان ما يدعو إليه الداعي الي الله لأعظم أمر وانفع أمر واصلح أمر ودين الاسلام كله خير ونفع وصلاح وعدل فلم يتخفي الدعيه وعلام يكتم والشر يعلن والباطل يجهر به وأهل الباطل يرتكبون الرذيله بلا خجل والظلم يمارس جهارا فأهل الدعوه عليهم أن ينطلقوا بالدعوه جهارا بها وإظهار لخيرها ونفعها للعالمين مبشرين ومنذرين ولهذا بعد تناول أحوال الكتاب نجد أن الحق يرسم لنبيه الوجبات التي يجب عليه في هذا الحال فقال تعالي (بلغ ما أنزل إليك من ربك) انت مكلف بالبلاغ جميع ما قص عليك من اخبار معايب أهل الكتاب فأنزل القران ليس للتلاوه و التعبد فقط بل لابد أن نأخذ الدروس من القصص وان نوجه هولاء بالحقيقه دون اخفاء شي منها وان اللازم إيصال البلاغ الي الناس فقال تعالي (من ربك) اي المحسن عليك بما أنزل ففي ذلك التربيه الناس والرعايه وفيه تشريف للرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء التهديد (فإن لم تفعل فما بلغت رسالته) انك أن قصرت بتبليغ شي فإنك لم تمتثل أمر الله ولم تقوم بالواجب ويطمئنه الله أنه سوف يحفظه ولن يصل إليه أحد من الأعداء ف الله متكفل بحمايته (والله يعصمك من الناس)ولما كانت الايات السابقه قد تحدثت عن إشعال الحروب والفتن ومعاداه الاسلام من أهل الكتاب وأخبر أن كيدهم معروف وانهم مخذولون فالله يطفا النيران التي يشعلها هولاء ولهذا قال (أن الله لا يهدي القوم الكافرين) اي يخذلهم فلا يستطيعون الوصول اليك براي من ذهب أن معني الهدايه ليس هدايه الإيمان وانما أنه لايوافقهم للاذيه فالله يخذلهم ولن يجعل للكافرين علي المومنين سبيلا

المفهوم الثاني

عليك أن تعلم أن الواجب نشر العلم من العالم فالذي يخفي شيئا فإنه يرتكب أمر فظيعا فإذا كان الله يخاطب نبيه صلي الله عليه وسلم بهذا النداء الذي فيه كل هذا التهديد وهو المعصوم ولايتصور من الأنبياء أن يحصل منهم اخفاء أي أمر من أمور الدين عن الناس لانه لو وجد هذا الاحتمال لانعدمت ثقه الناس بالرسل ولبطلت كمال الرس الات بنظر الناس ولهذا فالحكمه بتوجيه النداء للرسول صلى الله عليه وسلم وبعنوان الرساله (يا بها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)اعلام المومنون أن مساله العقيده وما يتعلق بأمور الشريعه من أحكام لايجوز كتمان اي شي منها ولا تأخير شي منها ولو علي سبيل الإجتهاد الي أن يقوي استعداد الناس لقبول ما فيه من أوامر كان تقول إن الوقت غير مناسب لأن رده الفعل سوق يكون فيها إيذاء الاسلام فيقول الحق أن الأمر حاسم ولهذا فعلي الناس أن يعرفوا هذه الحقيقه فلا يعذروا إذا اختلفوا في بعض المسائل وان كان الاختلاف في الرأي طالما وجد الدليل فيجب اظهار الحق ولهذا ذكر الأمر بالبلاغ والتيلبغ المأمور به ما أنزل الله في القران من تقريع اليهود والنصاري وأنهم لم يودوا الامانه ونقضوا العهود ولهذا فالواجب اظهار كل هذا الي الناس ولاتخشوا من رده فعلهم فالداعيه

يجب عليه أن يكون شجاعا في الله لايخاف لومه لائم

المفهوم الثالث

ان الايه فيها ابطال مزاعم الروافض الذين ذهبوا للطعن في القران أن ما بيدنا ليس كاملا وأن هنالك اجزاء خص الرسول صلى الله عليه وسلم بها عليا بن أبي طالب وأنه ورثه لأولاده وكذلك فيه ابطال لمزاعم من قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اخفي باطن مافي الآيات عن الناس وعلمها أناس محددين ومن قال إن القرآن فيه شفره لايقدر علي فك رموزها الا ال البيت وغيرها من الأقاويل فإن هذه الأقاويل مدحوضه بهذه الايه ف الرسول صلي الله عليه وسلم قد بلغ كل شي أوحي إليه ولم يخفي حتي حرف واحد فالله قد هدده أنه إذا اخفي حرف منه فإنه لم يبلغ الرساله كلها فلا تجزئه في البلاغ فعدم تبيلغ القليل يعني بطلان البلاغ بالكليه ف الرسول صلي الله عليه وسلم لم يكتمل شي فالله يقول (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فهو لم يخفي ماهو متعلق به شخصيا فالرسول قد بلغ الامانه وقد شهدت له أمته بذلك وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حجه الوداع ايها الناس انكم مسؤلون عني فما انتم فاعلون قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت فجعل يرفع إصبعه في السماء وينكسها إليهم ويقول اللهم هل بلغت...وفي رويه أنه قال لهم يايها الناس اي يوم هذا قالوا يوم حرام قال اي شهر هذا قالو ا شهر حرام قال اي بلد هذا قالوا البلد الحرام فقال فإن أموالكم ودماءكم واعراضكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وكررها مررا ثم رفع يداه الي السماء فقال اللهم هل بلغت مررا ثم قال (فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم عنق بعض)

ولهذا فلا صحه لمن قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بخطاب يختلف عن القوم الآخر ؟

فالجواب اذا كان يقصد بهذا أن هذا متعلق بالأعمال المشروعه التي يختلف فيها الناس بحسب اختلاف أحوالهم فمعلوم أن خطاب الصحوه غير خطاب الغفله والأحكام بالنسبه للحائضه تختلف عن الطاهره وما يجب علي الغني لا يمتد الي الفقير بشأن المال مثلا ولاتومر الرعيه بما تومر به الولاه فأمر العباد يتنوع بحسب اختلاف أحوالهم وكذلك الخطاب يتنوع الواقع والمرحله

أما الشريعه نفسها فلا يكون فيها تناقض فالرسول صلي الله عليه وسلم لم يخص أحد من أصحابه بخطاب علم الدين قصد كتمانه عن غيره لكن كان يسأله قوم عن أمور لاتدخل ضمن علمه ومهمته الاجابه عليها مثل الأعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تحديد زمن قيام الساعه فسأل متي موعد قيام القيامه فقال له الرسول ماذا اعددت لها فقال الاعرابي ما اعددت لها من عمل ولكن احب الله ورسوله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم يحشر المرء مع من احب

فالجواب بالمقصود من علمه بالساعه فهذه هي مهمته والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاطب أصحابه بما لايفهمونه بل كان هنالك تفاوت بينهم في فهم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ما عند الله فيكي ابوبكر وقال نفديك بأنفسنا واموالنا يارسول الله فجعل الناس يعجبون من ذكر الرسول عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة...فما الذي يبكي ابوبكر الصديق فقال الروي فكان ابوبكر أعلمنا لانه فهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يموت

أما بالنسبة لحديث أن حذيفه أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بالمنافقين وقالوا إن هذا كتمان عن بقيه الصحابه وما ذكروا أن عمر كان لايصلي علي ميت لم يصلي عليه حذيفه

فالواقعه وردت الروايات أنها كانت في احدي الغزوات حيث أراد بعض المنافقين اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم فقام يرخوا حزام ناقه الرسول كي يسقط من ظهر بعيره ويموت فاوحي الله إليه يخبره بما فعل المنافقون

وكان حذيفه قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ...فإن هذا الأمر ليس من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية..حيث أن الله قد أخبر المسلمين عن أوصاف المنافقين ونزلت بذلك سوره براءه التي سميت الفاضحه لأنها فضحت المنافقين وسميت المبعثره فإذا قرأ المومنون القران أدركوا أن فلان تنطبق عليه الاوصاف فإن هذه المعرفه تجعله معروفا فالقران شاهدا عليه وكذلك فإن حديث أبي هريرة بقوله (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرين مامن أحدهما ....واما الآخر فلو قلته لقطعتم هذا البلعوم)

فهذا الأمر ليس من حقائق الدين فهو من أمور الحرب والفتن وما سيكون من الأمم وبالتالي فإن هذا لا علاقه له بحقائق الدين وايضا فإن ابي هريره اسلم متأخرا ولم يشهد بيعه الرضوان ولابدر فلم يكن مقربا من الرسول بقدر اغلب الصحابه فمن المؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك أمام العديد من الصحابة لكن لم يحفظوا ذلك وأن ابي هريره رزقه الله قوه الحفظ ولهذا قال حفظت من رسول الله....اشاره الي انه ذكره أمام الصحابه لكنهم لم يحفظوه واصابهم النسيان

ولهذا فإن مساله الكتاب الذي هم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابته وهو في مرض الموت ثم أعرض عنه فإنه ليس من حقائق الدين والا لما ترجع الرسول صلي الله عليه وسلم عن كتابته ولهذا قالت عائشه لمسروق من حدثك بهذا فقد كذب علي رسول الله .الذي بلغ كل ما أنزل الله فالله يقول (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

المفهوم الرابع

أن الحق سبحانه وتعالى يعلم عباده المومنين كيف يكون اظهار حقائق الدين فبينت الايه أن البلاغ والبيان يحتاج الي قوه في إلقاء الحجه وهذا يعني تتزود بقدر من المعرفه بأحوال الناس وافاتهم وامراضهم عن تشخيص سليم ليكون البلاغ فيه العلاج المناسب ولهذا فإن الله امر نبيه أن يبلغ أهل الكتاب بفساد يعرفونه وواقع يعيشونه بعد أن كشف معايبهم فجاء الأمر بأن عليه أن يقذف بالحق علي الباطل الذي افسد عقيده اهل الكتاب وان حقائق الدين لاتخضع للتسيس فلا ينبغي أن تدخل فيه الحسابات والاعتبارات التي تبعث علي المداهنه في طلب الا ستجابة كان تتعامل بنوع من المجامله خوفا من إظهار كلمه الحق فيكون سببا بنشوب العدواه وترصد الأعداء ف لا تهتم ولاتبالي بمشاعر أحد عند الدعوه للحق أو عندما تقول كلمه الحق فلا تحسب للاهواء حساب فكلمه الحق تستمد القوه من التوكل علي الله دون تهاون فإنها تجد أثرها في النفس السليمه القابله للهدايه لان الانتفاع بـ الهداية والاتعاظ والرحمه إنما تكون ممن يكون قابلا فالكلام لايؤثر بمن لم يكن قابلا له وان كان من شأن هذا الك لام أن يهدي ويعظ ويرحم ولهذا فإن المومنون والمتقون هم المهتدون كما أخبرنا الله في الايات السابقه (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم)ولهذا يستدل بعدم الاهتداء به علي عدم ا لإيمان والتقوي فاخبرنا الله أنه لا يهدي القوم الكافرين لانهم لاقابليه ولا استعداد لديهم للاهتداء فبين أن مهمه كل داعيه هو البلاغ ليهلك من هلك عن بينه وليحيا من حي عن بينه وهو ما يعطينا معني قوله (والله يعصمك من الناس) بأن الناس هم الكفار الذين يتطلب تبليغ الوحي كشف كفرهم وضلالهم وفساد عقائدهم وأعمالهم والنهي عليهم واقعهم ومفاسدهم وان كان ذلك سوف يودي الي المواجهه وتوقع رده فعل تودي الي الحروب فعليك أن تقف بقوه وشجاعه متوكلا علي الله توكل الوثاق بأنه سوف ينصرك ويحفظك ومويدك علي أعداء دينه ثقه بوعده ومطمئن الي ظمانه تعالي أنه مظفرك علي اعداءك فالفطره السليمه تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعه مافطرها الله عليه ولايزال الحق يعتبر ظاهرا علي الباطل ما تعلقت القلوب به وتثبت عليه

ثانيا

أن الصدع بالحق وإظهار حقائق الدين لايتعارض مع الأوامر الربانيه (وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (فقل لهم قولا ميسورا) وقوله (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...الخ

لان هذه الأمور متعلقه بالوسائل والأساليب التي يكون بها عرض الحقائق والتبليغ وهي شي غير ماده التبليغ التي هي الحقائق الدينيه التي ينبغي أن يكون الوصول إليها

لأنها ثابته غير قابله للتعديل أما الوسائل والأساليب فهي قابله للتعديل والتحديث والتجديد وفقا لتقلب أحوال الناس وهذه الوسائل والأساليب أن كانت قابله للتعديل والتحديث والتجديد فلابد أن تنطلق من اصوال المطلب الرباني بأن يكون لها تأصيل شرعي أما الحقائق فهي ثابته ولايجوز المداهنه لأن العقيده غير قابله للمداهنه قال تعالي في موضع آخر (ودوا لو تدهن فيدهنون) والمداهنه ماخوذه من الدهان وهو الذي يظهر علي الشي ويستر باطنه ومن ذلك معاشره الفاسق وإظهار الرضاء بما هو فيه من غير إنكار عليه وهي محرمه منهي عنها وهي تختلف عن المداراه لان المداره خفض الجناح بالجاهل بالتعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الاغلاظ عليه حيث لايظهر ماهو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج الي تالفه فالمدراه بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو صلاحهما معا بينما المداهنه بذل الدين لصلاح الدنيا يقول ابن القيم أن الفرق بين المدراه و المداهنه أن المداره التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل والمداهنه التلطف به لتقره علي باطله وتتركه علي هواه ولهذا تأتي النصوص بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوجه أهل الكتاب بهذه الحقيقة فلا يقرهم علي ماهم فيه من الاباطيل فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثير ا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس علي القوم الكافرين أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فالنصوص تعالج عده قضايا من خلال الوقوف على مدلولاتها نجد أنها تعالج عده قضايا نذكر منها الآتي

الأمر الأول

ترسم الآيات العلاقات مع أهل الكتاب من اليهود والنصاري وتحدد طبيعه المعامله معهم فجسور الصداقه لاينبغي أن تكون علي حساب العقيده فينبغي الحذر من أن يودي التعامل معهم الي تقارب وجهات النظر مع الأعداء و التباعد بين المومنين فلا قواسم مشتركه بين المومنين وبين اليهود والنصاري ولهذا يحذر القران من مولاه اليهود والنصاري والقبول بصداقتهم علي حساب العقيده فإن هذا يمثل خطرا لأن من أسبابه ما وصلت إليه الامه في الوقت الحاضر من امتلاك الكفار قرار الامه فكان من نتائج ذلك تقارب وجهات النظر والمصالح الدنيويه بين اليهود والنصاري (مالك القرار) وبين (المسلمين) الذين صاروا رعايا للأعداء ونتج عن ذلك تباعد وجهات النظر بين الحكام والشعوب فالقران قد حذر المسلمين من مرحله تسلط القرار الكافر علي بعض مقدرات المسلمين الفكريه و السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية اذا حدث منهم التهاون في مساله العقيده ومواجهه الأعداء بها فـ المهادنه تمنح الأعداء جراه علي اختراق صفوف الامه والسيطره علي مركز القرار فيها ومن ثم تسخير مقدرات الا مه لخدمه الأعداء فتامر بأمره وتنفذ سياسته باسم القواسم المشتركة فنحن نشاهد اليوم مايسمي حوار الأديان و العهود الابراهيميه في امه الاسلام صارت دينا وعقيده يعتقد بها اغلب حكام المسلمين عندما ابتعدوا عن دينهم وتعاليم القران الكريم فلو كان منهم تدبر هذه الايه (قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإ نجيل وما انزل اليكم من ربكم)

لما حصل منهم مانراه اليوم من مولاه اليهود والنصاري متجاهلين أن الله تعالي يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم خلق الله ان يتخذ موقفا واضحا من أهل الكتاب بان يعلن المفاصله معهم فيقول الله (قل) فأراد بالقول اعلان البراءه والمفاصله والتجافي مع أهل الكتاب فلا قواسم مشتركه بينهم وبين المومنين (يا اهل الكتاب لستم علي شي)

وكلمه (شي) تعني اقل حاجه يطلق علي الشي يعني ادني

وأقل مرتبه في الوجود وهنا نجد أنه ينفي أن يكونوا علي شي من العقيده والدين فهم بلا منهج فهم لم يومنوا بموسي ولا عيسي ولم يومنوا بالتوراه والإنجيل فلا يوجد شئ يعتد به لديهم فجاء النفي (لستم علي شي) اي ما لديكم فاسد وباطل فأراد تحقير شأنهم بما يدعون من الانتماء الي الأديان السماوية فالمسلم لايقبل مخالطه عقيده التوحيد بغيرها لأن العقائد الأخري قد حصل لها تبديل وتغيير فعقيده الاسلام ثابته وهي واضحه

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الإسلام هو الدين المعتمد عند الله ولهذا فان الايمان بالتورواه والإنجيل لايكون حقيقي الا إذا اقاموها المنهج الرباني في حياتهم ونشاطهم علي أحكامه وقيم ومبادئ التوحيد كامله دون اجتزاء وهذا لايكون إ لا إذا حصل منهم امتثال أمر الله بالنظر الي المنهج ومافيه من أوامر نظره تعظيم فلا يعرضوا مافيها للخطر بحيث تكون العقيده ثابته وراسخه فإن هذا لو حصل منهم لامنوا بالقران الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم لأ ن التواره والإنجيل قد جاء فيهما ما يدعوهم الي الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فالله يقول (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والإنجيل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ....الخ

ولهذا فإن أمر الله لنبيه بان يعلن لهولاء أنهم ليسوا علي شي يندرج ضمن السمات والعلامات التي يجدونها عندهم في التوراه والإنجيل أنه لايخاف في الله لومه لائم في قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا قال تعالي (حتي يقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم)

فاقامه التوراه والإنجيل عند مجئ القران بالاعتراف بما فيه والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأن القران ناسخا التوراه والإنجيل ولذلك أوجبت تعاليمهما عليهم التحول في قراءه مراد الله الي القران والانطواء تحت رايه الاسلام فهذا هو الشرط ليكون هولاء اهل دين فلا يقبل اي دين الا الاسلام ولهذا يخبر الله نبيه أن لايخشي المواجهه مع هولاء فهي سوف تودي الي تأزم الموقف واشتداد الصراع فالمطلوب منك أن تقف ثابتا وتواجه هولا ء بحقيقة ماهم عليه بأن رفضهم الايمان بالإسلام يعني أنهم لم يبقي لهم من صفه الدين والتدين شي فهم أهل كفر والحاد لانهم لو أقاموا التوراه والإنجيل لا لتحاقوا بالإسلام حسبما أمرهم الله فيهما

الأمر الثالث

تبين النصوص أن من أخطر ما يوجهه المجتمعات المتدينه هو خطر الانفتاح والمرونه في المبادئ واستبدالها بمبادئ النفعيه والماديه فإن هذا يودي الي اختلال منظومه القيم والخروج من دائره الايمان ولهذا يخبرنا الله أن اليهود والنصاري قد اوغلوا في الابتعاد عن الدين لانهم عطلوا التوراه والإنجيل وانكروا نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ونعمه القران والكلام في الايه عائدا علي قوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون) وقد ذكر لنا القرآن خبر من اليهود و النصاري في فشلهم الذريع في حمل الامانه التي كلفوا بها وانهم ادانوا أنفسهم في هذا الفشل فقال تعالي حاكيا عنهم (وقالت اليهود ليست النصاري علي شي وقالت النصاري ليست اليهود علي شي وهم يتلون الكتاب)

ولهذا فإن رفضهم اتباع الاسلام والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم يدل علي اخفاقهم في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح وانهم يعملون علي تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الابليسي لان اقامه التوراه والإنجيل تعني القبول بتوقف العمل الشرعي فيها وهذا يقتضي التحول الي القران لقراءه مراد الله لتنطوي حركتهم ضمن التحديد الرباني في هذه المرحله من حياه البشريه التي أوجب أن تكون قراءه المطلب الرباني بلغه القران ولهذا جاء النفي أن يكون هولاء علي شي من التوراه والإنجيل لأن الكفر بالجزء يعني الكفر بالكل

الأمر الثالث

تبين النصوص أن اقامه منهج الله لايعني أنه كتاب يقرأ في المعابد أو المساجد بل لابد أن يحكم الحياه فعلي

المسلم أن يعلم أنه لايكون علي شئ يعتد به من أمر الدين حتي يقيم القران في حياته كاملا في جميع جوانب الحياة فلا يخالف أحكام القرآن بحيث تكون حركته ونشاطه في الحياه خاضعا لمنهج الله فالله ذم اليهود و النصاري لانهم لم ينصاعوا لاوامر الله الوراده في التوراه والإنجيل بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا يبين الحق البواعث التي تدفع الي مثل ذلك السلوك المذموم الذي ينبغي الحذر منه فقال تعالي (وليزيدن كثير ا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا)

فتبين النصوص أن الكثير منهم لن يزيدهم القران الذي أكمل الله به الدين إلا غلوا في التكذيب والكفر لترسم الا يه البواعث التي تمنع الانتفاع بالهداية والاتعاظ هو

الحسد علي مجئ الرسول الخاتم من امه العرب وان القران الكريم جاء ناسخا لدينهم قد ادي الي عمي أبصارهم فلم ينظروا إليه نظره انصاف بل نظروا إليه بعين العصبيه والعدوان واما العوام فقد بنوا اعتقادهم علي الاماني و التقليد لما يأتي من الاحبار والرهبان ولهذا سمي القران رده فعلهم بزياده الطغيان وهو الغلو والظلم والمكابره مع عدم الاكتراث بقيام الحجه وسعيهم لستر الحقيقه

فدل هذا أنهم بنوا اعتقادهم وإيمانهم بكتبهم علي اساس النفعيه والمصالح الماديه فغياب المبدأ الثابت المستمد من عقيده راسخه ينتج عنه اختلال منظومه القيم لأنها تنشأ في ظل المصالح المادية والمنفعه المنظوره للفرد أو المجتمع وهي أمور متغيره تبعا لتغيير المنافع ولهذا فإن القيم تفقد ثباتها وتكون خاضعه للتغيير وفقا للمصلحه وعندها يكون من السهولة علي من كان يتوعد الكفار في المدينة بالقتل والنكال عندما يجي الرسول الخاتم المنقذ للبشريه من الظلمات أن يتخلي عن القيم الثابته التي كان يتوعد بها المشركون لأن الرسول الخاتم لم يكن من امه اليهود ولم يكتفي بذلك بل تخلي عن التوراه والإنجيل وتحول الي الكتب الشيطانية كما أخبرنا الله عن ح ال اليهود عندما جاء الرسول الخاتم من امه العرب وكذلك فان حال الكنسيه لايختلف عن اليهود فالمتأمل لحالها يري كيف أن المؤسسه الدينيه الكنيسة المسيحية في الوقت المعاصر تخلت عن المبادئ والقيم بشان الاسره و المتاجرة في أجساد النساء والرجال نتيجه الضغط عليها من الموسسات الماليه التي تدعمها فقد تخلت عن قيم ادعت لقرون أنها تمثل منهج الانجيل مداهنه منها حتي لاتصطدام في وجه مصالح رجال الأعمال والمال فقد وجدت نفسها مضطره أن تقوم بتكيف هي وقيمها مع استثمار تهم واطماعهم

ولهذا جاء بيان عدم انتفاع هولاء بالقران وأنه يزيد الكثيرون منهم طيغانا وكفرا في إطار الحث علي إبلاغ الحق وعدم المهادنه وعدم التفريط بالقيم لأن مهتمها حمايه مقاصد الشريعة وضمان تحقيقها فالقيم ثابته لاتتغيير ولا تتبدل وانما التبديل هو الوسائل والأساليب بشرط أن يكون لها تأصيل شرعي فجاء التشديد بالنداء (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)

واختتم بقوله (فلا تاس علي القوم الكافرين) متناسبا مع الايه الكريمه التي عطفت عليها (ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير أمنهم ساء ما يعملون) فلما بين الأعمال القبيحه للاغلبيه بعدم الانتفاع بالهداية والاتعاظ أخبر نبيه أن لايحزن علي طغيان هولاء وكفرهم فقال تعالي (فلا تاس علي القوم الكافرين)

فلا تتاسف ولاتحزن علي زياده طغيانهم وكفرهم فالفاء في قوله (فلا تاس) فصيحه علي أنهم بالغوا في الحسد والعناد فهم لايستحقون الاسف فكفرهم ليس عائدا لانك قصرت في البلاغ لا فليس الأمر كذلك بل لأن هولاء صار الكفر لهم سجيه ولم يقل فلا تاس علي الكافرين بل قال القوم الكافرين للاشاره أنهم راسخون في الكفر وهو قوميه اجتمعوا عليها لان حجم اي كيان يحدده حجم الفعاليه التي يتوقف عليها حجم التأثير النهائي فذكر ت الآيات إن الاغلبيه فعالياتهم سلبيه فقد اختار الاغلبيه تعطيل العمل بالتوراه والإنجيل لأن مصلحتهم الماديه تطلبت ذلك فهذا الكيان يقوم علي المنفعه والمصلحه الماديه ولايقوم علي الإيمان فيقول للنبي لاتحزن لعدم استجابه هولاء لأن النظام الذي يحكم أحوالهم غير قابلا للتقدم ومعرضا عنه فهولاء يفتقدون لموهلات العضويه

لجماعه الايمان لأن موهلات العضويه تتطلب أن يكون للعضوا ارداه متحرره تريد الاشتراك مع جماعه الايمان لصناعه الارداه الجماعيه لجماعه الايمان وهذا لن يحصل إلا إذا كان متحررا من قيود الانطواء والانكماش في الذات من الانانيه والحسد متحررا من الشعارات الضيقه التي تحول الدين الي مجرد اقوال بدون أفعال ولهذا قال تعالي (أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

بذلك يشترك الاعضاء المحررون في تجسيد صوره الايمان وامنيه بناء الحضاره التي تجسد مراد الله والتعبير عنها بالارداه المومنه التي تسعي لخلق الكيان الذي يعمر الأرض وفق منهج الله حيث يكون اندماج الاردات تحت رايه ا لايمان المقرون بالعمل الصالح فابتدا بذكر (أن الذين آمنوا) وهم المسلمون ثم ذكر الذين هادوا عطفا علي ماقبلها اشاره الي من امن امثال عبدالله بن سلام والصابئون والنصاري ثم جاء بصيغه التبعيض (من آمن بالله واليوم ا لآخر وعمل صالحاً)

والتعبيض هنا من جمله المذكورين (أن الذين آمنوا)

وهنا قد يقول قائل كيف يكون التعبيض بالنسبه للمومنين من المسلمين ؟

أن الإيمان هنا اريد به الإسلام وليس الايمان الوراد بعد صيغه التبعيض لأن الايه ورد في مقدمتها الحديث عن أهل النحل والملل من المسلمين واليهود والصابئون والنصاري..

أن انتساب هولاء للأديان لايعني أنهم آمنوا ونالوا السلامه والنجاه والفلاح التي وعد الله بها أولياءه الذين يهتدون بالكتب السماوية كما أخبر ادم حينما سلم مفتاح الأرض فقال تعالي (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتينا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ولهذا جاءت الايه تبين أن السعاده لاتكون الا لمن أقام منهج الله في حياته فهذا يجد الامان من الخوف والسلامه والسعاده فلا يحزن ولهذا فإن الدين ليس شعارا يرفع ولا نسب ينتسب إليه وانما يكون بالتصديق والعمل الصالح (شرط الايمان) ولهذا فإن الذين أعلنوا الاسلام ونسبوا للإسلام وكذلك الذين اعتنقوا اليهودية قبل الاسلام و الصابئه والنصاري من هولاء من آمن بالله واليوم الآخر حقيقه وترجم ذلك بالعمل الصالح يكون لهم السلامه و السعاده فدل هذا أن البعض الآخر من رفع الدين شعارا ولم يومن قلبه هو البعض المحروم من الوعد لأن إيمانه لم يكن حقيقي فاخراج الحق المنافقون الذين اتخذوا من الإسلام هدفا لحمايه دماءهم وأموالهم ..وأخرج اليهود و النصاري والصابئون الذين رفضوا الانتقال الي الاسلام بعد مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القران فصار حكمهم حكم المنافقون وهذا يتفق مع ماسبق وأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله فقال تعالى (يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون...الخ

ولهذا ورد شرط الايمان (العمل الصالح) بأنه لايقبل عمل اي شخص بعد نزول القران إلا أن يكون هذا العمل مواقفا لما جاء به القرآن

القسم الثاني

(ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون)

اولا

لما كانت الايات السابقه قد ذكرت أن العمل المقبول هو الذي يكون وفقا لما جاء به الإسلام فالدين المعتمد عند

الله هو الإسلام بعد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فهذا هو العمل المقبول وعلي اتباع الديانات السماوية السابقه تجديد مدلول القراءه لمراد الله وما يرضيه وفقا لما جاء به الإسلام وأن يندمجوا في الصف المومن حقيقه لا إيمان المنافقون فقد توقف العمل بالكتب السماوية السابقه وان من يصر علي قراءه مراد الله من داخلها فان قراءتها تتحول إلي قراءه كافره ولهذا وصمتها الآيات القرآنية بالفساد و صفت اتباعها من اليهود والنصاري والصابئون بعد مجئ القران بالكفار والمبدلين والمحرفين و المغضوب عليهم وقرنهم بالمشركين فقال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تاتيتهم البينه رسول من الله يتلوا صحفا مطهره ...الخ

ولهذا يقول الحق هنا (ولقد أخذ نا ميثاق بني إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) والميثاق هو العهد الموثق بالإيمان المغلظه ولايكون التوثيق الا لاهميه الموضوع و القضيه التي يكون أخذ العهد عليها وأنه يتوجب الالتزام بها والاجتماع عليه وبالرجوع الي الميثاق المأخوذ من بني إسرائيل حسبما ذكره القران نجد أنها تتناول مسألتان (الايمان بالرسل ...واتباع المنهج) كما يتضح من الوقوف علي ماذكر القران الكريم عن الميثاق المأخوذ علي بني اسرائيل ففي سوره البقره ذكر الميثاق بقوله تعالي (أن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصاري والصابئين من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيانكم بقوه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وقال تعالي في نفس السوره(ولقد جاء كم موسي بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيانكم بقوه واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين) وقال تعالي (وإذ اخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وبذي القربي واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه ثم توليتم ...الخ وقال تعالي (وإذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ..) في سوره ال عمران (وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما اتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرونه قال اقررتم واخذتم علي ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ...الخ وقال تعالي (وإذ اخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم..له

وقال تعالي في هذه السوره (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا ...الخ فهي تتحدث عن أخذ العهود والمواثيق المغلظه من بني إسرائيل بشان (الايمان بالرسل ونصرتهم وطاعتهم ..الايمان بالكتب السماوية والعمل بالمنهج الرباني الذي يحمله إليهم الرسل فعندما يأتي المنهج فعليهم أن يجتمعوا عليه)

والايات وردت بعد أن تناولت بيان أن الدين المعتمد هو الاسلام وأن العمل لايقبل ولايكون عملا صالحا الا إذا وفق أحكام وقواعد القران بعد الايمان به ولما كانوا اليهود. قد قابلوا دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالالتحاق بالإسلام بالعناد والتمرد جاء الاخبار من الله عن جزء من ماضي اليهود وتاريخهم لبيان الآتي

الامر الاول

يكشف الحق سبحانه وتعالى لنا ماضي اليهود لتسجيل أنهم غير معذورن بخروجهم عن المنهج الرباني ورفضهم ا لايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ولهذا تأتي النصوص مبينه أن الله قد أخذ عليهم العهود والمواثيق الذي أوجب عليهم أتباع الرسل والايمان بهم ونصرتهم فقال تعالي (ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) لكنهم نقضوا العهود ولم يوفوا بما التزموا فنقض العهود وتكذيب الرسل أمر ليس جديد عليهم فقد مردوا علي العصيان والاعراض والنكول علي ميثاق الله اعتادوا على اتخاذ اهواهم اصناما تعبد وتركوا منهج الهدايه الذي جاء به الرسل فالعناد والتمرد من طباع اليهود التي تجعلهم يبدون كأنهم مجبولون إليها كان هنالك قوه تشدهم الي هذه

الطباع القبيحه

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يكشف لنا عن ماضي هولاء لتحذيرنا من الوقوع فيما وقعت به بنو إسرائيل فاخبرنا الله أنه أخذ منهم العهود والمواثيق علي أتباع الرسل والايمان بهم ونصرتهم عندما يرسلهم ومنهم الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يحن موعد نبوته فما الذي حدث لقد نقضوا العهود وتمردوا عن المنهج وكتموا مافيه عن الا مارات الداله علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرنا الله أن تكذيب هولاء للمنهج واذيه الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاوله قتله من قبلهم ليس أمرا جديدا عليهم فهذه العاده القبيحه طبعت في نفوسهم في فتره حملهم امانه القياده الدينيه حيث أنهم قابلوا المنهج بالتكذيب ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بمحاربه الرسل الذين كان الله يرسلهم إليهم حتي لايصل المنهج الي الناس فهذه طبيعهم الطغاه والظالمون والمنتفعين لأن وصول المنهج الرباني الي الناس يعني اقامه العدل والحق ولهذا فإن الله أرسل الرسل ليقرر اليهود علي مراعاه حقوق الميثاق فكلما حدث انحراف بعث الله إليهم رسولا لاعادتهم الي المسار الصحيح فالله اقتضت رحمته أن لايترك عباده حياري يتخبطون في متاهات الباطل فخصهم بالعديد من الرسل لكن كيف تعاملوا مع الرسل والمنهج الرباني الذي هو رحمه من الله ؟

اخبرنا الله أنهم كانوا يتعاملون مع الرسل بما يتناقض مع الميثاق فهم اردوا تحويل دور الرسول عن وظيفته واردوا تحويل الهدف من المنهج عن حقيقته فقال تعالي (كلما جاءهم رسولا بما لاتهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جاء اقلاب الباء عند التنوين (رسولا بما لاتهوي أنفسهم)فهم انتقلوا من المنهج الي اهوائهم لان كل خبر يصل الي الإنسان فإن هذا الخبر يعرض علي النفس فإذا خامرها ميل الي الخبر قبل به الإنسان فهذا الميل يعكس هوي النفس فإذا كان هذا هوي النفس سليما مستقيما كان اتجاه النفس الي الخير ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لايومن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به) وميل النفس يكون إما ناتج بالثقه بمصدر الخبر او التفحص والبحث وفقا للمنهج الرباني الذي يحدد الخير أو الشر ولهذا فإن استقبال النفس للخبر له أثر فهو يتجه الي الخير أو الشر حسب طبيعه الهوي ولهذا ترسم لنا النصوص خبث نفوس هولاء أن هولاء لم ينظروا الي الرسل أنهم المصدر الوحيد الموثوق في الاتصال بالوحي وايضا أن هوي نفوسهم مجرد عن المنهج الذي يربي النفس ويزكيها لتكون تابعه للحق فذكر الله أنهم انقسموا الي فريقين بمواجهه المنهج الرباني والرسل الذين ارسلهم الله

الفريق الأول كذب بالمنهج ورفض القبول بما جاء به الرسول من عند الله اما الفريق الثاني فقد بلغت به الشده في الخصومه الي الاستعانه بكل ما لهم من قوه لاسكات صوت الحق الذي يريد الرسول إبلاغه للناس فكانوا يخشون من وصول البلاغ للناس يخافون من خطر المنهج

فيسعي هولاء الي القضاء علي الرسل بالقتل لمنع الناس من الإيمان به ولهذا استعمل في الاولي (كذبوا) بصيغه الماضي بينما استعمل في الثانيه (يقتلون) بصيغه المضارع فالاولي أنهم يظهرون التكذيب بالرسالة اما الثانيه فهو السعي لقتل شخص الرسول الذي كان يبعث لهم لانهم ينظرون إليه أنه مصدر خطر والقتل ابشع واذا نظرنا الي الفريق الذي يكتفي بالتكذيب نجد أنهم العوام الذين بنوا عقائدهم وأفكارهم علي التقليد فهولاء يدعون المنهج نتيجه تغليب اهوائهم الي ارائهم نتيجه التقليد دون دليل وانما حب ما الفوه عن الآباء والأجداد فالله يقول في موضع آخر (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)اما الفريق الثاني فهم القياده الدينيه والقياده القدريه الرئاسه فهولاء ينظرون إلي المنهج أنه يهدد مصدر قوتهم وسلطانهم ولهذا يلجأون الي إسكات صوت الحق ولو بالقتل خوفا علي سلطانهم فهم يريدون تطويع المنهج لرغباتهم ولهذا يشعلون نار الحرب لانهم ينظرون ل لانبياء وماجاوا به مصدر خطر يهدد مصالحهم وسلطانهم وقوانينهم ولهذا جاء الاخفاء الكاف عند التنوين (فريقا كذبوا) بأن التقليد غطي وستر عنهم رويه الخير فكان حب العادات والتقاليد غطت عليهم الحقيقه وسترته فكان

ذلك سببا للاعراض وجاء في الثانيه إدغام التنوين مع الياء (وفريقا يقتلون) أن التكذيب دخل فيه القتل فهنالك علاقه وتداخل بين التكذيب والقتل والهوي اي أنهم بلغوا في الفساد وقبائح الهوي اخسها واشدها ولهذا عبر بـ المضارع عن القتل لكي نستحضر شناعه أفعالهم فلا تتعاطف مع القتله وان مر زمان علي ذلك

ثانيا

تنتقل الآيات الي بيان أن هولاء فعلوا ما سولت لهم أنفسهم الاماره بالسوء وظنوا أنهم يحسنون صنعا فحسبوا أنهم لن يحاسبوا علي أفعالهم تلك فقال تعالي (وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون)

تحذر الايه من تقديم الهوي علي الشرع حيث أن البدع إنما تنشأ عن تقديم الهوي علي الشرع ولهذا سمي أهلها أهل الأهواء وكذلك فإن طاعه الأمراء فيما يخالف شرع الله ورسوله تصنع بها الوثنيه السياسيه وبذلك تعم البلوي لانه يكون صناعه أصنام بشريه تعبد من دون الله فقد ورد عن زياد بن جرير أن عمر قال له هل تعرف مايهدم الاسلام قال قلت لا قال يهدمه زاله العالم وجدل المنافق بالقران وحكم الائمه المضلين)

وكذلك فإن المعاصي إنما تنشأ عن تقديم الهوي علي محبه الله ومحبه مايحبه الله فخطر الاهواء أنه يصير الإنسان عابدا لهواه فلا تتأثر القلوب بالموعظ ولاهديه الرسل بل أنه يشكل فجوه تدخل في نفق مظلم تغطي انوار الحق فتشق الأهواء للنفوس طريقا معوجا سماها الله طريق الفجور فالميل للاهواء تصيب الإنسان بداء الجهل لغياب المنهج الرباني الذي يزود العبد بنور الرؤيه فتكون كالاعمي الذي لايري اين يسير والي اين ينتهي به المطاف ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ماسبق (وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون)وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الآيات بقوله(وحسبوا الا تكون فتنه) أن هولاء بنوا اعتقادهم علي الظن والتخمين مع وجود اليقين في الحسبان هو أن الظن ترجح عندهم فهم ظنوا واعتقدوا في أنفسهم أنهم مهما ارتكبوا من أخطاء فإنهم لن يعاقبوا علي ذلك فقد أخبرنا الله في سوره البقره (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الي بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون اولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا اماني وان هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.....الي أن قال (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة.....الخ

فالايات ترسم لنا كيف أن هولاء ظنوا أنهم إن لم يعترفوا بما ورد في التوراه بشأن نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم لن تقام عليهم الحجه عند الله اما إذا اعترفوا فإنهم سوف يحاسبون عند الله لماذا لم يومنوا به وينصرونه فقال (اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) واعتبروا الاعتراف به خروجا عن العقل فهم نظروا الي المنهج أنه تفضيل لهم علي سائر البشر ولم ينظروا إليه انزل لاقامه الحجه علي الناس بعد أن يعرفوا أمر الله ونهيه وأحكامه وهولاء فقدوا نور الايمان والهدايه قال تعالي (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء و الذين لايومنون في آذانهم وقرا وهو عليهم عمي اولئك ينادون من مكان بعيد)

فلا ينتفع هولاء بهديته فلم ينظروا الي انعام الله عليهم بإرسال الانبياء منهم أنها نعمه من الله فيها الابتلاء والا متحان فلم يقوموا بواجب النعم كما ورد عن سليمان (,فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام أكفر) فاخبرنا الله أن هذه النعم وما حظوا به من العلم كانت سببا في عاقبتهم القبيحه لانهم لم ينظروا للعواقب ولم يحاسبوا أنفسهم فانشغالوا بنعمه الانتساب الي الانبياء أنها تمنع عنهم العقوبه مهما كانت الجرائم وان

وصلت إلي القتل فظنوا أنه لايوجد بلا ء وعذاب ظنا منهم أن انتسابهم الي الانبياء تدفع عنهم العقاب فاصابهم العمي عن رؤيه الحقيقه واصابهم الصمم

الأمر الثاني

تبين النصوص أن القراءه الشرعيه للحياه لها منهجين منهج الانبياء والرسل ومن تبعهم الي يوم الدين فهولاء يقرون الأمور وفقا لما في منهج وهنالك القراءه الوضعيه القائمه علي مبدأ (انا خير منه) فهذه القراءه تستند الي مبدأ الاغواء والحسد والعصبيه والتقليد ورفض الأمور الغيبه وتسيس القضايا وهو ما يجعل اتباعها يعيشون في غفله تستر وتحجب عنهم رؤيه الحقيقه ويرفضون الاستماع إلي الموعظ استماع قبول خاصه في فتره التحولات حيث هذه المرحلة تضع كل انسان أمام مسؤولياته اختبارا وابتلاء لتمحيص الصفوف وإظهار تطابق النظريات مع الواقع العملي ولذلك فإن الموقف العمليه في ميادين التجارب تظهر حقيقه الايمان من عدمه حيث أن الله تعالى بعد أن جعل بني إسرائيل يشاهدون الآيات والمعجزات التي ايدهم الله بها علي يد موسي في مصر وبعد خروجهم منها فقد شاهدوا غرق الفراعنه وانجاهم الله فما أن وصلوا الي البر إذ هم يجدون قوما وثنينون يعبدون الأصنام فإذا هم يقولون لموسي (اجعل لنا الهه كما لهم الهه) فقد كانت الحياه التي عاشوها في مصر من الذل و الهون لها أثر قوي في نفوسهم يصعب التخلص منها ولهذا فإنهم عندما ذهب موسي لمناجاه ربه عبدوا العجل وقال تعالي في سوره البقره (ولقد جاءكم موسي بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)

و قال تعالي أيضا (وإذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم ..الخ

فالله منحهم فرصة للتوبه فكانت الفرصه سانحه لهم كي يهتدوا الي قانون التعامل مع الازمات أن يرجعوا أنفسهم ويعودوا الي الله ولا يتكبروا بتحويل الموقف السلبي الي إيجابي لكن ما الذي حدث أن هولاء لم ينظروا الي تلك التجارب نظره واعيه لمعرفه عواقب المخالفه لمنهج فقد تكرار منهم المخالفه فاخبرنا الله أن حبهم للعجل خالط قلوبهم كما يخالط الشراب فقال تعالي (وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيانكم بقوه واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين ..... الي أن قال (ولتجدنهم احرص الناس علي حياه ومن الذين اشركوا يودوا أحدهم لو يعمر الف سنه وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)

فحب الحياه ادي الي إصابتهم بعمي البصيره ولاينتفعون من الموعظ فهذا سر الانحراف والجنوح بالوعي في قراءه التكاليف والانعام

الأمر الثالث

تبين النصوص أن سنه الله أنه يعاقب الأمم بذنوبها لو أكثرت من ذلك وشاعت فيهم الجريمه دون وجود من يصلح الناس إذ العبره بالغالب لا بالقليل الغير موثر في الحياه وإصلاح مافيها ولهذا قال تعالي (وعموا وصموا كثيرا منهم) اي إن الاغلبيه منهم عملوا عمل من لايبصر ولايسمع ولهذا جاء التهديد بصيغه (والله بصير بما يعملون

أنه تعالي مطلع علي أعمالهم فيجازيهم بما عملوا اي سوف يقلب حالهم من النعم الي النقم فالحق يبين أن الازمه تعصف بالجميع فهي تشكل تهديدا للموسسه كلها في الدنيا بان سلبها القياده وعرض امه اليهود للذل والهون ولهذا جاء الاقلاب التنوين مع الباء (بصير بما يعملون) وهو تعالي عليم بمن يستحق الهدايه ومن ليس أهلا لها فالايه فيها التطمئن لنبيه والصحابه من كيد اليهود من محاوله تأليب القبائل والشعوب ضد الإسلام فلن يضروا الاسلام شيئا لأن الله مطلع علي أعمالهم فالايات ترسم صوره قبيحه عن ماضي اليهود لتنفر قلوب المومنين من مولاه اليهود وتبين نهايه من يترك المنهج متجها الي تغليب اهواهم الي الرأي للتحذير من ذلك فمن استبان له الدليل

أخذ به وعليه ترك الاجتهاد فلا اجتهاد مع النص فقد ذكر عن ابن عباس أن بعض الناس عارضوه فيما يقول لهم واعظا وقالوا قال أبوبكر وعمر فقال والذي نفسي بيده يوشك أن ينزل عليكم حجاره من السماء اقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر والله يقول (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) فمن بلغه الديل وجب عليه أن يأخذ به ويترك تقليد الائمه ومن يرفض ترك التقليد وجب الإنكار عليه بـ التغليظ لمخالفته الدليل فالتقليد إنما يكون في غياب الدليل فـالله يقول (أن يتبعون الا الظن وماتهوي الأنفس) اي ليس لهم مستند الاحسن الظن بابائهم الذين تلقوا منهم هذه الاباطيل والاحظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آباءهم لذم التقليد

القسم الثالث

بعد أن عدد الحق عيوب اليهود وماضيهم القبيح شرع النصوص تكشف فساد معتقدات النصاري واباطيل أقوالهم وارائهم فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بـالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و امه صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع العليم)

اولا

لما ذكر الله قبائح اليهود والتي تعود إلي عقيده التعطيل للصفات فهم لاينكرون البعث والنشور لكن ينظرون أنهم لايحاسبون ولهذا اختمتت الايه (والله بصير بما يعملون)

فهم لاينكرون قدره الله علي اعاده للحياه ولهذا اكتفي بالاشاره الي احاطته بكل شي علما ذلك أن الجزء يقوم علي أمرين القدره والعلم ولما كان فساد النصاري يعود إلي الغلو في اطرا عيسي عليه السلام واعتقادهم أن عيسي عرض نفسه للصلب للتكفير عن الخطئيه التي ارتكبها البشر وبالتالي فلا حساب ولاعقاب اذا انت امنت بهذه العقيده التي تقر بالواهيه عيسي والعياذ بـالله ونتج عن ذلك أنهم انحرفوا عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسي عليه السلام حيث انقسموا بعده الي ثلاثه اقسام فريق قال باتحاد الذات الالهيه بعيسي عليه السلام فقال تعالي منكر ا عليهم ذلك (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) وفريق قال بعقيده التثليث أن الإله هو الرب والابن والروح القدس فأنكر الله عليهم ذلك وقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)

وفريق قالوا بأن الله هو عيسي وأمه ولهذا قال تعالي (ياعيسي ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين ...الخ

ولهذا ناسب بعد أن ختم الايه قبلها (والله بصير بما يعملون) ان يذكر قبح عقيده النصاري الفاسده حيث بالوقوف علي مدلولات الايه الاولي (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بـالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من أنصار)

الأمر الأول

ابتداء ت النصوص بإعلان واحدنيه الله وان ذات الله غير ذات المخلوقات وهذا الأمر من ضمن البلاغ والبيان الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوم بتبليغه ولهذا نجد أن الايه الكريمه ابتدأت بقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)اي اقسم أن من قال بهذه العقيده المنحرفه (عقيده الاتحاد) هو كافر بقوله هذه المقوله و كلمه (لقد) التي ابتدأ بها الاخبار قادره علي تحقيق المراد بهذا الاخبار من استقطاب الاهتمام لصرامه

الموقف وخطورته فالتركيب الصوتي الذي احتوت عليه حروف الكلمه التي احتوت علي قوه الصوت وشدته وحروفه مجهوره في النطق يقصد منها أن يصحح هولاء موقفهم يخبرهم أنهم قد كفروا وضلوا ضلالا بعيدا بهذه المقولة المنكره فهي كفر ومروق عن الدين بعد أن اختمتت الايه قبلها بعلم الله واطلاعه فلا يخفي عليه شي ولا يفلت شي من علمه أو يخرج عن حكمه أو يدركه النسيان كل شي مسجل في كتاب وكل شي بعلمه سبحانه وتعالى فذكر صفه العلم والحياه والقدره والارده والسمع والبصر والكلام في الايات قبلها وكلها من صفات الله الواجبه الكمال فالله ليس كمثله شي ولهذا يخبر الله أن قولهم هذا منكر وهو شرك وكفر فهذه المقوله مروق عن الدين

الأمر الثاني

تبين النصوص خطوره الأهواء والغلو في حب الأشخاص وبالذات في مرحله التحول التي تحدث في حياه الأمم

و حيث تبين النصوص براءه عيسي عليه السلام من هذه المقوله الظالمه والفاسده وانما تسربت إلي عقيده النصاري من الأهواء الباطله والتاويلات المنحرفه التي نضجت بها المشاعر الفاسده بعد اشاعه اليهود قتل عيسي وصلبه ولأن الصلب والقتل في اعتقاد اهل التوراه يعني أن صاحبه ملعون فقد ادي المغالاة في حب عيسي ومحاوله هولاء ازاحه تلك الأقاويل فوصل بهم الحال الي ما وصلوا إليه من عقيده الشرك ولهذا نسب الله القول المنكر لهم واخبرهم أن عيسي هو ابن مريم وأخبر أن هذه المقوله من اهوائهم وارائهم الباطله أما عيسي فإنه جاء مثل سائر الأنبياء والرسل يحمل دعوه التوحيد ولتصحيح ما في التوراه من تحريف جاء لاقتلاع شجره الشرك ومن ثم غرس شجره التوحيد فقال تعالي (وقال عيسي يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) فدعوه الا نبياء واحده من ادم الي النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالي في موضع آخر (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

هذه هي دعوه عيسي عليه السلام لقومه فقد حمل دعوه التوحيد فحاله مثل حال الرسل فقد تضمنت دعوته

١الدعوه لتوحيد الله في الوهيته وربوبيته وأنه تعالي المعبود وحده لاشريك له فأول كلمه نطق بها عيسي بعد ولا دته عندما حملته امه الي قومه في المهد أنه قال كما حكي الله في موضع آخر (اني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيا .....الي قوله (أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

وكذلك قال لهم حال كهولته ونبوته أخبرهم أنهم عبيد الله وان الله هو ربه وربهم الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لاشريك له

٢

يخبرنا الله أن دعوه عيسي تضمنت الدعوه الي التوحيد وعباده الله وأنه أخبرهم أنه عبدا الله فقال (أن الله ربي وربكم فاعبدوه)

لم يدعو الناس الي عبادته ولم يقل لهم أنه مربوب وانما أخبرهم أنه مخلوق وأنه عبدا من عبيدا الله ومن جمله المخلوقات التي خلقها الله تعالي وقد حذرهم من الشرك وتلك هي المهمه التي حملها جميع الرسل والأنبياء فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فالحكمه من أرسل الرسل هي دعوه الناس للتوحيد والي عباده الله وحده والنهي عن عباده ماسواه فهذا هو دين ا لانبياء والمرسلين وان اختلفت شرائعهم كما قال تعالي (ولكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا)

ولهذا يخبرنا أن عيسي حذرهم من الشرك أنه يودي الي الحرمان من الجنه ويوجب دخول النار (أنه من يشرك ب الله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار)

وهذا فيه أنه قام بالتبليغ والتبشير والانذار فقد دلت الايه أنه بشر المومنين بالجنه وإنذارهم من النار

فالايه فيها التحذير من الشرك بالله شيئا من بشر أو كوكب أو نجم أو مال أو اي شي تجعله ندا لله أو تدعوه لجلب نفع أو دفع ضرر أو بزعم التقرب الي الله زلفي أو تتخذه شفعيا ليوثر في أردته تعالي فإن الله قد حرم علي المشرك الجنه في سابق علمه وبمقتضي شرعه الذي اوحاه لرسله فالله يقول (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالي (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنه أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما علي الكافرين)

٣

يخبرهم عيسي عليه السلام أن عليهم أن يتوكلوا علي الله ولاينخدعوا بالمظاهر الخادعه وان يخلصوا النوايا لله تعالي ويعتمدوا عليه ويحذروا من الشرك مهما كان فقال تعالي (وما للظالمين من أنصار)

لن يجدوا من يدفع عنهم عذاب الله ولا من ينصرهم وخص بهذا التعقيب قول عيسي لأن الايات قبلها تحدثت عن انحراف اليهود إذ تصوروا أن الانتساب للانبياء تدفع عنهم العذاب وأنهم لن يحاسبوا بسبب شفاعه الانبياء و النصاري كثيرا ما يتكلمون عن القديسين فهذه العقيده فشت فيهم

نتيجه الاستبداد والفلسفات الخاطئة التي تسربت إلي النصرانية بعد اعتناق قسطنطين المسيحية حيث انتقلت إليهم افكار وعقائد وثنيه فيها استهانه بقدر الإنسان وقيمته ونتيجه العصبيه التي طغت علي معتقداتهم فنظروا الي الانجيل أنه هو المنهج الرباني الذي الزموا به مع أن الانجيل جاء مكملا للتوراه فهو فيه تعديل لها ولايمكن قراءه مراد الله في ذلك الزمان بدون الربط بينهما فكان سيطره التشاوم علي حياتهم والهروب الي الرهبانه التي ابتدعوها ونشات ثقافه تقديس الأشخاص فيهم ولهذا يخبرهم الله أنه لاعذر لهم فقد أنذرهم عيسي من الشرك اين كان صوره بأسلوب فيه المبالغه في التحذير واختتم بأن المشرك هالك في العذاب لامحاله ولايجد من يشفع له أو يدفع عنه العذاب ولا من يقف محاميا عنهم

الأمر الثالث

أن تناول الايه تفنيد الأمور في اقامه الحجه علي كفر من قال بأن الله هو عيسي من خلال تناول حقيقه دعوه عيسي عليه السلام واثبات قاعده أن الشرك بالله يوجب الخلود في النار وممنوع عليه الجنه فيه التحذير لنا من الانحراف ومن أن نسير فيما سار فيه أهل الكتاب ولهذا ذكرت هذه التفاصيل وبأسلوب المبالغة في التحذير (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من أنصار)

لأن الإنسان قد يقع في الشرك وهو لايدري فاللازم الإنتباه لذلك فعليك الإنتباه من الغفلة وان تكون متيقظا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (دخل الجنه رجلا بذبابه ودخل النار رجلا بذبابه قالوا كيف ذلك يارسول الله

) انظر كيف تعجب المسلمون من الأمر فقالوا كيف ذلك لأن الذبابه أحقر شي فكأنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ما خبر هذا الأمر الحقير حتي صار عظيما لدرجه انه يستحق عليه دخول النار أو الجنه ؟

فجاء الجواب من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (مر رجلان علي قوم لهم صنم لايجوازه احد حتي يقرب له شيئا فقالوا لأحدهما قرب له قال ليس عندي شي اقرب قالوا له قرب له ولو ذبابه فقرب ذبابه فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شئيا دون الله عزو جل فضربوا عنقه فدخل الجنه)

فاللازم عليك اخي المومن الإنتباه من الشرك فهو اعتداء صارخ فلا تحقرن الأمور في هذه المسائل فالنهايه الي جهنم

ثانيا

تستمر النصوص تأكيد كفر فرق النصاري ومقولتهم ومن شباههم فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلا ثة)

هذه هي الفرقه اليعقوبيه وغيرها من الفرق التي ذهبت الي القول بعقيده التثليث بأن الله مكون من ثلاثه أحدهما عيسي وأمه ومن قال الاب والابن والروح القدس أنهم اتحدوا فصارت الثلاثه الها فجاء الرد الإلهي

*

بقوله تعالي (وما من اله الا اله واحد) فالايه فيها نفي الالهيه عن كل ماسواء الله كائن من كان وإثبات الألوهية لله وحده لاشريك له ودون كل ماسواه وهو التوحيد الذي دعا إليه كل الرسل اقوامهم ولهذا فإن المقوله التي يقولها هولاء دليل علي قله عقولهم اذا كيف يقولون هذه المقوله المنكره عن الله تعالي فجاءت النصوص بالنفي فلا يوجد اله الا من اتصف بالواحدنيه فهو الإله الذي لاتركيب في ذاته ولافي صفاته فليس له تعدد ذوات وأعيان ولا تعدد أجناس وانواع ولاتعدد جزيئات فهو تعالي الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فليس له لاولد ولاوالد بل هو خالق كل والد ومولود فهو تعالي منزه عما يقولون وهو الإله الذي تالهه القلوب محبه وإجلال وانابه وتعظيما وخضوعا وخوفا ورجا وتوكلا ولهذا حصر وصف الإله المعبود (وما من اله الا اله واحد)فهذا فيه ابطال لعقيده التثليث فإذا بطلت ثبت الواحدنيه وتعين أن هذا الإله الواحد هو الله تعالي وحده لا شريك له لانه متفق علي الوهيه الله تعالى فكان العطف علي جمله لقد كفر لبيان الحق في الاعتقاد بعد بيان الاعتقاد الباطل

*

توعد الذين يثبتون علي الكفر فقال تعالي (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم)

أنه إذا لم ينتهوا عن تلك العقائد الزائفه والاقاويل الباطله ويتركوها ويعودوا الي عقيده التوحيد فسوف يلحق بهم عذاب لايطيقونه

والجمله جاءت معطوفه علي جمله (لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة) وعلي الذين قالوا إن الله هو المسيح..

وجاء بالمضارع لانه المناسب للانتهاء اذ الا انتهاء إنما يكون عن شي مستمر فناسب ذلك بعد ذكر مقوله الكفر لأن الكفر حصل بقولهم ابتداء من زمن الماضي حتي استقر في عقيدتهم فلا يمكن أن يصدر من اللسان دون أن يكون له أصل في اعتقاد القلب فاللسان انما هي ترجمان لما في القلب والأمر هنا ليس مجرد الانتهاء من القول والكف عنه ولكن تخليص القلب من تلك المعتقدات الفاسده وخص القول لانه كما قلنا ترجمان العقيده وعنوانها فلو أمسكوا عن القول وتحول هذا الامساك الي عقيده فقد انتهوا اما اذا لم يصلحوا قلوبهم والسنتهم فلا ينفع كف اللسان وقلوبهم متعلقه باصنام ولهذا جاء الوعيد (ليمسن) بلام القسم فيه بيان أنه لن ينفعهم انتسابهم الي الا نبياء والمرسلين فسوف يمسهم العذاب أبطالا لاعتقادهم (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) والمس هنا بمعني الا صابه ويدل علي مطلق الاصابه وخص بهذا الذين يتمسكون بعقيده الشرك فجاء التعبير بالاسم الموصول (ليمسن الذين كفروا منهم) فكان هذا فيه الاخبار عن سبب الحكم المخبر عنه وعلي هذا يكون قوله (منهم) بيان لمن العذاب بأنه للذين كفروا منهم العذاب الموجع أما الذين يتابون فليس مشمولين بهذا العذاب ولهذا نجد أنه يردف بالتهديد الترغيب فقال تعالي (افلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)

فالاجدر بهم أن يعودوا إلى الله تائبين خاضعين فباب التوبه مفتوح وعليهم الاستغفار فالله كثير الرحمه بعباده واسع المغفره مهما كانت الذنوب

ثالثا

تمضي النصوص في بيان بطلان عقائد الاتحاد والتثليث بالاداله العقليه والمنطقيه يحاور هولاء ويطلب حضور عقولهم يقول لهم أن الله تعالي له كمال الصفات وهومنزه عن المثيل والشبيه فصفات الله تبارك وتعالي هي كمال مطلق لايتناهي ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و امه صديقه كانا ياكلان الطعام)

أن عيسي عليه السلام رسول مثل بقيه الرسل فالميزه التي يتميز بها الرسل عن البشر أنهم يتصلون بالوحي الإلهي وهذا اختيار من الله أنه يصطفي من البشر رسلا وقد سبق عيسي عده رسل وكلهم بما فيهم عيسي لم يخرجوا عن ادميتهم وبشريتهم فلا مزيه لهم إلا أنهم مرسلون من الله اي مرتبه الرسول وكذلك فإن امه مريم هي من البشر ولم تكن لها مرتبه غير أنها من الصديقين الذين هم اعلي خلق الله بعد الرسل والأنبياء وهذه المنزله تكون بعباده الله والانتفاع من العلم النافع فهي صدقت بكلمات الله وكتبه وكانت من القانتين كما أخبرنا الله اما من حيث النوعيه والجنس فهي مساويه لبقيه الناس وكذلك الرسل عموما فقد ورد في القرآن أن جميع الرسل يأكلون الطعام فقال تعالي (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم لياكلون الطعام) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (وماجعلناهم جسدا لاياكلون الطعام) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (وقالوا ما ل هذا الرسول يأكل الطعام)

وهنا يقول تعالي (كانا ياكلان الطعام) عن عيسي عليه السلام وأمه أنهم مخلوقات مما خلق الله وهما عبيد محتاجان لله تعالي واتصفوا بصفات الضعف فهما ياكلان الطعام الذي يحتاجه الجسم للنمو ويحتاجان الي اخراج الفضلات وهذا إنما يكون من صفات الضعفاء فهم اذا لم ياكلوا فسوف يصبيهم الموت وهم في النهايه لابد أن يموتوا أما الإله فهو الغني الحميد وهو حي دائم لايموت

وبالتالي فمن غير المنطقي أن يقول البعض أن البشر الهه من دون الله وهم بتلك الصفات فهذا مخالف للعقل و المنطق وناتج عن انحراف العقول إذ كيف للإنسان أن يحتقر نفسه وجنسه ويرفع بعض المخلوقات المساويه له في الماهيه وان امتزت بميزات عرضيه فيجعل نفسه عبدا لها فعبسي وأمه من مخلوقات الله كما قال تعالي (أن هو الاعبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل....الخ

وقال تعالي عن أمه (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

ولهذا الله تعالى متعجبا من حال المشركون (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون)

الأمر بالوقوف علي الادله المنطقيه والنظر الي الآيات الوضحه الداله علي وحدانيه الله تعالي وكماله في اسماءه وصفاته والقاطعه ببطلان دعاوي الشرك وكاشفه للحق ففي هذه الاداله بيان حقائق الأشياء واقامه الحجه علي المكذبين ولهذا تعجب من حال من ينصرف عن الحق بعد كل هذه الاداله فقال تعالي (ثم انظر اني يؤفكون)

علي سبيل التعجب من حالهم كيف ينصرفون عن الحق في القول بعقيده الشرك مع وضوح الاداله في الكون يشاهدونها تدل أنما الله اله واحد لاشريك له

تبين النصوص للداعيه كيف يكون اقامه الحجه والحوار مع الآخرين بأن الأمر يقتضي الاستفاده من الادله المنطقيه لأن بدايه الطريق لدعوه الآخرين الي التوحيد إنما يكون من خلال العرض الذي يحصل به الاقناع وهذا يقع من قوه البرهان والحجه بأن تبين لهم جهلهم لانهم لايدركون حقيقه الاشياء وهذا يحتاج الي توجيه الأنظار الي ما يقتضيه النظر الصحيح الي الحقائق المحيطه بالمخاطبين فالكون كله شاهد بوحدانيه الله وربوبيته و الواهيته وان تبين لهم ما حقيقه اصنامهم التي يعبدون من دون الله من الضعف والعجز مما لايمكن إنكاره ثم علا ج الاعتقاد الخاطئ ولهذا نجد أن الايه بعدها تأتي بقوله تعالي (قل اتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)

يامر الحق نبيه صلي الله عليه وسلم أن يواجهه المشركين بهذا السؤال (قل اتعبدون من دون الله ما لايملك لكم

ضرا ولانفعا والله هو السميع العليم)

كيف تعبدون اصناما أو بشرا أو أي مخلوق لايملك أن يلحق بكم الضرر فكيف تخافون ضرها وهي فاقده للضرر وكذلك فهي لاتملك لكم المنفعه فلا تعبدوها رجاء نفعها فإنها لاتنفع ولاتضر فالاستنكارمن الشرك ومن وسائل الشرك بعد بيان أنهم مخلوقات والمخلوق لايكون شريكا للخالق في العباده التي خلقهم لها وبين لهم أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا نفعا ولا ضرا فهذا دليل علي بطلان عبادتهم سواء عبدوا اصناما ام عبدوا عيسي ام امه فالتعبير ب(ما)وهي بمعني(من) اشاره الي أن كل المخلوقات التي تعبد من دون الله بما فيها العقلاء من البشر اصناما عاجزه عن إلحاق الضرر بمن لم يعبدها وغير قادره علي إعطاء النفع لمن عبدها في حين أن الله يسمع ما يقولون ويسمع الدعاء ويعلم كل شي فهو القادر علي النفع والضرر فقال تعالي (والله هو السميع العليم)

كيف تتركون الدعاء والتضرع الي الله ليدفع عنكم الضرر ويرزقكم العطاء فهو يسمع ويعلم يضر وينفع فلم عدلتم الي عباده من لايسمع ولايبصر ولايعلم

رابعا

بعد اقامه الحجه علي بطلان تمسك اليهود بالتوراه بعد مجي الاسلام وبطلان تمسك النصاري بعقيدتهم وارائهم ورفضهم القبول بالانطواء تحت الاسلام والتحول في قراءه مراد الله الي القران الكريم وبعد اقامه الحجه عليهم بمخالفتهم للتواره والإنجيل وعرض صوره كامله لانحرافهم عن قيم ومبادئ وشريعه التوراه والإنجيل وانهم قد عطلوا الشريعه و خالفوا أوامر الله وخص بالذكر كفر من قال بالواهيه عيسي وأمه وعقيده التثليث من النصاري وفسق من قدح في نسب عيسي واتهم مريم بالبهتان من اليهود تأتي النصوص بأمر الله لنبيه صلي الله عليه وسلم أن يتوجه الي كلا الفريقين بهذا النداء (قل يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سؤء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير ا منهم فاسقون)

ولهذا فإنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد أنها تتناول عده اغراض تهدف إلي إنقاذ اليهود والنصاري من الا نحرافات فذكرت فساد ما هم عليه من الغلو في العقيده بتجاوز الحد الذي أمر الله به وتحذير للمسلمين من الطريق الذي اوصلوهم الي الضلال الذي لحق بالنصاري والغضب الإلهي الذي لحق باليهود كما يتضح من الآتي

الموضوع الاول

تحذر الآيات من الوسائل التي تودي الي الشرك وعدم قبول الحق فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سؤء السبيل)

والغلو هو الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد اي لاترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزله التي لا تنبغي الا الله والخطاب وان كان لاهل الكتاب اليهود والنصاري لأن النصاري غلوا في عيسي واليهود عادوه وسبوه وتنقصوا منه فكلا منهما إفراط الا أن الخطاب عام يتناول جميع الامه تحذيرا لهم أن يفعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مافعل النصاري واليهود فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح البخاري (لا تطروني كما طرأت النصاري ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله)فكل من دعا نبيا أو وليا فقد اتخذه الها وضاها النصاري في شركهم واليهود في تفريطهم

فأخبرهم الله أن يحذر طريق وسلوك الأمم السابقه أو أسلافهم فقال تعالي (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سؤء السبيل) فبين أنهم اتصفوا ١_: انحرفوا تحت تأثير الأهواء ٢:_انهم خدعوا العوام ٣

انهم انحرفوا عن المعتقدات في مسيرتهم فسلكوا طريقا منحرفا معوجا

فيجوز أن يكون المراد بهولاء هم أسلافهم ويجوز أن يقصد به التحذير من وسائل الشرك عموما حيث لو امعنا النظر في انحراف الناس عن المنهج نجد أنه يبدأ من نقطه الاطراء وهو المدح والثناء بالباطل فاصنام قوم نوح التي أخبرنا الله عنها بقوله (وقالوا لاتذرن ءالهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) هم اسماء رجال صالحين من قوم نوح حيث أنهم نصبوا لهم تماثيل حتي لاينسوهم بعد موتهم ولم تعبد حتي إذا هلك ذلك الجيال

عبدهم الناس وعم الجهل وجاوا أناس من بعدهم وتعلقوا بهم تعظيما لما كان عليه آباءهم فالغلو من وسائل الشرك التي ينبغي الحذر منها وان كان حسنا فذكر الحق سبحانه وتعالى قوله (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) اشاره الي الزمن أي انتبهوا أن تنخدعوا من هذه المدخل التي يجد الشيطان له منفذا ينفذ منها فاحذروا اتباع الهوي الذي قاد من قبلكم الي الهلاك فلا تتعصبوا الي اسلافكم فهم قد ضلوا من قبل وتسببوا باضلال غيرهم وانحرفوا عن الطريق المستقيم وهو ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (اياكم والغلو فإنما ا هلك من كان قبلكم الغلو)

فالنص فيه النهي عن الغلو في القول والعمل والاعتقاد

الموضوع الثاني

يدعوا الاسلام اليهود والنصاري الي ترك الغلو اي التطرف في مزاعم التمسك بالتوراه والإنجيل برفضهم التحول في قراءه المطلب الرباني بعد مجئ الاسلام الي القران فوصف رفضهم بأنه غلوا لانهم كانوا يدعون أن إيمانهم بهذه الكتب يمنعهم من الالتحاق بالإسلام ولهذا وصف هذا الغلو بأنه (غير الحق) وغير الحق هو الباطل وعدل عن أن يقال باطلا الي غير الحق لما في وصف غير الحق من تشنيع الموصوف والمراد أنه مخالف للحق الذي أمروا به في التوراه والإنجيل فهذا الغلوا مذموم لأن الحق محمود فغير ه مذموم لان رفضهم القبول بالتحول الي الاسلا م ليس عائدا الي الغلو الحق الذي يعني أنهم يفحصون اداله الاسلام ودعوه الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من حقائق فهم يعرفونه ومكتوب عندهم في التوراه والإنجيل لكن غلوهم باطل لانهم تجاوز الحق وتخطوه بعدما عرفوه فحصل منهم الأعراض لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من بني إسرائيل فكانت الأ هواء هي سبب الانحراف والمغالاه الباطله التي تخالف الصواب فقد تجاوز ما يقتضيه اقامه التوراه والإنجيل بالإ يمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونصرته الي التمسك بشرع التواره بعد رساله الاسلام وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك فعلت النصاري بالمغالاه في القول بالواهيه عيسي وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا جاء العطف بعده (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل)

وهو عطف علي الغلو عطف عام علي خاص وعطف الخاص علي العام قصد به النهي عن التقليد لانهم كانوا يقلدون الاحبار والرهبان الذين صاغوا لهم شريعه مخالفه للحق شريعه الهوي بدون دليل ولهذا استعمل (من قبل) اي من قبلكم وقد كثر في كلام العرب حذف ماتضاف إليه قبل وبعد وغير وحسب ودون واسماء الجهات ...ولهذا حذف الاضافه الكاف والميم

واريد بها أن ضلال الاحبار والرهبان حصل قبلهم لانهم من قاموا بالتحريف والتبديل والتغير للتوراه والإنجيل نتيجه الأهواء وهي الآراء التي تدعو إليها الشهوات والملذات فالله قال في موضع آخر (فويل لهم كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فقد اخضعوا الشرائع لرغباتهم واهوائهم فالتحذير الإلهي من التقليد لمن اتباع الهوى في مسائل العقيدة فبين أن فساد هولاء يعود إلي اتباع الهوي وهذا فيه الذم لافعالهم التي أدت إلي الابتعاد عن روح المنهج الرباني وعن القيم والمبادئ التي جاء ت بها الكتب السماوية فأشارت الايات الي الآتي

الأمر الأول

النهي عن التقليد الاعمي فيخبرنا الله أن ضلال اليهود فيما ذهب إليه من المغالاة سواء بشأن عيسي عندما طعنوا في نسبه وافتروا علي امه أو النصاري الذين بالغوا في تعظيمه واطراءه بما ليس له فقالوا إنه اله ..وغيرها من الأ وصاف فإن هذا يعود إلي التقليد لابائهم واسلافهم الذين انحرفوا بسبب الأهواء نتيجه الصراعات بشأن مزاعم قتل عيسي وصلبه ووجد هولاء أنفسهم يبالغون في تعظيم عيسي لمواجهه افتراءات اليهود فوقعوا في المحضور خاصه مع دخول الوثنيون في النصرانية وتسرب افكار الوثنيون إليها فحصل التجاوز بالغلوا لانهم لم يقيموا عقيدتهم علي اساس الدليل والفحص لما يصل إليهم وعرضه علي منهج الله فإن وافق المنهج الرباني كان الأخذ وما تعارض معه ترك وهذا هو الذي كان سبب ضلالهم لأن من قبلهم لم تكون عقيدتهم وفقا لقيم الكتب السماوية وانما ارائهم الخاضعه لمصالحهم وتسبب ثقه الناس بهم أنهم اضلوا غيرهم (واضلوا كثيرا) وانهم بذلك تركوا الاس لام الذي هو سبيل الهدايه لانه الوسطيه والاعتدال الذي هو طريق الفلاح

الامر الثاني

أن علي المومن أن يقيم عقيدته علي اساس من الدليل وان علي المومن تطويع هواه ليكون موافقا لمنهج الله فيكون هواه موافقا لمطلوب الله بلا إفراط ولاتفريط ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى ناهيا اتباع الاحبار و الرهبان الذين صنعوا منهج الغلو وجعلوه دينا أنهم اتبعوا أهوائهم فالاراء أساس البدع فقال تعالي (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل)

فأشار الي انحرافهم عن المنهج الرباني وهم (الاحبار والرهبان) أو الحكام والعلما ء الذين قاموا بالتحريف لتطويع المنهج لرغباتهم وغرائزهم في الرئاسه فالبدع إنما تأتي من العلماء والظلم إنما يكون من الحكام وبهم يكون فساد الرعيه أو صلاحهم ولهذا أشار الحق أن الأهواء كانت سببا في انحراف هولاء فالمخالفه في بدايه الامر للتوراه وا لإنجيل لم يكن عن سؤء الفهم الي ما تشير إليه النصوص من معاني وما لديهم من قدرات متفاوته في استنباط ا لأحكام الشرعية فالأمر ليس كذلك وانماالغرائز غلبت عليهم ودعتهم الي مخالفه الدين وتحريفها والعمل علي صرف شعوبهم عن اتباع الانبياء واخفوا نصوص كتبهم وحرفوها واختاروا لأنفسهم وأجيالهم اتباع الهوي و الشيطان بكذبهم علي ربهم وانبياءه فقدموا نموذجا فاسدا يقتدي به الناس وزجوا باتباع التوراه والإنجيل خارج ميدان الديانه والتدين فصار الكل بهذا الجنوح مذموما وغير مقبول فقال تعالي (وضلوا عن سؤء السبيل)

اي عن الإسلام اي انخلعوا عن الإيمان لأن كل من ينادي بتجاوز الاسلام وتطويعه وترويض اتباعه يكون خارجا عن ميدان الدين والتدين ويصبح تابعا للشيطان

القسم الخامس

تأتي النصوص بجمله مستانفه استئنافا بيانا عن ماضي اليهود وتاريخهم مع انبياءهم فقال تعالي (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تشير الآيات إن هنالك حوار واسئله روبما طرحت بشأن اليهود عندما أمروا بإعلان المفاصله معهم والبراءه منهم فهم بنظر الاسلام كفارا لايجوز مولاتهم فلعل البعض تسال في نفسه كيف نعتبر اليهود كفارا وهم لم يشركوا كما اشركت العرب والنصاري فهم لم يعبدوا الأصنام ولم يفعلوا كما فعلت النصاري حينما عبدت عيسي عليه السلام ف اليهود سموا (عزير) ابن الله ولكنهم لم يعبدوه كما عبدت النصاري عيسي فجاء الرد

اولا

صحيح أنهم لم يشركوا في العباده كما فعلت النصاري لكن اليهود مع هذا لم يعبدوا الله وهم يكفرون ببعض الا نبياء وبما جاوا به من عند الله ويكفرون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقتلوا طوائف من الأنبياء ظلما وعدوانا فهم لم يعبدوا الله وفقا لما أمرهم به وانما يعبدون الأهواء والشهوات والطاغوت فإذا كان النصاري مشركون يعبدون الله ويشركون به فإن هولاء لا يعبدون الله بل هم معطلون لعباده الله ومستكبرون عنها فكلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم كذبوه وحاربوه وقتلوه فهم عابدون لاهوائهم فهم وان وصفوا الله ببعض صفاته إلا أنه ليس في قلوبهم عباده لله وحده لأن ذلك لايكون إلا لمن عبد ربه بما امر أن يعبد ولهذا يخبرنا الله أن التعطيل شر اكبر من شر النصاري لأن كل معطل لابد أن يكون مشركا فاليهود رغم معرفتها عن عباده الله أكثر مما تعرفه النصاري الانهم لايعبدون الله فوصف الله النصاري الضالين أما اليهود فإن كفرهم أغلظ وأشد من كفر النصاري فإذا كان الله وصف النصاري بالضالين كما أخبرنا الله في الايه السابقه فإن الله قد وصف اليهود بأنهم مغضوب عليهم وعبر الله عن ذلك بقوله (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم) لبيان ان التعطيل شر اكبر من شرك النصاري يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معللا ذلك (لأن كل معطل لا بد أن يكون مشركا فالنصاري مع شركهم عبدوا الله واشركوا به لكن اليهود من اقل الأمم عباده لله ويعرفون ما لا تعرفه النصاري لكن بلا عباده بلا عمل بالعلم فهم المغضوب عليهم) فاللعن اشد ما يعبر الله عن مقتله وغضبه لأن الملعون هو المحروم من لطفه وعنايته والبعيد عن رحمته فهو طرد وإبعاد عن رحمه الله فكيف والحال أن هذا الطرد من رحمه الله ورد علي لسان دواد وعيسي عليهما السلامم فقال تعالي(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم)

فقد ذهب البعض للقول إن اللعنه علي لسان دواد حصلت لليهود عندما تجاوز الحد في الصيد يوم السبت حيث مسخهم الله الي قرده وخنازير كما قال تعالي في موضع آخر (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت)

وأما المثال الذين لعنوا علي لسان عيسي ابن مريم (فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذابه أحد من العالمين) والتبغيض (الذين كفروا) فاللعنه لم تعم الجميع بل لحقت بمن كفر منهم باعتبار أن من مسخهم الله في السبت فرقه منهم ...وكذلك فإن من خالف بشأن المائده هم البعض وهذا فيه

الأمر الأول

(موقف الانبياء من بني إسرائيل وموقفهم منهم) فاللعن فيها أنهم قد أقيمت الحجه عليهم بشهاده انبياءهم باقامه الحجه عليهم فالطغيان والاستكبار والعصيان والعدوان والتمالوا علي الفساد والافساد هو من خبث الطباع وخسه النفوس التي اتصفت بها اليهود واصاب الانبياء الإعياء في محاوله معالجه الداء الخبيث الذي كان سرطان منتشر فيهم فالتاريخ الطويل لبني إسرائيل ملئ وحافل بمحاوله الانبياء إنقاذهم وهدايتهم دون جدوي ولهذا ذكر دواد وهو آخر الأنبياء والمرسلين وبينه وبين عيسي أكثر من الف سنه الا أن الايه أردت بهذا الاشاره الي استمرار عصيانهم الله واعتداءهم عجز عن مدواتها الانبياء ومن شده ما وجدوا من اليهود من عناد فقد لجاوا الي الله بـ الدعاء علي اليهود فاستجاب الله لهم وكتب علي اليهود السخط والغضب

الأمر الثاني

تبين النصوص سبب استحقاق هولاء اللعن والطرد والأبعاد عن رحمه الله هو بسبب استمرارهم بالعصيان و العدوان فقال تعالي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

اي بسبب الكفر والعصيان لأوامر الله والاعتداء علي أحكامه فأشارت النصوص الي مساله في غايه الخطوره وهي أن رفض الانصياع لأوامر الله وعدم اجتناب نواهيه سببا لسخط الله وغضبه فالمنهج الرباني هو الذي يحدد ما تفعل وما لاتفعل وعندما ترفض الامتثال لما جاء فيه فإن هذا يوجب الطرد من رحمه الله ...فقوله تعالي (لعن الذين كفروا.....علي لسان دواد وعيسي ابن مريم) للاستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابسه كما قال

تعالي (اولئك علي هدي من ربهم) فقصد بها المبالغة في الملابسه انهم لعنوا بلسان دواد اي بكلامه الملابس للسانه اي في الكتاب المنزل عليه وهو الزبور وكذلك لعنهم علي لسان عيسي اي في الانجيل والجمله مستانفه استئنافا بيانا فجاء بعدها الاشاره (ذلك) مافيها بيان ملابسات موجبات هذا اللعن فأجبت أنه كان بسبب عصيانهم وعدوانهم اي لم يكن ذلك بدون سبب فافاد اسم الاشاره مع باء السببيه (بما) ومع وقوعه مافيه جوابا للسائل فجاء مجموع ذلك فيه القصر أي ليس لعنهم الابسبب العصيان والعدوان فأراد بهذا أن يبين لنا سنته تعالي في اهلاك الأمم أن العصيان والعدوان لما في منهج الله يوجب الطرد والأبعاد من رحمه الله وهذا اشد انواع العقوبات التي يجب الحذر منها

ثانيا

تكشف لنا الآيات قبائح اليهود فهم برغم معرفتهم إلا أنهم لم يعبدوا الله ولم يلتزموا بالمنهج الرباني الذي يحقق مراد الله وتنقل لنا الآيات صوره لحاله المقت والغضب الذي أصابهم بسبب رفضهم أن يكون المنهج الرباني هو الذي يحكم الحياه فقال تعالي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

فاستعمل (ما) المصدريه والحقها بالجمله الفعليه التي تفيد الماضي و المضارع العصيان والعدوان فصيغه الماضي للاشاره أن ذلك أمر قديم فيهم وصيغه المضارع أنه متكرر الحدوث والعصيان هو مخالفه أوامر الله والا عتداء هو ارتكاب المنكر بمخالفه منهج الله وعبر عن العصيان بالماضي لانه تقرر عصيانهم نتيجه فقدان مقاييس العلم بالشريعه بتسيس المنهج وفقدان المنهج التربوي والدعوي منذ زمن بعيد وعبر عن الاعتداء بالمضارع لبيان ان ذلك أمر مستمر ومتجدد الحدوث لان الاعتداء تبدأ بنقض قيم الحكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (لتنقض عري الاسلام عروه عروه كلما نقضت عروه تمسك الناس بالتي تليها) حيث أن ذلك يكون فساد ناتج عن سوء اختيار الوسائل والبدائل فالله ذم اختيار اليهود فقال (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير) ولهذا فإن هذا يعني الهبوط والانحدار الي أسفل السافلين فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه ورب مصل لا امانه له) فدلت الايه أن هولاء في انحدار بالقيم وأنهم في انحدار مستمر ومتجدد مدمر للأخلاق والقيم حتي وصل بهم الأمر الي أنهم صاروا ينظرون إلي المعروف منكر والي المنكر أنه معروفا فاستعمل المضارع في التعبير عن العدوان علي منهج الله اشاره الي انه كلما تقدموا في الحضاره الماديه يحصل لهم انحطاط القيم الروحانيه فيهم ولهذا يقول تعالي (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

الأمر الأول

تبين النصوص حالهم الذي اوصلهم الي هذه المنزله من الانحطاط في القيم والمبادئ حيث أن الانحطاط قد دمر كل القيم الأخلاقية والإنسانية تدريجيا حتي وصلوا الي مرتبه من الدناءه فاستحقوا اللعن حيث أن العصيان و العدوان صار سلوك وأعمال يتصف به جميع اليهود أو أغلبهم فالأمر ليس عمل فردي بل صار صفه تميز بها هولاء فالمساله ليست لبعض من الشوذ بل صار المطيعون هم الذين ينظر إليهم أنهم حمقاء لقلتهم فقد صار الشر يجذب الناس إليه كان هنالك قوه قاهره تضطرهم إليه رغما عنهم فاخبرنا الله أن هذا يعود إلي السكوت عن إنكار المنكر في المجتمع لايبالي بمن يرتكب القبائح ولايوجد من ينهي عن المنكر فقال تعالي (كانوا لايتنهون عن منكر فعلوه) جواب لمن قال لما سمع (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) كيف يكون لامه كلها أن تكون متماليه علي العصيان و العدوان فقال تعالي (كانوا لايتناهون ...الخ

وذلك لأن المباشر في بدايه الامر إنما يبتدي بها واحد من الناس اي النفر القليل فإذا لم يجدوا من يقف مدافعا عن القيم وحارسا للمبادئ فإن هذا يغري الفاسدين علي ارتكاب الجريمة حتي تصبح مالوفه في الحياه وتتحول من أفعال شاذه الي ظاهره اجتماعيه ومع مرور الزمن ينظر إليها أنها أفعال حسنه وينظر الي الذين يتجنبوا هذه الأفعال أنهم حمقاء ومتخلفون ونحن نشاهد في. واقع الامه الاسلاميه اليوم الكثير من العادات القبيحه التي أصبحت ظواهر اجتماعيه طبيعيه مع انها غريبه عنا وهي من المناكير التي تتعارض مع ديننا الحنيف وهو ما

يجب الإنتباه له حتي لا تصيبنا اللعنه التي أصابت اليهود ولهذا جاءت النصوص بالتعقيب الذي فيه التعجب من حـ الهم علي سبيل التقريع والتبكيت لهم (لبئس ما كانوا يفعلون) والتوبيخ بامرين ١ أنهم كانوا تاركين النهي عن المنكر

٢أنهم كانوا يفعلون المناكير

الأمر الثاني

أن الايات ترسم صوره قبيحه لمن يسكت عن المنكر لتجعل المومنين ينظرون إلي اليهود وأفعالهم بالبغض و الكراهية فيحذرون الوقوع فيها فأخبرهم أن ما حصل لليهود إنما حصل لانهم (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) أطلق التناهي بصيغه المفاعله علي نهي بعضهم باعتبار مجموع الامه فاعله للمنكر مع أن الفاعل هم البعض وهذا لأن الدعوه والأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل مانهي عنه هي أصل المنهج الرباني فهي تتناول (الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر) وهي واجبه علي كل من بلغه أمر الله ونهيه وأحكامه ومجموع الامه مسؤوله عن الأ مر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا تقاعست أو تهاونت في الأمر فإنها إن لم تنهي عن المنكر تكون مشاركه في هذا المنكر وهي مشاركه في فعله وان لم تفعله لان ترك النهي عن المنكر لايخلوا من الرضي به والاسلام يريد استئصال البواعث والدوافع التي تبعث علي الشر ويجعل المسؤوليه جماعيه علي جميع أبناء المجتمع من خلال محاصره جوانب الشر ودوافعه فيجب أن يكون المجتمع كله شاعرا بخطوره انتشار وتفشي المنكر علي الأجيال ليكون محاصرته والقضاء عليه قبل أن تتسع دائرته وقبل إن تتحول الأفعال الشاذه الي ظواهر تعصف بالجميع فلا بد أن يكون هنالك حساسيه في المجتمع من المنكر والشعور بالمسؤولية فلايقول اي مسلم انا ليس دخل وليس لي شأن بالآخرين طالما أنني لا أفعله فما شاني بالآخرين ؟

انتبه من هذا السلوك فسوف يشملك العقاب الذي سوف يحل بهم ولن يكون العقاب محصورا بمن فعله ولن تكون تاركا له مالم تنكر المنكر فأنت في حكم الفاعل لانك ساهمت في تسهيل انتشار الفساد ولم تنظر لنفسك انك خليفه مكلف من الله مباشره بمحاصره الفساد والقضاء عليه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فخالطوهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله بعضهم ببعض فقال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متكاء فجلس فقال لا والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتاخذون بيد الظالم حتي تاطرهم علي الحق اطرا ..الخ

فليس الأمر مجرد الأمر به فقط بل اللازم المقاطعه والكف بالقوه ودفع الشر أن كان ذلك باستطاعتك

وذكر أيضا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أول ما دخل النقص علي بني اسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول له اتقي الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك ثم يلقاه في الغد فلا يمنعه ذلك أن يجالسه ....الخ فالإسلام يأمر المسلم أن لايقف من الأحداث موقفا سلبا وان عليه أن يكون عنصرا ذو فاعليه ومساهم في إصلاح المجتمع فالكل مسؤول عن اختلال نظام المجتمع المسلم فلا يترافع عن تقديم النصيحه أو المشوره أو قبولهما وهذا ما يجعل المجتمع المسلم متماسك ومحافظا علي القيم والمبادئ وحارسا لها من أي عدوان أو غزو يحاول طمس هويه الامه ويمنع تراجع ثقافه الامه أمام الغزو الفكري الذي يسعي الي نشر المناكير وطمس هويه الامه وإخضاع ثقافتها لتذوب شخصيتها في ثقافه الانحلال التي تهدف عزل الامه عن مصدر قوتها وسر بقاءها ولهذا يذم القران من ينسحب من القيام بمسؤوليته العامه وواجباته تجاه منع انتشار المنكر فلابد أن تصدع بالحق وتقاوم الباطل وتصلح الفاسد بالقدر الذي تستطيع أن تقوم به وبهذه الأسس بني الإسلام الشخصيه المسلمه المسؤوله و المبادئه

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الإنسان لايسلم من الوقوع في الخطأ فكل ابن ادم خطاء وخير الخطاءين التوابين ولهذا فإنه إذا كان المجتمع نابضا بالحياه وغيور علي محارم الله فإنه لايقبل أن يري فرد من أفراد ه غارقا في المعاصي ملوثا بالخطيئه ولهذا فإن الحميه علي دين الله تدفع جميع أفراد

المجتمع للتصدي لأي منكر فالله يقول (المومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دواعي الوصول إلي رحمه الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود وان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دواعي السخط الإلهي والطرد من رحمته سبحانه وتعالى

وان المعروف ليس ما تعارفت عليه المجتمعات ولا مارضيه الناس لحياتهم لان كثير من ما يختاره الناس يكون فيه ضررا فقد يري البعض أن الخمر لذه وينكرون خلوا المجالس منها ويري البعض أن الزنا ليس عيبا مالم يكن علي فراش الزوجية ولهذا فإن المعروف هو كل ما أمر الله وان المنكر هو كل ما انكرته شريعه الله وهما لا يتعارضان مع الفطره المستقيمه والعقول السليمه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقابه ثم تدعون فلا يستجاب لكم)

واذا نظرنا الي واقعنا نجد اننا ندعو الله أن يرفع عنا البلاء وان ينصر المسلمين ولايستجاب لنا فلماذا لانسال أنفسنا لماذا هذا لماذا لانقف عند مدلول الحديث ونبحث عن جوانب التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنصل الي الخلاص من العقاب والبلاء

الأمر الرابع

ماذا يحتاج من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ؟

اول أمر يحتاجه الأمر والناهي أن يكون فقهيا فيما يأمر به وما ينهي عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهي عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهي عنه) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:-

فالفقه قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليعرف ماهو المعروف وليعرف ماهو المنكر ____والرفق عند الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر ليسلك أقرب الطرق التي يحصل بها المقصود _____"والحلم بعد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ليصبر علي اذي المأمور والمنهي فإن أكثر منم يحصل منهم الاذي عندما تأمره بالمعروف أو تنهي عن المنكر ولذلك يقول تعالي (وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر علي ما اصابك) وقال تعالى (واصبر على ما يقولون) وقال تعالي (قم فانذر وربك فكبر وثيابك فكبر والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فاصبر) وقال تعالي (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا علي ماكذبوا واذوا حتي آتاهم نصرنا) وقال تعالي (ولتبلون في أنفسكم واموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثير وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) وقال يوسف (انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا أنه من يتقي ويصبر أن الله لايضيع اجر المحسنين) فالتقوي تتضمن طاعه الله وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر يتناول الصبر علي المصائب التي منها اذي المأمور المنهي للأمر والنهي

لكن للامر الناهي أن يدفع عن نفسه ما يضره كما يدفع الإنسان نفسه الصائل الجائل أن كان في مقدوره فقد ورد عن عائشه رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم ماضرب بيده خادما له ولا امراه ولادبه ولاشيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولانيل منه فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شي حتي ينتقم لله) فقد تضمن خلقه العظيم أنه لم يكن ينتقم لنفسه اذا نيل منه لكن إذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شي حتي ينتقم لله ومعلوم أن اذي الرسول صلى الله عليه وسلم من أعظم المحرمات فإن من أذاه فقد اذي الله وقتل سابه واجب باتفاق الامه

ومع ذلك يبين أن الحديث أن حدود الحلم ليس مطلقا فإذا حصل التعدي علي محارم الله وجب علي المومن أن ينهض لمواجهه هذا التعدي لأن المتعدي لحدود الله مستحق العقوبه قال تعالي (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتي يأتي الله بأمره)

أما حق الادمي فله أن يعفوا اما حق الله فلا عفو فيه فشرع الله لايجوز العفو عن الذي يتعدي حدود الله والصبر مأمور به مطلقا أما العفو والصفح فقد جعل الي غايه (حتي يأتي الله بأمره) فلما اتي بأمره بتمكين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصره وصار قادرا علي الزمهم بالأمر بالمعروف ومنعهم من المنكر فإن منعه يكون باليد فالجهاد لأ جل كلمه الله واقامه دين الله وليس للعبد حظا شخصيا لانه باع نفسه لله وبالتالي فأنت اذا قمت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعرضت للاذي فاصبر علي ذلك أما إذا كان المأمور المنهي معتقدا أن اذي الأمر الناهي أنه جائرا له فهو من المتاولين وحق الأمر الناهي دخل في حق الله تعالي وبالتالي وجب عاقبه ولا يكون العفو فالعفو عن حق الإنسان حقا للإنسان أما حق الله فيجب استفاءه بحسب الامكان قال تعالي (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا (وهم ينتصرون) يمدحهم بأن فيهم همه الانتصار للحق والحميه له ليسوا بمنزله الذين يعفون عجزا وذلا بل هذا مما يذم به الرجل والممدوح العفوا مع القدره والقيام لما يجب من نصر الحق لا مع إهمال حق الله وحق العباد وبذلك يزال المنكر والشرور وبهذا يكون تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر

ثالثا

(تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير ا منهم فاسقون)

المبحث الأول

أن أول مايشد الإنتباه أن الايه الكريمه ابتدأت بتوجيه الخطاب الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا)

بعد أن تناولت الآيات قبلها تاريخ وماضي وسجل نشاط بني إسرائيل في القياده الدينيه وكيف تعاملت مع الا نبياء الذين هم قدوه الأمم ومع الكتب السماوية التي أنزلت عليهم باعتبارها مصدر الإلهام فاخبرنا الله أن الأ حداث التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل كلها وعلي مدي العصور الممتده من عصر القوه والعز والتمكين علي يد دواد العهد الجديد الي عيسي عليه السلام كونه اخر رسل بني إسرائيل لاتختلف عن العهد القديم السابق ذكره في بدايه السوره في عهد موسي عليه السلام فقد كانت الأجيال المتعاقبة تتناقل لعنه سوء الاختيار للبدائل التي اتصفت بها اليهود أن التاريخ يكشف خسه ولؤم اليهود وأنهم عديمي الاخلاق فلم يحترموا القدوه الحسنه فقد كذبوا الرسل والأنبياء وقتلوا البعض الآخر فامه لاتحترم قدوتها ويصل بها الطغيان الي التدخل في المنهج الرباني لتبديله وتحريفه وتطويعه لاهوائها جعلت الانبياء الذين أرسلوا إليهم يصلون الي درجه الياس من صلاح هكذا شعب فاستحقوا اللعن والطرد والأبعاد من رحمه الله تعالى لماذا لأن امه اليهود لها الرياده في عالم الكفر والفسق والجنوح عن الأديان من مخالفه قوانين الانبياء في شؤون الحياه ومعارضتهم الرسل والأنبياء ويرفضون القبول بـ الحق اذا خالف اهوائهم والتحريف المتعمد لكلام الله والافتراء علي الله ورفضهم لاختيار الله وجحود انعام الله عليهم وجاءت النصوص متخصره ذلك في جمله أنهم لعنوا بلسان دواد وعيسي ابن مريم نتيجه ثقافه التمالوا علي انتهاك حدود الله ومحارمه لان هولاء اتخذوا الدين نسب ينتسبون إليه فابتعدوا عن جوهر الأديان وعن مبادئ وقيم الدين فهم لامبادي ولاقيم ولاعلاقه لهم بالاديان لان مثل تلك النظره للدين ولله قادتهم الي تصور محدود للإله فاعتبره خاص بهم وعندما يوصف بالرحمه فإنهم ينظرون أن رحمته قاصره بهم دون غيرهم فهو بنظرهم اله رحيم بهم فقط وقاس علي غيرهم من الأمم فانتحت هذه الثقافه صوره مشوه عن الدين والتدين

وعن الرب فنسبوا لانفسهم أنهم شعب الله المختار وانهم أبناء الله واحباءه وان لم يمتثلوا لأمره وان خالفوا نواهيه واصاب هذه الامه قساواه القلوب و حصل التمالوا علي المنكر وكان ثمرته الانحطاط وعدم المبالاه بموعظ الانبياء والمرسلين فاستحقوا اللعن ولهذا فهم راسخون في التمرد والعصيان علي أوامر الله و هنا يعطينا الحق سبحانه وتعالى الدليل الواقعي من خلال الانتقال الي الزمن الحاضر فقال تعالي (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا)

المساله الاولى

انك يامحمد تشاهد خسه ولؤم اليهود وقساواه قلوبهم وانهم لاقيم ولامبادي ولاعلاقه لهم بالاديان هو أنك تشاهد هولاء يتحالفون ويتعاونون مع المشركين الذين يعبدون الأصنام ضد الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم الذين هم موحدون ويومنون بالله وبالتوراه والإنجيل وعيسي وموسي بالتالي فإن مولاه اليهود المشركين وتاليب الوثنيون ضد الإسلام كما حدث في غزوه الخندق يدل أن هولاء قد انحرفوا عن عقيده التوحيد وهذا دليل علي دناءه وخسه نفوسهم

المساله الثانيه

تبين النصوص أن أفعال اليهود مقيته توجب اللعن فأنت تشاهد أنهم يبذلون جهودا كبيرة لاظهار ولاءهم لحزب الشيطان (المشركون) ولهذا استعمل (يتولون) وهي تحتاج إلي جهد لأن الإنسان صاحب الفطره السليمه ومن يحمل القيم والمبادئ يجد صعوبه في تجاوز الحواجز التي تفصل بينه وبين حزب الشيطان فأشارت النصوص الي أن هولاء لايجدون صعوبه في ذلك لقساواه قلوبهم وانما الصعوبه تكمن في أنهم يبذلون قصارى جهدهم لا ظهار أن المشركين افضل من المسلمين فقد ذكر الله تعالى في موضع آخر أنهم قالوا (ويقولون للذين كفروا اهولا ء اهدي من الذين آمنوا سبيلا)وهنا يقول الحق سبحانه وتعالي (يتولون الذين كفروا)اي مجتهدون في ذلك مواظبين عليه ولااحد منهم ينهاهم عن ذلك مع أنهم يعلمون أن هولاء صالون والحال أنهم كانوا يستبشرون بقدوم النبي الخاتم الذي كانوا ينتظرونه وكانوا يدعون الايمان به ثم خالفوه فهذا هو حاضرهم الذي هو امتداد لماضيهم فهذا دليل علي اتباعهم اهوائهم فقال تعالي (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)

يذم الله أفعال اليهود فهي تدل أنهم بلا قيم ولامبادي ولاعلاقه لهم بالايمان لان التعاون إنما يكون علي الخير والإ صلاح في الأرض ومع أهل الخير وليس علي الشر ومحاربه الخير ليس علي الافساد في الأرض فالنفس تميل الي ما يناسبها وما اعتادت عليه فهي نفوس دنئيه وجبلت علي استبدال الذي هو ادني بالذي هو خير وخص النفس لبيان ان هذا يعود إلي خسه النفوس وأنها خاليه من الهمه لأنها ضعيت القوه ويسخر منهم لأنهم يدعون أنهم أبناء واحباءه فمن يحب الله تكون همته عاليه يقدم من الأعمال مافيه رضاء المحبوب وما يقربه منه يستعد للقاء الحبيب لكن هولاء يسلكون طريقا يوصلون الي سخط الله وغضبه

ولهذا فإن حصيله حركتهم ونشاطهم أنهم استحقوا غضب الله (أن سخط الله عليهم) اي وقع عليهم سخطه بجميع ما له من عظمه وقوله (عليهم) فيها أن مجرد وقوعه تنخلع له النفوس لانه جدير بكل هلاك فقال تعالي (وفي العذاب هم خالدون) اي العذاب الكامل في الدنيا والآخرة ففي الدنيا باعتبار أن تعلقهم بها عذاب بحد ذاته ولأن جهنم هي نار منبعها غضب الله ثم تشتعل بالمعصيه لتسيطر علي القلب فالحاسد يحترق قلبه بنيران الحسد لانه يصير عبدا الدنيا ومن خدمها وعبيدها فتذله وفي الاخره جاء الوعيد بالعذاب في نار جهنم التي تحيط بهم من كل مكان علي الدوام بلا انقطاع فالايات فيها

١

أن الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المسلم أن تنظر إلي أفعال اليهود علي سبيل البغض والكراهية فتحذر

الوقوع فيما وقعوا فيه فالمولاه لاتكون لأعداء الله والمسلم يسعي الي الاستعداد للقاء الحبيب بالهمه العاليه والأ عمال الصالحه التي تقربه الي الله وهذا إنما يقطع بالسير بالقلب والهمه والأعمال الصالحه

٢

أن الحق سبحانه وتعالى يريد تربيه المومنين علي اليقظه الدائمه لكل تصرف من قول أو عمل يقومون به ليكون موافقا لما أمر الله تعالى به فيكون المومن في حاله حذر من المخالفه لانه يخاف أن يدهمه الموت وهو علي المعصيه فماذا يقول لربه هل يلقاه وأعماله ورصيده معاصي وذنوب ؟؟؟؟

فالشعور بالوقوف بين يدي الله وأنك مسافر الي الله والدار الآخرة يعني تبادر الي الأعمال الصالحه التي يكون فيها إرضاء الله فلا شفاعه للانتساب بصله الدم والنسب للصالحين وانت توالي الكفار وانما الذي يشفع لك هو العمل الصالح الخالص لله الذي يقربك الي الله ورحمته والطافه وعفوه فتقوي الله هو سياج يحمي منظومه القيم الاسلاميه الممتده في حياه المسلم بكل أبعادها وجوانبها والقوه التي تحميها نابعه من داخل نفس الإنسان ولهذا فهي لها قوه في توجيه السلوك للفرد والمجتمع كله اقوي من كل القوانين لأنها تنبع من الشعور برقابه الله علي أفعاله ومن الرغبه في نيل رضا ء الله وحبه والقرب منه

المبحث الثاني

يخبرنا الله أن هولاء لا علاقه لهم بالاديان وانهم خارجون عن دائره الايمان والأديان فقال تعالي (ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير ا منهم فاسقون)

أن هولاء لم يومنوا بالله حقيقه فهم وان اقروا بوجود الله إلا أنهم لايرقبون الله ولايشعورن بوجوده فالإيمان ب الله إنما يكون بالشعور برقابه الله وخشيته وهذا إنما يكون بالتقوي لتكون الفاعليه للحركه ايجابيه وفق منهج الله تعالي وهولاء الاحساس لديهم متبلده وفاعليتهم سلبيه فلم يصل التوحيد الي أعماق النفس الداخليه وهم لا يومنون بموسي عليه السلام ولم يكونوا مومنين بالتوراه والإنجيل والكتب السماوية لأنها تنهاهم عن مولاه الكفار فهي وان اختلفت في الفروع الا انها كلها تتفق في الأصل التوحيد الذي حمله جميع الأنبياء والمرسلين الي اقوامهم وجاءت به الكتب السماوية ومن ذلك أن يكون الحب في الله والبغض في الله فالولاء والبراء من الأمور المرتبطه بالتوحيد التي دعت إليها جميع الكتب السماوية بلا استثناء ولهذا يستدرك ذلك بقوله (ولكن كثير ا منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعه الله فهم تابعون لمدرسه الشر الشيطانية ابليس اللعين وقد خرجوا عن دائره الايمان عندما رفضوا القبول بالالتحاق بالإسلام وفضلوا التحالف مع الوثنيون والمشركين فلا علاقه لهم بالإيمان وبالتالي فلا قواسم مشتركه بينهم وبين المسلمين فلا تقول أن هولاء لديهم كتب سماويه وانهم يومنون بالله وبموسي والتوراه ونحن أيضا نومن بالله والأنبياء بما فيهم موسي ونومن بجميع الكتب السماوية بما فيها التوراه فالله يقول لك ان هولاء لم يومنوا بالله حقيقه ولم يومنوا بموسي ولا بالتوراه لانهم أثروا الدنيا واستحبوها ولهذا كان من الطبيعي أن يقول هولاء علي الله غير الحق فهولاء نظروا للدين من زوايه الرئاسه و السلطه والأهواء والشهوات فاصابهم العمي عن رويه الحق فضلا عن أن أحكام الشريعه غالبا مما تتعارض مع أغراضهم ولهذا لابد لهم من انتهاك حدود الله فتلبيه رغباتهم لاتكون الا بدفع ما يضاده من الحق فالايات تبين لنا ا لآتي

١

ان الإيمان الحقيقي يمنع من التوالي لأعداء الله ولايقبل المومن مولاه المشركون فالمومن يحب المومنين ويبغض الكفار لانه يعلم أن مولاه الكافر موجب لسخط الله لأن مولاه الأعداء موجب لمعاداه أولياء الله واالمومن الكامل يتطلع الي مولاه المومنين الصادقين ويبعتد عن الفجار الكاذبين

٢

فالإنسان الكامل الذي يصلح لأن يحظي بالطاف الله وتوفيقه هو الذي يكون قابلا للحق وان تعارض مع اهواءه فهم يزددون بالحق قوه وصلابه فحركتهم وفاعليتهم تدور مع الحق اينما وجد الحق وجدتهم

٢

أن المومن لايقبل المداهنه في العقيده لأن ذلك السلوك من أفعال الفجار الكفار ولهذا فالمومن يراقب الله في أقواله وأفعاله ولايقبل المداهنه في دين الله لانه يعرف نفسه بضعفه واختياره ويعرف ربه بعظمته وكبرياءه وأنه الغني الحميد ولهذا كلما ازداد علما ازداد خشيه وخوف من الله فيكون حريصا علي طاعه الله وحريصا علي ما يرضا الله فهو يري نفسه مسافرا الي الله والدار الآخرة ويريد أن يقدم لنفسه ما يحرزها في الاخره فلا يرتكب المعاصي التي تسخط الله فهو يحرص علي إرضاء الله خوفا من العذاب وطمعا فيما عند الله

٤

أن الشخصيه الايمانيه هي التي تهيمن عليها عقيده التوحيد فيتجنب الوقوع في التناقض الذي يتعارض مع وحده التصور التي ينطلق منها المومن في الحياه وأنه يتلقي الاوامر والنواهي من الله فكل شئ مرتبط باصلها العقائدي التوحيد ..وهذه الشخصيه لديها النموذج الذي تلتزم الاقتداء به وهو النبي الذي أرسله الله إليهم فحب الله يوجب حب نبيه والاقتداء به فلا يتوالي الأعداء لان قلبه عامر بالإيمان ويستمد عزته من الحق وعبوديته لله التي حررته من الطمع فيما عند غير الله كالذي يستمد عزته من مال و جاه والسلطان كما هو حال اليهود فإن هذا الانحراف يعني أنهم لاعلاقه لهم بالايمان فالصله بالله وإحساسه بتلك الصله لو وجدت لادت الي قطع الصله بالكفار فما يريد من القرب من المشركين من كان مستند الي اقوي الأقوياء فهو لو أمن حقيقه لما عاش في حيره الطريق لانه سوف يدرك طريق الهدايه والتوفيق والسداد والرحمه فيكون مطمئن باختيار الله ولن يقف محاربا لدين الله من أمن حقيقه بل سوف يكون لبنه من لبنات هذا البناء الايماني الشامخ يدفعه الايمان الي الالتزام بأمر الله يستحضر دائما قول الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)لايغفل عن مراقبه الله في السر والعلن فهذه هي صفات الشخصيه الايمانيه اذا لم يخالطها الظلم والفساد وحب الدنيا وشهواتها فإن ذلك إذا خالطها يصير تابعا للشيطان وتنقطع صلته بأهل الايمان ويكون من الفاسقين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السابع من سوره

المائده

(لتجدن اشد الناس عدواه للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لانومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب الجحيم)

اولا

بعد أن تناولت النصوص أحوال اليهود وما يعرف عنهم من المكابره والعناد وشده العدواه للإسلام فقال تعالي (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) مرتين وقال تعالي (واذا جاءكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) وقال تعالي (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) وكان الحق ذكر أيضا فساد عقيده النصاري وانهم اشركوا بالله وعبدوا عيسي وقالوا إنه اله ...وأمرنا بعدم اتخاذ اليهود والنصاري أولياء فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء)

وجمع الحق سبحانه هولاء جميعا في الكفر مع المشركون لان كلهم ارتضوا منهج الشيطان ورفضوا منهج الله في النصوص تبين لنا أن الناس عندما بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا علي اتجاهين

١

أهل الكتاب وهما صنفان صنف فسدت عقيدته وصار الي الشرك وهم النصاري وصنف لم يعبدوا الله وقاموا بتحريف الكتب السماوية وقتل الانبياء والدعاه الذين يامرونهم بالخير وهولاء هم اليهود

٢

المشركون وهم عده أصناف حيث كانت هنالك امم وثنيه تعبد الشمس والنار كالمجوس ويعبدون النجوم وملحدون بلا دين يعبدون الهوي

وهناك مشركون العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام والازلالم

وعندما جاء الإسلام دمج القران منهج الكفر في كل الوجوه بوجه واحد وهو الكفر فربط بين منهج الكفر و الشيطان فقال تعالي في الايه السابقه (ولكن كثيرا منهم فاسقون)

والفسق هو موقف ابليس المتمثل بموقف الشيطان عشيه رفضه السجود لادم فقال تعالي (ففسق عن أمر ربه) وقد ذكر الحق في هذه السوره قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فهناك حزبان حزب الله وحزب الشيطان

ولهذا نجد أنه بعد كشف الله حقيقه اليهود وارتباطهم بالكفر ومولاه المشركون وتعاونهم مع أعداء الإسلام وتناول سجل نشاط أهل الكتاب وماضيهم التي كشف بها أن طبيعه اليهود راسخه في التمرد والعصيان فهي راضيه ومتمالاه علي ارتكاب المناكير وقد أعيت الانبياء وعجزوا عن مدواه داء وافات اليهود وخسه نفوسهم فهي مجتمعات متصلبه بطباعها وراضيه ومقتنعه بطبيعتها المتمردها وتقاليدها التي صنعتها أحوال الذل والهون التي

عاشتها تحت هيمنه الوثنيه الفرعونية فشكلت دناءه اختيارها الحقير تلك الصفات التي اتسمت بها ثم جمدتها احكام طباعها وتورثت الأجيال هذه التقاليد بسهوله الإتباع ومنطقيه التقليد فكان تواصل التخلف من الطبيعه وفي الطباع ولهذا لم ينجح الرسل والأنبياء في تطوير طبيعه اليهود لانه لم توجد لدي اليهود استعداد لتطوير طباعها لأن طباعها المتخلفه اوجدتها ظروفها المتخلفه التي عاشتها تحت هيمنه الوثنيه الفرعونية فأصبحت بمرور الزمن سلوكا عاما متلائما مع الطبيعه المتخلفه فكانت دافعا خطيرا علي استمرارها ولهذا لعن هولاء القوم علي لسان دواد وعيسي ابن مريم فقد وجد الرسل والأنبياء جمود ا فكريا وتمسك منهم بغلاظه الحس وقساواه القلوب وحب الدنيا فقد سيطرت عليهم ذهنيه الحياه التي اعتادوا عليه في زمن الفراعنه وشكلت عائقا أمام التقدم والتطور الذي حاول الانبياء الارتقاء ببني إسرائيل فهم غير قابلون للتطور ولا يتطلعون الي ما عند الله ومقتنعون بحياه الهون والذل لايرغبون بحياه الكرامه لأن هولاء سيطر عليهم الارتباط بقيود الذكريات المرتبطه بحياه الاستعباد في مصر حيث ظلت تشدهم الي التخلف وهم يتشبثون بواقعهم الذي عاشوه ويرفضون الانطلاق وكذلك فإن حال المشركين كانوا غير راغبون بالتطور والتقدم وكانوا متمسكون بالعادات والتقاليد التي ورثوها عن أجدادهم واسلافهم فإن تلك الظروف شكلت العقبات التي اوجدتها عقيده التقليد وصنعها الطباع في طريق التفكير

فكلاهما كان يعارض الاسلام من منطلق الحرص علي الدنيا والخوف من أن تسلب مصالحهم وسلطانهم وقوانينهم حيث أن اليهود كانوا قد اتخذوا الدين وسيله لكسب الامتيازات والاحترام بين الأمم وكذلك فإن المشركون كانوا يخافون من ضياع الامتيازات والاحترام التي حظوا بها بادعائهم الانتساب الي ابراهيم وان الكعبه فيهم فقال تعالي في موضع آخر (أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا) واليهود كانوا يخافون من فقدان الرئاسه والقياده الدينيه وكلاهما كان قد اصابه داء الحسد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من اليهود والمشركين حسدوا الرسول لأن الله االختاره من بينهم ولهذا وصف كلاهما بالشده في العدواه بعد ذكر أحوال اليهود ونشاطهم المذموم من قتل الانبياء ومولاه المشركون وتعاونهم علي محاربه الاسلام وهذا فيه

الأمر الأول

تكشف النصوص أصناف الأعداء وطريقه تفكيرهم وماضيهم بعد أن أوجبت علي المومنين بعدم مولاه اليهود و النصاري والمشركون والكفار عموما فان الحق سبحانه وتعالى يريد بهذا تربيه المومنين وتزويدهم بالخبرات و المهارات لمواجهه الازمات التي قد يحدثها الأعداء ويدلهم علي كيفيه تفتيت الازمه ومواجهة التحديات فأول خطوه أن عليك أن تتعرف علي القوي الصانعه للازمه من خلال جمع المعلومات المتوفره عن كل منها ومعرفه المصالح التي تربطها ببعضها ولهذا فإن عليك أن تفهم طريقه تفكير عدوك ونفسيته ولهذا أخبرنا الله بماضي اليهود البغيض وقد منحنا الله معلومات كافيه عن طبيعه هذا العدوا وكيف يفكر وما هي وسائله وسلاحه التي تسعي لابطال منهج الله ومخالفته فهم اعتادوا علي التمرد والعصيان والتجرو علي الله دون خوف ونقض العهود والمواثيق وبالتالي فإن القران عندما يحكي تاريخ هولاء في هذا المقام فإنما يريد منك أن تدرك شده بغض اليهود للإسلام فلا تثق لهم ولا تغفل عن سد الثغور وتحصينها بالعده المانعه والدافعه حتي لا تظهر الثغرات أمام هولاء فهم يسعون الي النيل من الإسلام فيجب أن تجعل هذه المعلومات التي اخبرك الله بها عنهم امام عينك وان تستعين بها في إعداد جدوال الدراسات عن مخططات هذا العدو وان تستعد لمواجهه كل ما يمكن توقعه منه فأنت بحاجه الي تأمين المعلومات والبيانات والممتلكات ومنع اختراق العدولها من خلال تحصين الثغور وهذا إنما يكون من خلال معرفه نقاط الضعف في الموسسه أو الدوله وان تضع تصورا عن الازمات المتوقعه وهذا يتطلب منك معرفه العدو ومعرفه منشأ الازمه والبوعث التي تدفعه لاثاره الازمات فقد ينشأ بسبب فكري فاليهود لديهم خلل فكري حيث يعتقدون أنهم بقتل الآخرين يتقربون الي الله ويعتقدون أن خيانتهم للامانه في التعامل مع غيرهم من الأمم غير معاقب عليه وقد يكون ناتج عن خلل اقتصادي أو سياسي وبالتالي فلابد من دراسه القيم الفكريه والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمن نتعامل معهم ثم نتوقي عوامل الازمه لنكون قادرين علي تقدير الموقف لمواجهه الازمات ولهذا لابد من التعرف علي القوي الصانعه والمسببه الازمه وهذا إنما يكون

بتصنيف هذه القوي الي فاعله والقوي المؤيده والقوه الداعمه تدرس كيف يمكن اضعافها وأيهما تبدا بمواجهته وماهي الأساليب التي تسلكها مع كل فريق منهم ولهذا نجد الايه ابتدأت بأسلوب القسم (لتجدن) يامحمد وهو خطاب لكل المومنين

واستعمل (تجد) من خلال النظر أن واقع اليهود أنهم يتصفون بشده العدواه والبغضاء للإسلام فهذا الحكم الذي أفصح عنه ليس حكما معلقا علي شرط بحيث أن وقوعه مرتبطه بالشرط ليس الأمر كذلك فأنت تجد أي تري اثاره ظاهره للعيان فهذا حكم مطلق لكل اليهود فاستعمل تجد تري تبصر ثم جاء بنون التوكيد فهذه هي طبيعه اليهود في كل زمن ومكان ولهذا قدم ذكر شده عدواه اليهود علي المشركين لان المشركون من صنع اليهود وافسادهم في الأرض ولأن اليهود سعوا الي اغراء المشركون لمخالفه منهج الله ولان اليهود أهل كتاب وكان يفترض بهم أن يبادروا الي الالتحاق بالإسلام فأراد الاسلام اظهار شده عدواتهم وأنها تفوق شده بغض المشركون للإسلام فلا تغتر بكونهم أهل كتاب فالتاريخ حافل بمكائد اليهود ومفاسدهم ومحاربتهم للإسلام فقد استخدموا شتي الوسائل والأساليب لصرف المومنون عن الإسلام وآثاره الشبهات وتحريض وتاليب الوثنيون ضد الإسلام وقالوا لهم (ويقولون للذين كفروا ا هولاء اهدي من الذين آمنوا سبيلا) والتاريخ شاهد علي ذلك من بدايه نشاه دوله الاسلام في المدينه المنوره حتي لحظه كتابه هذه السطور فانه يوكد خبث اليهود وحقدهم علي الاسلام والمسلمين فأنت تشاهد مذابح فلسطين العزل من قبل هذا الكيان البغيض ونحن نعلم أن معاناه العالم الإسلامي هو من صناعه اليهود والصهيونية العالمية التي سيطرت علي العالم وعلي مقدرات النصاري الذين فقدوا سلطانهم علي الكنيسة حيث سيطرت الصهيونية عليها واخضعتها لها

فالايه تبين شناعه صفات اليهود من الغلاظه وقساوه القلوب والكبر والعتو وفقدان العاطفه والمرواه والشهامه وهم اشر من المشركين لان المشركون كانوا ارق قلوبا من اليهود وأعظم شجاعه وأكثر حريه في الفكر والاستقلال ومن هنا ندرك خبث اليهود وحقدهم علي الاسلام

الأمر الثاني

أن النصوص ترسم للمومنين الخطه التي ينطلقون بها وتحدد لهم الخطوط والمحاذير في العلاقات الدولية مع اصناف الناس فتحدد لهم المواقف من الناس جميعا فالقران هو الذي كان تربيه المومنين به فوصلوا الي ما وصلوا إليه فإذا أردنا استرداد الامه لفاعليتها فعلينا أن نأخذ الدروس من القرآن ليكون هو القائد والمرشد والمحرك لنا في الحياه نخوض المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية بهذا المنهج فنسلك الطريق الذي ارشدنا الله أن نسلكها في القران الكريم ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد سرد ماضي اليهود وتاريخهم مع انبياءهم ثم جاء التعريف بأقسام وأصناف أعدائهم يهدف إلي تربيه المومنين علي كيفيه مواجهه الازمات فأخبرهم الله أن يكون التدخل العلمي لمواجهه الازمات وهذا يستوجب أن يكون لدينا مراكز دراسه وبحوث لدراسه القيم الفكريه لمن نتعامل معهم والحالة النفسية التي تشكل الغرائز المعبره عن طموحهم وتطلعاتهم هل هي ايجابيه في مد جسور التواصل والصداقه ام أنها سلبيه تهدف إلي استثمار طاقاتهم وملكاتهم وبذل أقصي قدراتهم للأضرار بنا أو بديننا أو بمعتقداتنا وهويتنا ليكون الإنتباه لاي علاقه تنشأ معهم وان كانت في مجالات الحياه العلميه البحته أو العلاقات التجارية والاقتصادية والصناعية والزراعية فيجب مراجعه كل تلك العلاقات علي الدوام والتأكد من عدم الاضرار بايدلوجيتنا وقيم ومبادئ الشريعة فلا نعرض الأمن الثقافي والقيم للحظات ضعف تمكن العدو من النفوذ الي مركز القرار في النظام الإسلامي والامه لتبقي الامه في يقظه دائمه لان مداخل العدو غالبا ما تكون من ثغرات بسيطه تغفل الامه عن وضع حراسه تسد هذه الثغور وهي تستخدم وسائل انسانيه في ظاهرها تظهر الرقه والرافه بالشعوب وهي في الحقيقة تبغض الشعوب المسلمه فالله يقول لنا لا تنخدعوا بالشعارات التي يظهرها اليهود من الانسانيه وحقوق الإنسان وغيرها من القيم والمبادئ التي يحاول هولاء استغلالها للتسلل الي كيان الامه لهدم مافيها من قيم ومبادئ تحفظ كرامه الانسان المسلم يريدون القضاء علي مصدر العزه والكرامه للمسلمين وهو القرآن الكريم والسنه النبويه فكان تقديم ذكر شده بغض وكراهية اليهود للإس

لام والمسلمين بما يفوق بغض المشركين للإسلام لان الصراع معهم سوف يستمر إلي قيام الساعه ولأن المشركين هو المشروع الشيطان الذي يسوقه اليهود لتمييع الشعوب المتدينه فهو من صناعه اليهود

ثانيا

(ولتجدون اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم لايستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا الا نومن بالله ومآ جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باءيتنا اولئك أصحاب الجحيم)

ماهو المراد بالنصاري هنا ؟ هل هم عموم النصاري ام طائفه منهم ؟ فنحن نشاهد اليوم وماضي الحروب الصليبية ما يفوق الوصف من حقد وعدواه من ينتسبون الي النصرانيه ضد الإسلام والمسلمين ؟

أنه بالوقوف علي مجموع الآيات نجد أنها تهدف الي الآتي

الأمر الأول

أن الايه ترشد المومنين الي اهميه إدراك الواقع ثم إدراك العلاج الذي يناسبه أثناء حمل المشروع الرباني وهذا يتطلب العلم بتشخيص الواقع لانه أساس العلاج وكل ذلك علم يحتاج الي درسه وخبره ولهذا فإن دراسه طبائع الشعوب من أهم الأمور التي يحتاجها الداعيه للقيام بأمر الدعوه فالله سبحانه وتعالى عندما أمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يبلغ ما أنزل إليه فقال تعالي (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...الخ

أعطاه صوره كامله عن الناس في وقت بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ومعتقداتهم وشرع الحق سبحانه وتعالى يفصل لنبيه فساد المعتقدات اليهود والنصاري والانحلال الأخلاقي والعقائدي لكل فريق وماوصل إليه الناس من الزيغ والانحلال والرذيله والانحطاط فبينت النصوص واقع كل الملل والنحل والمجتمعات ثم شرع الحق سبحانه يبين لنبيه اثار ذلك علي واقع كل طائفه فأخبر الحق أن اليهود والمشركين قد بلغ زيغ قلوبهم مبلغا فصاروا متمسكون فيما هم عليه ويتعصبون الي أقصي الحدود تعصبا شل حركه الفكر عن إدراك الحق ويعني عن رؤيه الحقيقه فهم مشددين للماضي غير مستفدين من دروسه أو غير مبالين بدروسه فلم يستفيدوا من تاريخ آباءهم وكيف أن أعراضهم عن الإيمان برسل الله واتباع منهجه ومعاداتهم للحق اوقعتهم في السخط الإلهي و الطرد والأبعاد من رحمته سبحانه وتعالى لهولاء أصابهم الخوف علي امتيازاتهم الدينية بالنسبة لليهود وبالنسبه المشركين امتيازات موقعهم (مكه المكرمه والكعبه المشرفه) كانوا يخافون أن تذوب وتنصهر داخل التجمع الكبير الذي جاء به الإسلام ولهذا جاء الحق مبينا أن طبيعه هذه المجتمعات

(الانغلاق في الرأي) فقال تعالي (لتجدن اشد الناس عدواه للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) فالحوار الموضوعي معهم غير نافع مع الاغلبيه لان الانغلاق يودي الي مزيد من الاختلاف ولايعني هذا أنه يعفي الرسول صلى الله عليه وسلم عن التبليغ لما انزل إليه من ربه فالأمر ليس كذلك وانما الآيات تبين للرسول صلى الله عليه وسلم واقع المجتمعات والعوائق التي تحول دون التحاق اغلبيه هولاء بالإسلام لأجل أن يبذل قصارى جهده وفق خطط قادره علي تحقيق الهدف وهو البلاغ واقامه الحجه ثم تأتي النصوص مبينه حال النصاري فقال تعالي (ولتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتناول مساله تشخيص واقع النصاري بأنه غير منغلق فهو منفتح ولايعني هذا أن جميع النصاري يودون المومنون وانما الايه تبين لنا أن الظروف الموضوعية للنصاري قابله للتجاوب فهنالك امكانيه للانتقال الي الاسلام فالايه تبين أن علي القياده أن تكون واعيه لظروف وامكانيه المجتمع التي تجعله متهئيا للا نتقال بايجابيته من طوره القائم الي طوره القادم فاستعمل الحق (لتجدن) والوجدان وجدان قلبي وهو من أفعال

العلم وذكر بعدها كلمتان (عدواه _ وموده) والمراد بهذا الوعي بادراك الواقع لتكون احكامنا صحيحه ومنطقيه علي الواقع المتحرك الذي نريد أن نحكم تطويره لتكون كل خطوه مدروسه ولانقفز علي الواقع فتلك قفزه غير مدروسة ولا منصبظه ولهذا فإن المراد بهذا أن البئيه قابله للايمان والانتفاع بدعوه الاسلام لما في قلوبهم من رافه ورحمه وراقه فاللّٰه قد أخبرنا عن اتباع عيسي عليه السلام فقال (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافه ورحمه ورهبانيه

)

ففي النصاري التواضع للحق إذا عرفوه ومن الظروف الموضوعية التي يمكن الانتفاع بها هو أنهم تركوا الدنيا وملذاتها وتركوا طلب الرئاسه وان فيهم قسيسين وهم العلماء والرهبان المتعبدون ومعروفون عند العرب في وقت نزول الايه بالتسامح وحسن الاخلاق وقد كانوا منتشرون في جهات كثيره فكان ذلك من أسباب صلاح اخلا ق النصاري.

فهم لايتعاظمون عن الحق إذا عرفوه حيث والاستكبار بالسين والتاء تستعمل للمبالغه في التكبر والتعاظم ويطلق علي المكابره مع كراهيه الحق وهما متلازمان فالمراد بقوله لايستكبرون أنهم متواضعون فجاء فيه إثبات التواضع لجميع أهل مله النصاري بما في ذلك العرب الذين كانوا يتحلون بمكارم الاخلاق باعتبار أن الوصف في قوله انا نصاري لمن عرف منهم باتباع دين النصرانية وتعاليم عيسي بالتسامح وترك الاحقاد وليس جميع النصاري لأن المتمردون قد ذكرت الايه الكريمه قبلها أنهم لعنوا علي لسان عيسي ابن مريم وهم الذين خالفوا منهج اللّٰه بعد نزول المائده

الأمر الثاني

أن الايه تعطينا فكره عن اختلاف مستويات التطور والتقدم في المجتمعات بأنه يعود إلي اختلاف كميه وكفيه وسرعه تطوير هذه المستويات فهنالك مجتمعات منغلقه تماما بطئيه في تحصيل المعرفه وتطويرها فتتخلف ولا تقبل التطور وهذا يعود إلي الظروف الموضوعية التي شكلت عقولهم وقلوبهم وتفكيرهم فالذهنيه جامده لتلوث ا لاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه مثل اليهود والمشركون وهناك مجتمعات منقسمه حيث تجد فيها من يتقبل الحقيقه اذا عرفها لانه لديه استعداد لقبول الحق قابل للتطور والإبداع ومنفتح علي الحقيقه ولهذا يقول لنا الحق أن هنالك فرقه من النصاري لم تتبلد احساسها فإنها برغم الابتعاد عن روح الدين والتدين مازالت قابله لاثاره الاحساسيس فيها فاخبرنا اللّٰه عن فئه من النصاري قابله للحوار الموضوعي المفضي الي قبول الحق إذا اتضح لها فقال تعالي (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) أسند إليهم قول الحوريون الذين قال لهم عيسي عليه السلام (من انصاري الي اللّٰه) فذكرها اللّٰه هنا تنبيها علي أنهم لم يكافحوا الأمر بالرد والاعراض مكافحه اليهود وقد ذكر هذا القول منهم في قوله (ومن الذين قالوا انا نصاري اخذنا ميثقهم)

لبيان أنهم لم يثبتوا علي العهد الذي قطعوه أما هنا فذكر ها علي سبيل المثال لمن حافظ منهم علي العهد ولم ينحرف فقال تعالي (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) والمراد بهم فرقه خاصه عندما جاء ا لإسلام كانوا مازالوا محافظين علي النصرانيه ولم ينحرفوا انحراف بقيه الفرق فقد ذكرت بعض الروايات أن إبرام صلح الحديبية كان من ضمن دوافعه أن الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم كان يريد إنقاذ فرقه من النصاري علي تخوم الشام من بطش الرومان لانها لم تنجر الي الانحراف الذي وصلت إليه المسيحيه وقيل إن الايه نزلت بالرهبان و القساوسه الذين جاوا مع جعفر من الحبشه واسلموا والايات بمجموعها تدل أنهم فرقه تعرف حقيقه دين النصرانية وليس جميع النصاري وهو ما يجب الإنتباه له حتي لايكون التميع والانخداع بأعداء الامه الصليبيين بأن تستخدم الايه في غير محلها ولهذا نجد أن الحق يوصف لنا هذا الفرقه الوصف الأول :_ أنهم قالوا (انا نصاري) فدل هذا على معرفتهم حقيقه النصرانيه بأنها تعني الايمان والنصره للنبي صلى اللّٰه عليه وسلم لأن هذه الكلمه قالها الحوريون كانت بمناسبه قول عيسي(من انصاري الي اللّٰه)

الوصف الثاني :ـ

أن فيهم علماء متزهدين وعباد في الصوامع متعبدين فقال تعالي (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان)

فذكر العله بعد اسم الاشاره فالباء (بأن) سببه اي بسبب وجود القس وهوالعالم المتفرغ للعلم الرباني والزهاد المتفرغون العباده والعلم مطلوب والتطبيق العملي لهذا العلم مطلوب ايضا فاخبرنا الله مادحا للعلماء والرهبان بأنهم يحافظون علي كتاب الله وينفذونه وهذا إنما يكون صادرا من علماء ورهبان مازالوا علي التوحيد ولم ينحرفوا انحراف البقيه او أن الايه تشير الي حاله نقاء الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه من ركام الفكر المنغلق الذي يتطلع الي الرئاسه والقياده والسلطه فدل هذا علي قيمه الخشيه مع العلم لأنها تولد الإذعان والانقياد للحق وكذلك فإن العباده والاتصال بالله تولد طاقه روحيه ورقه ولين القلب ويزيل عنه الجفاء والغلظه

وهنالك فرق بين العالم الذي لا يعمل بعلمه وبين العالم العامل بعلمه فأنت تحترم من يعمل بعلمه أما الذي لا يعمل به فأنت قد تأخذ من علمه لكنك لاتحترمه

الأمر الثالث

تبين النصوص اهميه العلم النافع ودور اماكن العباده في تربيه المجتمع وتهذيبه لتغرس فيهم القيم والمبادئ النبيله واهميه الثقافه في توجيه المجتمعات ولهذا نجد أن النصوص تبين أن قبول الحق يعود إلي انهدم ركن الكبر يسهل علي العبد الانقياد لزوال المانع الذي يمنعه من قبول الحق وقد أخبرنا الله أنهم تفرغوا للعلم والعباده فدل هذا زوال ركن الحسد وبالتالي فمن السهل علي هولاء قبول النصيحه وهم متوضعون فدل هذا أنهم قابلون الإ نصاف فدل هذا علي انهدام ركن الغضب وانهم ملازمون العباده وبالتالي فدل هذا علي العفاف وأنهدام ركن الشهوه

وبالتالي فإن اركان الكفر الاربعه الكبر والحسد والغضب والشهوه ليست ملكات راسخه فيهم ولا هي صفات ثابته فيهم فهي لم تستحكم علي قلوبهم كما هو حال اغلب اليهود والمشركون ولهذا تأتي النصوص مبينه سلامه الإ دراك والوجدان والنزوع لديهم من جنوحات الشر فقال تعالي (واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع)

الايه ترسم مشهد ساخن لرده فعل هولاء عندما يسمعون كلام الله لبيان سلامه الملكات لديهم وحسن استخدامها فهم يسمعون القران بحاسه الاذن فإن تأثرهم بما يسمعون تصل الي وجدانهم فما الذي سمعوه فاحدث هذا التأثير البليغ الذي وصل إلي انك تشاهد الدموع تسيل بعد أن امتلت وفاضت من غزاره الدموع ؟

يخبرنا الله بقوله (مما عرفوا من الحق)أنها الامارات والبشارات الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم فدل هذا علي سلامه قلوبهم بدليل رقتها وعلي رغبتهم في الحق ونقاء الأذهان فهم أدركوا الحق ووجد الوجدان وجاء بعده النزوع الي المسارعه لقبول الحق فقال تعالي (يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين)

لم يكتفوا بالبكاء ولم يقفوا موقفا سلبيا من الحق فما ذكر من البكاء ماهو الا بيان أن ظروف حالهم وطبيعتهم فيها تهئيه لقبول الحق ويدل علي اخلاصهم وان المعرفه والبكاء موذنان بحقيقه الاخلاص فتدفق الدموع نتيجه معرفتهم الحق فلم يوجد في اوعيتهم ما يمنعهم من اتباع الحق فالشعور بالحق والاحساس بسلطان الله حملهم علي تحديد موقفهم وإعلان ذلك بعد الاهتداء للحق فذكر قولهم إنهم قالوا ربنا صدقنا بك ونبيك وكتابك (يقولون ربنا امنا)

وطلبوا من الله أن يضمهم الي امه الاسلام الامه الشاهده علي غيرها من الأمم فالله يقول (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس)

ومن هنا نفهم أنها فرقه من النصاري وليس كلهم لأنها تحمل سمات وصفات الحوريوان فنفس القول هنا هو ما ق اله الحوريون بالدعاء الي الله كما ورد في سوره ال عمران (ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)

فمن قالوا لعيسي (نحن أنصار الله) كانوا يعلمون بشرف امه الاسلام وفضل النبي الخاتم فهم قد طلبوا من الله أن يضهمهم الي امه الشاهدين عندما أعلنوا الايمان بعيسي فهذا العلم الذي تناقلته النصرانية الحق أن الدين الا خير به تكمل الأديان وتتم الشرائع فهذا هو النزوع الخير الذي ينبغي تنميته في النفوس لتكون قابله للتزكيه

الأمر الثالث

تمضي سياق النصوص في تعين هذه الجماعه تعبنا واضحا لبيان كيف أن سلامه النفوس من الكبر والحسد و الغضب والشهوه يسهل قبول الحق والثبات عليه إذا عرفه فيقول الله تعالي (وما لنا الا نومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)

فالايه تشير الي عده امور ؛ـ

١

أن هولاء يغلبون شهوتهم بقوه الايمان حيث وان الايه ترسم حاله التردد التي يتعرض لها المتدين وهو يقف أمام مثل هذا التحول في حياته بالانتقال من المسيحيه الي الاسلام فالنفس تجد وهن وضعف وتردد فتقول له كيف لك أن ترجع عن معتقدك ولهذا فإنهم قالوا ذلك في أنفسهم ما الذي يمنعنا من الإيمان بالله ورسوله والقرآن بعد أن عرفنا أنه الحق فدل هذا أن دواء الشهوه هو صحه العلم والمعرفة بأن إعطاؤها شهوتها من أسباب حرمانها إياها فيخبر نفسه أن عليها أن تطمع بمنزله ومرتبه درجات الصالحين يوم القيامه وهذه المنزله لاتكون الا بالسير بطريق الله المستقيم

٢

أن هذا يدل علي الثبات في المواقف علي الحق وعدم التحرج من إعلان حقيقه الايمان فالايه تبين أن هذه الفئه ثابته علي الحق لاتتاثر بلوم أحد فتعرض لنا الايه حوار روبما أنه يدور بينهم وبين قومهم وهم يحاولون أن يثنونهم عن الإيمان ويحذرونهم من عواقب ذلك فياتي الرد من الفئه المومنه بأنه لايوجد ما يمنعهم من الإيمان ولا يوجد ما يقطع عليهم المضي قدما في الالتحاق بالإسلام ويطلبون من الله قبولهم في جماعه الصالحين لاظهار شرف جماعه الاسلام لانه روبما تم من الفريق الكافر الذي يلومهم تحقير شأن المسلمين فرد هولاء نحن لنا الشرف في الالتحاق بهذه الجماعه ونرجوا من الله أن يقبل طلبنا هذا بالانتماء بجماعه الصالحين والمراد بهذا الاخبار أن القرابه والأهل والنسب هو العمل الصالح كما قال تعالي لنوح عندما قال إن ابني من اهلي فقال تعالي (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح)

فدل هذا علي إعلانهم البراءه والمفاصله والتجافي مع الكفار وانهم قطعوا العلاقه بمن رفض الايمان من أقاربهم

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى بعدها (فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين)

فاعطاءهم الله وجازهم بما قالوا اي من اعتقاد هم بدليل قولهم فدل هذا علي صدق الاخلاص لله وتطابق القول ب العمل فلم يكن مجرد قولا باللسان بل صادرا من القلب وترجمه العمل فكان هذا الثواب ثمره الاخلاص والاجتهاد منهم في تحصيل اليقين فكانت الاجابه من الله العظيم الذي له صفات الكمال من الحق الكريم فأعطاهم أكثر مما طلبوا بالأجر والثواب الذي أعده للمتقين فهذا هو جزاء المحسنين الذين يتقنون الأعمال في الأداء ولذلك أشار

إليه بقوله (ذلك جزاء المحسنين)

الأمر الرابع

أن الحق سبحانه وتعالى يعيطنا نماذج حيه قابله للحق وهو بهذا يريد التشيجع علي مسانده الحق يوكد لنا أن كل حركه ايمانيه حتي ولو كانت قولا فهي لها قيمه عظيمه ولهذا يذكر الله الثواب الذي يجزئ به لكل من يساند الحق

ولو بكلمه فهو سبحانه الشكور يعطي علي القليل الثواب الكثير فسماهم المحسنين وهو الذي يضاعف الجزء للمحسن فالقول له اهميه لما يرتب من بعد ذلك من سلوك وقد ذكرت السيره النبويه قصه مخيريق اليهودي الذي اسلم وكان في غايه الثراء فجاء ساده يهود لصده عن ذلك فقال أنا ومالي لمحمد وساخرج لاحارب مع محمد وخرج للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقتل شهيدا وهو

ولم يكن قد صلي في حياته كلها ركعه واحده

الأمر الخامس

يطلع الحق علي مصير بقيه النصاري الذين رفضوا الالتحاق بالإسلام بأن هولاء مثلهم مثل اليهود والمشركون فقال تعالي عطفا علي ماسبق (والذين كفروا وكذبوا باءيتنا اولئك أصحاب الجحيم)

أشار إلي سببين في العقاب أولهما الكفر بالوقوف ضد الحق والثاني التكذيب مع أن التكذيب من ضروب الكفر لان القصد الي ما كان من المكذبين من النصاري في مقابله المصدقين الذين ذكرتهم الايات قبلها فأراد بهذا أن يطلع الناس علي مصير المكذبين لترهيب الكفار وايضا لتشجيع المومنين بأن عليهم أن ينظروا الي نهايه المكذبين فقال (اولئك أصحاب الجحيم) اي ملازمون للنار الشديده فالجحيم هي أصل النار العظيمه اللهب واستعمل قبلها اسم الا شاره اولئك لبيان أنهم بعداء عن رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثامن من

سوره المائده

القسم الاول

(يايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حللا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مومنون لايؤخذكم الله باللغوا في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفاره ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)

اولا

أن أول مايشد الإنتباه هو تكرار النداء للمومنين بهذه الصفه التي تربطهم بالله وهم الطليعه لثوره الاسلام التي حملت الدعوه الاسلاميه الي العالم تدعوهم الي عباده الله وحده لاشريك له وهو ماشكل عاصفه هبت علي ارده الناس لتقضي علي الظلم والفساد والتخلف ولذلك كان تصنيف أحوال الناس من هذه الدعوه ومن أهدافها وهذا النداء دليل استمرار الثوره الاسلاميه وهذا لايكون إلا في حالة أن الثوره لم تنجح في تحقيق أهدافها أو أن فسادا جديدا قد وقع أو ظلما اخر قد ضرب جذور اعماق الامه باسم الدين والتدين

ويخشي أن يمثل ذلك وسيله لمحاصره الثوره من أن تنمو ا. و تحقق أهدافها ولذلك فإن مهمه الطليعه تتداخل بين الفرد والمجتمع فالسمو الروحي لايمكن تحقيقه الا من خلال التعاون بين الفرد والمجتمع بالقيام به ولهذا نجد أن الايات تبين الآتي

الموضوع الاول

أن علي جماعه الايمان أن تسعي إلي جعل الهدف الذي حملته رساله الاسلام (التوحيد) سلوكا عاما يلتزم به الحكام والمحكومين وتحويل النظريات الي واقع عملي بالممارسه من خلال احترام سياده القانون الإلهي و الدستور الرباني وعدم الخروج عنه فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن مساله التحليل والتحريم والتشريع عموما سلطه اختص الله بها ذاته سبحانه وتعالى فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

فالتشريع بجملتها مرتبطه بقضيه الالوهيه فالايات تصور ذلك بأنه من خصائص الالوهيه التي انفراد الله بها فقد جعل لها حمي لايجوز تعديها أو تجاوزها فقال تعالي (ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين)

وهي جمله اعتراض بمناسبه أن تحريم الطيبات اعتداء علي شرع الله اعتداء علي سلطه الله الذي لم يأذن لأحد أن يتدخل في وضع القوانين التي تنظم حياه البشر في كل شأن من شؤون الحياه سواء في الماكل أو المناكح أو السياسية والاقتصاد وفي أي أمر من الأمور فالتوحيد لم ينزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم ليملاء به القلوب والعقول وانما نزل ليعمل أثره في الحياه وينظم المجتمع ويعيد خلقه من جديد علي الصوره التي يرضاها الله رب العالمين لعباده فهو خالق البشر ومالكهم ورازقهم ومن كان مالكا الشي كان له حق التصرف فيه وبالتالي فإن الله تعالي هو من يختار للإنسان ما يفعل وما لايفعل وبالتالي فإن الذي يتجاوز شرعه تعالي إلي غيره فهو معتدي علي سلطه الله وهذا الاعتداء تجاوز وظلم لأن المتجاوز وضع شي في غير محله لانه جعل نفسه في مقام الإله وبالتالي فإن هذا العبد قد تجاوز ماليس له ولهذا جاء التعميم (ولاتعتدوا) النهي عن العدوان كله فالواجب أن يكون الإنسان محكوم بما جاء بشرع الله ومعلوم أن الذي لايحبه الله أنه تعالي يبغضه ويمقته ومن كان يريد إرضاء الله لايعتدي علي سلطانه لانه أن فعل ذلك فهو لايسعي الي إرضاء الله

الموضوع الثاني

(الحث علي الوسيطيه والاعتدال)

أن الايه وردت بمناسبه ذكر اصناف الناس عند بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ولما مدحت القسيسين والرهبان وذلك كان داعيا الي الرهب والرهبانيه وهذا فساد جديد طرأ علي المجتمع لأن الرهبانه بالذات قبيحه بالعرض شريفه من حيث المبدأ دنئيه في الحال لأنها مبينه علي الشده والاجتهاد والتورع عن الكثير من الملذات والإنسان مبني علي الضعف مطبوع علي النقائص فيدعوه طبعه وضعفه الي عدم الوفاء ولما له من صفه العجله للوقوع في الخيانه فكان الأمر الإلهي بمناسبه مدح القسيسبن والرهبان أن جاء التحذير من البدع فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)للتحذير من المغالاة والتشدد في الدين والدعوه الي الاحتياط من محظور تلك التجربه فلا يسمح بانتقال فساد الرهبانه الي اجهزه الكيان المسلم وبنيانها لمنع انتقال عدوي امراض النصاري فمدحها لايقتضي اطراء الثناء علي جميع اعمال الرهبانه وصادف ذلك أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تعلقت أنفسهم بالزهد المبالغ فيه حيث ذكر أن عثمان بن مظغون وبعض الصحابه اردوا أن يترهبنوا فاقسموا علي اعتزال النساء والاطعمه والملابس فقام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال إنما هلك من كان قبلكم بـ التشديد شدو علي أنفسهم فشد الله عليهم اولئك بقايا الديار والصوامع لكن اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وفي رؤيه أنه قال (لا امركم أن تكونوا قسيسين ورهبان)وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

ان الإسلام حريص علي بناء الشخصية الإيمانية التي تمتلك الرؤيه لحقائق الاشياء وأن تلتزم الوسيطيه والاعتدال ولهذا فإن اول خطوه لإنجاح هذا المبدأ هو التخلص من ركام الفكر الجاهلي الذي كان ينظر للتدين أنه يعني التفرغ للعباده في المسجد والانقطاع عن الحياه فأراد الحق بهذا أن يبين لهم أن هذا مخالف العقيده الاسلاميه التي تعني أن الإسلام دين ودنيا

عباده وعمل روح وسياسه ايمان واقتصاد يتدخل الاسلام في علاقات الرجل وزوجته وأبيه وخادمه يتدخل في البنوك والاقتصاد والحكم والعمران يضع دستورا لهذا كله وبالتالي فإن من التدين المغشوش ومن ثقافه العجز و التخلف أن ينظر إلي التدين بالانقطاع عن الصناعات والعلوم والعمران وعماره الأرض للتفرغ لعباده الله في زوايا المساجد فهذا ليس تدين وانما هو ابتعاد عن روح الاسلام فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (خير الناس انفعهم للناس)

المفهوم الثاني

يحذر الحق من التشدد في الدين أو في أي أمر لانه يعجز صاحبه عن الاستمرار ولو كان الناس كلهم رهبان فمن سوف يقوم بالعمران كما اوضحنا سابقا فالله يقول عن عدم وفاء النصاري بما قطعوا علي أنفسهم من الرهبانه (فما رعوها حق رعايتها)

وشريعه الاسلام جاءت بالوسيطيه والاعتدال في كل شي رحمه منه تعالي بأمه الاسلام ولطفا بهم بلا إفراط ولا تفريط

فالإسلام لايربك الانسان بالطقوس الدينيه التي لاتدع وقتا لشي فهي خفيفه خمس صلوات لكن ما تسكبه في الضمير من آثار تنهي عن المنكر هي التي تهذب الإنسان والاسلام يفسح المجال للعامل والتاجر والعالم أن يذكر الله كلا في مجاله يتعبد الله في المصنع والمتجر ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ موقفا حاسما من الصحابة الذين اردوا أن يترهبنوا حيث ذكر أنه لما سمع المسلمون العقاب في الاخره وأحاديث يوم القيامه اردوا أن يزهدوا عن الدنيا ويتركوها فاقسموا علي ترك الطعام وان يصموا الدهر كله وأن يقوموا الليل وان يعتزلوا

النساء وذكر أن ثلاثه قال أحدهم أما أنا فصلي ولا انام الليل وقال الآخر أما أنا فاصوم الدهر كله وقال الثالث أما أنا فلا اتزوج النساء فلما سمع الرسول بذلك استدعاء من قال ذلك ثم قال لهم أما أنا فاخشاكم لله واتقاكم لله ولكني اصلي وارقد واصوم وافطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)

فالنهي عن التحريم هو عن المبالغة في الزهد بتحريم الملذات عن النفس أما من ترك ذلك في بعض الأوقات من غير اعتقاد حرمته وانما بقصد تربيه النفس علي الصبر فلاياس به بالقدر الذي تحتاجه ترويض النفس وكذلك فإن الأعراض عن الكثير من الطيبات للتطلع الي ماهو عند الله اعلي مستوي منه أمر لايدخل في نطاق التشدد المذموم

المفهوم الثالث

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه حينما ربط الناس بالله لم يحتقر دوافع الحياه النفسيه ولم يعلن معركه بين الا يمان والواقع الحيوي فالمال والبنون والزينه والطعام والشراب مطالب ضروريه والسعي في طلب الرزق حج مبرر ولهذا يقول لنا الحق محذرا من التبتل عن الطيبات التي انعم الله بها علي الإنسان فقال تعالي (لاتحرموت طيبات ما أحل الله لكم)

سماها طيبات وهي التي تشتهيها النفوس من اللذائذ في المطاعم والمناكح والمشارب وقد احلها الله فهذه نعمه يجب أن يحمد الله عليها وان تشكروه علي انعامه التي تفضل بها عليكم

فعليك أن تعلم أن الله إذا أحل شيئا فإن هذا الشي يكون طيبا أي ليس خبيث وفيه صلاح الإنسان وبناءه ونموه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إلا أن لأنفسكم حقا وان لاهلكم حقا) ولهذا فلا يجوز لك أن تحرم ما أحل الله لك فالحاجه الجنسيه فطره الله إذ خلق للناس من أنفسهم ازوجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم موده ورحمه وهي حاجه إنسانية ونعمه الهيه لاينبغي أن تتعارض مع قداسه الواجبات الدينية والاسلام يدعو إلي العلم والعمل ويمجد الحركه والنشاط لكن بشرط عدم تجاوز حدود الله فيقول الحق (ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين)

ومن الاعتداء المنهي عنه التضيق علي النفس بتحريم المباحات

ولهذا جاء الأمر (وكلوا مما رزقكم الله)تأكيد النهي عن تحريم الطيبات وهي معطوفه علي جمله (لا تحرموا طيبات)

فالله يمتن علي عباده أن وسع لهم الحلال فجاء التحذير من كفر النعم بتحريم ما أحل الله لأن هذا أن حصل فإنكم تعرضون أنفسكم للنقمه فالله يحب أن يري اثار نعمته علي عبده ولهذا نجد أنه تعالي وصفه بالايه

١

أخبرنا أنه رزق وعطاء من الله تعالى فأنت عليك أن تسعي إلي كسب رزقك وتطلبه من من يملكه وهو الله وايضا هذا فيه انه هديه من الله ولايسوغ من المومن أن يرفض هديه الله فإذا رزقك الله ثوبا جميلا فاعلم انه هديه الله اهدها اليك فكيف ترفضه وتلبس ثوبا خشنا لانك أن فعلت ذلك تكون قد رفضت هديه الله وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث عن الكبر وذكر أنه لايدخل الجنه فقال بعض أصحابه يارسول الله أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ....فهل هذا من الكبر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس

٢

أنه حلال ولايكون كذلك الا اذا أحله الله تعالي فما احله هو الطيب وما حرمه فهو الخبيث وبالتالي فليس للإنسان

الخيار لنفسه غير ما اختار الله له لان التحليل والتحريم من خصائص الالوهيه التي انفراد الله الرزاق بها والا عتداء عليه يكون له اتجاهين أما اعتداء بالاسراف وهذا محرم لقوله تعالي (فكلوا واشربوا ولاتسرفوا) والثاني المغالاه بتحريم ما أحل الله ولهذا نجد أنه استعمل صيغه (لاتعتدوا) افتعال لأن الفطره السليمه مبينه علي العدل ولهذا فإن الخروج عن منهج الله لايكون الابتكلف ثم وصفه بأنه طيبا وهذا يعني أنه طيب من حيث المكسب فلا يكون مسروق ولا يكون منهوب ولاغصب ولافيه ظلم وطيب من حيث أنه يفيد الجسم وينمو به فما أحله الله فيه صلاح الإنسان والحياه وهذا الدين هو دين الحياه فكيف للإنسان أن يحرم نفسه مما فيه صلاحه فالطيبات من عوامل بناء الحياه وتجديدها بينما الرهبانه تعطل الطاقات وتصطدام مع منهج الله للحياه فعليك أن تراقب الله في ذلك إن كنت مومنا بالله وتشعر بوجوده

٣

أمر الله بالتقوي وربطها بالإيمان واستعمل لفظ الجلالة لتربيه النهايه بالقلوب لان الايمان يقتضي تقوي الله في كل أمر ولهذا جاء بالاسم الموصول (الذي انتم) أن التوحيد والإيمان بالله يقتضي أن تكملوه بالتقوي وامتثال اومره في كل وقت

واجتناب نواهيه

ثانيا

بعد أن اختتمت الايه بوجوب استحضار وجود الله ومراقبته في كل أمر وربطت ذلك بحقيقه الإيمان بوجود الله اشاره الي أن الفاعليه للحركه إنما تكون ايجابيه بتحويل العقيده الي سلوك فلا فائده لادعاء الايمان بالله اذا لم تتحول إلي محرك باعثا علي الحركه الايجابيه موجها للطاقات والقدرات والنشاط باتجاه هذه الغايه فتكون خاضعا لمنهج الله فالتقوي تدل علي مراعاه حق الله وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان نفسه وضعفه وافتقاره الي ربه الغني الحميد فيكون ساعيا في طلب إرضاء الله طالبا معونه الله في كل أمر ومحبا لله تعالي حب تعظيم واجلال ولهذا نجد استئناف الحديث تعليق الايمان بالله بالشعور بوجوده واطلاعه علي تنفيذ أوامره وبمناسبة قوله (لاتحرموا طيبات) ولأن التحريم يقع في غالب الأحوال بإيمان معروفه أو بإيمان تجري علي اللسان مجري الكلام بدون قصد الحلف فقال تعالي (لايؤخذكم الله باللغوا في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفاره ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم

فالايات تعالج عده مسائل متعلقه بمعضله الحلف اليمين فقد ذكر أن النفر الذين اردوا الترهبن قالوا بعد أن نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك وبعد أن نزلت الايه السابقه قالوا كيف ونحن قد اقسمنا بالله فما هو الحال فأنزل الله الايه فتضمنت الايه الاولي إيضاح منهج الاسلام أنه يقوم علي الوسيطيه والاعتدال وان التحليل و التحريم أمر اختص الله به نفسه وان عليهم الابتعاد عن الإفراط أو التفريط في دين الله

تناولت الايه هنا معالجه الحلف الذي فيه امتناع عن خير والاقدام علي الشر بأن عليهم الكفاره التي تمحو الذنوب لانهم حرموا علي أنفسهم مالم يحرمه الله وتناولت الايه الكريمه المسائل المتعلقة وتفاصيل ذلك كما يتضح من خلال الآتي

الأمر الأول

تناولت الايه حكم اليمين الساقط الذي لايتعلق به حكم واسمته لغوا وهو الصادر من اللسان من غير نيه الحلف بأنه لاكفاره عليه فقال تعالي (لايؤخذكم الله باللغوا في ايمانكم)

ثم بينت حكم اليمين المعقود اي الصحيح الذي قصد به الحلف فقال تعالي ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان)و القصد أمر يعود إلي القلب فدل هذا أنه يعقد لها القلب بالنيه والقصد فهذا الذي يجب فيه الكفاره

والايمان التي يحلفها الرجل اثنان يجب الكفاره فيهما بلا خلاف واثنان مختلف فيهما وواحد متفق عليه أنه لا كفاره عليه وهو لغوا اليمين كما ورد في الحديث أن يقول الرجل كلا والله بل والله فهذا لاكفاره عليه

أما اللذان يلزم الكفاره باتفاق العلماء قيل هو اليمين التي يحلف الرجل بالله فيقول والله لا أفعل كذا وكذا ثم يفعل والثاني أن يحلف بالله فيقول والله لافعلن كذا فلا يفعل

فهذان مما يلزم الكفاره بلا خلاف إلا أن يعلق ذلك علي استثناء بمشيئه الله تعالى فيقول لن افعل كذا انشاء الله فلا كفاره ولا إثم عليه

أما اللذان فيهما خلاف بشأن الكفاره فقيل هو أن يحلف الرجل علي أمر وقع في الماضي ظنا منه بوقوعه أو عدم وقوعه وتكون الحقيقه مخالفه لظنه وله صورتان الاولي يحلف انه لم يفعل شيئا وهو قد فعله والثاني أن يحلف فعل شئيا وهو لم يفعله ظنا منه أنه فعله فهنالك من يري انه لا إثم عليه ولا كفاره قول للامام مالك ويري احمد و الشافعي أنه لا إثم عليه وانما عليه كفاره

أما اليمين التي يتعمد صاحبها الكذب أو يمين الغموس فلا يجزئ عنها الكفاره فالكفاره هنا في حق الله اما في حق العباد فلا يكون التوبه الا برد المظالم

الأمر الثاني

كما أن الايه الكريمه فيها بيان أن اليمين منقسمه أيضا من حيث انعقادها أما علي بر وأما منعقد علي حنث

وبالتالي فما كان ممكن حصول بر اليمين والوفاء بها فإنه يجب الوفاء طالما أنه في مقدور الإنسان وليس فيها اعتداء علي شرع الله اما ما انعقدت علي مافيه حنث كان يحلف علي عدم الإصلاح بين الناس وعدم القيام بـ المعروف أو من يحلف لتحريم أمر أحله الله فإن هذا اليمين قد انعقد علي حنث فلينحث وليكفر عن يمينه ولهذا ذكر الله الكفاره فقال تعالي (فكفارته اطعام عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم

أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام)وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الحق يريد من العباد أن يشعروا بحقيقه ان مخالفه المنهج يعني انكشاف عوراه هذا الإنسان وافتضاح امره فيكون بحاجه الي الستر والتغطيه ولهذا استعمل لفظ (فكفارته) والكفاره الفعله التي من شأنها أن تكفر الخطئيه اي تسترها والمراد بهذا بيان أن الخروج عن منهج الله يعني فقدان الشرف ويلزم لاستعاده هذا الشرف وستر ومحو الذنب أن تقوم بأمور تستعيد فيها شرفك ونحن نعلم أن الله أخبرنا عن ادم وحواء أنهما لما أكلا من الشجره المحرمه انكشفت عورتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه ولهذا فإن مخالفة منهج الله تعني الفضيحه فكيف الحال إذا كانت هذه المخالفه موثوقه بالقسم بيمين الحالف بالله فإنها تضاعف فضيحه الحالف ولهذا جعل الله كفاره تمحوها وتمنع من الإثم وهي اطعام عشره مساكين من أوسط الطعام الذي يقوم باطعامه الحالف أهل بيته أو كسوتهم أو تحرير رقبه من العبودية ومن لم يستطع فعليه صيام ثلاثه ايام متتابعات أو غير متتابعه مبينا أن الكفاره رد اعتبار للعقد المنقوص الذي يظهر صاحبه بالنقص وينكشف امره فيكون بحاجه الي ما يستر عورته ولهذا قال تعالي بعدها (ذلك كفاره ايمانكم اذا حلفتم)

المفهوم الثاني

أن علي المسلم أن لايخرج عن الاعتدال في كل شي فإذا كان الله قد أمرهم بعد الإفراط ولا التفريط فلا رهبانيه و لاتميع في الإسلام تاتي النصوص هنا موكده علي هذا المبدأ فأمر الحق بإطعام عشره مساكين..وقيد ذلك أن يكون عشره وان يكونوا مساكين بمعني أن الحاضرين الي هذا المقام هم الضعفاء المحتاجين للطعام والملبس وهنا تبرز ميزه الاسلام فهو بالاضافه الي كونه قيمه روحيه فإنه ضروره اخلاقيه ضروره نفسيه تسد الثغرات التي لاتصل إليها القوانين الوضعية فالايه تبين لاولئك المتشددين في الدين أن عليكم أن تقنعوا أنفسكم اولا انكم تبنون مستقبلا أكثر رخاء وأكثر اتساعا يشبع متطلبات الروح والجسد ليكون اهتمامك متركزا في ازاله الالم من المجتمع والمساهمه والمشاركه في محو المعاناه فعليك اقتحام هذه الميدان كي يستر الله ويغطي الفضيحه التي حصلت منك فمخالطه الناس والاهتمام بمعاناتهم فيها تكفير الخطايا وهي عباده افضل وأعظم من العكوف علي العباده بـ المفهوم الضيق الصلاه والصوم والعزوف عن الزواج وبنفس الوقت أن ذلك إنما يكون بالوسيطيه والاعتدال فقال تعالي (من أوسط ما تطعمون اهليكم)

حيث الناس في إطعام أهله نوعان أما من يسرف في الطعام ونوع يقتر اي بخيل في إنفاقه علي أهله ولهذا فإن الوسيطيه هنا بين هذان الأمران فلا إسراف ولا قتر وبخل بل الاعتدال بين ذلك في الطعام والكسوه

المفهوم الثالث

تبين النصوص أن الخروج عن المنهج وعدم الوفاء بالعهد أما أنه حلف علي مخالفه منهج الله كان يحلف علي ترك البر وعدم الأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس وأما أن يكون حنث ناتج عن عجز الحالف عن الوفاء بالعهد فدل هذا علي ضعف الهمه وقوه العزم وهذا في الأصل اعتدا علي حق الله ولهذا جاء إطلاق تحرير الرقبه فقال تعالي (أو تحرير رقبه) بينما في القتل للمومن قال تعالي (تحرير رقبه مومنه) وجدنا أن القيد للرقبه أن تكون مومنه لان إزهاق الروح المومنه تتطلب أن يدخل بدلا عنها للحياه نفس مومنه والتحرير من الرق بمنزله الحياه أما هنا فجاءت مطلقه اي تحرير رقبه وقد ذهب الاحناف الي أنه يجزي الرقبه ولو كانت كافره أما الجمهور فقد اوجبوا قيد الرقبه المومنه واذا اخذنا بقول من قال إنها مطلقه تجزي وان كانت كافره فإن هذا مرتبط بحال هولاء الذين اردوا الترهبن والتشدد لأن التشدد إنما يكون ناتجا عن تعصب ديني مقيت في الغالب ولأنهم الزموا فكان العلاج بتحرير رقبه بإدخالها في مجتمع الاحرار وفك أسرها لتكون لها ممارسه حريه الاختيار فيكون لها الكمال لأن الرق نقص وهذا المتشدد والحالف الناكث أما بالضروره للحنث لانه حلف علي أمر يخالف منهج الله أو لانه عجز عن الوفاء بما اقسم أن كان علي أمر خير وهو بذلك ناقص و بحاجه الي ما يحصل له الكمال ويمحو نقصه وهذا مثل نقص الرقيق فكان لابد من ازاله القيود التي تكبل رقبه انسان كي تزال القيود التي تكبل ذمته أمام ربه ولهذا اضاف التحرير الي الرقبه والله اعلم

المفهوم الرابع

ان الإسلام دين يسر فلم يعسر علي العباد ولهذا فإن الفقير الذي ليس لديه مال كي يطعم المساكين أو كسوتهم ولا عتق رقبة فقد جعل الله له أن يصوم ثلاثه ايام

المفهوم الخامس

يبين الحق سبحانه وتعالى لعباده أن تعظيم الله يوجب عدم ابتذال الايمان بالاكثار من الحلف واللغة فاللازم عليك أن تكون شاعرا بعظمه الله فلا تكثر من الحلف فعليكم بتوخي الحذر بعدم الحلف فقال تعالي (واحفظوا ايمانكم) فأراد بهذا الآتي

١

عدم التهاون في القسم بعد ذكر عدم الموخذه علي اللغو باليمين فتعظيم الله يوجب علي المسلم عدم ابتذال الا

ايمان اي الحلف كما ذكرنا

٢

يامرهم ويزجرهم من العاده السخيفه بالحلف فيقول إن هذا الأمر ينبغي تركه بالاقلال من الحلف فلا تلزموا أنفسكم بما يوجب الوفاء أو الكفاره فالكفاره ماهي الا لرفع الحرج والاثم ف‌الله قد لايوب (وخذ بيدك ضغثا فاضرب ولاتحنث) فنزه عن الحنث بفتوي خصه بها ولهذا فإن الواجب عليكم الوفاء بالحلف وعدم الحنث

المفهوم السادس

يختم الحق سبحانه وتعالى الايه بقوله تعالي (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)

أن الايه توحي أن الذين اقسموا ب‌الله أن ينقطعوا عن الحياه ويتفرغوا للعباده والرهبانه عندما أدركوا أنهم وقعوا في المحضور واعتدوا علي ما ليس من خصائص العبد عندما قاموا بالتحليل والتحريم فهم كانوا يبتغون بذلك أن يصلوا الي الفلاح بعدما عرفوا عن عباده الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يقوم الليل وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فتصورا أن التشدد هو الامل الذي يحصل لهم به النجاه والسلامه فعندما ذمهم الرسول صلى الله عليه وسلم علي ذلك وجدوا أنفسهم في كارثه صنتعها ايدهم فالأمل الذي تطلعوا إليه وشاركوا في صنعه تدحرج من فوق الجبل وسقط علي رؤوسهم وكانوا اول ضحاياه فقد اردوا تطهير العقبات التي تقف أمام سعادتهم الابدايه فتصوروا أن التزهد عن الطعام والمناكح ومباهج الحياه هي العقبات التي تقف أمام امل النجاه والسلامه والسعاده والفوز والظفر بالجنه ولم ينظروا أنهم بذلك يلقون عقبات جديده وسط الطريق الوعر فزادوه وعوره فما لبثوا أن وجدوا أقدمهم زلت في طريق اغلقوه عندما اقسموا ب‌الله علي تحريم ما أحل الله تعالي فعندما نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك واخبرهم أن ذلك خروج عن سنته وانزال الله الايه الكريمه التي تعتبر ذلك اعتداء علي حق الله وخروجا عن مبدأ الايمان والتقوي وجدوا أنفسهم في مأزق حقيقي صنعوه بايدهم فكيف وهم قد اقسموا ب‌الله علي القيام بذلك فإنزل الله هذه الايه التي جاء فيها التوضيح والتفسير الحلال والحرام وكيف يكون محو الإثم وكفاره اليمين فقال تعالي متتنا علي عباده (كذلك يبين الله لكم آياته)

يظهر لكم اعلام شريعته وأحكامه التي تحدد لكم المعالم علي جانبي الطريق لتسيروا في خط مستقيم لا اعوجاج فيه فلا إفراط ولاتفريط

ف‌الله علملكم ما لم تكونوا تعلمون وأظهر لكم بدايه امل جديد في عمل جديد لتخرجوا من المازق الذي وقعتم فيه فلم يغلق عليكم الامل فالكفاره اعطكم الله بها الامل في تطهير عقبات الماضي كي يكون استناف المسيره نحو السعاده والسلامه والنجاه والفلاح وفق معالم تدلكم علي الطريق المستقيم وسهل لكم المخرج للسير نحو رجاء المستقبل

وهذا البيان من انعام الله التي توجب الشكر لله وعبادته في كل حال فهو تعالي لم يترك عباده يتخبطون في دائره الاضطراب

القسم الثاني

(يايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا

والله يحب المحسنين)

اولا

لما اختتمت الآيات بقوله تعالي (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) حيث أنه تعالي امتن علي عباده بإرسال الرسل وحاملين المنهج الرباني الذي يرشدهم الي ما يحقق الكمال للإنسان التي يعجز العقل البشري عن إدراكها فـ البعثه للرسل والرسالات من أعظم النعم التي انعم الله بها علي الإنسان كونها حاجه ضرويه يحتاج إليها الإنسان فـ العقل البشري وان كان يميز الخير والشر إلا أنه تتنازعه قوه الشهوه والغضب ولهذا فإن من الخطاء تقديس العقل فلا يمكن له أن يشرع القوانين التي يتخذها الإنسان دستور ا للحياه لان المشاهد في حياه الانسان وسلوكه أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطغي عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل لأن مقايسه في التميز بين الفضيله والرذيلة والحق والباطل تقوم علي معايير غير موحده فالاستحسان والاستقباح متفاوت فقد يكون شي بنظر البعض جميلا وطيب في حين يراه البعض الآخر قبيحا لأن العقل قاصر عن التوصل إلي جميع المعارف فهو قاصر عن معرفه مايسعده ومايشقيه ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يحقق الكمال للإنسان ويعرفونه ما يسعده ومايشقيه فالبعثه من الطاف الله ورحمته لعباده لما فيها من منافع كثيرة وتوجب الشكر من العباد ولهذا لما ذكر الله الخبائث التي حرمها تعالي واوجب علي المومنين شكر الله علي هذا الوضوح والبيان تأتي النصوص باستئناف الخطاب للمومنين علي الخطاب الذي قبله في إطار بيان القواعد والقوانين التي تنظم أحوال الناس وتربيتهم علي الانضباط وترك المحظورات في سياق تربيه الامه وتهذيبهم وإعدادهم ليكون اهلا لحمل امانه قياده العالم حيث أن من انعام الله هو هذا المنهج الذي فصل لهم ما يجب أن يفعلوا وما يجب عليهم أن يتجنبوا ليحول الامه عن الاباطيل التي نشأت عليها فالظروف الاجتماعيه التي أحاطت بالناس في ذلك العصر كانت قد أحاطت الحياه بالظلام الدامس ملبدا بغيوم كثيفه من الفتن والفوضي والا ضطرابات والعدوات والأحقاد والضغائن وحياتهم كلها كانت معتمده علي وسائل الشر وبعيده عن الخير وعن وسائلها فكانت الاطعمه من الخبائث والمفاسد حتي أفسدت الوثنيه الفطره وصارت جزء من نسيجهم العقلي ولهذا نجد أن الايات بعد النهي عن استحلال المحرمات والنهي عن تحريم المباح وأخبر الله عباده ان ما أحله الله فهو طيب وماحرمه فهو من الخبائث تأتي النصوص مبينه أن من ضمن الخبائث التي حرمها الله ويجب اجتنابها كونها خبائث ونجاسات من عمل الشيطان مانعه من الوصول إلي النجاح والفوز هي الأمور الاتيه فقال تعالي (يايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وبالوقوف علي الايه ومدلولاتها نجد أنها تحتوي علي الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يحترم العقل البشري ولهذا جاء بالتشريعات التي تضمن حفظ العقل البشري كونه هو مناط التكليف وهو الذي يميز الإنسان عن بقيه المخلوقات ذلك أن الغرائز أمر يشترك بها الإنسان مع الحيوانات بل حتي النباتات ولهذا نجد أن الأمر الإلهي جاء فيه تقرير أن هذه الامور من أعمال الشيطان علي سبيل الحصر و القصر فقال تعالي (إنما)

فذكر الخمر وهذه الكلمه معناها التغطيه والستر فهي تشمل كل ما يخمر العقل اي يغطيه ويستره سؤء كان سائلا او جامدا وسؤاء كان يوكل اويشرب اويشم أو ابره أو غيره وتشمل الخمور المعروفه النبيذ والحشيش والافيون و البيره فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وقد ذكر أن عمر بن الخطاب خطب يوما فقال (أنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسه اشياء العنب والتمر والحنطه والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل)

فذكر الخمسه المعروفه لسامعيه ثم ذكر ضابطا دقيقا للخمر وهو (الخمر ما خامر العقل) لانه يضيع العقل وعقوبته ورد أن النبي جلد السكران أربعين جلده ٢/الميسر الذي يضيع المال وهو القمار واكل اللحم ويورث الاحقاد ٣الا

انصاب /الذي يحتقر كرامه الانسان فيجعله يعبد حجر يذبح الذبائح عند أقدامها وهو شرك ونجاسه ٤/الازلالم وهو ضرب الاقداح لمعرفه الغيب وهو شرك والسؤال لماذا جمع هذه الأمور الاربعه ؟؟؟؟

الجواب يعود للاتي

المساله الاولي

حرص الإسلام علي صيانه الطاقة الانسانيه (القوي العقليه)

فجميع هذه الأمور تذهب العقل وتصيب الإنسان بفقدان قوي العقل الذي ميز الله بها الانسان ولهذا ينهي عن كل ما يذهب قوه العقل فالاسلام لايحارب مباهج الحياه والتلذذ بالطيبات لكن مع الحفاظ علي قوه العقل فالاسلام قد صان الطاقه الانسانيه حين حررها من الانقياد للالهه الباطله والأهواء المتبعه قد صان الطاقه الانسانيه حين وجهها لعباده ترضي اشواقها الخفيه دون أن تبيع بذلك كرامه العقل أو مصالح الدنيا لان الهنا المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان وهو غني كريم ولايقهرنا بالباطل ولايستخف بنا وهذه الاعماق البعيده في التحرير النفسي من الداخل لايصل إليها إلا الدين أنه يقتلع الجراثيم التي يستنبتها الطغاه والظالمون ويسلم زمام الأمور لرب العالمين الذي لايستغل هذه الطاعه لصالح طبقه أو جنس

فالإسلام حرص علي حفظ طاقه الإنسان حتي لاتزول وتبدد في جحيم القلق دون قرار ويحقق له استماعه بانسانيته ودنياه دون أن تستهلكه الدوار في أفق ضيق لاينشغل فيه بغير ذاته ومصالحه وحده لهذا يخرجه من سجن الخرافات والتقاليد والاستبداد فالإسلام لم يلغي كيان الإنسان باسم الدين ولم يقم الاخره لتصرف النظر عن دنيا يتفاقم فيها الحرمان والعجز والفساد لكن يريد من هذا الإنسان أن يكون في يقظه دائمه وجاد ومتحررا من الأوهام والخرافات والاسلام يريد الإنسان أن ينطلق في الحياه من الإيمان بالله التي تقنع العقل لما غاب عنه فلا يلجأ إلي ضرب الاقدح لأن ذلك سخافات تنتقص من العقل البشري

المساله الثانيه

أن هذه الامور من معالم الجاهليه ولهذا يأتي التوجيه للاهميه نظرا لان اول خطوه لإنجاح مشروع الوسيطيه وا لاعتدال هو التخلص من رواسب الفكر الجاهلي والتقاليد التي تغللت في المجتمع الذي تشكل منه المجتمع المسلم الاول ولهذا جاء الاشاره اليها في إطار عرض قضيه التشريع الذي ذكر انها من خصائص الالوهيه وبمناسبة اعاده تشكيل العقول وصياغه حياه الامه لتكون وفق شرع الله أن الآيات نزلت في مرحله حساسه من حياه الامه حيث كان فيها اكتمال التشريع وإتمام النعمه فكان لابد من تنظيم الثوره لتحقيق الأهداف من خلال قواعد ترسم الدستور والقوانين التي تنظم الحياه وغرس القيم والمبادئ في الامه باحترام سياده القانون والحفاظ عليه وازاله العقبات التي تمنع تطور الامه وتقف في طريق التقدم والتطو ر

ولهذا نجد أن الايات السابقه جاءت توجه الأنظار الي الإطار الذي تتحرك امه الاسلام في نطاقه وهو أنها تقيم نظام حياتها وفق منهج الله الذي فيه الإنصاف والمنفعه لكل الناس فما أحله الله فهو من الطيبات وما حرمه الله فهو من الخبائث وأن هنالك قوانين ربانيه ينبغي للإنسان أن يتحرك في إطارها ولايتجاوزها

لان الخروج عنها يعني العدوان والتجاوز من الطيبات الي الخبائث والمفاسد ولهذا فانه يستوجب تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه والجسديه من القذورات والنجاسات

المساله الثالثه

يزود الحق سبحانه وتعالى الناس بالمهارات والمعارف اللازمة لمعالجه التخلف ليحصل التقدم والتطور في الحياه حيث

وبالنظر الي هذه الأمور نجد أنها من معالم الجاهليه ومن التقاليد والظروف المتشابكه والمتداخله مع بعضها (الخمر والميسر والانصاب والازلام) ولهذا فإنه برغم أن الإسلام قد حسم مساله الشرك في بدايه الامر ولم يحصل التدرج في هذه المساله بل إن الإسلام اعتمد القطع الحاسم في كل عاده تتصل بأصل التصور والعقيده والارتباط المباشر بالله فقد قطعها قطعا حاسما من اول لحظه فهي كالاورام الخبيثه ينبغي أن تستأصل من جذورها والا فلا حياه والشرك بكل عاداته وتصورته من عباده الأوثان والذبح عند أقدام الأصنام (الانصاب /والازلام) من الأمور التي حسم أمرها من اول لحظه وبضربه حاسمه لانه لايمكن أن يستقيم ايمان وشرك بعكس الخمر والميسر فقد اعتمد فيه التدرج ولهذا فإن ذكرهما مع الخمر والميسر ليس أنه كان تحريمه في هذا الوقت بل كان التحريم سابقا وانما اجتماعهما مع الخمر والميسر لانهم من معالم الجاهليه حيث أن مجالس الخمر تكون مصحوبه بالقمار وضرب القدح والذبائح عند أقدام الأصنام وهذه الظاهره ثابته حتي في الزمن المعاصر

ولهذا نجد أنهما لم يذكر أن في الايه بعدها (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمر و الميسر ويصدكم عن ذكر) فلم يذكر الانصاب والازلام...

ومن هنا ندراك عظمه الاسلام وكيف أن هذا المنهج التربوي وضع المنهج الكفيل بمعالجه امراض المجتمعات دون إحداث اثار جانبيه فنظر قبل العلاج الي الظروف التي شكلت هذا التخلف بمجموعه الظروف التي أنتجته وصار من عوائق التقدم ولما كان التقدم حركه الي الامام وهو مرتبط بظروف موضوعيه

بمستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية وثقافية وهو ضد التخلف ولهذا فإنه للقضاء علي عوامل التخلف وخلق ظروف جديده بديله لها ينبغي أن لا تستهدف بعضها بمعزل عن بقيه الظروف التي تتداخل معها وبالذات العوامل الأساسية والرئيسيه لها فلابد أن يكون العلاج لها كلها لأن عزل الظروف عن بعضها تودي الي مضاعفات احيانا تخلق مزيدا من التخلف الذي كان سائدا فهي كانت كلها حزمه واحده فقد كانوا يتسامرون ويذبحون ويتقامرون ولهذا فإن العلاج يتطلب أن يكون عميقا فلم يقم الاسلام بالعلاج السطحي الذي من شأنه أن يحدث تحريك الظروف الموضوعية ولو بحسن نيه الي اثار عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون تحقيقه فلا يمكن علاج الخمر والميسر دون مراعاة علاقه الارتباط العضويه التي تربطهما بالونثيه وعباده الأصنام ودون النظر للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تربطهم ببعض فاخبرنا الله أن هذا من سياسه وبرامج الشيطان لإفساد حياه الناس له ارتباط اقتصادي واديه ترتبط براس المال وله ابعاد ثقافيه واجتماعية من مخلفات ركام الفكر الجاهلي الذي شكل ثقافه بصوره عادات اجتماعيه انزلت منزله الالتزام الاجتماعي وهذا الا رتباط يعود إلي عدم إدراك الإنسان لمنزلته ومكانته في هذا الكون أنه خليفه الله وقد أكرمه الله بالعقل الذي حسده عليه الشيطان فالذي يذبح الذبائح عند أقدام الأصنام لايكون عاقلا فالعاقل لايقبل أن يهين نفسه أمام حجر وكذلك فإن شارب الخمر لايحترم عقله الذي ميزه الله به فمن كان لديه شي مميز فان معرفته له تجعله يلا زمه ويتمسك به خوفا من الظهور بمظهر ه الذي يميزه وكذلك فإن الذي يعرف دوره ومركزه في الكون وأنه مسخرا له وان عليه أن يكون منتجا بالاخذ بالاسباب والسنن فإنه سوف يكافح وينضال ولن يخاف لانه سوف يتوكل علي الله ويقبل باختيار الله وبالتالي فإن الذي يلجاء الي طلب الغني بدون تعب ويهرب من الواقع ويعيش في الخيال والأوهام فإن هذا مثل من يضرب بآلاقداح فهنالك اثار من ركام ومخلفات الفكر الجاهلي مازال هنالك ارتباط عضوي يربط اوعيته القلبيه والذهنية والعقلية والنفسية بمخالفات وثقافات الفكر الجاهلي ولهذا كان الا هتمام بمعالجه هذا التداخل والتشابك بينها ..لأن إهمال ذلك التداخل والارتباط يودي الي مزيدا من التخلف فالمراد تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه من مخلفات ركام الفكر الجاهلي وليس معالجه حالات الإدمان باعتبارها عاده اجتماعيه

بمعزل عن بقيه الظروف بل جاء فيه مراعاه العلاقه الثقافيه والاقتصادية نظرا لارتباطها بالاقتصاد والحاله النفسية التي أنتجت نظره مغايره لحقيقه هذه الظروف فأراد الحق ذكر ابعاد الارتباط التي أنشأت هذه العادات ليكون العلاج سهل فقال تعالي (رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ربطها بالظروف الموضوعية أنها

ترتبط بما ألقت الجاهليه من عقبات في وسط الطريق الوعر لتزيده وعوره تمنع من الفلاح والنجاه ولهذا فإن تطهير الطريق من العقبات تتوقف علي تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه من مخلفات ركام الفكر الجاهلي فجاء الاقتران بعباده الأصنام لتأكيد أظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهليه وأهل الشرك موجب اجتنابه فأنت مكلف بازاله هذه النجاسات فكان الاقتران لأجل الشعور بالمسؤولية وبخطوره الداء والرغبه في الدواء في التشخيص لأسباب الداء من الامور المهمه للعلاج ولهذا فاللازم علي كل من يقوم بعلاج أمراض تخلف ما في مجتمع أن ينظر إلي علاقه الارتباط العضويه بين الظروف التي شكلت الظاهره ليحدث خلق الظروف الجديده التي تحقق التقدم والتطور

الأمر الثاني

أن الايات تريد أن تغرس في النفوس النفور من هذه الأفعال القبيحه يريد الحق أن يشاهد المومن هذه الأعمال بالبغض والكراهية ليبتعد عن تعاطيها فيخبرنا الله أن هذه الأعمال كلها من أعمال الشيطان المتمرد عن أوامر ربه فهل تقبل أن تعمل انت عمل الشيطان فهو شيطان وذلك مما تاباه النفوس السليمه

وأنها (رجس) وهو الخبيث المستقذر والمكروه من الأمور الظاهره ويطلق أيضا علي المذمومات الباطنه كما قال تعالي في موضع آخر (وأما الذين في قلوبهم مرض فزدانهم رجسا الي رجسهم) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) والمراد به الخبيث في النفوس واعتبار الشريعه وهو اسم جنس فالعبره بالمنافع والمضار في الأشياء وفقا لاعتبار الشريعه الاسلاميه فالموصوف بالرجس هو من أعمال الشيطان وهذا فيه الذم المبالغ فيه يولد فيه الاشمئزاز من اقتراف مثل هذه الأمور فالإسلام يقتلع هذه الجراثيم من اعماق النفس وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

اهميه انتقاء الألفاظ التي تتفق مع الخطاب فالحصر والقصر بأن هذه الأعمال من الخبائث والمفاسد التي يتعاطها الشيطان وأنها رجس قادره علي تحقيق الهدف وهو البغض والكراهية لهذه العادات القبيحه فهي من وسائل الشيطان فأراد الحق بهذا استحضار العدواه بين الإنسان والشيطان أنها تعود إلي عدم اعتراف الشيطان بفضل ادم بالعلم والعقل والتسويه بيد الخالق سبحانه وتعالى وبالتالي كيف لك أن تفرط بالعقل بالخمر وكيف تتنزل عن كرامتك بأن تشرك بالله وكيف تلجأ الي الأوهام والخرافات في طلب معرفه الغيب بآلاقداح ثم كيف لك أن تثق في عدوك الشيطان والله قد اخبرك أنه عدو وامرك أن تتخذه عدوا فقال تعالي (أن الشيطان لكم عدو ا فاتخذوه عدو)

فيكفي أن يعلم المومن أن هذه الامور من عمل الشيطان لينفر ويشمئز منها ويبعتد عنها

المفهوم الثاني

أن الفلاح لايتم الا بترك ماحرم الله وخصوصا هذه الفواحش وهي مما ينبغي اجتنابها لأنها من أسباب التخلف والهلاك والضياع فقال تعالي (فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

وهو اجتناب التلبس بها فيما يقصد له من المفاسد بحسب اختلاف أحوالها فاجتناب الخمر يعني اقتنائها وشربها وبيعها واجتناب الميسر هو ترك القمار وكذلك اجتناب الذبح لغير الله وهي نجاسات معنويه وذهب البعض الي القول إن الخمر نجاسه ماديه حسيه والمسألة متعلقه بالفوز والسعاده في الدنيا والآخرة لأنها مرتبطه بالصراع بين الخير والشر بين الحق والباطل معركه بين النجاح والفوز والظفر وبين الإخفاق والخيبه والخذلان ولهذا يتوقف الفوز علي تغليب المصلحه العامه علي المصلحه الشخصيه لان الخمر كان يشكل راس مال وتجاره الكثيرون وتوقف مزواله هذه التجاره من الموكد أنها سوف تلحق بهم خساره ماليه ولهذا نجد أن الايات تربط بين

اجتناب هذه الأشياء وبين النجاح والفوز فهي تهدف إلي خلق بوعث تدفع الي الاحساس بسمو الهدف الذي من أجله يكون اجتناب هذه الأشياء وتجعل من هذه الأهداف مصالح عليا مشتركه يجتمع حولها الناس لأجل تغليب المصلحه العامه علي المصلحه الشخصيه فتربط ذلك بالمعركه المصيريه مع العدو المشترك أنه خطر يهدد كرامه الا نسان وخلافته علي الارض فالعدو هو الشيطان فلابد من مواجهه العدو المشترك ومخططاته لانه يسعي الي مافيها تعاسه الإنسان وشقاءه من خلال تزين الشهوات والملذات التي تكون نهايته الخذلان والشقاء ولهذا فإن النجاح والفوز والظفر مصالح مشتركه تستحق الدفاع عنها بجهود المومنين مجتمعين لتحقيق الرفاهيه والرخاء وا لازدهار والسعاده للمجتمع المسلم انطلاقا من واقع شرعي ثابت وليس من واقع متردد فالأمل الجديد الذي رسمه ا لاسلام للمومنين يتطلب اعاده تشكيل العقول وصياغه حياه الامه وفقا للصوره التي يرضاها الله لتنال العز و التمكين فكان لابد من الإنتباه للعدو وأهدافه وتطهير الطريق من عقبات الماضي البغيض فالصراع مع الباطل و الشر الذي أسس مدرسته الشيطان هو الذي أحدث الاختلاف والتمزق والحروب فالشيطان واعاونه قاموا بتحديث وسائلهم لاحداث الفوضي والسعي لابطال المشروع الرباني ومخالفه منهج الله فكان الخمر والقمار والانصاب والاز لام وغيرها من الوسائل التي قام خبراء فيهم بإعدادها لتكون عوامل ابطال الشريعه وهدم القيم والمبادئ والأخلا ق من روح الامه لتكون امه بلا روح بلا هويه امه متناحره لا هدف ولا غايه لها كل فرد له اهتمامات

لاتتجاوز رغباته ونزوته وبالتالي فإنه من الطبيعي ظهور الصراع وفقدان الامه قوتها وعزتها وهذا مانحن عليه اليوم

ثانيا

في سياق بيان أن اجتناب الخمر والميسر والانصاب والازلام فيه الفلاح والنجاه والسعاده تكشف النصوص عن خطه الشيطان وأهدافه وغايته التي يريدها من وراء هذا الرجس الذي سخر له كل إمكانياته هو وأعوانه فقال تعالي

(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون)

تبين النصوص أن عدوك الشيطان يسعي من خلال هذه الأشياء (الوسائل) الطرق المفسده للأخلاق أن يستعمل هذا السلاح لتحويل المجتمع الي وحوش يسعون وراء اطماعهم أو بهائم تلهث وراء الملذات والأهواء يريد أن يقتل فيكم روح الانسانيه والأخلاق يقتل فيكم روح الاخوه والتعاون علي البر ويقتل فيكم كل معاني الإنسانية وا لإخاء والحب ويولد التباغض والجريمه والفوضي يقتل الضمير فلا يكون هنالك احترام للقانون فقال تعالي(أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء) والثاني الابتعاد عن ذكر الله والانشغال عن الصلاه فجاء التعقيب (فهل أنتم منتهون) عن هذه القبائح بعد أن اخبرتم بكل هذا وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن القرآن يريد أن يغرس في نفس المومن النفور من مخالفه أوامر الله ولهذا يكشف له هدف عدواه وغاياته ووسائله ليري السامع ذلك الواقع كانه ماثلا أمامه فيشاهد حاله الفوضي والاضطراب ليشاهد ذلك بالبغض والنفور والكراهية ليبتعد عن تعاطيها ولهذا جاءت النصوص بأسلوب حوار وترغيب وترهيب فالله سبحانه وتعالى يقول لك ايه المومن أنك في معركه بين الفلاح والخذلان معركه الحق والباطل معركه الخير والشر معركه الصلاح و الفساد وهذه المعركه تحتاج منك الي الوعي واليقظه الدائمه لابد أن تسد الثغرات التي ينفذ منها العدو تحتاج إلي الوعي الكامل بينما الخمر من الأمور التي تذهب العقل ويهيج نوزاع الشر في الإنسان ولهذا فإن من مصلحه الإ نسان أن يكون عقله حاضرا لايغيب عنه فهو ما ميز الله به الإنسان والله قد كرم الإنسان بالعقل عن غيره من المخلوقات ولهذا لايريد للإنسان أن يذهب عقله لانه أن حدث ذلك استحوذ عليه الشيطان وكذلك فإن الميسر

يفسد التصور لدي الإنسان في حركته في الأرض لانه يزرع الاحقاد بين الأصدقاء والاصحاب وهو أيضا يجعل الإ نسان عابدا للمال دون النظر لمصدره ويولد مجتمع متخلف يلهث وراء المال دون بذل جهد مجتمع يبحث عن الترف المادي مع انحطاط القيم الروحانيه فيكون اللص فيهم ذكي والأمين احمق يولد الحقد والكراهية فينتج مجتمع لايمت للحق بصله مجتمع يعيش لرغباته واهواه مجتمع يعيش في غفله فهي من اضداد العلم والغفله اصل الشر ف الله يقول في موضع آخر (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) ولهذا فإن التحريم من الشارع فيه منفعه الامه ولهذا أخبرهم أنه من عمل الشيطان ورجاء لهم الفلاح باجتنابها وآثار ما في الطباع من بغض الشيطان بقوله تعالي (إنما يريد الشيطان) لان الهوي لايستقل وحده بفعل المحظورات الا مع الغفله لأن الإنسان لو استحضار مراقبه الله واطلاعه علي أعماله ولو كان موجود في ذكره قوه الله وعظمته وجلا له وكماله وقدرته وبطشه وعقابه وعده ووعيده لاوجب ذلك له الخشيه القاطعه للاهواء لكن غفلته توجب نقص إدراكه فيكون منه الأعراض الناتج عن الغفله فالانشغال عن ذكر الله تعالى تجعله ينظر الى الاشياء من زوايه الرغبات والملذات ولهذا ناسب ذم الذين أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات والذين يميلون وراء الشهوات والملذات والذين اتبعوا ما اترفوا فيها وربطها بالخمر لأن شرب الخمر والقمار من أفعال الفجور المترفون الذين اوقعوهم الفجور في اللهث وراء الملذات والايات وردت بعد ذكر أصحاب البدع والمترهبون الذي اوقعهم التشدد في التطرف لان كلا منهما يستحوذ عليهم الشيطان والهوي فينسهم الله الدار الاخره ويفسد حالهم ف الله يقول في موضع آخر (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ولهذا تختم الايه الكريمه بهذا التعقيب (فهل أنتم منتهون) وهذا فيه

المساله الاولى

اهميه استخدام الأسلوب الأمثل لتحقيق الأهداف والاغراض والقضايا التي تسعي إلي معالجتها ولهذا نجد أن الا ستفهام (فهل أنتم منتهون) أنه حوار مع العقل يقول لهم الحق ايه المومنون انكم المعبرون عن اراده الامه التي كلفها الله بقياده العالم في هذه المرحله لحمل المشروع الرباني الذي فيه التطور والخير والتقدم والعدالة والا ستقرار للعالم أجمع فأراد بهذا التحذير من انتفاء وقوع المستفهم عنه أراد أن يعلمنا اهميه مشاركه المستهدفين في صياغه الاجابه ولذلك روي عن عمر لما سمع الايه قال (انتهينا انتهينا)

المساله الثانيه

أن علي من يقوم بالدعوه أن لايفصل بين المنهج الرباني وأحكامه وبين دوره التربوي وان يغزو التوحيد أعماق النفس الداخليه ليحب المومن ما يحب الله ويرضاه ويبغض ما يسخط الله فذكر أن الشيطان إنما يريد والارده تعني المحبه أنه يحب اضلالكم وان يمزق اجتماعكم يريد أن يفسد اجتماعكم يسعي لازاله نعمه الاخوه التي انعم الله بها عليكم ولايستقيم امر امه وفيها تباغض والبعد عن ذكر الله لأن القلب لايجتمع فيه الايمان والكفر استحاله اجتماع الشمس والقمر ولهذا بعد ظهور المفاسد جاء الاستفهام هل انتم منتهون وفي هذا اشاره الي انه سبقه مراحل كان فيها التدرج في تحريم الخمر والميسر حيث ابتدأت بايه سوره النحل (ومن ثمرات .....تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) ثم ماورد في سوره البقره (ويسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما منافع ...الخ ثم ايه النساء وقد تناولنا شرح ذلك في سوره البقره منعا للتكرار ...فالمساله فيها التدرج لأن هذه العادات لها ارتباط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكه ولهذا كان التدرج مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب فلم يكن من السهل علي كل نفس أن تحسم موقفها منها في لحظه فلا يعاودها الحنين إليها ولاتعود فكان التدرج في إطار بناء الخلق الفاضل وتربيه المومنين ولهذا كان جاء الاستفهام للنهي عن تعاطيها بهل التي أصل معناها قد وكثر وقوعها في خبر الهمزه الاستفهام فاستغنوا بها عن ذكر الهمزه فلم يقل انتهوا لافاده تحقيق حصول المستفهم عنه بترك واجتناب ذلك ولهذا قالوا انتهينا انتهينا

المساله الثالثه

تبين النصوص أن علي المعلم تقويم مدي استعياب التلاميذ للدرس وحصول صوره له في الذهن والقلب والنفس فلا يكتفي بالقاء الدرس دون معرفه الاستعياب لدي المخاطبين ولهذا جاء بالاستفهام (فهل أنتم منتهون) لتمثيل حال المخاطبين بحال من بين له المتكلم حقيقه الشي ثم اختبر مقدار تأثير ذلك البيان في نفسه فصيغه هل انت فاعل كذا تستعمل للحث علي فعل في مقام الاستبطاء وهذا يتناسب مع التدرج في تحريم الخمر والميسر ولأن البعض لما قال تعالي في سوره البقره (قل فيهما منافع) روبما أن الأمر التبس علي البعض فظن أن مجرد وجود منافع وان كانت أضرارها أكثر يجعلها غير واقعه في دائره التحريم ولهذا جاء النهي بهذه الصيغه عطفا علي ماقبلها من بيان أضرارها التي هي تظهر أنها مفاسد عظيمه لقطع الأعذار بعد الأمر بالاجتناب للتأكيد علي قطع هذه العاده وتحريمها فهي من الفواحش

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه إطفاء نار الصرعات وتضميد جراح الخصومات فاخبرنا الله أن علينا الوقايه من كل بواعث ا لاختلاف والصراعات اين كانت الأسباب التي تنتج عنها ثم أوضح الهدف بأنه لصالح الإنسان اجتناب مانهي الله وان يستحضر المرء أن الله مطلع عليه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول لايزني الزاني وهو مومن ولايسرق السارق وهومومن ولايشرب الخمر من كان مستحضرا اطلاع الله عليه لانه لو استحضر ذلك لحصل منه الخوف من عقاب الله وسوف يهرب عن كل ما يغضب الله وسوف يحرص علي ما فيه القرب من الله وحب الله ولهذا يأتي الأمر بعدها بقوله تعالي (واطيعوا

الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين)

الأمر بطاعه الله هو بامتثال امره واجتناب نواهيه في كل ما جاء بالقران الكريم كتاب الله وطاعه الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته والتحذير من المخالفه والوقوع فيما نهي الله عنه فالمجتمع المسلم لايوجد صراع علي السلطه السياسيه لأن الجميع مطيعون لله والرسول صلى الله عليه وسلم فكل خلاف يرجع فيه الي كتاب الله وسنة رسوله ولهذا فإن المومن يستحضر وجود الله واطلاعه في كل حركه وقبل أن يتحرك ينظر إلي الحكم الشرعي للفعل وهو في يقظه دائمه ينهض بالتكاليف ويسيطر علي نزواته ورغباته ولهذا فإن هذا المنهج فيه الخير والصلاح للناس لانه يحقق كرامه الانسان ولهذا فإن انتصاركم علي العدو إنما يكون بهذا المنهج وانتم بهذا المنهج تنتصرون علي الأعداء ويكون القضاء علي العدو وحساباته التي يسعي من خلالها الي تمزيق كيان الامه وتمنع تمزيق الصف فالعدو يريد الانفراد بكم من خلال الخمر والميسر عندما يجعلكم جماعات ممزقه فعندما تفقد الامه وعيها بالخطر المشترك ويسقط من حسابها المصالح المشتركة فإنها تقع في دائره الشرور وتعجز عن حمايه الحق ومقاصده لأن اردتها تكون منشغله بتفاهات وبعيده عن مصدر قوتها وعزتها ونحن نشاهد اليوم كيف هو حال الا مه عندما ابتعدت عن منهج الله كيف صار العالم العربي والإسلامي في حاله تمزق وضعف وهوان وهو ما أخبرنا الله عنه (واحذورا) اي من مخالفه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالتهديد هنا فيه بيان أنه لو حصل الأعراض لايضرون الا بأنفسهم فقال تعالي (فان توليتم فاعلموا)

جواب الشرط معناه أن الضرر يعود علي أنفسكم ولن يلحق الرسول ضرر فهمته هو البلاغ وهو اداء الامانه وقام ب البلاغ فقال تعالي (فإنما علي رسولنا البلاغ المبين) واضافه الرسول الي الله تشريفا له مبينا أن رسول الله قد بلغ الرساله ولهذا فقد قامت عليكم الحجه وبالتالي عليكم الشعور بالمسؤولية وان تنهضوا للحق وتنتصرون للحق ف العاقل اذا نظر إلي المفاسد فإنها تكفي لتزجره وتكف نفسه ولم يحتج الي موعظ ولا خوراق ولا زجر بليغ

رابعا

(واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله

يحب المحسنين)

بالوقوف علي الآيات الواردة السابقه نجد انها تناولت اضرار التشدد في الدين وأنه لايحارب مباهج الحياه والتلذذ بالطيبات لكن في إطار الوسيطيه والاعتدال وذكر اضرار شهوه البطن في الاسراف بتناول المباحات مثلما ذكر اضرار الحرمان وتعذيب النفس من الطيبات ثم تناولت الآيات شهوه البطن بتناول المحرمات من الخمر واللحم الذي يذبح في هذه المناسبات وقرنت ذلك بعباده الأصنام وايضا ذكرت شهوه حب المال فذكرت تحريم الميسر و الذي يدخل فيه القمار واخبرنا الله أن هذه الامور ثغرات ينفذ منها الشيطان الي النفوس فيكون الإنسان خاضعا للشيطان وبالتالي كيف لعبد يطلب الفلاح أن يقبل بولايه الشيطان فسلطانه كما أخبرنا الله (أنه ليس له سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون إنما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

ولهذا جمع الحق سبحانه وتعالى الخمر والميسر والانصاب والازلام في النهي لأن حب المال يولد الحرص الشديد و الشح والطمع والحسد والحقد والفجور والظلم وسفك الدماء واتباع الهوى وذلك يطفئ جذوه الايمان ويفتر الهمه عن الطاعات ويحصل التقاعس ويخرج من القلب حب الله ورسوله ويحل محله الشهوات والملذات وحب المال ولهذا تأتي الآيات مبينه وسائل العلاج من هذا الداء

الامر الاول

الوسيله الاولي من وسائل العلاج هي الطاعه لله والرسول صلى الله عليه وسلم بالقيام بالمامورات واجتناب نواهيه والاكثار من النوافل لان الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ولهذا جاءت النصوص معطوفه علي ما قبلها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول)

فالطاعه فيها تقويه الايمان وتودي الي ارتباط العبد بربه والتقرب منه بالأعمال الصالحة

و هذا يتطلب الحذر من التهاون بالطاعات والمحاذير فالإيمان ينقص بتسلط الشهوات من حب المال فالطمع يجعل المرء لايشبع كلما زاد المال زاد طمعه وحرصه دون اهتمام بمصدره واضراره علي الآخرين وطغيانه وجحوده انعام الله ولهذا يقول الله تعالى لعباده (واحذروا)فعليكم تذكر عاقبه المخالفه والعقاب فالعذاب في الاخره اشد وابقي فإن هذا الحذر يجعلك في يقظه دائمه وذاكرا لله فمن الخطاء التصور أن السعاده تكمن في جمع المال وتلبيه الرغبات فإن العاقل لايمكن أن يضر بنفسه الي المستوي الذي يجعله يغفل عن آخرته وبالتالي فإن مصلحتك الحقيقيه توجب عليك طاعه الله ورسوله فلا تتحول شهوه البطن أو شهوه حب المال من وسيله لتقوي الله الي غايه وهدف للحياه فإن هذا يشكل خطراً فيه الهلاك ولهذا فاللازم علي المومن أن يجاهد نفسه وان يكون شاعرا ب المسؤولية فالتكاليف تحتاج إلي اليقظه وان عليك أن تذكر نفسك بعيوبها وافتقارها الي ربها فالله سبحانه وتعالى قد أرشدكم الي مافيه صلاح احوالكم ومافيه سعادتكم وحذركم من اتباع الشهوات وبين لكم أضرارها فلا تمكن الهوي والشيطان من التسلط عليك فأنت الخسران أما الرسول فإنما مهمته البلاغ المبين لاقامه الحجه عليكم فالله لم يحرم شيئا إلا كان ضارا علي الإنسان ولم يبيح الا مافيها النفع للإنسان فإذا أدركت النفس ذلك فإنها سوف تترك الخبائث والمفاسد لأن ذلك فيه صلاحها أما إذا لم تترك الهوي والخبائث فإنها إنما تضر بنفسها ولهذا ق ال تعالي (فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين)

الامر الثاني

اهميه الالتجاء الي الله والتقرب منه لأن الشيطان لا يتسلط علي العبد الاعند غفلته ولهذا يبصر الله عباده بمكائد الشيطان حتي يحذروا منها فالذكر يودي الي التذكير وطرد الغفله فالله يقول في موضع آخر (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فالعاقل اذا تنبه من غفلته وتذكر عقاب الله لابد أن يكون حذرا من اي طائف شيطاني يطوف حوله لأن ذكر الله يطرد الشيطان فذكر الله يحول دون الوقوع في شبكه

ومصيده الشيطان ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يبين للمومنين الذين بعد نزول ايات تحريم الخمر والميسر بدوا يتسالون عن اخوانهم من المومنين الذين ماتوا قبل التحريم وقد شربوا الخمر وتعاملوا بالميسر فنزلت الآية (ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

فالايه فيها عده مدلولات

المساله الاولى

تقرر قاعده التحريم وعقوبتها أنها لاتسري بأثر رجعي وانما يبدأ سريان العمل بها من تاريخ نزول النص المجرم للفعل وبالتالي فلا جريمه ولاعقوبه إلا بقانون فالنص القانوني هو الذي ينشي الحكم ولهذا جاء فيه رفع الجناح وهواللؤم والمؤخذه ممن شرب الخمر وذاقه قبل التحريم ؟

مبينا العله (اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات)

فهم عندما يتركون فعل أمر فإن هذا يعود إلي خوف الله وانهم يعرضون أعمالهم علي شرع الله وبالتالي فإن هولا ء لم يتناولوا ذلك علي انها محرمات ولم يرتكبوا معصيه...

وبالتالي فإن التحريم للشي يوجب الالتزام به طالما أنه صادر من الله تعالي الأمر باجتنابه ولهذا فإن ذلك يعني أنك تومن أنه من الخبائث. وتبادر الي تركه سواء عرفت العله ام لم تعرف فطالما أن الله يقول لك أنه محرم فإن الا لازم امتثال أمر الله خضوعا واستسلاما لأمر الله وبعد ذلك يكون للعقل أن يبحث عن الحكمه ان كان يمتلك ادوات معرفتها فإن لم يعرفها فعليه الامتثال لأمر الله

المساله الثانيه

يخبرنا الله أن العبادات القلبيه هي التي يقطع بها العبد المسافه بينه وبين الله فالقلب هو الذي يسير به العبد الي الله فطالما انهم يومنون بالله ويرقبونه ويعملون الأعمال الصالحه فإنه بهذا يتصل بالله ولهذا يجب محاسبه النفس ومراقبتها علي الدوام لمنع تسرب افات البعد عن التقرب والاتصال بالله فقد تتسرب افات العجب الي نفوس الصالحين والغرور ولهذا فإن القرب من الله يتطلب مراقبه الله في كل لحظه بالاتقاء والثبات علي الإيمان في كل وقت ولهذا يقول لنا الله (وامنوا واتقوا) فأراد بهذا الثبات والاستمرار علي التقوي والايمان ومن الطبيعي أن العمل الصالح هو المعبر عن ذلك والمومن محتاج الي تجديد إيمانه وطلب زياده الايمان فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول لايزني الزاني وهو مومن...الخ فإنه لو كان مستحضرا لاطلاع الله عليه لما ارتكب الجريمة

المساله الثالثه

ان آثار الأعمال هي التي يكون فيها الانتقال من الهمجيه الي الإنسان ثم يرتقي ليكون انسان أخلاقي ثم يرتقي ليكون انسان رباني فمظاهر تأثره وأتباعه الشريعه تجعله يعرف حق ربه وحقوق بني جنسه حسب مراتبهم فيستعمل ملكاته في محلها

في أداء ما الزمه الله به وهو يشعر بالراحه والاطمئنان لانه بذلك يتقرب إلي الله وهو يتخلص من مشاعر وبواعث الشر حتي يطرا علي الميول النفسانيه موت لكل دواعي الشهوه لانه ينظر إلي الطاعات أنه غذاء روحاني فاعلي درجات الروحانيه هو أن يطمئن الي ربه وان يجد كل السرور واللذه في الله فيجد في القرب من الله الغذاء الروحاني الذي تقوم عليه حياته الروحانيه فتأخذ الشهوات النفسانية في الخمود من تلقاء نفسها ويطرا عليه انقلا ب عظيم في تغير عادته فيبتعد عن الشر فتنعزل عنه المحرمات فقد ورد في الحديث القدسي ما يزل العبد يتقرب إلي حتي احبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ...الخ

هنا يجد القوه الربانيه التي تجعله يشعر براحه الاستقامه الصادقه فقال تعالي (واتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوب ومقام المحبوبيه فوق جميع المراتب وقد عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم يقوله بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وهو يقول في موضع آخر (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

القسم الثالث

بعد الحث علي مراقبه الله وطاعته وامتثال اومره واجتناب نواهيه وان اعلي مراتب ذلك هو الاستقامه الصادقه التي تجعلك تتصل بالله وتطمئن الي الله وتجد السلون في طاعته بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما أخبرنا الله في الايه الكريمه قبلها (واتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين

) تأتي النصوص مبينه أن الإيمان ليس مجرد قول باللسان فلابد أن تخضع للامتحان فقال تعالي (يايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم يايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فحزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل منكم هدايا بالغ الكعبه

اولا

بعد ذكر منزله الاحسان التي هي اعلي درجات الروحانيه لأنها تصل العبد بالله يخبرنا الله تعالي انه لإنشاء علاقه روحانيه معه تعالي لابد أن يطرأ موت علي ميولنا النفسانية لتكون هذه الميول تابعه لمراد الله عن ارداه حره راغبه بحب في الطاعه وتجد اللذه والسرور في تحمل أعباء التكاليف ولهذا قال سبحانه وتعالى (يايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم)

وقد ذكر أن الايه نزلت في الحديبيه حيث كان المسلمون في إحرام وابتلاهم الله بالطيور والحيوانات التي كانت في متناول أيديهم مثل الصغار الفراخ والبيض والكبار التي في متناول الرماح

فالاختبار هنا هو للغرائز هل تكون قوه تستعمل في التعبير عن حب الله وخوفه ام أنها تمثل نقطه ضعف للإنسان تجعله تابعا للشهوات ذلك أن الذي يحب الله تعالي سوف يبادر الي التقرب لله لما يحب ويرضاه وكذلك فإن الذي يستحضر صوره الخوف من الله فإنه لابد أن يهرب من كل ما يغضب الله

فالايه فيها الآتي

الأمر الأول

أن اللازم تدريب المومنين علي الثبات من خلال وضعهم في امتحانات لمعرفه استعياب الدروس النظريه فلا بد من الاختبار الميداني الذي يكون معرفه القدره علي ترجمه النظريات الي أفعال ولهذا فإن من عنايه الله تربيه المومنين بهذا المنهج الرباني فالله يخبرهم أنهم مقدمون علي امتحان وبلاء في أمر الصيد الذي نهو عنه وهم محرمون ليكون الانتقال الي التطبيق العملي لمعرفه صدق إيمانهم ولهذا فإن الحق يخبرنا أنه تولي سبحانه وتعالى تربيه المومنين ليكونوا اهلا لحمل الامانه وقياده العالم أعدادهم من خلال التجارب التي وضعهم فيها

فوضعهم الله في اختبار فيه اغراء مرتبط بعادات وغرائز العربي الذي كان يعشق الصيد فهو قوام حياته وهو اذا

راي الصيد فإن يداه تمتد الي الرمح لتتجه الي ما تراه عيناه من صيد سلوك غير اردي فأراد الحق تربيه المومنين علي الانضباط وعلي حسن استخدام الفرائز لتكون قوه دافعه علي طاعه وقوه ردع عن مخالفه أمر الله ولهذا يكشف الله عن الغرض من هذا الامتحان فقال تعالي (ليعلم الله من يخافه بالغيب)

فمن يخاف الله ويستحضر وجود الله واطلاعه علي أحواله فإنه سوف يهرب من أن يراه الله في موقف يرتكب معصيه الله

فالذي يدعي أنه يعرف الله بقوته وجبروته وعظمته وجلاله وكبرياءه ثم لايهرب من مخالفه أمر الله فإن هذا لم يعرف ربه أو أنه عرفه ولكن قلبه منشغل بأمور أخري

فمن لم يخشي الله فليس بعالم فالعلم يوجب خوف الله ويوجب استحضار عذابه وعقابه وبالتالي فإن المومن الحقيقي بالله واليوم الآخر باليقين الحازم لن يرتكب مايغضب الله فمن إدراك أنه إن ارتكب الجريمة فإن العقاب الإلهي سوف يحل به لامحاله لن يرتكب مايغضب الله

الأمر الثاني

أن الاختبار هنا لمعرفه القوه الخفيه النابعه من نفس الإنسان التي توضح له الطريق الموصل الي الله والدار الآخرة فهو مسافر الي الله والدار الآخرة وتدفعه الي السلوك وتبين له سبيل الخير وتحذره من طريق الشر والعصيان فالإ سلام يدعوا الي بناء الإنسان بالتقوي ويجعل منها قوه فعاله تحول بين الإنسان وبين الشر فاختبار الرقابه عنصر مهم في بناء الشخصية المتقيه وهي تغرس في النفس الشعور بالمسؤولية والحساب عن كل فعل أو قول أو حركه والمطيع من داخله لابد أن تدلك أعماله وسلوكه علي مافي باطنه فمن يخاف الله يظهر حقيقه خوفه عندما تكون الجريمه سهله وهنالك اغراء يجذب إليه الغرائز أما إذا كانت صعبه الوصول إليها فإن الامتناع لامعني له لأنه ليس بالضروره أنه امتثال لأمر الله ولهذا نجد أنه ربط الاغراء بالعادات التي يجد العربي نفسه مندفعا إليها دون تفكير وهو الصيد فأراد الحق تهذيب النفوس والتمرين علي قمع الأهواء وكسر العادات رغبه في طاعه الله وامتثال اومره واجتناب نواهيه فكان الامتحان وسيله تربيه لتحويل امتثال أمر الله الي عاده تقوم بها النفس حتي لو تعارض مع رغباتها وربط ذلك بالهدف المقصود من العاده الجديده من خلال ربط الامتثال بالوصول الي الله وقطع المسافه بين العمل والقلب وقطع المسافه بين القلب وبين الله

الأمر الثالث

أن استقرار حقيقه الايمان بوجود الله والشعور بوجوده واطلاعه في النفس تودي الي محاسبه النفس ومراقبتها علي الدوام والحرص علي تاديبها والاضطلاع بمسوليتها والحذر من المخالفه فيكون الإنسان في يقظه دائمه وبهذا يكون للامه الامتياز فقد وصف امه الاسلام عندما كانت عند مستوي المسؤولية فقال تعالي (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...الخ

فقد اجتازت الامه الاختبار بنجاح بعكس فإن اليهود في ايله تعرضوا للاختبار بصيد السمك يوم السبت فلجاوا الي الاحتيال علي شرع الله ولهذا يخبرنا الله اننا في الحياه معرضون للاختبار فالله يقول (إنما تنذر من يخشاها) وقال تعالي (إنما يخشي الله من عباده العلماء) وقال تعالي أيضا (فأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنه هي الماوي) وقال تعالي (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وقال تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطان فهو له قرين وانهم ليصدون عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)

ولهذا يأتي التعقيب (فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم)

بعد هذا الإعلام والانذار فمن خالف فله عذاب موجع لايقدر علي وصفه الا الله لانه أعذر لذلك المعتدي من الا

اعتدي فالاعتدي إنما هو مكابره صريحه وعدم مبالاه بنذير الله وخروج عن طاعته فالخوف من الله هو الخوف من عقابه ووجود هذا الإحساس في قلب الإنسان وضميره يعني حمايه التشريعات من داخل الانسان وهذا ما يتوفر في القوانين الوضعية فالفرد يلجاء الي كسرها اذا تقين أنه سوف يفلت من عقاب القانون أما المسلم فهو يشعر أن الله مطلع علي أفعاله وسوف يحاسبه علي أعماله ولهذا فإنه يجتنب المخالفه

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تربيه المومنين وتنميه وتزكيه النفوس والارتقاء بها فذكرت عقوبات رادعة لحمايه شريعه الله من ان تنتهك فتاتي الآيات مبينه احكام من يرتكب مخالفه قتل الصيد المنهي عنه في فتره الإحرام فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله متعمدا فحزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه أو كفاره طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتناول الآتي

الأمر الأول

ماهو المقصود بالنهي عن قتل الصيد أثناء الاحرام وهل له ارتباط بما ورد بالايه قبلها ؟

ظاهر الايه تحريم الصيد في حاله الإحرام وهذا تكليف وهو ابتلاء من الله وله ارتباط بما قبله وانما الاختلاف بينهما يعود إلي التفاضل في القله والكثره وفي الضعف والشده ولذلك كان التكليف الاول تمهيد لهذا الحكم وابتداء بالتنبه والاشاره إليه أنه ابتلاء للاشاره أنه من لم يثبت في مثل هذه المواقف كيف يثبت عندما تشتد المحن ؟

ولما كان الابتلاء والامتحان يراد منه تحصيل طاعتهم كما ذكر في شأن الأمر بالامتناع عن الشرب من الماء في قصه طالوت فينبغي أن يكون مقصود العبد اتباع شرع الله ليكون مطيعا لان الابتلاء يجازي به والله يحب الايمان والعمل الصالح ويرضاه ويبغض الفسق والكفر والعصيان ولهذا فإن الحق يبتلي عباده بأمور يوجب عليهم التنفيذ وان كان اخفاء الحكمه عنهم ولهذا نجد أن الايه وردت بعد الايه التي تحدثت عن ابتلاء بسهوله الصيد في فتره ا لإحرام ولأن الطبيعه العربيه أنها تندفع للصيد وربما كان هذا ناتج عن نسيان أنه محرم او يكون متعمدا ولهذا نجد أن الايه جاءت بصيغه النهي عن الصيد أثناء الاحرام ثم أوضحت حكم من يقتل الصيد أثناء الاحرام عمدا فقال تعالي (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم)

اي القاصد وقد ذهب البعض الي القول إن الحكم هو علي الناسي أما المتعمد فيبطل إحرامه بينما ذهب الجمهور الي أنه جزء علي العامد والناسي وهذا هو الأرجح لان إتلاف الموجود يضمنها من إتلافها سواء كان عامدا أو مخطئ هذا في الدنيا إما في الاخره فإن الانتقام يكون للمتعمد أما المخطئ فالعقوبه بالدنيا كافيه

الأمر الثاني

أن الايه الكريمه تهدف بهذا الي خلق ظروف جديده بديله عن الظروف التي شكلت العقليه الجاهليه والتي كانت تتلاعب بالاشهر الحرام فتقوم بتأخيرها وتقديمها وفقا لاهوائهم ولهذا جاء التنبيه بالابتلاء لتربيه المومنين علي التثبت واستحضار اطلاع الله علي أفعالهم فكان تخصيص تحريم بعض المباحات في منطقه الإحرام وعندما تكون محرما والنهي يشمل مقدمات القتل والمشاركه في القتل أو الاعانه عليه لأن ذلك من تمام الأمر ويربط هذا بتعظيم القلوب لهذا النسك فقال تعالي (ومن قتله منكم متعمدا) من اسم شرط وقتله فعل الشرط منكم صفه لا سم المشروط اي من المومنين

والمراد بإيراد منكم التنبيه علي ابطال فعل الجاهليه لانهم كانوا يعاقبون من أصاب صيد بالضرب ويسلبونه ثيابه ولهذا يقطع الاسلام العلاقه بأفعال الجاهليه وتنص الايه علي الجزاء والعقاب في الشريعه الاسلاميه (فجزاء مثل ما قتل من النعم)

فقد سماه الله جزاء والفرق بين الجزء في الإسلام وبين أفعال الجاهليه ان العقاب في الإسلام يهدف إلي التأديب وحمايه الاخلاق بالعقوبه الكفاره التي يكون ستر الذنب وذلك بإصلاح القلب بحيث يشعر بعظمه الجريمه لان الذي يصل الي الله هو تقوي القلوب لقوله تعالي (لن ينال الله دماوها ولا لحومها ولكن يناله التقوي منكم)

ولهذا سماه جزء مع أنه شرع علي صفه الكفاره كونها تأديب وعقوبه كما قلنا وليس القصد منه أن يغرم اي مجرد الغرامه بان يذبح بهيمه من الانعام بمايماثل الحيوان المقتول وانما يراد بهذا أن يشعر أنه ارتكاب جرما أوجب عليه الجزء بالمثل اي من مستوي الصيد الذي قتله فنفسه بحاجه الي تربيه وتطهيرها لان قتله لما حرم الله عليه يعني أن النفس لم تتصل بربها بالقدر المطلوب وبالتالي فليس المراد به الاهانه والإذلال كما كانت عادات الجاهليه بضربه وتجريده من ملابسه ولهذا لم يترك الأمر لكل واحد فجاء بذكر الحاكم (يحكم بها ذو عدل منكم)

فالمساله تحتاج إلي خبره وتقدير صفه وقيمه المقتول وما يماثله في المستوي والقيمه فقد ذكر أن الغزال يقابلها عنز والبقره الوحشي يقابلها بقره أو ابل والقط والارانب البري يقابله ارنب وقوله (ذو عدل منكم) يعني أنهم من المسلمين وهذا فيه أن علي الصائد أن يبحث عن عدلين من المسلمين من ذوي الخبره وان علي العدلين أن يقوما بالتقدير للمثل لانه لايستطيع كل واحد معرفه صفه المماثله وبالتالي فإن قيامه بالبحث عن العدلين وخضوعه لما يحكمان يعني أنه قد شعر بخطوره فعله وفي ذلك علاج لقلبه وتربيه ليكون معظما لمناسك الله فالمراد بهذا تحويل مفهوم العقاب من اهانه في عرف الجاهليه الي عقوبه تبعث علي تعظيم العبد لمناسك الحج ولهذا قال تعالي بعدها (هديا بالغ الكعبه) حيث نجد الاقلاب التنوين مع الباء في (هديا بالغ) لان قاتل الصيد قد قام بـ التحول عن وجهه الإحرام الكعبه بفعله الي الاحوال العاديه في غير الحج والعمره فكانت الكفاره تحويل الجراءه الي تعظيم لمناسك الحج فكان هذا علامه علي عوده الأمور الي نصابها لان قيامه بسوق الهدي الي الكعبه يعني أنه أصبح يحترم المحرمات فالهدي عندما يساق الي الكعبه لايجوز التعرض له فكان الجزء من جنس العمل و الخيار الثاني اطعام مساكين أو صيام بما يعادل ذلك

الأمر الثالث

لمن يكون التخيير بالحكم (هدايا بالغ الكعبه أو إطعام مسكين أو عدل ذلك صياما)

هل التخيير لمن اصطاد ام المحكمين ؟

أن الصيد ملك الله اباحه في الحل ولم يبحيه للناس في الإحرام ولهذا فإن من تعدي عليه يكون قد حوله عن وجهه ففرض الله عليه جزء وجعل جزاءه ينتفع به ضعاف عباده

ولهذا فإن التخيير يكون للمحكمين لاختيار مافيه المصلحه الا في حاله عدم وجود النقود معه فيكون عليه صيام بما يعادل ذلك لان الله تعالي قال بعدها (ليذوق وبال امره)

حيث نجد إدغام التنوين مع اللام في قوله (صياما ليذوق)

فدل هذا أن الكفاره داخل فيه معني العقوبه لان الذنب هنا مخل بحرمه يشدد عليها الاسلام تشديدا ولهذا سمي

جزاء ولم يسمي كفاره لانه روعي فيه المماثله فهو مقدر بمثل العمل فسمي الجزء مأخوذ من المماثله الموافقه جزاء وفاقا ولهذا فإن تقدير الموقف ونوع الحكم الذي يحقق شرط المماثله إنما يتحقق بتقدير المحكمين فدلنا هذا أن العقوبه ليتجرع عقوبه فعله فاوجب عليه كفاره مثل ما قتل من النعم والذوق متعلق بقوله (فجزاء) واللام للتعليل ذلك أن الذوق يستعار للاحساس والكدر يذوق طعم الكربه ليكون اعاده اثاره الاحساس من خلال اتصاله بـ الألم عن فعله بالادرك كما قال تعالي (ذق انك انت العزيز الكريم) وقال تعالي (فاذقها الله لابس الجوع والخوف)

والوبال السؤء وما يكره فـالله يقول في موضع آخر (فاخذناه أخذا وبيلا)

وطعام وبيل يعني سي الهضم ....والامر الشأن والفعل أي أمر ما قتل من الصيد متعمدا والمعني ليجد سؤء عاقبه فعله بما كلفه من خساره أو من تعب وهذا يدل أن المحكمين هما اللذان يختاران الحكم المناسب الذي يحقق الغرض ولهذا يأتي التعقيب بقوله تعالي (عفا الله عما سلف)

العفو عن المخالفه في الجاهليه وعن المخالفه قبل نزول الايه فدل هذا علي التشديد علي هذه المساله بدليل أنه ذكر العفو وان الذي يعود إلي الفعل فـالله متكفل بانزل العقوبه عليه فهو عزيز لايقهر وهو يعلم ما يصلح لعباده

الأمر الرابع

تبين النصوص أن اللازم علي المسلم تعظيم شعائر الله والتي منها حرمه المكان والزمن وعدم جواز قتل اي حيوان عدا الفواسق العقرب _والحيه _والغراب _والفاره _والكلب العقور

وتبين النصوص أن الذي يعود إلي القتل مره اخري فـالله متكفل بانزال العقوبه عليه فقال تعالي (ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)

واصل الانتقام الانتصار والانتصار فأراد تهويل العقوبه للمبالغه في شده ماينال من عقاب فـالله اذا اراد أمرا قضائه فهو شديد البطش فكيف يكون تخلص المجرمون من قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفه والعصيان بقدر الإمكان والاستطاعه فلانسان يحصد ما يزرع فناسب التهديد الحاله النفسيه التي تسيطر علي الصياد لانه يغتر بقدرته ومهارته ويحاول إظهاره ما يفتخر به من القدره والقوه علي هذا الصيد الذي أراد الله له الامان وبالتالي فإن هذا الصياد لم يستحضر قدره الله وقوته وقهره وأنه قادر علي تحقيق وعيده بالانتقام لمن دخل في الامان ومنطقه الامان التي منحه الله إياها ولو كان حيوان فجاء التهديد ليغرس خوف الله واهميه استحضار قوته وقدرته وسلطانه وقهره سبحانه وتعالى وان تستحضر ضعفك ايه الإنسان فكيف تقف ضد أوامر القوي العزيز الذي لايغلب

ثالثا

لما ذكرت النصوص مساله تحريم الصيد وعقوبه قاتل الصيد لحيوانات البر تأتي النصوص مبينه احكام صيد البحر كالسمك وغيرها فقال تعالي (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسياره وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون)

أن صيد البحر من الأسماك وغيرها من الاطعمه البحريه أنه جائز صيدها وأكلها حلال للحاج والمعتمر او المقيم و المسافر فذلك مباح فهو متاعا اي منفعته لكم تنتفعون بها ليكون قوه لكم في طاعه الله وان صيد البر محرم عليكم حتي يكون التحلل من الحج والعمره وعقب بالدعوه الي تقوي الله فلا تغفلوا عن حقيقه انكم في الدنيا مسافرون الي الله والدار الآخرة مثلما انكم في رحله الحج والعمرة مسافرون وتجتمعون من اوطان متعدده فعليكم إن تتقوا الله وأنكم سوف تحشرون وسوف يقسم الناس إلي قسمين أما الي الجنه وأما الي السعير فعليكم استحضار هذا الموقف ليكون الاشفاق من عذاب الله سببا لكف النفس عن المحرمات واستحضار الجنه وما عند

الله ليكون الزهد عن الدنيا بالاشتياق لما عند الله وترقب الموت يجعلك تبادر الي الأعمال الصالحه

رابعا

(جعل الله الكعبه البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ماعلي الرسول إ لا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لايستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثره الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

المبحث الأول

يخبر الله عباده ان كل أمر أو نهي صادر من الله لابد أن يكون فيه مصلحه للعبد فالله لم يخلق ولم يأمر الا لحكمه وهو تعالي لم يأمر إلا لسبب فاللازم الايمان بالاسباب والحكم لأن الإنكار يعني القول إنه يأمر بما لامنفعه للعباد إليه فما أمر الله به فهو لحكمه وما نهي عنه فهو لحكمه حتي التعبد المحض فإن له حكمه لانعلمها والحكمه قد تكون في المأمور به وقد تكون في الأمر ولهذا تأتي الايه باستئناف بياني يحصل بها جواب عما يخطر في نفس السامع من سؤال عن حكمه تحريم الصيد في الحرام أو اثنا فتره الإحرام فقال تعالي

(جعل الله الكعبه البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم)

فيها الجواب بأن ذلك من تعظيم شان الكعبه التي حرمت ارض الحرام لأجل تعظيمها والجعل يطلق علي الايجاد فتعدي الي مفعول واحد كما قال تعالي (جعل الظلمات والنور) ويطلق بمعني التصير فتتعدي الي مفعولين وكلا الأ مرين صالح حيث اذا اخذنا معني الايجاد فيكون معني ذلك انه تعالي يخاطب من سال عن الحكمه في تحريم الصيد في الحرام فيقول انظروا الي ما ابتلي الله به عباده من ادم الي اليوم بهذه الاحجار الصماء التي لاتسمع ولا تبصر اي الكعبه ثم جعلها قياما للناس يهرعون إليها من كل مكان تهوي اليه أنفسهم برغم انها في مكان خالي من مظاهر الحياة فلا زرع فيها ولااماكن جذابه فهي في منطقه قاحله ورمالها كيئبه المنظر والقري متباعده عنها وجبالها متفحمه ومع ذلك جعلها الله محط اهتمام الناس مع انقطاعها في صحراء قاحله ومع ذلك جعل الله افئده الناس تسرع إليها وتسوق الهدي إليها فلو شاء الله لجعلها في منطقه مليئه بالاشجار الكثيفه والوديان الخلابة تحيط بها الأنهار والثمرات والأنهار والأزهار ولجعلها في منطقه تتصل بها القري ولجعل لها احجار كريمه وياقوت ومرجان لكن لو حصل ذلك فإن هذا فيه تصغير قدر الجزء لأن ضعف البلاء يعني ضعف الجزء لأن المسافر سوف يكون حاله إليها من زوايه السياحه ولن يجد مشقه ولاتعب وعندها لن يكون هناك مجاهده الشيطان والنفس لكن الله يختبر عباده بالمكاره والشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهدات ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا التكبر من قلوبهم واسكاتا للتذلل في نفوسهم ليجعل ذلك أبوابا مفتوحه و اسعه لنيل فضله وطرقا واسبابا ذللا لعفوه ولهذا ق ال تعالي ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات مافي الارض وان الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم)

والايه أيضا فيها امتنان الله علي عباده بأن جعل الكعبه بيت الله فأمر ابراهيم ببناءها وجعل افئده الناس تهوي إليها وغرس في قلوب الناس حتي في الجاهليه حرمه البيت الحرام بدون تشريع حيث وجد الناس أنفسهم يعظمون الكعبه والأشهر الحرام فلا يطلبون الثأر وان وجد العربي قاتل أبيه فهو يضع السلاح فقد جعلت معالم لدينهم ومصالح أمورهم في دنياهم وصاروا ينعمون بالأمن والاستقرار في حين كانت المدن والقرى المجاورة يسود فيها القتل والسلب والنهب فالله يقول لنا في موضع آخر شارحا تلك النعم التي انعمها علي اهل مكه ونسلهم حتي وهم في الجاهليه (قالوا أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا الم نمكن لهم حراما امنا يجبي إليه ثمرات كل شي رزقا من لدنا)

صار الناس يأتون إليها والتجاره في الشتاء والصيف ولايتعرض لها أحد فمن الذي وفر لها ذلك الامان ومنع عنها الجبابره حتي أهل الدين امثال ابراهه فإن هذه الحرمه من الله فالناظر الي اهل مكه والعرب في ذلك الزمان يجد أنهم أضعف الأمم فلا يمتلكون اي مصادر القوي فلا جيش لهم فالذي حمي الكعبه وجعل لها الحرمه هو الله تعالي استجابة لدعوة ابراهيم فاطمعهم الله من جوع وأمنهم من خوف فجعل الله هذه الأسباب كلها التي شكلت مصادر النهضه لاهل مكه من العدم لما فيه مصالح أمورهم كلها فقال تعالي (قياما للناس)

واستعمل قيام مصدرها قام وتستعمل لما قام علي رجليه للتعبير عن النهوض والصلاح فالله يقول في موضع آخر (ولاتوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)

فيقول الله لولا حرمه البيت الحرام وما غرس في افئده الناس من حب الكعبه ولولا حرمه الأشهر الحرام وهم رجب والقعده والحجه ومحرم لساد الخوف فالله أراد بذلك تهئيه المكان وتجهيزه لأجل الرساله الاخيره التي هي للناس جميعا فالله قد جعل كل شي يسير وفق سنن وأسباب مثلما أن الكون يتحرك وفق سنن وأسباب فقال تعالي (ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم)

فحصول هذا العلم غايه من الغايات التي جعل الله الكعبه قياما لأجلها فكل شئ له سنن وأسباب وقوانين جعلها الله واوجدها الله تعالي فالكون والإنسان والحياه يخضعون لسنن ونواميس وقوانين فهذا الكون له قوانين تحكمه والله هو المسؤول عن تدبيره فهو الخالق له والمتصرف فيه فهو ملكه تعالي وكل شي يتحرك وفق علمه وسننه التي سنها وكذلك فإن الانسان خلقه الله تعالي ولهذا فإن الله يعلم ما يصلح لحياه الإنسان وما يجلب له المنفعه فيأمر بها ويعلم مايضر الإنسان فيأمر بتركها فالله تعالي له العلم الشامل المحيط

المبحث الثاني

يقول الحق أن علي المسلم أن يدرك أن كل شي يتحرك وفق سنن وأسباب وقوانين جعلها الله تحكم الحياه والأحداث لحكمه يعلمها الله فهو تعالي قد جعل الكون والحياة والإنسان خاضعون لسنن ونواميس وقوانين فهو يعلم ما يصلح احوال عباده ولأن الإنسان له اراده حره أما الكون مجبور فقد رتب الله علي ذلك المسؤوليه علي أفعال الإنسان فالله لم يخلق شيئا عبثا ولم يأمر بشي عبثا فكل شئ لحكمه ولهذا انزل الله للانسان المنهج الرباني الذي فيه سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم فكل شئ خلق لحكمه يعلمها الله فالله يقول (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدي) ولهذا يقول لنا أنه جعل الكعبه في هذا المكان لحكمه وجعل حرمه الكعبه في النفوس وتعظيمها والأشهر الحرام والهدي والقلائد من قبل الاسلام لحكمه وهو تجهيز المكان لآخر الرسالات ولتعلموا أن كل شي يتم هو وفق علم الله فلم يأتي شيئا بطريق المصادفه فكل شئ مخطط له ومقصود فقد كان التحريم قبل الاسلام كوني ولم يكن شرعي

أما بعد مجئ الاسلام فكان ذلك التحريم شرعي وكل هذا ليكون الإنسان علي بينه من أمره ليكون مسولا عن اختياره ولهذا يقول لنا الله بعدها (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما علي الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

بان الإنسان مسولا عن أفعاله ومخالفته لمنهج الله وسوف يحاسبه الله عن كل شي وهو حساب من هو قادر علي الجزء ومن يعلم بأفعال العبد ما ظهر وما اخفي فكل شئ مكشوف لله تعالي

المبحث الثالث

ان الايه فيها بيان أن الانعام التي ينعم الله بها علي عباده هي ابتلاء وامتحان فالدين مبني علي الذكر والشكر ولهذا قال تعالي (ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم..الخ

يخبرنا أن رؤيه انعام وإحسانه اول خطوه نحو العرفان الصحيح بالله فأنت عندما تشاهد ذلك تري خالقك وجماله وجلاله وكبرياءه فتعرفه بكماله وعظمته وجلاله فتكون ذاكرا له وشاعرا انك في قبضته فتذكر امره ونهيه ويعيطك الله مثالا حي علي انعامه التي انعم به علي هذه الامه وهو أنه جعل الكعبه محرما علي الجبابره ...كما ذكرنا والأشهر الحرام وجعل هنالك حرمه للزمان والمكان لأن النفس بحاجه الي الراحه والسلام فالعرب كانوا في حروب وقتال لأتفه الأسباب ومع ذلك كان العربي اذا وجد قاتل أبيه في منطقه الامان مكه المكرمه أو في الأشهر الحرام الاربعه القعده والحجه ومحرم ورجب لايتعرض له بل إنه لم يكن يتعرض للحيوانات فذلك كله مرتب وفق قوانين وسنن ربانيه لغايه وهدف أوجدت ولهذا أخبرنا (لتعلموا) ان الله هو الذي وضع معالم ذلك وهومن حدد حددوها لتكون منصوبه للمومنين امتحان لايمانهم وابتلاء لما في قلوبهم من تعظيم الله واحترام لحرماته فهي تفتح في قلوب المومن طريقا الي الله يشهد فيه سعه علم الله وسلطانه فذكره تعالي يستلزم معرفه الله وعبادته وشكره يستلزم طاعته والتقرب له سبحانه وتعالى وهذه الغايه التي خلق لها الانس والجن والسموات والأرض ولا جلها وضع الثواب والعقاب فقال تعالي (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وأنه لاجل هذه الغايه انزل الكتب وأرسل الرسل وهي الحق الذي قامت عليه السموات والأرض ومابينهما فقال تعالي (وما علي الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فهو سبحانه وتعالى له الخلق والأمر ولهذا ارسل الرسول لاقامه الحجه وليس إجبار الناس علي الإيمان وان الله يعلم كل ما يصدر عن الناس بالسر والعلن وهو سوف يعاقب عليها فمن فعل خير فخير ومن عمل شر فشر

المبحث الرابع

بعد أن اخبرنا تعالي أنه يعلم ما في النفوس والقلوب من الأقوال والافعال فلا يخفي عليه شي فهو يجزي كلا بعمله أن خيرا فخيرا وان شرا فشر فذكر اعمال القلب التي تخفي عن الناس وأعمال الجوراح الظاهره للناس أنه يعلم كلاهما لأنهما سبب الهدايه والضلال فيقوم بالقلب والجوراح اعمال تقتضي الهدي أو الضلال وهو تعالي يحب اعمال البر ويجازي عليها بالهدي والفلاح ويبغض الفجور ويجازي عليه بالضلال والشقاء بمناسبه ذكر تفاصيل الح لال والحرام في الاطعمه والصيد ووجوب امتثال أمر الله وذكر أن الطيب متاع كلها أما الخبيث وان كان فيه لذه فإن العاقبه تكون مولمه فما أمر الله به فهو طيب وان لم تعلم الحكمه منه وإن ما نهي الله عنه فهو خبيث ومستقذر وان لم تعرف منفعته

ولهذا يرغب الله بأعمال البر وينهي عن أعمال الفجور فيقول مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثره الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

الأمر الأول

ألايه توصف لنا ما أمر الله في كتابه وسنه رسوله من الأوامر والنواهي والقيم والمبادئ والأخلاق بوصف الطيب لترسم له صوره تدفع الي التسابق عليه وان كان قليلا وترسم ما يخالف ذلك بالقبيح المستقذر و المكروه وان كان كثيرا لتغرس في النفوس عشق التكليف الرباني ليكون هنالك شوق الي طاعه الله وهذا مرتبط بما في نفس الإنسان من محبه الأمور وهذا إنما يكون إلا إذا تصوره لتتحرك المحبه والطلب لذلك المحبوب الذي يصير هو المطلوب وهذا يحتاج الي وصفه أو الي مشاهدته فكلاهما يجعل في النفس قوه طلب وهمه وعزيمه ولهذا نجد أن الايه عطفت علي ذلك معالجه مساله المشاهده للتحذير من الاغترار بمظاهر الاشياء التي تدفع الي اخفاء الصوره الحقيقيه لها لأن العين قد تغتر اذا جعلت المعاير لقيمه الاشياء الكثره والقله ولم تنظر إلي الوصف والكيف فغياب النظره الي الكيفيه والوصف يعني انك تري اشياء فاسده جميله وهذا يفسد قوي العقل وقوه الحب حيث أنها سوف تتحرك دوعي المحبه لأشياء مذمومه

ولهذا يأمر الله بمجاهده النفس لتصبر النفس علي الطاعه لقهر الهوي الذي أن تسلم قياده النفس فإنه يوردها موراد الهلاك وقد أخبرنا الله أن المتشددين اوقعهم الغلو بالبدع والابتعاد عن منهج الله فصاروا في منطقه

الخبائث ومن فرط بالاسراف قد وقعوا في المحرمات ولهذا فإن الطيب هو الذي يكون مطابقا لما أمر الله به فهو تعالي يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

الأمر الثاني

يبين الله أن سلاح التميز والتفريق بين الحق والباطل بين الهدي والضلال الشر والخير بين الطيب والخبيث هو التقوي فالله يقول في موضع آخر (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين) فالتقوي تولد قوه عزيمه وهمه عاليه وصبر علي الطاعه فمن اتقي مساخط الله يهديه الله فيبتعد عن كل ما يغضب الله وهو بذلك يترك الخبائث و المفاسد فيهديه الله الي ما يحب الله ويرضاه فقال تعالي (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

حيث يكون خوف نور ينير له الطريق ويفرق بين الطيب والخبيث وبين الحق والباطل فلا ينخدع بالمظاهر الخادعه فالله يقول في موضع آخر (يايها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

ولهذا جاء الخطاب الي أصحاب العقول والاراء الكامله فهم الذين يوبه لهم وفيهم الخير لأن الذين استحوذ عليهم الشيطان والهوي فهولاء اتخذهم الشيطان مطايا ضلال وهم جند له ينطقون بلسانه فهم قد تخلوا عن عقولهم وعطلوها ولم يستخدموها في معرفه الحق وأن عرفوه لم يقبلوا عليه لانهم تابعون لاهوائهم ولهذا كان التعويل في النداء علي أصحاب العقول السليمه المستنيره القابله للانتفاع بالهدايه

فأصحاب العقول السليمه المستنيره هي التي تطرح التفسيرات الصحيحه المعبره عن المفاهيم وفق ميزان سليم قادر علي وضع كل شي في محله بعيدا عن المزيدات والتفريط فالمزيدات والشعارات الزائفه عندما تصير ميزان ا لاشياء تودي الي تفسيرات منفعيه للأشياء ولهذا فإنه سرعان ما يتخلي هولاء عن الشعارات للهروب من الواقع الذي يعجزون عن مواجهه تحدياته لأنها لاتزكي النفس بل تمحوها وتقضي عليها وبالتالي فهذا يخرج عن المسار مثله مثل الذي يكون منه التفريط بالقيم

ولهذا يأتي التعقيب (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

فالذين فيهم غلوا عليهم الاعتدال فالتطرف يجب أن يعتدل والتخلف يجب أن يتطور فالحل التوازن الذي يقف بـ الوسط نحن بحاجه الي أصحاب الآراء والأفكار المستنيرة البناءه التي تبتغي الفلاح وتطلبه بعيدا عن المهاترات و المزايدات التي شكلت عقول الكثيرون من دعاه التدين اليوم وصارت أفكارهم اداه تعطيل محاولات استعاده الا مه فاعليتها للخروج من دائره العجز والتخلف الذي أصاب الامه اليوم في إدارتها للحياه ونظرتها الي الخير والشر حيث صار كل فريق يدعي أنه يحتكر الحقيقه ويصف غيره أنهم شر محض وخبث تام وهو ما اوصل الامه الي التمزق والانقسام والضعف والهون

الأمر الثالث

مما سبق يتضح أن الحق سبحانه وتعالى يريد من عباده أن يتخلصوا من الهوي في قياده الإنسان وان عليهم أن يخضعوا لقياده المنهج الرباني فهو فيه الكمال للإنسان والعقل البشري الذي هو قاصر ويعجز عن إدراك الكثير مما غاب عنه ولهذا فإن ميزان الطيب والخبيث هو منهج الله لأنه منزل من الله الذي يعلم مافيه منافع الناس وما يضرهم ولهذا جاء الأمر من الله لنبيه أن يخبر الناس بنفي المساواه والمماثله بين الطيب والخبيث فأراد بهذا فتح بصائر الغافلين لئلا يقعوا مصائد الشيطان واعاونه الذين يقومون بتزين الشر وإظهاره أنه خير فيقول الحق أن هنالك ثمه خبث سوف يلبس ثياب جميله ليظهر بملابس الصالحين فلا تغتر بذلك فعليك أن تعرض كل أمر علي منهج الله فما كان موافقا لمنهج الله فهو طيب وما كان محرما فهو خبيث ولهذا قال تعالي (فاتقوا الله) يريد منا اعمال النظر في تميز الخبيث المستقذر والمكروه والطيب المحبوب من خلال البحث عن الحقائق وعدم الاغترار بـ المظاهر الخادعه وهذا يعني الاجتهاد بقدر الاستطاعة وهذا هو طريق الفلاح لان أهل الطاعه هم المفلحون

الفائزون

الأمر الرابع

ان الايه فيها الدعوه للقناعه بما اختار الله لك فذلك يعيطك الحياه الطيبه فلا تطمع بما ليس لك لأن ذلك خبيث ومستقذر فالرزق القليل الحلال مثلا افضل من الكثره الحرام لأن الحرام مستقذر وان وجدت فيه لذه فما يلحقه من عاقبه مولمه لايقبلها عاقل وان من ينظر إلي الكثره دون النظر إلي العواقب هو واقع في أعظم وأشر انواع الجهل لأن الذنوب تولد له الهموم والألم وضيق الصدر والنكد وظلمه القلب وينتهي به الحال الي الشقاء والعذاب ويفوت علي نفسه حلاوه الطاعات ونور الايمان وسرور القلب والسعاده التي يجده المطيع ولهذا فإن العاقل هو الذي يراقب الله في كل أفعاله ويحاسب نفسه ويزن أعماله وأقواله وفق ميزان منهج الله الذي يحدد الحلال و الحرام والطيب والخبيث الحق والباطل لان كل ما شرعه الله فيه الخير والصلاح للناس وما حرمه عليهم فهو فيه ضرر بهم فالله يقول في موضع آخر (الخبيثات للخبيين والخبيثون الخبيثات ....الخ

فالجنه لايدخلها الخبيث لأن السئيه من الخبائث والمفاسد ولهذا يكون الابتلاء فليس العبره بكثره الأنصار والا تباع فلو كان الأمر بمقايس ان الكثره دليل علي الحق لحشر الله مع الانبياء الوحوش والطيور لكن كان اتباعهم قليلون مقارنه مع أعدائهم من حيث العدد والمنزله في المجتمع لاجل أن يمتحن الله الناس ويمحص الصفوف ف الله قادر علي ان يجعل أولياءه اولوا قوه وسلطان لكنه لم يمنح أنبيائه ذلك إلا بعد الكفاح والنضال والبلاء لانه لو فعل ذلك لبطل الجزاء لأن خضوع الناس سيكون بحكم الاضطرار ولسقط البلاء اي ما به يتميز الخبيث من الطيب ولم يبقي محل للجزء علي خير أو شر لأن الفعل اضطراري وبذلك تضمحل اخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجه ولايكون للقابلين دعوه الحق أجور المبتلين المتحنين بالشدائد الصابرين علي المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوه فالخضوع بالرهبه إنما يكون موصوفا بالتقوي الا في حاله صدوره عن اراده حره برضا وقناعه ليكون مومنا بالتصديق والاذعان والاستسلام لطاعته تعالي من غير شائبه تخالطه وكلما كانت البلوي أعظم كانت المثوبه والجزاء أجزل يقول الامام علي رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى جعل رسله أولي قوه في عزائمهم وضعفه فيما تري الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ القلوب والعيون غني وخصاصه اي فقر وحاجه تملأ الأبصار وا لاسماع اذي

وقد أخبرنا الله أيضا أن من الجهل بمواقع الفتنه والاختبار في مواضع الغني والاقتدار أن ينظر البعض الي مساله الرضا والسخط بالمال والولد فقال تعالي في ذم أولئك الذين اغتروا بالكثره ولم ينظروا الي حقيقه الاختبار الذي اختبرهم الله به فقال تعالي (ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون)

فلا ينبغي أن يكون الكثره مقايس الحق وانما ذلك يكون بالكيف وليس الكم

القسم الرابع

(يايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدوا لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبدأ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين ماجعل الله من بحيره ولاسائبه ولاوصيله ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون علي الكذب واكثرهم لايعقلون وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ماوجدونا عليه آباءنا أو لو كان ءاباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)

اولا

بالوقوف علي الايه وما قبلها نجد أنها وردت في إطار بيان أن الله تعالي قد نصب المعالم للمومنين ليعرفوا ربهم وانزل الوحي الذي وضح لهم طريق النجاه وان الحلال بين والحرام بين وان وقوع الناس في الشبهات يعود أما الي الغفله أو الهوي وشرع في بيان أسباب الغفله فذكر أن البطر والمرح وطول الأمل يولد نسيان الحق وتختلط

عليهم الاشياء وانه يخفي عليهم الادله فيكون منهم اعتقاد تحريم اشياء كثيره لخفاء الادله دون أن يحرم الله ورسوله ذلك وانما هذا عقوبه لهم علي الذنوب أنهم يسلبون الهدي والعلم النافع فيعاقب بأن يخفي عليهم الكثير من الاطعمه والاشربه وغيرها وذلك عقوبه لهم فالله يقول (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب)

فالمقصر في طاعه الله يعاقب بخفاء العلم والنسيان لعدم علمهم بما جاء به الرسول من عند الله وكذلك بعاقبون بفتاوي من علماء بدون دليل فالجهل من أسباب عقوبتهم فتجد الكثيرون يحرمون علي أنفسهم امور كثيره وان لم يحرمها الله ورسوله لكن ظنوا أنها محرمه بحرمان العلم الذي يعلمون به الحل فصارت محرمه عليهم تحريما كونيا لاشرعيا ولهذا يقول الحق هنا (فاتقوا الله لعلكم تفلحون)

لان الذنوب والغفله وطول الأمل مايكون منها سببا لخفاء العلم النافع بل تكون سببا لنسيان ماعلم ولاشتباه الحق بـ الباطل فالفتن تقع بسبب ذلك فالله يقول في موضع آخر (أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

فالفلاح يكون بتعلق القلب بمحبه الله وطاعته فهو يكون معلقا بالمحل الاعلي أما إذا هبط الي الدنيا وملذاتها فإن هذا هبوط الي أسفل السافلين فالله قال لادم لما اكل من الشجره (اهبطوا منها)

وعلمه كيف يتوب ليعود الي منزلته فأمره بالتوبه واستقامه القلب فالله أخبرنا في موضع آخر عن ذلك فقال (لن ينال الله لحومها ولادماوها ولكن يناله التقوي منكم...الخ

فتقوي القلوب هي التي تناله وهو يقول في موضع آخر (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا نجد أن الايه هنا تأتي مبينه الآتي

الأمر الأول

انه مثلما أن خفاء العلم بما يوجب الشده عقوبه كما سبق وأن أوضحت الآيات وكذلك ماورد بشأن تحديد ليله القدر عندما حصل الاختلاف بين رجلين من المسلمين فأخبرهم الرسول أنه بسبب الاختلاف بينهما نسيا اليوم الذي كان يريد اخبارهم انها تنزل فيه عقوبه لهم علي الاختلاف فإذا كان خفاء العلم بما يوجب الشده عقوبه فإن خفاء العلم قد يكون رحمه من الله بالعباد فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين)

فالسياق يتجه الي تربيه الجماعه المومنه وتاديبها للتعامل مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي استقبال الوحي الذي كان هو ماده التحول في حياه الامه حيث أن الايه تشير الي أن الكثيرون شرعوا الي طرح الأسئلة رغبه في معرفه الخبيث والطيب فطرحوا اسئله لم يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فأرادوا معرفه تفاصيل أمور وردت مجمله فقد جعل الناس في سعه منها فاردوا البحث والتنقيب ليعرفوا أمور لم تقع بعد وطرحوا افتراضات لأمور غير واقعيه واستعجلوا الحكم بما لم يفرض عليهم فقد ورد انها نزلت بمناسبه ايه الحج حيث سال رجل سؤ لا فقال في كل عام يارسول الله فكرهه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فالسؤال تكلف بما لم يفرضه الله تعالي فالنهي هنا عن الأسئلة التي تطرح فيما فيه سعه وأمور غير واقعية فهي غير متعلقه بالارشاد وانما هي من قبل التضيق

الأمر الثاني

ان الإسلام دين يسر وهو منهج واقعي جاء بأحكام تنظم الحياه بقواعد كليه وبالتالي فعلي المسلم أن يقدر الحوادث بحجمها فالله قد اجمل الاحكام وترك التفاصيل من باب الرحمه بالعباد فجعل للناس الاجتهاد في

الجزئيات والتفاصيل بما يناسب أحوالهم وبما يتفق مع القواعد الكليه ولهذا ينهي الحق المومنين عن طرح الأسئلة لأن ذلك فيه تشديد علي أنفسهم فأمرهم بالاخذ بالأمر الظاهر فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدود فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمه بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)

فقال تعالي (أن تسألوا عنها حين ينزل القران تبدأ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم)

وهو ما فيه التوجيه والارشاد بأنه لاينبغي للمومن أن يكثر من الأسئلة التي تكون سببا للتضيق وكثره التكاليف وبما يشق علي الامه فما سكت عنه فهو عفو من الله فلماذا تكلف نفسك ما لاتطيق فالسكوت رحمه من الله فمثلا لو أن شخصا يشتري ماكولات ومشروبات وملابس أو اي شي من السوق وهو لايعلم أنها مسروقة فإن خفاء علمه رحمه به لانه لايكون قد ارتكب معصية أما إذا كان عالما أنها مسروقه ومغصوبه فإن شراءه له يجعله اثاما

الأمر الثالث

أن الايه الكريمه فيها اشاره الي أن النهي لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءه بل إنها في نفسها معصيه توجب الموخذه وقد عفا الله عنها فقال تعالي (عفا الله عنها والله غفور حليم)

فيقول إنه تعالي عفا عنهم ولم يفرض عليهم الحج كل عام وتجاوز عن العقوبه بسبب مسالتكم خاصه وأنه قد روي أن الايه نزلت من جراء اقواما كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ويدفعون الصحابه الي طرح الأ سئلة فذكر أن اغراض بعض المنافقين كان بقصد الاستهزاء وأن البعض كان يسأل بحسن نيه عن أمور غيبيه ومسائل افتراضية فنهاهم الله فالإسلام اراد تربيه المومنين علي الواقعيه فنحن نري اليوم افات الأمور الا فتراضية التي انشغل بها العديد من الفقهاء لما ليس له وجود فصار الأمر إلي التشدد في الدين

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تربيه المومنين علي الاداب في طرح الأسئلة وان النقاش يجب أن يكون بعيدا عن المزايدات البعيده عن المنطق فاللازم امتثال أمر الله تعالى دون الحاجه الي طرح الأسئلة التي ليس لها داعي ولهذا يضع الحق بين أيدينا تجربه واقعيه عن عواقب ذلك التكلف والمزيده في طرح الأسئلة من الأمم السابقه فقال تعالي (قد سألها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين)

احتمال أن الايه تشير الي سوال بني إسرائيل أن يكون لهم يوما يتفرغون فيه لعباده الله واختاروا السبت ولكنهم لم يتلزموا بحرمه السبت وقاموا بالصيد فيه فكان عاقبتهم أن صاروا قرده وخنازير ويحتمل أنها تشير الي الرهبانه التي ابتدعها النصاري فما رعوها حق رعايتها

وقد ذهب العلماء الي حصرها علي قصه البقره التي أمر بني إسرائيل بذبحها ولكنهم تلكو وذهبوا الي طرح الأ سئلة عن تفاصيل لم يلزموا بها فما الذي حدث لقد كلفوا بأمور عجزوا عن القيام بها وجحد ا الأمر الإلهي لتربيه المومنين فيحذرهم من الاسئله الافتراضية فنتائجها الهلاك

ومن هنا نفهم كم نحن بحاجه اليوم للخروج من حاله الاختلاف والتمزق والانقسام الناتج عن التفسيرات الا فتراضية والفتاوي التي لا واقع لها ؟ كم نحن بحاجه الي صياغه مفاهيم صحيحه ومنطقيه نستنبطها من كتاب الله ورسوله تتناسب مع واقع المرحله والتحولات في الواقع والحياه

فالمناقشه للمفاهيم يجب أن تكون بعيده عن المزيدات لأن من يلجأ إلي البحث عن مدلولاتها بواسطه مناهج بعيده عن الواقع وخارجه عن النصوص ويقوم بالخلط والدمج لأمور وظواهر من هذه الخلطه والعجينه ليستخلص مفهوما معينا فإن هذا لايضع إصبعه علي الداء الحقيقي ومن ثم يحدث الارتباك في واقعه فيصنع

واقعا معقدا في حياته فإذا واجهه مشكله اسريه مثلا فإنه يقوم بتحليل اسباب الاختلاف بينه وبين زوجته ويربطها بالمومره الدوليه أو الاستخبارات المحليه ضده كونه داعيه لله ويحمل أعباء الدعوه مع أن المساله بسيطه فكان عليه أن ينظر هل التزم ماورد في القران في تعامله مع أهله ام لا ؟ينظر ماهي الاسباب هل هي اخ لاقيه ام اقتصاديه بحجمها الطبيعي ليضع العلاج المناسب اي ينظر إلي الابعاد الحقيقيه الواقعيه التي تتناسب مع حجم القضيه

ثالثا

لما كانت الايات قد بينت أن اخفاء العلم عن الناس رحمه من الله بالعباد في بعض الأحوال اردفت ذلك بذم التقليد لبيان ان ما تناولته الايه من أحوال الرحمه في إخفاء العلم عن الناس ليس عاما وانما هو في الحالات التي سكت عنها الشرع فقال تعالي (ماجعل الله من بحيره ولاسائبه ولاوصيله ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون علي الله الكذب

حيث نجد أن الايات ترسم لنا الآيات خطوره التقليد في التحريم والتحليل كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

يخبرنا أنه تعالي لم يحرم البحيره وهي الناقه التي تشق أذنها وهي التي تنتج خمسه ابطن يكون اخرها ذكر حيث كانوا يشقون أذنها شقا واسعا ولهذا سميت بحيرا وكانوا يحرمون اكلها ويحجزنها لاصنامهم وكذلك لم يحرم السائبه يسبونها والوصيله الناقه تبكر بانثي ثم تثني بالاثني فسيمونها بالوصيله والحامي الفحل الذي يضرب الضراب المعدود بتليقح عدد من النواق فيقولون حمي ظهره فسمي الحامي فهذه الأشياء كلها لم يحرمها الله تعالي وانما حرمها المشركون وجعلوها حراما بارائهم الفاسده بلا برهان ولا دليل وانهم افتروا علي الله الكذب وصادره عن جهلهم وكذب منهم

الأمر الثاني

ابتدأت الآيات بنفي أن تكون هذه الطقوس التي يعتقد المشركون أن الله هو من أمرهم بها ...فيقول الحق أنها ليست شريعته ولاهي عنده قربه ولكن المشركين افتروا علي الله الكذب وجعلوها شرعا لهم وقربه يتقربون بها إليه بدون علم فهي طقوس نابعه من الأوهام والخرافات فعندما ينحرف القلب عن الفطره السليمه ويغيب المنهج عن الناس فإن استلام الأهواء قياده الإنسان تجعله يبتعد عن الطريق المستقيم فعندما تغيب الفكره يبرز الصنم وهي تصنع طقوسا ورموزا وافكار وسياسيات تنسب الي الله كذبا وبهتانا فغياب المنهج يعني أن العقل يفقد قدرته علي قياده الإنسان فيكون تسليم القياده للهوي وعندها يكون الانحراف وصناعه الأصنام فقد ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمر بن لحي يجر قصبه في النار وهو أول من سن سب السوائب) وغيرها من الأحاديث التي بينت أن عمرو بن لحي هو أول من احضر الأصنام الي الكعبه فكان أول من غير دين إبراهيم وبعدها اعتادت عليه قريش واعتبرت ذلك تقربا الي الله وقالت إن ذلك شريعه من الله فقد كان اختلاق هذه العقيده الفاسده من قبل عمروا بن لحي وهي اكاذيب باطله نسبوها افتراء الي الله فالله يقول في موضع آخر (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون)

الأمر الثالث

تكشف لنا الآيات سوء عقيده التقليد وتأثير البئيه في تشويه الفطره فالاسره والمجتمع هم الذين يتلقي الإنسان علومه وأفكاره وثقافته ومعتقداته ومعلوماته الاوليه منها ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من مولود ا لا يولد علي الفطره فابواه يهودانه اوينصرانه ....الخ

فكل ما يعتري الفطره من تشويه بسبب البئيه الفاسده ولهذا يقول لنا الحق مستنكرا التقليد الأعمى الذي عليه أهل الجاهليه (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ماوجدونا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)

فليس لهم حجه الا اتباع ماوجدوا عليه آباءهم من قبلهم وما نشاوا عليه من عقائد وتصورات فاسده طمست نور الفطره وحجزت القلوب عن الهدايه

فأراد الحق بهذا التحذير من التقليد الأعمى فاللازم علي المومن أن يكون عالما بالاحكام وان يسأل أهل الذكر عن الحكم الشرعي في المسائل المتعلقه بأمور دينه ودنياه واللازم علي المجتهد أن يقول ما ادي الي اجتهاده فإذا لم يود اجتهاده الا الي التحريم الطيبات بعجزه عن معرفه الدليل علي الحل كان تقليده خطاء لانه قد يحرم حلالا بدون وجه حق والعكس فاللازم بنا ء العقيده علي العلم بعيدا عن التقليد فالاقتداء لايكون إلا عن من صح عنه علمه وأنه عالم مهتدي وذلك لايعرف الا بالحجه فلا يكفي التقليد من غير أن يعلم أن لمن نقتدي به حجه صحيحه علي ما نقلده

وايضا بناء الاسره علي اساس التقوي وتقويه الايمان لأن الاسره هي اللبنه الاولي للبئيه التي يحيا فيها النش ويتلقي من خلالها معارفه فالاسره لابد أن تعد تحصينات مقاومه تمنع انتقال الأمراض المعديه لمكوناتها فاحذر من اساءه اختيار شريكه العمر التي تساعدك في القيام بوضع هذه التحصينات ثم اهتم بالاصدقاء والاصحاب بأن يكونوا من الاخيار الذين يتوصون بالحق ويتوصون بالصبر وليكون الاهتمام بإصلاح المجتمع الذي انتشرت فيه المفاسد

القسم الخامس

(يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

بالوقوف علي الايه نجد أنها تعالج مواضيع عديده متعلقه بحياه المسلمين وليس كما تصور البعض أن الإسلام يدعو إلي العزله المطلقه عندما ينتشر الفساد في مجتمع ما وزعم هولاء أن الايه تعني أن يتوقف المسلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن هذا القول غير صحيح وهذا الفهم الخاطئ للايه ليس جديدا بل هو قديم ما اضطر ابو بكر الصديق الي تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة فقال من علي منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ايها الناس انكم تقرؤن هذه الايه وتضعونها في غير موضعها واني سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)

وبالتالي فإن الايه تحتاج إلي الوقوف علي مدلولات بدقه متناهيه لمنع سؤء الفهم لمدلولاته فهي تعالج عده مواضيع نذكر منها ما يلي

الموضوع الاول

أن الحق سبحانه وتعالى يريد من المومنين أن يحافظوا علي طاقاتهم من الحسرات لأجل عدم استجابة أقاربهم لدعوه الايمان ورفضهم القبول بالمعروف وعدم التجاوب مع النهي عن المنكر فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا في الايه قبلها (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول...الخ

فاستخدم لفظ (تعالوا) فلم يقل اتبعوا ما أنزل الله ولهذا فكلمه تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول.. دعوه الي الا رتفاع الي ما فيه الارتقاء والتطور فدل هذا حرص المومنين علي الارتقاء بمستوى التفكير والتطهير الي ما يرفعهم الي مافيها الهدايه وكمال العقل والنفس باتباع منهج الله والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال (والي الرسول)

لكن القوم رفضوا القبول بالدعوه فقد أقيمت عليهم الحجه وهم فضلوا الهبوط والانحدار الي أسفل السافلين فصاروا في ضلال كالانعام بل هم اضل فأراد بهذا تطمئن المومنين أن قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايعني اجبار الناس كي يومنوا وبالتالي فعليهم أن لايخافوا من تبعيه عناد وإصرار هولاء علي الضلال فيكون معني الايه إذا التزمتم بطاعه الله فإنه لايضركم ضلال من ضل ما دمتم قد اديتم ما الزمكم الله به من الأمر ب المعروف والنهي عن المنكر

فالايه تبين أن علي المسلم أن لايرهق نفسه إذا لم يستجب هولاء للدعوه كما قال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقي الا تذكره لمن يخشي) وكما قال تعالي في سوره الشعراء (طسم تلك ايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مومنين أن نشاء ننزل عليهم من السماء ءايه فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزون)

فالايه تبين أن لايحزن عليهم ولايجزع عليهم فإن معاصيهم لاتضره اذا اهتدي والحزن علي ما لايضر عبث كما قال تعالي (واصبر وما صبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولاتكن في ضيق مما يمكرون)

فعليه البلاغ والبيان وبالتالي فإن إصرارهم علي الضلال لن يضركم وسوف يرجع الناس الي الله وسوف يحاسبهم علي أفعالهم

الموضوع الثاني

مما تتناوله الايه أيضا مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحق يقول لعباده أن يفعلوا الخير ويجتهدوا فيه بقدر طاقاتهم فمن صلح امره لايضره فساد

فالإسلام يربي المومنين علي الفاعليه الإيجابية فالمسلم لابد أن يكون له موقف اذا شاهد تقصير الناس عن اعمال الخير أو رأي ارتكابهم للأخطاء فهو لايسكت عن ذلك بحجه أنه هو نفسه ليس مقصرا وأنه لم يقترف إثما ؟

فالإسلام لايقبل من المومن ذلك بل يرتقي في تحميله المسؤوليه بأن يتدخل لكن بشرط أن يكون باستطاعته التغيير بما يودي الي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ومقاومته ولهذا فإن الإسلام لم يكتفي بتحميل المسلم مسؤوليه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل رسم له حدود .ذلك وبين له أساليب وطرق الأمر ب المعروف والنهي عن المنكر حتي لاتنعكس العمليه فيكون سببا في الإخلال بالاستقرار الاجتماعي بدلا من أن يكون عاملا إيجابيا في إصلاحها ولهذا قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الناس بالنسبه لطرق مشاركتهم في هذه المساله ومستوي تدخلهم لاحداث التغييرات في المجتمع فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأي منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)

ولهذا فإن التغيير بالفعل (باليد) إنما يقدر عليه إلا من كان في موقع السلطه ومن يمتلك القرار الذي يلزم من هم تحت سلطته بمعني أن الأب اذا راي ابنه في منكر فهو ملزم بتغير ذلك ولو بيده وكذلك رب الاسره وكذا المسؤول علي مرووسيه علي جميع المستويات وفقا لحديث (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبمعني أوسع فإن السلطات التنفيذيه والتشريعه والقضاءئيه عليها مسئوليه تغيير المنكر من مواقعها بالفعل كلا من موقعه واحداث التغيير المطلوب عن طريق ممارسه ماتحت يده من صلاحيات وسلطات وكذلك فإن التغيير بالقول يقع علي أهل البيان والعلماء وكل من يستطيع توجيه غيره لفعل الخير والكف عن الشر والسؤء

ولكن في حاله أن المسلمين لايملكون السلطه التي يكون فيها التغيير بالفعل ولا يملكون الموهلات التي تمكنهم من الوصول إلي القول المسموع فيكون عليهم مسؤوليه التغيير بالقلب الدفاع السلبي بإنكار المنكروهنا قد يقول قائل كيف ذلك ؟؟؟

أن الامه احيانا تصاب بالضعف ويتسلط علي السلطه أهل الفجور عندها يكون من الخطاء أن يقوم البعض بالتغيير باليد لانه لوحصل ذلك فإن المجتمع يعيش في فوضي كما شاهدنا في بعض الدول الإسلامية التي تحكم بغير شريعه الله أن بعض من يدعون الالتزام دينينا أنهم ينصبون ادوات تغيير المنكر باليد فيقومون بجلد السكران وتكسير محلات الخمر ومراكز واوكار القمار أو تفجيرها بعمليات انتحاريه أو غيرها وهذا أمر غير مقبول في الإس لام فيقول الله لعباده عليك أن تحفظ نفسك في مثل هذه الأحوال وتلزمها الطاعه وعليك تربيه أبناءك واسرتك فليس ما تقوم به موافقا لما امرك الله به لانك بهذا تودي الي زياده المنكر وايضا تحصر أهل الخير والدعاه في زاويه تمنعهم من التغيير باللسان فيجب علي المسلم أن يعرف مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدوده فالرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا رأيت شحا مطاع وهوي متبع واعجاب كل ذي رأي بريه فعليك بخويصه نفسك) وهذا يتناول حاله ما يقوي أهل الفجور بحيث تصل الي مرحله لايبقي لأهل الإيمان اصغاء الي البر بل يوذن الناهي لغلبه الشح والهوي والعجب فانه يسقط التغيير باللسان في هذه الحال فما الذي يبقي ؟

التغير بالقلب حيث أن الناس في مثل هذه الأحوال يتصفون بمنع الخير ويكرهونه لأن الشح يعني شده الحرص التي توجب البخل والظلم ومايزيد من قوه هذا الشر هو اردتهم الشر ومحبتهم له نتيجه اتباع الهوى حيث أنه بهاتان تفسد قوي الحب والبغض وتتظافر بعد ذلك فساد قوي العلم والعقل نتيجه الاعجاب بالراي وهذه الأمور سماها الرسول صلى الله عليه وسلم مهلكات فأنت في هذه الأحوال تكون في فتره صعبه تحتاج إلي الدفاع السلبي إزاء هذه المواقف تحتاج إلي حمايه نفسك حتي لايصبح المنكر مألوفا وتفقد المناعه والمقاومه فتصاب بـ الداء الذي أصاب القوم ولهذا يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالثلاث المنجيات مقابل المهلكات (خشيه الله في السر والعلن والقصد في الفقر والغني وكلمه الحق في الغضب والرضا)وهي التي سألها في الحديث الآخر (الله م اني اسالك خشيتك في السر والعلانيه وأسألك كلمه الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغني) نقلا من كتاب فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية

فخشيه الله بإزاء اتباع الهوى فإن الخشيه تمنع ذلك فـالله يقول (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى) والقصد في الفقر والغني بإزاء الشح المطاع وكلمه الحق في الغضب والرضا بإزاء اعجاب المرء بنفسه ولهذا فإن المراد بهذا أنه في مثل هذه الأحوال الزموا أنفسكم واقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر و النهي ولايضركم من ضل اذا اهتديتم...والاهتداء لايكون إلا بطاعته تعالي

فالايه تدعو ا المومنين الي سلوك طريق الهدايه وأنه إذا عمل بطاعه الله والتزام امره لم يضره من ضل فلايخاف المومن من الكفار فهم لن يضروه أن كان مهتديا وكذلك فإن علي المومن أن لايركن الي الكفار ولا يمدن عينه الي ماوتوه من سلطان ومال شهوات كقوله تعالى (لاتمدن عينيك الي ما متعنا به ازوجا منهم ولاتحزن عليهم)

وان لايكون اعراض الكفار عن الاستجابة للدعوه سببا دافعا للعدوان عليهم بدون وجه حق فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن عليكم القيام بالأمر والنهي عن المنكر علي الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله (عليكم أنفسكم) وفي قوله (اذا اهتديتم)

الموضوع الثالث

أن الايه الكريمه تدعو المومنين الي المفاصله والتميز بينهم وبين غيرهم من الأمم فأخبرهم الله أنهم امه واحده كـ الجسد الواحد فقال تعالي (عليكم أنفسكم) الزموا أنفسكم التعبير عن ضروره شيوع الرتابه الايمانيه فجاء تصوير نفوس المومنين وحده واحده فما دامتم تتحركون لمحاربه الفساد وتسعون لتنميه جوانب الخير فعليكم إن تتعاونوا علي الخير والإصلاح والتقوي وتتحركون كأنكم جسد واحد فعليكم التزام الوعظ لبعضكم بعضا و الترغيب في الخيرات والتنفير من الشرور فلا عليكم أن ضلت الأمم الأخري فالالوويه اصلاح أنفسكم وليس معني هذا التخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوه الناس والأمم للإيمان والهديه فالامه مسؤوله عن البلاغ والبيان والكفاح لرفع الظلم عن الإنسان ولكن لايعني هذا إجبار الناس علي الإيمان فالايه وردت بعد أن

تناولت النصوص طرح ما يعتري الفطره من افات تفسد وتشوه الفطره فذكر الحق أن أهل الجاهليه افتروا علي الله الكذب وما ساعد علي الاستجابه لذلك هو اجتماع الهوي بالميل الي العادات مع الجهل فقال تعالي (واكثرهم لا يعقلون) فأشار الي أن اصل الشر هو الغفله والشهوه (الجهل والهوي) اي داء الشهوه وداء الشبهه لماذا لأن صاحب الهوي لو علم قطعا أن ذلك ضرار راجح فإن النفس تكره الشر وتبغضه فلن تفعل مايضرها فكان الجهل هو السبب لارتكاب الجريمه فذكر أن الحق هدي الناس هدايه عامه بأن جعل فيهم بالفطرة من المعرفه وأسباب العلم اذا تركت ما تعرف الحق وأرسل الرسل وانزل الكتب فالفطره والرسل والكتب اصل سعاده الإنسان ولهذا ذكر بعدها حرص المومنين علي البلاغ وأنهم قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اردوا اصلاح أهل الجاهليه فقال تعالي (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول)

فمن المؤكد أن المومنون هم الذين قالوا لهم تعالوا اي ارتفعوا الي مافيه سعادتكم بالهدايه التي توافق الفطره والي الرسول للاقتداء به فذكر الحق أنه بسبب جاهليه هولاء وغفلتهم واتباع الهوى لم يقبلوا العلم الذي فيه المنفعه و الهدايه فذكر ردهم علي دعوه المومنين لهم فقال تعالي (قالوا حسبنا ماوجدونا عليه آباءنا)ثم جاء استنكار الحق من رفض هولاء الاستجابة لما يدعوهم إليه المومنون فهم يرفضون ما فيه النفع لهم وياخذون مايلحق بأنفسهم الضرر فهذا لايصدر عن عاقل فقال تعالي (أولوا كان اباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)

فأراد بهذا أن يبين للمومنين بهذه القضيه التي تحكي قصه المشركون الذين رفضوا القبول بما ينفعهم لأجل أن يدرك المومنون أن في المخلوقات نعم من جهه حصول الهدايه والايمان والاعتبار والموعظه بها فأفضل النعم الا يمان والهدايه فأخبرهم الله أن في قصص هولاء عبره وعظه واعتبار يحصل بها نعمه الايمان بالحذر من الغفله و الشهوه اي الحذر من الجهل واتباع الهوى فالله يقول في موضع آخر (لقد كان في قصصهم عبره لأولي الأ لباب)ويقول ايضا (تبصره وذكري لكل عبد منيب) ولهذا يخبر الله عباده ان اخبارهم بقصه انحراف هولاء عن دين إبراهيم ليكون هذا درسا لكم فلا تقعوا فيما وقعوا فيه فالشيطان يترصد للإنسان من أمرين الغلو أو التقصير ولا يبالي ايهما يحظي به حيث يجعل هولاء أما معتد ظالم أو سفيه عابث فيقول الحق أن الدرس من طرح هذا الموضوع لتحرصوا علي أن تكونوا قدوه صالحه كما قال تعالي (واجعلنا للمتقين إماما) في وصف عباد الرحمن ولا تكونوا فتنه للظالمين كما قال تعالي في موضع آخر (ولاتجعلنا فتنه للذين كفروا)

وبالتالي لاتركنوا الي أنفسكم ولاتسكنوا إليها فإن الشر إنما يأتي منها وبالتالي انشغلوا بمحاسبة أنفسكم ولاتنشغلوا بملام الناس وتتبع عوراتهم فعلي المرء أن يقبل علي مصلحه نفسه علما وعملا واعراضه عما لايعينه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول من حسن إسلام المرء تركه ما لايعبنيه)

فالعبد محتاج الي ربه أن يعلمه ما يفعل لكثره تفاصيل احواله وما يطرأ عليه من مستجدات في كل يوم ولهذا فهو بحاجه الي معونه الله وكذلك لايكفي أن يكون عالما اذا لم يجعله مريدا للعمل والا كان العلم حجه عليه ولم يكن مهتديا للتخلص من الجهل الذي ذم الحق سبحانه أهل الجاهليه (أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون)

وبالتالي فإن العبد يحتاج أن يجعله الله قادرا علي العمل بما علم ليكون مهتديا ليهتدي الي الصراط المستقيم فهو محتاج الي الثبات علي الهدايه ومزيدا منها وهي الهدايه الخاصه فيقول لهم الحق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه الهدايه العامه هدايه البيان وهي عامه لكل الناس أما الهدايه الخاصه فهي لأولياء الله الذين يرتبطون به تعالي فهي من افضل النعم ولاتنال الا بالتقرب الي الله وتزكيه النفس فقال تعالي (عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم....الخ

عليكم تزكيه أنفسكم والحرص علي تاديبها ومحاسبتها طالما انكم اديتم واجبكم بآلامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الاستطاعه كما اوضحنا سابقا وكما قال تعالي (فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره)

فعندما يكون المسلمون في ضعف والغلبه والقوه لاهل الكفر فاللازم اعتزال مجالس الشرك التي يكون فيها

منكرات أو سب لدين الله فهذا احسن وسيله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه المواقف

الموضوع الثالث

أن الايه وردت بعد أن ذكر تأثير البيئه والمجتمع علي الفرد والجماعات حيث أنه ينشأ في بيئه ذات عادات وتقاليد وذات شرائح اجتماعيه متنوعه وهو ينشأ في هذه البيئه ويتلقي معلوماته الاوليه منها وتصير تلك المعلومات هي التي تحدد وجهات النظر له وبها يفسر الظواهر والأحداث وتجده منقادا لها بالحب والبغض لأنها مالوفه لديه

واما كان المسلمون قد انتقلوا من عصابه الي دوله تضم في كيانها شرائح متنوعه لهم عادات وتقاليد وثقافات مختلفه وينشأ عنها التناقض بين مكوناته نظرا لأن هنالك رعايا نصاري ويهود وغيرهم صاروا جزء من مكونات المجتمع المسلم وهو ما يتسع فيه الاشكال نتيجه اختلاط الشرائح الاجتماعية المختلفه ..وهو ألتنوع البوم موجود في فئات المسلمين أنفسهم نتيجه تعدد المذاهب والتكتلات الفئويه والحزبيه وبالتالي فإن هذا التنوع قد يحدث انتقال الفرد من حال الي حال أو من طور الي طور ويولد أيضا أما تميع وتفريط بالقيم والمبادئ وأما غلو وافراط وتشدد ويسود المجتمع الصراع وقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف ادي الصراع الدائر بين الجماعات التي تدعي حمل رايه الاسلام نتيجه التقليد الأعمى لمدراس المذاهب المتعدده حيث قام البعض باستغلال هذا التنوع لأجل الوصول إلي السلطه ولأجل أن يستمد الشرعيه لسلطته في حين تجاوز بعض العلماء الحد في الآداب الي اعلان تكفير الآخرين وكلا يدعي أنه علي الوسيطيه والاعتدال فصارت الامه في حيره من أمرها من هو الذي يعبر عن الدين الإسلامي بالوسيطيه والاعتدال وكيف تكون الخيريه لهذه الامه ونحن في هذا الحال من التناحر و التمزق والفتاوي التكفيرية تملأ الكتب والمجلات والصحف وكل المنابر ووسائل الإعلام وكلا يدعي أن الآخر علي الباطل وهو علي الحق وهذا كله يعود إلي التقليد الأعمى وفساد حمله قرار العلم والحكم وعدم النظر في مرقومات الشريعه الاسلاميه الغراء لاستنباط المعاني التي فيها المخرج من الازمه ومعالجه الانحرافات الطارئه بـ النظر الي موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون الاقتداء بها ...وذلك بالابتعاد عن كل ما يودي الي التناحر فا لاقتداء في هذه المساله لايعني قبول الرأي الآخر والانطواء فيه وانما تجاوز مسببات التصادم في بناء العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد باختلاف شرائحه لخدمه مبدأ الاجتماع في الإسلام

فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يهادن المنافقين ويقبل وجودهم في المسجد ويشاركهم أفراحهم واحزانهم ويقبل مخالطتهم مع علمه بمعارضتهم ولهذا لما أراد عمر أن يقتل ابن أبي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول الناس محمد يقتل أصحابه ...فسماهم أصحابه لأجل الحفاظ علي متانه الجبهه الداخليه فجعل بينه وبين المنافقين قاسما مشتركا سماه الصحبه مع أنهم لم يستوفوا شروطها إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبرها قاسما مشتركا لأجل أن تستمر المعايشه والمخالطه بالاخلاق الاسلاميه فالقواسم المشتركه مبدأ نهجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به منذ أن بعثه الله لإصلاح العالم وقد كان يعامل كافه أجناس الناس فالإسلام يأمر المومنين أن يجعلوا بينهم وبين كل قوم من الأقوام التي تمثل عنصرا من مكونات المجتمع المسلم معني خاص بـ القواسم المشتركه فهذه هي مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التي ينطق من خلالها وألزم أصحابه قبوال مواقفه والاقتداء به لينالوا نصيبا من الأخلاق الشرعيه ويطوعوا أنفسهم قبول الآخر ضمن اطر معينه وضوابط محدده لإبراز عالميه الاسلام وشمول نظرته للآخرين فقال تعالي هنا (عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

فأراد بهذا أن المومن عليه ترك التعصب والانانيه وان يتعامل مع فئات المجتمع وفق العامل المشترك بينهم لكن مع الحذر من أن تكون جسور الصداقه مع غيرهم من المخالفين سببا للتفريط بالقيم والمبادئ أو تسلط القرار الكافر علي مقدرات الامه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية والسياسية والتعليمية فيتحول هذا المبدأ الي خطر علي الامه ويمكن الأعداء علي مركز القرار فهذا ما يجب الحذر منه وانما شرع ذلك لاجتماع كلمه ا لاسلام ومنع الغلو والتعصب المذموم فـالله يقول (فإذا الذي بينك وبينه عدواه كانه ولي حميم وما يلقاها الا

الذين صبروا ...الخ

ولهذا يختم الايه بأن الجميع سوف يعود إلي الله ويحاسبهم علي أعمالهم فأنت ليس مكلف بمحاسبه الناس فإذا كان الجدل سوف يودي الي منكر أشد منه فاجتنبوا مثل هذه الأمور ولهذا تأتي الايه بعدها مبينه صوره من المعاملات مع رعايا الدوله وان كانوا من غير المسلمين فهم يسافرون مع بعض لأجل تجاره أو غيره فكان للمسلم أن يوصي بما له وما عليه عبر هولاء الآخران الذين ليسوا بمسلمين

القسم السادس

لما أمر الله بحفظ النفس فقال تعالي (عليكم أنفسكم) وختم أن الجميع سوف يعود إلي الله لامفر من ذلك فقال تعالي (الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

تأتي النصوص بأمر حفظ المال وان علي المرء أن يحرص علي مقابله الله وذمته غير منشغله بحق لأحد فلا يتساهل في الحقوق التي له أو عليه ولهذا تأتي النصوص مبينه احكام الوصيه واجراءتها وتنظيم أحكامها من حيث الاجراءت والاثبات والأحكام الشرعية المتعلقة بها والمعاملات المالية وحمايه الاخلاق في الاسلام فقال تعالي

(يايها الذين آمنوا شهاده بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم أو اخران من غيركم أن انتم ضربتم في الأرض فاصابتكم مصيبه الموت تحبسونهما من بعد الصلاه فيقسمان بالله أن ارتبتم لانشتري به ثمنا ولو كان ذا قربي ولانكتم شهاده الله أنا إذا لمن الاثمين فإن عثر علي أنهما استحقا إثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهدتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادني أن ياتوا بالشهادة علي وجهها أو يخافوا أن ترد ايمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

اولا:_____

ابتدأت الايه بالخطاب للمومنين (يايها الذين آمنوا) للاشاره أن من مقتضيات الايمان أن يحرص المومن علي تنظيم أعماله ومعاملاته بحيث تكون مرتبه ومنضبطه محدد فيها ما له وما عليه وأن يسجل كل ذلك فإذا توفي لم يلحق أهله ضرر من ضياع أمواله وضمن براءه ذمته اذا كان لأحد في ذمته دينا أوحقا وأنه إذا لم يسجل ذلك فإن اللازم علي المومن اذا أحس بدنو اجله أن يوصي بما له أو عليه فيكتب وصيته فقد جعل الله العنايه بالوصيه من مقتضيات الايمان وايضا نجد أنها في ايه الميراث مقدمه علي الدين بالذكر فالله يقول (من بعد وصيه يوصي بها أودين)

فتقديم أمر الوصيه علي الدين لأن للدين دائن يتابع حقه ويطالب به وهو يعلم به أما الوصيه فقد تكون بحق يوصي به الميت لشخص ما لايعلم به ولأن الورثه في الغالب يكرهونها ولهذا حرص الإسلام علي الاهتمام بأمر الوصيه فأمر الحق المومنون بالآتي

١

أن لايتساهلوا بالوصيه اذا شاهدوا مقدمات الموت وعلاماته فعلي المسلم أن يحرر وصيه بما له وبما عليه في مسائل الحقوق وايضا فإن الموصي قد يكون صاحب تجارب وعلوم وخبرات فلابد أن يوصي بها الي تلاميذه وأبناءه حتي لايكون انقطاع الفائده منها بموته

٢

أن اللازم علي من حضر الوصيه الالتزام بنقل الوصيه دون زياده ولا نقصان والحفاظ علي الامانه ويحرص علي اداءها

٣

أن علي الورثه التنفيذ للوصيه بما يتفق مع قواعد الشريعه الغراء

ثانيا

أن الايه تتناول احكام المعاملات في المجتمع المسلم فتضع قواعد الوصيه في الحضر والسفر وتضع الضمانات ليصل الحق لأهله فقال تعالي (يايها الذين آمنوا شهاده بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم أو اخران من غيركم أن انتم ضربتم في الأرض)

الأمر الأول

ابتدأت الايه بأن كل من احس بدنوا اجله أن يوصي أهله بما له أو عليه وبما يريد أن يوصيهم وأنه يجب عليه أن يكتب ذلك ويشهد علي وصيته شاهدين عدول من المسلمين (ذوا عدل منكم)لأن الخطاب عم المومنين ولهذا فهو يحمل علي العموم وليس كما ذهب البعض للقول إن هذا محمول علي قبيله الموصي وان الغير (أو اخران من غيركم) يعني من القبائل الأخري فهذا القول غير صائب وانما هنا أجاز شهاده غير المسلمين في حاله للضروره في السفر اذا لم يوجد المسلمين لأن المقام اضطراري لمنع ضياع الحقوق والأمر يقتضي الجواز في مثل هذه الأحوال ولهذا فإن المراد بالعدل

الاشتهار الصدق والأمانة فهي مقيده في حاله السفر ولم يوجد رجلين من المسلمين وقيدها بحال السفر وعدم وجود من يشهد من المسلمين

ولهذا أشارت إلي الآتي

١

أن انتم ضربتم في الأرض ...اي في حاله السفر يجوز الاستعانه بشاهدين من غير المسلمين اذا لم يوجد رجلين من المسلمين وهذا أمر لم يباح في غيرها مما يدل علي اهميه الوصيه والتشديد عليها خاصه وأنه جمع بين الشهاده والوصيه

٢

ذكر أن ذلك في حاله ظهور علامات الموت ومقدماته (فاصابتكم مصيبه الموت)اي نزل وحل بكم مايدل علي مقدمات الموت وسماه مصيبه لانه مولم ويصاحبه الالم فالقيد بمقدمات الموت لبيان الضروره التي تتطلب الا ستعانه بشاهدين من غير المسلمين

وفي هذا تبين الايه أنه يشترط لقبول شهاده الشاهد أن يكون حاضرا لحظه وقوع المشهود عليه وأن يكون مشهورا بامانه النقل والصدق فإذا اشتهر أنه كثير النسيان فان شهادته تكون ناقصه ولهذا نجد أن الإسلام جعل شهاده الامرتان برجل وأن تظل أحدهما فتذكر الأخري

٣

أنه حين ذكر الأشهاد من غير المسلمين لم يذكر العداله وهذا لأن هذا لايكون الا للضروره في السفر مرعاه لحالات

الضرروه ولهذا يفهم أن العداله هنا أن الشاهد العدل هو المخبر عن الواقع الناطق بالصدق الذي يشهد علي مثل الشمس

الأمر الثاني

حرص الإسلام علي صيانه الحقوق نجد أنه جاء بإجراءات مشدده فاختار وقت لأداء الشهاده أن حصل الشك من أهل الميت أو شكو بأمر ما يبلغه الشاهد أو شكو في امانتهما أن لايودوا ما استحفظوا عليه فإن ذلك يمنح أولياء الميت أن يطلبوا حجز الشاهدان الي ما بعد ادائهما صلاتهم حسب معتقداتهم ثم يكون بعد ذلك الحلف وقد ذهب بعض العلماء الي أن يكون ذلك بعد صلاه العصر وهذا الوقت يكون فيه استجمام النفس واستحضار عظمه الله حيث تكون النفوس مطمئنة فالحبس هنا حكم خاص لشهاده خاصه في محل خاص اذا قامت الريبه ثم يحلف الشاهدين بحضور الناس بعد الصلاه ولابد أن مثل هذه الظروف تولد مهابه اليمين وعدم الجراءه علي الكذب ثم يكون منهما القسم بالله أنهما لايتوخيان مصلحه بالحلف لهما أو لأحد ولو كان قريب وان لايكتموا شيئا فقال تعالي

(فيقسمان بالله أن ارتبتم لانشتري به ثمنا ولو ذا قربي ولانكتم شهاده الله وأنا إذا لمن الاثمين)

فأراد بالحبس ثم الصلاه ثم اداء اليمين بالله أن لايقصد بتلك الشهاده اي شي من أطماع الدنيا واموالها ...هو تهئيه الأجواء التي تمنع الكذب وتمنع التأثر بالماده بعد الصلاه ... وابتداء بقوله (لانشتري به ثمنا)لان العاده أن الشهاده المزوره أن يعتاض عليها والا فلماذا يشهد الناس زور لان الفطره تكره الزور والكذب فلايقبل الشاهد الزور أن يشهد زورا بلا عوض ولو مدح

ولما كانت افه الشهاده أما اللي واما الأعراض بالكذب أو الكتمان فيحلفان لانشتري بقولنا ثمنا ولو كانوا أقارب اي لانكذب ولانكتم شهاده الله وإضافتها الي الله لأن الوصيه عهد من العهود لأنهما كانا موتمنين فعليهما بتسليم المال أو اي شي الي مستحقه فالمراد بهذا الاشاره أنهما لن ينقصا من العهد شي فالتعامل مع الله ولهذا جاء التعبير بعدها بالجمله الاسميه (انا اذا لمن الاثمين) التوكيد (انا) أنهم يحكمون علي أنفسهم اذا خالفوا الشهاده بالاثم فهو نتيجه وحيثه منطقيه لأعمالهم ولاخفاءهم الحق فهم يحكمون علي أنفسهم بالخروج من دائره الابرار الاخيار ويدخلون في دائره الاشرار إذا حصل منهم كذب

ثالثا

تمضي سياق النصوص في تناول اجراءت تنظيم المعاملات وقواعد الاثبات المتعلقه بذلك فقال تعالي (فإن عثر على أنهما استحقا إثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهدتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين)

الأمر الأول

أن ابتدأ الايه بقوله تعالي (فإن عثر على أنهما استحقا إثما)

فإن اصل العثور الوقوع علي الشي ...وهذا الشي لم يكن معلوما لديه قبل ذلك فيقول الحق انه في حاله وجدت معلومه عثر عليها أهل الميت لم يكونوا يعلموا بها عندما حلف الشاهدان اليمين لأن حاله الميت تكون مجهوله في حال سفره ولاطريق لمعرفه ذلك إلا عن طريق الشاهدين ولهذا فإن العثور علي المعلومه قد يكون بالمصادفه فإن مثل هذه الظروف فإن للمدعي ان يشهد لنفسه

والاثم ما يتضمن ضياع حقوق أهل الميت من خلال القرائن التي اكتشفوها ولم تكن معلومه لهم

فاجاز ان يحلفا اثنان من أهل الميت فقال تعالي (من الذين استحق عليهم)

يحتمل أن يكون معناها من الذين بغي عليهم كما يقال في الغصب غصبت عليا مالي ولهذا قيل (لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا)

اي أن قولنا أنهما خانا حقا واضح وحصل منهم البغي والاختفاء والكتمان وما اعتدينا كما اعتدوا وحكموا علي أنفسهم بالظلم اذا اعتدوا باتهام الشاهدان كذبا وأخرجوا أنفسهم من دائره أهل الحق ودخلوا في زمره الظالمين أن هم تجاوز الحق فالاعتداء تعني المجاوزه حد الشي

الأمر الثاني

أن الايه (فإن عثر أنهما استحقا إثما...الخ

أعم من أن نكون في الشهاده والامانه وان كان سبب النزول يقتضي أنه كان في الامانه فإنهما استشهدا وائتمنا ...لكن ائتمانهما ليس خارجا عن القياس بل حكمه ظاهر (كما ورد عن شيخ الإسلام) بأن هذا لم يحتج فيه الي تنزيل

بخلاف استشهادهما والعثور علي استحقاق الإثم ظهور بعض الوصيه عند من اشتراها منهما بعد أن وجد ذكر ها في الوصيه وسئلا عنها فانكراها فقد ورد في الحديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بمعني مافي القران فرد اليمين علي المدعيين بعد أن استحلف المدعي عليهم لما عثر أنهما استحقا إثما ...وهواخبار المشترين أنهم اشتروا الجام منهما بعد قولهما ما رأيناه ..فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم اليمين من المدعيين ا لاوليان وأخذ اللجام من المشتري وسلم الي المدعي وأبطل البيع

وهذا فيه الآتي

١

أن المتهم بجريمه خيانه الامانه اذا ظهر كذبه وخيانته كان ذلك لوثا يوجب

رجحان جانب المدعي فيحلف ويأخذ

٢

أن الرجوع بعد التحليف الي أولياء الميت فيحلفا مثلما يحلف أولياء المقتول اذا ظهر لوث من جانب القاتل فيكون قبول شهاده القتيل علي أحد الناس أنه قتله وذلك في رمقه الاخير ويكون معه شاهد أو شاهدان علي ذلك فيقسم المستحقون علي القاتل

ولهذا نجد أن اللوث من جانب المدعي عليه يرجح جانب المدعي في الدماء والأموال والحكمه فيهما واحده لأن القتل لايكون إلا بالخفاء فيتعذر اقامه البينه ولايمكن أن يؤخذ بقول المدعي مطلقا فمع عدم اللوث فإن الراجح يكون في جانب المنكر أما إذا ظهر اللوث من جانب القاتل فإن هذا يقوي جانب المدعي

وكذلك فإن السرقه والخيانه يتعذر اقامه البينه لانه لايكون هنالك مصدر المعلومات الا بما يدلي به الشاهدان فالا صل براءه الذمه لكن إذا ظهر اللوث فإن من يسرق لايتورع علي الكذب فإذا ظهر عند من اشتراء ه بعض المسروق فإن هذا لوث فيه تغليب الظن اقوي

ولكن في القتل قد يتقين القتل ويشك في عين القاتل والدعوي إنما تكون هي بالتعيين ولهذا كان تخصيص ذلك بأحكام القسامه

أما في الأموال فتاره يتقين ذهاب المال وقدره فيكون معلوم في مكان معروف وناره ينفين ذهاب المال لاقدره بأن يعلم أن هنالك مال وذهب ولايعلم قدره وتاره يتقين هتك الحرز كان يوجد مايدل علي هتك الخزنه ولكن لا يدري هل كان بداخلها مال ام لا هذا في السرقه

أما الخيانه فلا تعلم الخيانه فإذا ظهر بعض المال المتهم به عند المدعي عليه أو من قبضه منه ظهر اللوث بترجيح جانب المدعي

(نفلا من فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)

ويمضي شيخ الإسلام في ايضاح الفكره فيقول أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لويعطي الناس بدعواهم لا دعي قوم دماء قوم وأموالهم ولكن اليمين علي المدعي عليه)

فإن جمع الدماء والأموال فكما أن الدماء اذا مع المدعي لوث حلف فكذلك الأموال كما حلفناه مع شاهده فكلما يغلب علي الظن صدقه فهو بمنزله شاهده كما جعلنا في الدماء الشهاده المزوره لنقص نصابها أو صفاتها لوثا

فاللازم النظر في حال المدعي والمدعي عليه في الصدق والكذب لأن السرقه والخيانه لايرتكب ايان منهما الا فاسق وهذا لايكون عدلا وكذلك المدعي قد يكذب فاعتبار الفسق والعداله يدل عليه قول الانصاري كيف نرضي بإيمان قوم كفارا فعلم أن المتهم اذا كان فاجرا فالمدعي لايرضي بيمنه لانه من يستحل أن يسرق يستحل أن يحلف

رابعا

(ذلك ادني أن ياتوا بالشهادة علي وجهها أو يخافوا أن ترد ايمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

تشير الايه الي الضمانات التي وضعها الإسلام فقال تعالي (ذلك ادني)

اي أن هذه الضمانات هي اقرب شي تكفل أن تودي الشهاده علي الوجه الذي اوصي به الميث دون زياده او نقصان بأن يكون الحامل لذلك تعظيم الخلف بالله ومرعاه عقوبه الفاجر أو الخوف من الفضيحه من الناس عندما ينكشف أمره

فالايه تبين كيف كان القرآن يربي المومنين وينظم أحوالهم وينقلهم من عصابه الي دوله يرسم لها مكانتها ويحدد لها الاجراءت التي تنظم أمورها وتعاملاتها والظمانات التي تحفظ الحقوق وتمنع الأطماع فإذا نظرنا الي الواقع الا جتماعي للامه في ذلك التاريخ نجد أن الاميه هي الصفه السائده لامه العرب فالإسلام جاء للارتقاء بهم وتأهيل الا مه لتكون قادره علي قياده العالم فقام بإعدادها وتزويدها بالخبرات والمهارات وصياغه قواعد الاثبات ووضع الا مه في تجارب واقعيه ليكون التمرن والتدريب فالايه متعلقه بواقعه حصلت في وقت نزولها حيث كان أخذ اليمين بعد الصلاه من الشاهدان ثم عثر علي قرينه أن الشاهد أن اخفاء اللحام كما اوضحنا ...ثم ذكرت الايه أن هذه الإ جراءات المشدده من الأشهاد والحرص أن يكونا عدلان ثم التشديد بالحلف بالله بعد الصلاه لاستجاشه الوجدان والتحرج من الفضيحه عند ظهور الكذب والخيانه تشي أن المجتمع المسلم لديه قيم ومبادئ تشكل مقاومه ومناعه تصد كل من يفكر فالخائن والكاذب منيوذ ولهذا فإن الذي لايخاف الله من ضعاف الإيمان يخاف من الفضيحه والعزل الاجتماعي

ولهذا فالايه تبين اهميه الثقافه الاسلاميه ودورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمجتمع الذي يتحسس من الخيانه والكذب وينظر الي الخائن نظره احتقار وازدراء فإن هذا من أهم وسائل احترام القيم والمبادئ والا بتعاد عن الأخلاق القبيحه بعكس اذا انتشر الانحطاط في القيم والمبادئ لدي المجتمع فإن هذا يودي الي الفوضي حيث يصبح المجتمع ينظر إلي الفاسد أنه صالح والي الخائن أنه ذكي وبالتالي تختل المقاييس والمعايير ولهذا يأمر الحق المومنين بتقوي الله ليكون اتقاء غضبه ليكون الضمير الإنساني حي يشعر يراقبه الله والثاني أن يكون الاستماع لأوامر الله استماع قبول وامتثال وطاعه فالله لايوفق الذي يخرج عن طاعه الله ويتمرد علي أوامره سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع التاسع من سوره

المائده

بعد أن تناولت الآيات السابقه أن الاسلام هو الدين الذي جمع الله فيه الأديان كلها حيث نسخت الكتب السماوية السابقه وجمعت جميع صور الأديان والتدين في الإسلام ولما كانت النصوص قد حذرت المسلمين من الغلو و التقصير والافراط والتفريط في الدين فالإسلام هو الوسيطيه والاعتدال وأمر الله العباده بان يختاروا الحق ويدعو الباطل يأخذ الطيب ويتركوا الخبائث ولايغتروا بالمظاهر الخادعه وان الاغلبيه تقف مع الباطل

وأخبر الله عباده ان الشريعه الاسلاميه جاءت بقواعد كليه ولم تتعرض للتفاصيل والجزئيات فنهي الله طرح الأ سئلة عن التفاصيل التي لم يذكرها القران وهذا فيه بيان أن الفلسفه الاسلاميه قائمه علي مرونه في التفاصيل و الجزئيات فترك تقديرها للظروف والاحوال في المستقبل فهي قابله للحذف والاضافه بحسب النتائج المتبثقه عن التجارب في المجتمعات وهذه التفاصيل وسائل لتحقيق الغايه وهي تتطلب التحديث والتجديد والتطور يعني أن تكون الوسائل فيها مرونه ولهذا يقول الحق لعباده لاتسالوا عن التفاصيل والجزئيات التي لم تتضمنها النظريات التي حملتها الشريعه بقواعدها الكليه لأن ذلك يعني جمود الوسائل والأساليب لتحقيق الهدف لان الاجابه لمثل تلك الاسئله تعني صياغه نظريات تفصيليه غير قادره على مواجهه التطور المستمر لنوعيه المشاكل والاحوال ومناقضه العلميه التي تقتضي البحث والدراسة المستمره لجوانبها المختلفة وتفاصليها المتطوره

ولهذا يقول الحق لعباده أن اللازم عليكم أن تقوموا بتحديث الوسائل والأساليب لكن عليكم اختيار بدائل مناسبه وان يكون لها تأصيل شرعي فذكر ت النصوص كيف أن اساءه اختيار الوسائل والبدائل تودي الي الانحراف وطمس الفطره والعقل فذكر كيف أن المشركون انحرفوا عن دين إبراهيم عندما عبدوا الأصنام معتبرين ذلك وسائل تحقيق الهدف وهو عباده الله فذكرت النصوص أن الاقليه الظالمه والفاسده هي صنعت الوثنيه وقامت بتحريم بعض الحيوانات البحيره والسائبه ....وهم الكهنه وبالتالي فإن هذه الاقليه تعرقل التطور بينما الاغلبيه عقولهم غائبه وهو ما تستغله هذه الاقليه المتسلطه علي المجتمع فلا تسمح له بالتطور الفكري فقال تعالي (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ماوجدونا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون)

فهذا الوضع يحتم وجود قوه لكسر الجمود الذي يحيط بالحياه في هذا المجتمع وهذا يتطلب أن تنصهر اردات القوه المظلومه في ارده واحده حتي تستطيع أن تقهر السلطه الظالمه لأن قوه الوثنيه السياسيه تستمد غالبا من العناصر المظلومه لأنها تكون مفككه وغير متحده علي راي ولامتفقه علي عمل ولهذا يدعوهم الاسلام الي الاتحاد باقامه نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يسوده العدل والمساواة والاخوه وان يحذروا من اقامه نظام ديكتاتوري يستغل الدين لاقامه نظام ظالم ولهذا يأمر المومنين أن يحذروا من أن يكون نجاح الثوره واستثارها بـ الدوله أن تكون مجرد ميلاد لثوره مضاده بأن تعامل الكفار بغير العدل فتعامل المخالف لها في الدين بالظلم فهذا أمر غير مقبول فلابد من دمج هولاء في المجتمع المسلم طالما أنهم صاروا من رعايا الدوله وان احتفظوا بمعتقداتهم ولايضركم بقاء هولاء علي ماهم فيه من الأفكار الضاله فالمرحله الجديدة تختلف عن مرحله ماقبل الثوره فلا يكون الوصول إلي التمكين هدف وصول بل هو بدايه انطلاق فلابد أن تذوب الفواصل التقليدية الجامده وضروره احتواء الموطنين والرعايا في النظام الإسلامي فلا يكون محاصره القوي التي لم تتلحق في الإ سلام من أن تكون عناصر فعاله في المجتمع المسلم طالما أنها تحترم النظام الإسلامي وقيم ومبادئ الشريعة وتخضع لها ولهذا ذكر الحق الشهاده في الوصيه وخص بالذكر الوصيه حال السفر الذي لايكون فيه شخص واحد مسلم يرفقك بمعني أن الرفاق في الرحله كلهم من غير المسلمين فقال تعالي (أو اخران من غيركم) فاعطي المسلم أن ياتمن هذا الكافر علي ماله وان يحمل وصيته وهذا فيه الحث علي عدم العزله التامه المطلقه بين

المسلم وغيره وانما العزله في الأمور المتعلقه بأمور العقيده أما في المعاملات والتجاره فلا مانع من ذلك بالذات مع رعايا الدوله من غير المسلمين ثم بين الحق أن المسلمين أن يتقوا الله ويسمعوا لما يأمرهم الله فالله لايهدي الفاسقين فقال تعالي

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لأعلم لنا انك انت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهئيه الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبرى الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتي بأذني وإذ كفتت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا إلا سحر مبين وإذ اوحيت الي الحورين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنا واشهد بأننا مسلمون

فإنه بالوقوف علي ايات هذا القسم نجد أنه فيه

اولا

أن النصوص مازالت تتحدث عن المعركه الفكريه بين القيم الروحانيه الايمانيه وبين القيم الماديه فالله يخبرنا أنه يقف في صف أهل القيم والمبادئ الايمانيه الذين يخضعون لمنهج الله ويمتثلون أوامر الله ونواهيه فهولاء المومنون الذين يضبطون حياتهم علي التوحيد العبوديه لله وحده لاشريك له وفي الطرف الآخر يقف من يعبد الماده وهم في صف الطاغوت والمعركه بين أولياء الله وبين أولياء الطاغوت ...وهذه المعركه والتقسيم للناس منذ فجر البشريه منذ اللحظه التي رفض فيها ابليس السجود لادم تنفيذيا لأمر الله فقد كان تمرد الشيطان عن أمر الله فقال تعالي (ففسق عن أمر ربه) ولهذا فإن الذي يرفض امتثال أمر الله يكون تابعا لإبليس ومدرسه الفسق و العصيان التي أسسها ابليس فكل خارج عن طاعه الله ويرفض منهج الله فإن هذا يكون تابعا للشيطان فالتسلل للمومنين يخضع لابواه المنهج فالابواه هي أبواه المنهج واقامه العهد وليس الانتساب للانبياء والرسل لأن الذي يرفض التحول الي الاسلام من أتباع الرسل يعني أنه انقطع صلته بالرسل ويكون تابعا للشيطان وهذا محروم من اعانه الله والهدايه الخاصه ولاينتفع بهدايه البيان الورده في القران الكريم الذي هو هدايه للمتقين فاخبرنا الله أنه لايهدي الفاسقين فقال تعالي (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالهدايه للصراط المستقيم وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وهم الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذي نسأل الله إياه في كل صلاه فنقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

إنما يوافق الله له من اتقي الله وأخذا بما في القران الكريم فالله يقول (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين) وهنا يقول لنا (واتقوا واسمعوا) إذا أردتم هدايه الله الخاصه التوفيق والنجاح والانتفاع بهدايه القران ولهذا تأتي النصوص بعدها ببيان أن الانتساب للانبياء والرسل لاتنفع صاحبها الذي رفض الالتحاق بالإسلام وايضا لبيان ان الشرك والانحراف الذي صار عليه أهل الأديان هو انحراف طرا عليهم بعد وفاه الانبياء والمرسلين ولم يأمرهم الا نبياء بذلك فجميع الرسل حملوا دعوه التوحيد الي الناس ولهذا يقول الحق (يوم يجمع الله الرسل)وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

اذكر يوم يجمع الله الرسل أنه يوم القيامه والايه ترسم لنا مشهد اهوال يوم القيامه ومافيها من مظاهر متحركه قادره علي الغوص في أعماق النفس وهي تري مشهد اجتماع الرسل الذين تباعدت ازمانهم وامكانهم واجناسهم فقد جمعهم وحده الدين والدعوه الي عباده الله والتوحيد فناسب بعد ذكر الاستشهاد علي وصايا المخلوقين الا نتقال الي وصايا الخالق الي خلقه لانه تعالي يقول في موضع آخر (شرع لكم من الدين ماوصي به نوحا ...الخ

وقد سماهم الله شهداء فقال تعالي في موضع آخر (فكيف إذا جئنا من كل امه شهيد وجئنا بك علي هولا

اء شهيدا)

وهو تعالي يقول (فلنسالن الذين ارسل إليهم ولنسالن المرسلين)

وهنا يقول الحق (يوم يجمع) ظرف والاظهر أنه معمول لعامل محذوف مقدر اذكر يوم يجمع الله الرسل..اوتقدر له عامل يكون بمنزله الجواب للظرف لأن الظرف إذا تقدم يعامل معاملة الشرط في اعطائه جواب وقد حذف هذا العامل لتذهب نفس السامع كل مذهب لتصور مافيها من التهويل فتقدير الكلام يوم يجمع الله الرسل يكون فيه هول عظيم لايبلغه أحد فأراد بهذا التحذير من هذا الموقف بالاستعداد بالالتزام بالتكاليف الربانيه فالله سوف يسأل الرسل كيف كان استقبال من دعاهم لمنهج الله فالسوال للرسل والمراد به تقريع وتبكيت المخالفين للرسل و الرسالات ولم يذكر القوم تحقيرا لشان الذين جهلوا مع قيام أسباب العلم والذين كفروا مع قيام الحجه فهو لا تنقطع الصله بينهم وبين الرسل يوم القيامه فلا ينالون شرف الاتصال بهم فأراد بهذا قطع دعاوي الشفاعه من العذاب لاتصالهم بالانبياء والرسل بصله النسب فيدعوهم إلي الوقوف علي مشهد جمع الرسل يوم القيامه

الأمر الثاني

يخبر الله عباده أنه يسأل الرسل (ما اجبتم)

فالسوال والاستفهام للرسل هنا إنما هو توبيخ للذين كذبوا بالرسل في حياتهم وما أحدثوا بعدهم وما غيروا وما بدلوا

فجاء الجواب (قالوا لأعلم لنا انك انت علام الغيوب)

وهذا الجواب :ـ

ليس إنكار الرسل عالمين بما عملت اممهم لأن الرسل من الموكد أنهم علموا بما عملت اقومهم عندما حملوا إليهم دعوه التوحيد..فالله قد أخبرنا في موضع عديده أن الرسل سوف تشهد علي اقوامهم ومن ذلك قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وانما الجواب فهذا له عده معاني :ـ

قال البعض أن هذا ناتج عن اهوال يوم القيامه حيث أصابهم الذهول وبعد أن عادت إليهم العقول شهدوا علي اقوامهم وقال آخرون أن هذا القول غير صائب لأن الله يقول إن المومنون (لايحزنهم الفزع الاكبر) فكيف يصح ذهول العقل للانبياء فالذهول وصف به الكفار فالله يقول (إنما يوخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد إليهم طرفهم وافئدتهم هواء)

وذهب البعض الي القول إن الاجابه متعلقه بنفي علمهم بما اضمروه من أعلن ايمانه لأن الرسل بشر ولايعلم السر و العلن الا الله تعالي

ومنهم من قال إن هذا تأدب من الرسل مع الله والواقع أن الايه تتحدث عن مساله ما أحدثه أصحاب النحل و الملل بعد الرسل من التغيير والتبديل بالافراط والتفريط بأنه لم يأمرهم به الرسل ويويد هذا قول عيسي (فلما توفتني كنت انت ...الخ

وفيها أيضا شهاده الرسل علي الكافرين من اقوامهم بأن ما علمه الله فهو الحق

وتسفيه اولئك الكفار في انكارهم الذي لايجدي .ـ وإظهار الادب في حضره الله تعالي والاشاره الي أن العلم المحيط هو علم الله وان علم الرسل إنما هو مما علمهم الله تعالي فهم لاينسبون شيئا الي أنفسهم

الأمر الثالث

أن الايه فيها التوجيه بالحفاظ علي العهد والوفاء به والمراد به عهد الايمان والمنهج الذي قال الله(واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالحق يامر عباده بالتقوي والاستماع لأوامر الله ونواهيه استماع قبول وامتثال وطاعه تشعر انك مخاطب بـ الوحي و فالتقوي والسمع يعني التمسك بالقران وان تكون حريصا علي تنفيذه في نفسك وفي غيرك وهذا لايكون إلا اذا عاش القلب مع القران وتخلق وتادب بآداب القران فإذا حصل ذلك فإن القلب يحب القران ويشتاق له ولهذا عندما يسمع الايه يقشعر جلده ويامر جوراحه بالتخلق والعمل بأخلاق القران يتعظ بمواعظه وياتمر بأمره وينتهي بنهيه فيكون الهدف الأسمى من سماع القران أن يعيش الانسان ويحي بما في القران وتعاليمه يدرك أن هذا المنهج فيه الوصول إلي الله والي دار كرامته وهذا ما يوجب عليك زياده التمسك به والاهتداء بهدايته اذا علمت أنه حق وعدل وصدق وتجسد ذلك بالطاعه ولهذا يقول الحق محذرا من مخالفته (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالناس كلهم قد أخذ الله عليهم العهود والمواثيق بالوفاء بالتزاماتهم التي حملها الرسل إليهم في المناهج الربانيه فمن اوفي بما عهد الله عليه نال الكرامه والسعاده ولما كانت السوره قد افتتحت بالحث علي الوفاء بالعهود فقال تعالي (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) تختتم السوره بمراجعه العقود يوم القيامه لتأكيد اهميه الوفاء بالعقود فقال تعالى (يوم يجمع الله الرسل)

وهذا الجمع ليقدم كل رسول تقريرا عن دعوته وما كان من قومه والسؤال هنا عن ما أحدث الأقوام بعدهم من التبديل والتغيير لدين الله بالمغالاه والافراط والتفريط فأراد بهذا التوجيه أن الوفاء بالعهد هو الذي يوصلك الي دار الكرامه ولاينفع الانتساب للانبياء مع الفسق والعصيان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال و الذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبه من الإبل عن الحوض)

فالله اكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بالحوض في عرصات يوم القيامه يسقي منه المومنون من العناء في هذا اليوم العصيب وهنا يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم (لاذودن) اي لاطردن رجالا عن حوضي يوم القيامه وهم المنافقون والمبتدعون لانهم أحدثوا وغيروا في الدين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يطرد الساقي الناقه الغريبه من الإبل عن الحوض اذا اردت الشرب مع ابله ومن هذا نفهم معني قولهم لأعلم لنا ...الخ بأن الانبياء يتبرون من المخالفين الذين نقضوا العهود ولم يلتزموا بالمنهج بعد الرسل فلا مطمع في شفاعه

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي محاوره الله مع عيسي بعد سؤال الرسل والأنبياء وهذا لأن عيسي عليه السلام اتخذه البعض الها ومنهم من قال أنه ابن الله ولهذا تأتي النصوص بهذه التفاصيل لمحاوره عيسي لابطال تلك الشبهات وإظهار فساد وبطلان عقائد وتصورات النصاري بشأن عيسي فقال تعالي

(إذ قال الله ياعيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهئيه الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبرى الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتي بأذني

الأمر الاول

ابتدأت الايه بظرف تذكير عيسي بانعام الله والاءه عليه وعلي ولدته وقد نداءه الله (ياعيسي ابن مريم)

وهذا فيه ابطال لدعوي أن عيسي هو الله ومن زعم أنه ابن الله وغيرها من الشبهات التي أفسدت دين الله وانحرفت عن دعوه عيسي لقومه

فيذكره الله بانعامه التي من بها علي عيسي لتكون شهاده بأن اتباعه قد انحرفوا وصنعوا الاباطيل فهو سبحانه وتعالى يخاطب بذلك عيسي ليسمع بها قومه ويكون لهم الخزي والفضيحه

فالله يذكر عيسي عليه السلام بأنه خلقه بلا أب ليكون ايه قاطعه علي كمال قدرته تعالي فهو سبحانه وقد أنعم علي امه بأن جعل عيسي معجزه لتبراءه امه من افتراء اليهود فالحق يخبر عيسي أنه مخلوق من فضل الله وما اعطي من خوراق العاده هو من فضل الله عليه ومادام الله هو المعطي والمانح فلا فضل لغيسي علي ما تميز به لأ ن القضل هو لله تعالي وبالتالي فلا يمكن أن يكون له تعالي ولد وأنه سبحانه وتعالي قد جعل ولاده عيسي خارقه ليكون ذلك دافعا للماده التي قدسها اليهود الذين كانوا لايومنون الابالماده ولهذا يذكر نعمته تعالي علي مريم لانه طهرها من افتراءات اليهود وقد أنعم علي امه أيضا كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال (واذ قالت الملائكه يامريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العالمين)

الأمر الثاني

أن التذكير بالنعم تعني أن يكون شكر الله والقيام بواجبها وليس المراد بالتذكير لعيسي بالنعم أنه يكلفه بالشكر في هذا الموقف لانه دار جزاء لادار تكليف ولكن أراد بهذا لتكون حجه علي من كفر بها حيث أظهر الله علي يده معجزات كثيره ولهذا فإن انحراف قومه بشأن تلك المعجزات بين مكذب لها قائلا إن عيسي ساحر وبين مفتون نتيجه المفالاه فنسب لعيسي ما لم يأمرهم به وفي ذلك جحود النعم ولهذا فإذا كنت في نعمه فاحذر أن تكون نعمه الله عليك سببا لتمردك عن نعمه الله فالله سوف يحاسبك علي انعامه فانظر كيف أنه تعالي يسأل عيسي عليه السلام عن كل نعمه وهو النبي الشاكر المعترف الله بانعامه وعطاءه فاحذر انت ايه العبد أن تتسي نعمه الله

عليك فسوف تقف بين يدي الله. ويسالك عن انعامه والذكر النعم بالقلب واللسان والقيام بواجبها من الشك ولهذا تمضي سياق النصوص في تذكير عيسي بانعامه وعطاءه تعالي في هذا الموقف فيقول له (وإذ ايدتك بروح القدس)

والتايد تعني قويتك بروح القدس قيل إن الروح هو جبريل والوحي الذي طهر الله به عبده ونبيه عيسي عليه الس لام فصار له قوه علي القيام بأمر الله والدعوه الي سبيله فذكر نعمه فيها دليل موكد نعمه التايد فقال تعالي (تكلم الناس في المهد وكهلا) اي نطقت بكلام العقلاء اي تلكم بكلام غير معهود أن يتكلم به طفل في المهد فقد تكلم بما ينفع الناس وكان في حديثه براءه امه ودعوته لهم الي عباده الله وهو طفل في المهد فقال تعالي عن ذلك (اني عبد الله اتينا الكتاب وجعلنا نبيا ...الخ

وتستمر النصوص في سرد عطاء الله علي عيسي فقال تعالي (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والإ نجيل)وهذا فيه الآتي

يمتن الله علي عيسي أنه علمه الكتاب والحكمة وبالتالي فما هو الكتاب والحكمة التي يمتن الله علي عيسي بتعليمه ذلك ؟

ذهب البعض الي القول إن الكتاب يقصد به الخط والحكمه هو الفهم

والحقيقه ان عيسي لم يكن ولادته في قوم اميون فهم متعلمون وبالتالي فلا يمكن أن يكون هذا هو معني التعليم هنا وانما يمكن القول إنه علمه الكتب السابقه مثل الزبور أو الهمه معاني الكتابه وعلوم من سبقوه والحكمه تعني وضع الأمور في نصابها الصحيح بمعني الفهم لحقائق الاشياء فيكون فيه المنفعه وكلامه يكون محكم دقيق منضبط ويدخل في الحكمه التعليمات الراشده الهاديه الي مكارم الاخلاق وكذلك يمتن الله عليه أن علمه احكام التوراه فكان اعلم الناس بها وعلمه الانجيل

وفي إطار امتنان الله علي عيسي بانعامه يقول الحق (وإذ تخلق من الطين كهئيه الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبرى الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتي بأذني)

بالوقوف على الآيات نجد الآتي

١

أن الحق يعبر عن تايد عيسي عليه السلام بمعجزه خلق الطير بقوله (إذ تخلق) ولم يقل يخلق الطير وانما ذكر ما يمكن القول إنه يصنع من الطين مايشبه هيئه الطير فذكر المواد الاوليه التي كان خلق الطير منها وهو الطين لأن الخلق إنما يكون لله وحده فهو الخالق للطير ولكل شي أما البشر فليس لهم خلق شي لان معني الخلق المتصف به الله هو إيجاد الشي من العدم أما البشر فيمكن لواحد أن يشكل تمثال من الطين أو يخترع اي اختراع لكن لهذا الا ختراع مواد اوليه وهذا الاختراع لاينمو ولايتناسل

٢

ذكر تايد الله عيسي في معالجه الاكمه والابرص وقد سبق تناول ذلك في سوره ال عمران

٣

ذكر تايده لعيسي بأحياء المواتي فقال تعالي (وإذ تخرج الموتي بأذني)

واستعمل صيغه تخرج اي تخرجهم من قبورهم احياء فأطلق الاخراج واريد بها لازمه وهو الاحياء لأن الميت إنما وضع في القبر لأجل كونه ميتا فكان إخراجه من القبر ملزوما الانعكاس وهو الاحياء كما قال تعالي (واحيننا به بلده ميته كذلك الخروج) وقال تعالي أيضا (واذا متم وكنتم ترابا وعظما انكم لمخرجون)

٤

نجد أنه تعالي كرر (باذاني) مع كل نعمه ومعجزه للرد علي من نسب الربوبيه لعيسي فأراد بهذا بيان أن كل شي تم باذان الله الاذن الكوني لأن هذه الأشياء خارقه للعاده والسنن فلا يقدر عليها إلا الله تعالي فهو لايعجزه شي

الأمر الثالث

تستمر النصوص في نقل سرد المولي سبحانه وتعالى العامه علي عيسي في ساحه الحشر فقال تعالي (وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا الا سحر مبين)

أن من أعظم النعم هي نعمه العصمه من الاهانه والإذلال فالله يقول لعيسي اذكر نعمتي عليك اذ كففت يد بني إسرائيل أن تمتد اليك بعدما شاهدوا البراهين والحجج الباهره التي تثبت صدف نبوتك ولم يكتفوا بتكذيب عيسي في كل معجزه كان يأتي بها فقد استمر التكذيب منهم لعيسي من بدايه حديثه لهم وهو في المهد عندما جاءت امه تحمله إليهم وفي النهايه اجمعوا علي قتل عيسي وصلبه فعصمه الله منهم وقد دل علي جمع المده قوله (إذ جئتهم بالبينات) فان مشاهدتهم لتلك المعجزات كانت خلال مده ظهورها كامله وقوله تعالى (فقال الذين كفروا منهم أن هذا الاسحر مبين)

فخص بالذكر المكذبين واقتصر علي دعاوي تكذبيهم إبان علي قولهم إن هذا الاسحر مبين لأن ذلك الادعاء قصدوا به استخدامه كوسيله تبرير قتلهم عيسى لأن حكم الساحر في شريعه اليهود يقتل اي أن ذلك من قبيل الدعايه الا علاميه لتضليل الجماهير وتبرير جرائمتهم الشنعيه

القسم الثاني

تستمر النصوص بنقل امتنان الله علي عيسي في مواقف الحشر فقال تعالي

(وإذ اوحيت الي الحورين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنا واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون ياعيسي ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائده من السماء قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسي ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائده من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وءاخرنا وايه منك وارزقنا وانت خير الرزاقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه أحد ا من العالمين)

اولا

ايات هذا القسم امتداد لما قبلها وتهئيه لما سوف يأتي بعدها من الخطاب الإلهي لعيسي (اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين..الخ

ولهذا نجد أن الايه ابتدأت بذكر أن الله تعالي أوحي الي الحورين أن يومنوا به وينصروا عيسي ويتبعوه فايده الله بالاتياع والوحي هنا يعني الإلهام كما قال تعالي (واحيننا الي ام موسي أن ارضعيه) اي أن الله الهمهم ذلك فامتثلوا ما الهموا وقيل قذف في قلوبهم الايمان فلما سمعوا دعوه عيسي بادروا الي الاستجابة بتصديقه وقدم ذكر الايمان علي الاسلام لأن الايمان من اعمال القلب والاسلام هو الانقياد بالجوراح فدل هذا أنهم آمنوا ظاهرا وباطنا فقد وقفوا علي معاني ما دعاهم إليه وتدبروا وفهموا دعوته وصدقوا بالإيمان في الباطن ثم اشهد وا الله علي إعلانهم الخضوع والانقياد لما يدعوهم إليه والحوري يطلق علي الدقيق الخالص الصافي واطلقت هذه الكلمه علي كل شي نقي نظيف خالص والمراد به المخلص المحب لمنهج الخير واعلاء كلمه الله لأن القلب اذا كان نقيا نظيفا من التعلق بغير الله فإنه يشتاق الي طاعه الله والي سماع كتابه ويزداد بسماعه إيمانا ويفرح ويستبشر بالجنه ويتلذذ بالطاعه وهذه نعمه يمتن الله بها علي عيسي إذ لو لم يومنوا لما وجد من يتبع دينه فلا يحصل له الثواب المتجدد بتجدد اهتداء الأجيال الي أن نسخه الاسلام

ثانيا

تذكر الآيات معجزه أخري ايد الله بها عيسي عليه السلام ان هذه المعجزه نزلت بمناسبه سوال الحوريوان عيسي هل يستجيب لك ربك اذا سألته أن ينزل عليك مائده طعام من السماء فقال تعالي (وإذ قال الحوريون ياعيسي ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائده من السماء قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

أن هذه الايه مما استشكال علي المفسرون تفسيرها فقد ذهب البعض للقول إن الحورايون كانوا غير صادقين الا يمان ولهذا طلبوا انزال المائده علي سبيل الاعجاز ...وهذا الكلام غير منطقي ويتعارض مع ما أخبرنا الله أنه تعالي الهمهم الايمان فكيف يكونوا فيهم نقص فلا يمكن أن يكون موقفهم كالمتشكك من قدره الله علي مايشاء وكيف يشاء لأن الله قد مدحهم وأمر المومنين بالتاسي بهم فقال تعالي في سوره الصف (يايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسي ابن مريم للحورين من انصاري الي الله قال الحواريون نحن أنصار الله ....الخ

وبالتالي فمن غير الصواب القول أنهم السوال يعني التشكك منهم بقدره الله

والا لما أمرنا الله أن نتاسي بهم

ولهذا فإن الاستطاعه هنا يراد بها هل يستجيب لك ربك هذا الطلب لأن هذا الأمر خارج عن المألوف ولم يقع في حياه الناس وهو يدل علي التلطف والتادب في السوال علي طريقه العرض بالقول للمستطيع التام هل تستطيع كذا مثل أن تطلب يمسك بيده كتابا فتقول له هل تستطيع أن تعطينا هذا الكتاب فمن المؤكد أنه يستطيع اعطاك

لأن من يمسك بالشي يكون قادرا علي اعطائه وان يجيبك الي مطلوبك ولهذا فإن السائل إنما يقول ذلك من باب التادب فلا يحب أن يقترح علي من يسأل مالايرضاه لانه يري نفسه مستصغرا أمام من يسال منه الطلب فدل قولهم علي انهم كانوا في استصغار شان أنفسهم واحتقار لذاتهم وهم يطلبون هذا الطلب فسالوا عيسي لما يرون أن له من مكرمه عند الله فاضافوا (ربك) الي عيسي ولم يصيفوها لأنفسهم استصغارا لمكانتهم في هذا المقام

ولهذا فإن قول عيسي (اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

قال لهم خافوا الله فلا تسألوا مثل هذه المقترحات فلا تنقصوا من ايمانكم بمثل هذا المقترحات فحسبكم ما امنتم به وما التزمتم به من الخضوع والاستسلام لله وأمره يقول لهم لما ذا تطلبون مائده من السماء وقد أنعم الله عليكم بموائد الأرض فما عليكم الا أن تبذلوا جهدا وتسعون في الأرض لتاكلوا من موائد الرحمن فما الحاجه الي هذا المقترح ؟؟؟؟ كما قال تعالي لابراهيم عندما قال لربه (ارني كيف تحي الموتي) فقال له المولي سبحانه وتعالى (أولم تومن) وهنا قال عيسي (اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

فجاء الجواب أنهم لم يقصد وا الشك بقدره الله وانما اردوا الانتقال من علم اليقين المسموع الي عين اليقين فقال تعالي (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين)

فيها الاتي

١

(نريد أن نأكل منها)اي نريد أن نأكل منها أما يقصدون التبرك بها أو أنهم يقصدون أنهم محتاجون للاكل كان يكون حالهم في قحط ومجاعه

٢

أنهم اردوا الانتقال من علم اليقين الي عين اليقين (وتطمئن قلوبنا)

كما ورد في قول إبراهيم عندما سأل الله كيف يحيى الموتي فقال (أولم تومن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي)

اي تسكن وتستقر قلوبنا علي وحدانيه الله وقدرته بانضمام علم المشاهده الي علم الاستدلال

٣

ونعلم أن قد صدقتنا)

اي علم اليقين في ما أخبرتنا انك نبي الله

٤

ونكون عليها من الشاهدين)

اي نكون شهود علي المائده عند بني إسرائيل ليومنوا ويصدقوا

ثالثا

فلم تأكد لعيسي ان أغراضهم صحيحا ولم يقصدوا التعجيز فيما سألوا استجاب لطلبهم فقال تعالي عن ذلك (قال عيسي ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائده من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وءاخرنا وايه منك وارزقنا وانت خير

الرزاقين)

١

ابتدأ بمناجاه الله بقوله(اللهم) الاسم الدال علي الالوهيه والقدره والحكمه الي نحو ذلك من صفات الكمال وهو ما فيه توجيه لك ايه المومن اذا دعوت الله فإن عليك أن تحسن اختيار من اسماء الله الحسنى وصفاته ما تتفق مع سوالك

ثم نجد أنه بعد ذلك اتبع النداء باسم الرب الجامع لمعني التدبير والتربية والانعام اي يامتولي تربيتنا انزل علينا مائده من السماء يرها هولاء المقترحون بابصارهم وتتغذي بها أجساد هم

٢

طلب أن تكون بمناسبه يوم نزولها أن يكون هذا اليوم يوم عيد فنزلت يوم الاحد وفعلا كان هذا اليوم يوم عيد فيه تعظيم لاهل زمان عيسي ومن جاء من بعده من الأجيال والأزمان يوم بهجه وسرور

٣

طلب من الله أن تكون علامه ترشد اتباعه الي صحه دعوته ونبوته

٤

اختتم كل هذا بقوله (وارزقنا وانت خير الرزاقين)

طلب من الله العطاء فهو المعطي والمانح والرزق انواع فالاكل رزق والشرب رزق والعلم رزق والحلم رزق وكل شي ينتفع به هو رزق ولهذا جاء بالكلمه العامه التي تدخل فيها الاكل فكل شئ هو من رزق الله

ومن محاسن الدعاء تأخير الفائده الماديه فعيسي ابتدأ بالفوائد الروحانيه ثم ذكر الفائده الماديه بعكس الحوريون ابتدوا بالفايده الماديه

ولهذا فعليك أن تطلب الرزق من الله وتقبل باختياره فكل ما يعيطك الله هو رزق

رابعا

يأتي الجواب من الله تعالى لما سال القوم فقال تعالي (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه أحد ا من العالمين)

استخدام الحق نون الافراد في قوله (اني) وهذا إنما يكون في حاله الحديث عن التوحيد لأن الله عندما يتحدث عن القدره فإنه يستخدم نون التعظيم كما قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

فالحق سبحانه وتعالى يريد هنا أن يعيطنا معني التوحيد فقال (اني منزلها عليكم) فانتبهوا أن تكون هذه النعمه سببا الخروج عن التوحيد فأراد بهذا حراسه النعمه العظيمه من أن يعبث بها العابثون أو يجحدها الجاحدون فمن عمي ولم يهتدي بعد ذلك أو ينحرف فإن هذا عليه استحضار الوعيد الذي أخبره الله به من العذاب الذي يفوق الوصف بأنه عذاب لايعذبه أحد من العالمين فالله يقول في موضع آخر (وما منعنا أن نرسل بالايات إلا أن كذب بها الأولون ولقد ثمود الناقه مبصره فظلموا بهاومانرسل بالايات الاتخويفا)

ولهذا فاحذر ايه المومن أن تعاهد الله عهدا ثم يعيطك ماتريد فتنقض عهدك فإن ذلك مظنه العذاب الشديد

القسم الثالث

(وإذ قال الله يا عيسي ابن مريم ءاتت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب

ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادامت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت علي كل شي شهيد أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

اولا

ابتدأت الايه بذكر محاوره الله لعيسي عليه السلام فقال تعالي (وإذ قال الله يا عيسي ابن مريم ءاتت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله)

الأمر الأول

والسوال هنا متي قال الله ذلك ؟

ذهب السدي والطبري للقول إن الله قال ذلك لعيسي حين رفعه إليه وهذا القول لايستقيم بالوقوف علي الايه نجد أنها وردت بعد الحديث عن يوم جمع الرسل في ساحه الحشر مع اقوامهم بشكل عام والاستفهام هنا (ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين) مثل الاستفهام في قوله للرسل (ماذا اجبتم)والجمله عطف علي قوله تعالي (إذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك) فهو مايقوله الله يوم يجمع الرسل وليس ما قاله في الدنيا لماذا؟

لأن عباده عيسي من قبل النصاري حدثت بعد رفعه ولانه تعالي يقول في ختام الآيات (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فقد أجمع المفسرون ان المراد بها يوم القيامه

واما ما تعلل به من قال إنها في الدنيا من القول إن عيسي والأنبياء لم يشكوا بأن الله لايغفر للمشرك اذا مات علي شركه فقالوا كيف يقول عيسي (أن تغفر لهم) فالنص لم يقل فيه انك تغفر لهم فقد بني الكلام علي أن غفرت فقال إن عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم فهذا من رحمتك وهذا فيه تبرأ عيسي من قومه ولم يطلب الشفاعه لهم فهو مثل ما قال إبراهيم (واغفر لابي أنه كان من الضالين) وأما قولهم ان الخبر خبر عن ماضي لعلتين الاولي أن إذ إنما تصاحب في الأغلب كلام العرب المستعمل فيها الماضي من الفعل فإن هذا القول غير دقيق لانه لا أحد من العلماء ينكر أن ماقبلها (إذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي و الدتك..الخ وهي متعلقه بالحوار مع عيسي في ساحه الحشر مع أنها وردت بصيغه الماضي ومع (إذ) وبالتالي فإنها تدخل في موضع الخبر عما يحدث في المستقبل إذ عرف السامعون معناها والسامع قد إدراك من قوله تعالي (يوم يجمع الله الرسل) أن الحديث يدور عن محاوره الرسل واقوامهم في ساحه الحشر

الأمر الثاني

الجواب لمن يطرح سؤالا مفاده كيف يكون مجيء الحوار بصيغه الماضي مع أن زمن حدوث هذا الحوار هو يوم القيامه ومكانه ساحه الحشر ؟

الجواب :ـ

أن من بلاغه القران الكريم أن يجعل السامع يعيش اهوال الموقف كانه حاصل مع أن الحديث عما سيحدث مستقبلا فهي تعطينا صوره تقريبه لما سوف تووا إليه مسيره الحياه والاحياء في نهايه المطاف لتضع بين أيدينا رؤوي مستقبليه تطرح علينا السؤال الكبير دائما ما ذا أعددنا لها ؟وكيف نتعامل معها وتدلنا علي سبيل الخروج

وهو الصدق في الدنيا في القول والنفس والعمل فقال تعالي (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) لتكون صادقا في القول فلا تنطق الا بالحق ولاتماري ولاتدهن ولاترفث وان تصدق نفسك فلا تغشها ولاتخدعها وان تدوام علي معرفه عيوبها وإصلاحها وان تصدق في الإنصاف فلا تغمط ولاتحسد ولاتتكبر وان تكون عبدا لله تعالي فمن كانت هذه حاله نفعه صدقه في دار الجزء

٢

كما أن اللازم عليك أن تعلم أن الازمنه خالقها الله تعالي وهو سبحانه وتعالى له أن يتحدث عن ما سوف يحدث باي زمن وصيغه لانه الأول بلا بدايه والاخير بلا نهايه وهو سبحانه وتعالى الذي يملك أن يقرر ما سوف يحدث في المستقبل أما نحن البشر فلا نملك أن نقرر ما سوف يحدث لأننا لا نملك أي عنصر من عناصر الحدث ولهذا أمرنا الله أن نقول (ولاتقولن لشي اني عامل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)

أما الله عندما يقول ان أمر سوف يحدث فلابد أن يحدث ولهذا فإن اللازم علينا أن نفرق بين الحديث المنسوب الي الله الذي يملك كل شي وبين الحديث المنسوب للبشر فأنت لاتملك تحقيق اي شي في المستقبل الا بمشيئه الله تعالى

الأمر الثالث

السوال :ـ

لماذا خص عيسي في هذا المقام بهذا الحوار دون سائر الأنبياء الذين اكتفي بسوال واحد (ماذا اجبتم) ؟

الجواب :ـ

لانه عليه السلام الرسول الذي كان من أتباعه الافتراء عليه بأن اتخذوه الها وقالوا إن هذه العقيده الفاسده دعاهم إليها عيسي

وقد أخبرنا الله في سوره الانبياء أن المشركون وما يعبدون من أصنام يكونون في جنهم فقال تعالي (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها وردون لو كان هولاء الهه ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون) ثم جاء استثناء من ذلك من سبق لهم المنزله وهم الذين لم يدعو الناس الي الشرك واتخاذهم الهه امثال عيسي عليه السلام فقال تعالي (أن الذين سبقت لهم منا الحسني اولئك عنها مبعدون)

ولهذا كان هذا الاستجواب مع عيسي في هذا اليوم الرهيب

١

ليعلم الناس حقيقه افتراء هولاء علي عيسي ولتقرير حقيقه الالوهيه والربوبيه والعبودية بأنها لله وحده لاشريك له ولهذا ابتداء بالنداء (ياعيسي ابن مريم)فأراد بهذا نفي أن يكون عيسي الها أو ابن اله وأنه مخلوق من مخلوقات الله

٢

إعلامه بما أحدثه قومه من بعده بأنهم خالفوا العهد وبدلوا دينهم

٣

تقريع للنصاري إنكار لما فعلوه ولهذا نجد أنه كان تقديم المسند إليه علي الخبر في قوله (أأنت قلت للناس) يدل علي أن الاستفهام موجه لتقرير براءه عيسي من ذلك القول فليس هو من قال هذا القول والناس هم الذين ارسل إليهم من بني إسرائيل فأراد بهذا زياده التوبيخ تعريضا بالإرهاب والوعيد بتوجيه العقوبه لمن قال هذا القول إن تنصل منه عيسي فيعلم اخبارهم أنهم اخترعوا هذا القول والمعني إن لم يكن عيسي هو القائل ذلك فلا عذر لمن ق اله لانهم زعموا أنهم يتبعون اقوال عيسي ومناهجه فلو كان هو القائل (اتخذوني) اي كلفوا أنفسكم مايعتقدونه لصار معهم في العذاب كما ذكر الحق في سوره الانبياء(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم..الخ

والله يعلم أنه لم يقل ذلك ولهذا قال في سوره الانبياء (أن الذين سبقت لهم منا الحسني اولئك عنها مبعدون)

ولهذا استخدام (اتخذوني) بمعني اجعلوني والتعبير بهذا الكلمه يدل علي أنه ليس له حقيقه بل هو شي لا أصل له فلم يصدر منه القول علي الواقع وانما السوال في هذا المشهد العظيم ليتنصل عن اباطليهم وأكاذيبهم

الأمر الرابع

ما المقصود بقوله

(من دون الله)

أن من أهم ما يجب الإنتباه له أن المراد بها المغايره ولادخل لها بالمشاركة

فقوله (من دون) متعلق بقوله (اتخذوني) وحرف (من) صله توكيد وكلمه (دون) اسم للمكان المجاوز ويكثر استعمالها في أن يكون مكان مجازيا يراد به المغايره فتكون بمعني (سوي) كما قال تعالي (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ...الخ

وقال تعالي (ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم)

وقال تعالي (قل اتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولانفعا)

فالمراد بها (سوي الله)

وقد خوطب بها المشركون مع أنهم اشركوا مع الله غيره فلم يكونوا ينكرون الهيه الله وذكر هذا المتعلق لتشنيع عباده غير الله لأن النصاري لما انحرفوا قالوا بحلول الله في ذات عيسي ثم كان بعد ذلك القول بغيرها من الا فتراءات

ثانيا

تأتي النصوص بجواب عيسي عليه السلام علي السوال فقال تعالي

(قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم ما نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادامت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب وانت علي كل شي شهيد أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

بالوقوف علي الايه نجد أنها تضمنت الآتي

الوجه الاول

ابتدأت بتنزيه عيسي عليه السلام ربه بالتسبيح (سبحانك) فدل هذا علي الخشوع والخضوع وأنه ارتجف من حـ ال قومه وما بدلوا بعده أنها كبيره لايطيق أن يقذف بها كيف له أن يدعي أنه إله وهو يعلم أنه عبد من عبيد الله

لقد تفاجأ عيسي عليه السلام بما صدر عن قومه ولهذا كان منه المبادرة الي تنزيه الله قيل أن يبرء نفسه فالايه تصور الموقف بكل تفاصيله ومنها صوره الفزع الذي أصاب عيسي من شرك قومه ولهذا يأتي بعدها بما فيه مبالغه في التزيه فقال (مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق)

اي كيف لي انا العبد المخلوق انا وامي أن اتطاول فادعي الربوبيه فهو ينزه الله عن ذلك القول واللام في قوله (ما يكون لي)

لنفي الاستحقاق اي ما يوجد لي حق أن اقوال هذا ولايليق بالعبد أن يقول ذلك وهذا ابلغ من قوله لم اقله لانه نفي أن يوجد استحقاقه ذلك القول

فهو ينفي أن يصدر عنه احتمال أن يقول ذلك وليس مجرد القول فقط بل نفي احتمال القول ونفي الاحتمال اقوي في الدلالة من نفي المقوله ثم إنه جاء بالباء في قوله (بحق) لتأكيد النفي موكدا أن حق الألوهية و الربوبيه والعبودية هي لله وحده لاشريك له فقدم المتعلق علي متعلقه لأن (ليس) متعلقه (بحق) لنفي أن يكون ذلك حق له ولا لغيره اي نفي أن يباح له أو لغيره أن يقول ما لايحق له فعلم أن ذلك ليس حقا له وإن لم يقله لأ جل كونه كذلك وهذه الكلمات فيها من الدلاله علي خطوره البدع والخروج عن المنهج الذي جاء به الرسل من ربهم

الوجه الثاني

بعد هذه المقدمه التي يظهر التزيه لله تعالي تأتي بعدها الارتقاء في التبرو من اقوال المكذبين فقال تعالي عن ذلك (أن كنت قلته فقد علمته)

وهذا القول فيه إثبات استحاله قوله لانه لو حصل ذلك لعلمه الله فهو لم يقع فالله لايخفي عليه شي فهو يستدل بعلم الله كما يقال في حديث الناس بينهم يعلم الله اني لم افعل كذا ....

ولهذا قال بعدها (تعلم مافي نفسي)

فهذه الجمله بيان لجمله الشرط (أن كنت قلته فقد علمته)

والنفس تطلق علي العقل وعلي روح الإنسان وعلي ذات الإنسان والمعني تعلم ما اعتقده فأنت تعلم ما أعلمه لأن النفس مقر العلوم والمعارف

فهو يستشهد بذات الله علي براءته مع التصاغر أمام الله وبيان خصائص الالوهيه والعبوديه لله ... ولمزيد من التزيه لله تعالي يقول (ولا اعلم ما في نفسك) فالواو هنا اعتراضيه واضافه النفس الي ذات الجلاله بمعني العلم الشامل المحيط الذي لايعلمه أحد إلا الله فأراد بهذا بيان أن علم الانسان قاصر ومحدود بما يريد الله أن يعلم عبده كما قال تعالي (عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحد إلا من ارتضي من رسول)

فعيسي عليه السلام يقول ان علمي لايساوي شيئا أمام علمك فما اعلمه هو ما علمتنا إياه ولهذا يحصر ويقصر العلم بالله فقال (انك انت علام الغيوب)

استعمل أن الموكده ...واكده بالضمير انت واستعمل علام وهي صيغه مبالغه فعلم الله فوق كل علم وهو لاحدود له ولهذا جمع الغيوب كلها بأنها مقصوره علي الله تعالي وحده لا شريك له

والايه فيها الآتي

المفهوم الاول

أن علي الإنسان أن يستحضر وجود الله وعلمه بما يدور في نفسه ولهذا يجب تفتيش النفس وان تستحي من الله أن يراك في معصيه

فعليك أن تدرك أنك مكشوف لله ظاهرك وباطنك

المفهوم الثاني

اللازم عليك التادب مع الله والانتباه من الخواطر التي تسي الادب مع الله فعليك أن تفهم وتدرك أن الله مطلع علي كل ما يجول في خاطرك

المفهوم الثالث

أنالايه فيها درس لكل من يمارس مهنه المحاماه والدفاع بأن عليك التدرج في طرح أسباب البراءه فتبدأ بمقدمه تخاطب فيها القاضي الذي تترافع أمامه ثم توضح بشاعه الجريمه وتتناول اداله نفي القصد الجنائي قبل عرض اداله نفي الجريمه من خلال طرح نبذه عن شخصيه المتهم التي تستبعد صدور الفعل منه وازاله الملابسات التي يمكن أن تشكل خيوطا لأركان الجريمه وتنفي الدوافع ثم تنتقل الي طرح الحقيقه المتعلقه بالقضيه ليكون بعد ذلك نفي صلتك بالجربمه وتطلب براءتك من التهم فالايه تطرح لنا نموذجا للترافع الصادق

الوجه الثالث

بعد التنزيه وبعد تلك المقدمه والتسبيحه الطويله يثبت أنه لم يقل لهم ما اختلقه النصاري بعده ونسبوه إليه كذبا فيثبت أنه قام بالبلاغ الذي كلفه الله به بالدعوه الي التوحيد وإثبات الألوهية والربوبيه والعبودية الله وحده لا شريك له وأنه لم يدعي لنفسه بشي مما افتراه هولاء وأنه بلغ قومه أنه رسول الله وأنه عبد الله وان امه هي امه الله فقد بلغ ما أمره الله فقال تعالي مخبرا عن جواب عيسي (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)

اي لم اتجاوز في ما قلت حد التبيلغ لما أمرتني به والأمر فيه معني القول اي ما قلت إن أقول لهم وابلغهم فجاء بتفسير الأمر الذي أمر الله (أن اعبدوا الله ربي وربكم) تفسيريه لقوله أمرتني به ...فالقول الذي أمر ه الله أن يبلغه هو قل لهم أعبدوا الله ربي وربكم

وهذا فيه التوبيخ واقامه الحجه عليهم وعلي كفرهم وافتراءهم علي الله وعلي عيسي عليه السلام

وفيه أيضا بيان أنه رسول ينفذ أمر الله ويبلغ ما امره الله وأنه قد بلغ ما أمر به أن يبلغه دون أن ينقص شي وقد بلغ الرساله علي وجهها

وقد أقام الدليل علي توحيد الله وانفراده بالالوهيه والربوبيه والعبودية وحده لاشريك له

فيقول كيف لي أن ادعي انني الها وانا مخلوقا وانا مقر له بالالهيه والربوبيه والعبودية

الوجه الرابع

يبين أن شهادته عليهم وهو حي علي ما قيامه بالبلاغ وأداء رسالته علي وجهها ويذكر انتهاء مهمته بوفاته (وكنت عليهم شهيدا مادامت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت علي كل شي شهيد)

اي قمت بمنعهم من الشرك ما بقيت في الدنيا فلما قبضتني اليك بالوفاه بالموت أو الرفع فلم اعلم ما فعلوا بعدي لا نه لم يبقي بيني وبين الدنيا اتصال وكنت الرقيب عليهم تعلم أمرهم وترسل إليهم الرسل وقد أرسلت إليهم محمد صلي الله عليه وسلم مبينا لهم وجوه الاهتداء وابلاغهم بما سيكون في شأنهم يوم القيامه

الوجه الخامس

يفوض ربه في الحكم عليهم قائلا إنهم عبادك مستسلمون لك عاجزون عن دفع عن أنفسهم ضرا فأنت العزيز في انتقامه ولايقدر أحد علي رد عذابك وانت حكيم فيما تفعل فإن تعذبهم فإنهم احقاء لذلك وان تغفر لهم مع كفرهم فهذا من رحمتك وله حكمه (أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

وقال عزيز حكيم ولم يقل الغفور الرحيم...فإن هذا فيه اظهار الادب مع الله فإنه قال ذلك في وقت غضب الرب عليهم والأمر بهم الي النار فليس هو مقام استعطاف ولاشفاعه بل مقام براءه منهم والمعني إن غفرت لهم فمغفرتك من كمال القدره والعلم وليست من عجز الانتقام منهم ولاعن خفاء عليك بمقدار جرائمهم فأنت العزيز الحكيم

القسم الرابع

(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهوعلي كل شي قدير)

ابتدأت النصوص في هذه الايه بقوله تعالي (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)

وبالوقوف علي الايه نجد أن فيها توجيهات حيث انها ابتدأت بذكر فائده الصدق في جواب الله علي قول عيسي عليه السلام (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق....الي قوله فإنك أنت العزيز الحكيم)

فجاء الجواب من الله سبحانه وتعالى بقوله (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) بالنصب علي الوقت و الصفه فمعني الكلام أن الله قال لعيسي ان هذا القول أو الأمر أو الشان هو النافع فهذا الصدق القول الذي ينفع يوم القيامه في يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم ذلك في الاخره عند الله وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

يحث الحق عباده علي التحلي بالصدق ويربط فائده الصدق ومنفعته بالاخره لأن جمله ينفع الصادق مضافه الي هذا اليوم ومن المؤكد أنه لايقصد أن الصدق هو في الاخره بل منشأ الصدق في الدنيا لأن الاخره دار جزاء لا دار عمل ولايملك أحد أن يكذب في هذا الموقف وهذا ابليس يخطب في ساحه الحشر فيقول (أن الله وعدكم وعد الحق .....الخ

فصدق في هذا ولكن لم ينفعه هذا الصدق أما عيسي فكان صادقا في الدنيا حتي توفاه الله كما ذكر في رده ...ولهذا فالله يقول إن العبد الذي يتخذ الصدق شعارا له في قوله واعتقاده وأعماله فلا يخالف قوله عمله ولايشرك بالله ويكون مخلصا في عمله لله وحده لاشريك له حتي يتوفاه الله يحصل لصاحبه الانتفاع بصدقه في هذا اليوم اي يوم الخطاب لأن الصدق حسن ولايكون له من الحق الا الأثر الحسن فالله يقول في موضع آخر (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بخلاف الحال في عالم الدنيا فقد يحصل خلط الحق والباطل و الصحه بالمرض لأن الحق قد يجز لصاحبه بتحريف الناس الحقائق بحيث يجنب نفسه الماخذ ولهذا فإن النفع يكون يوم القيامه فالصدق سلوك حسن وقوله يعني أنه يخبر عن أمر حسن لانه لاينطق الا بالخير كما فعل عيسي (سبحانك ..الخ

بينما الكذب قبيح والاخبار به قبح أيضا ويستحق صاحبه العقاب ولهذا أخبرنا الحق بما اعد للصادقين الذي كان منهم الوفاء بما عهدوا الله عليه قولا واعتقادااا وعملا (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) الاقامه في النعيم الدائم دون انقطاع فقد قبل الله أعمالهم ونالوا رضي الله وهم رضوا بالجنه والنعيم فيها فقد ناولوا وأدركوا ما طلبوا فقال تعالي (ذلك الفوز العظيم)

المفهوم الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المسلم أن تهتم بقوه التصور والعلم فلا تسمح لافات الكذب أن تفسد قوه تصورك وعلمك فيكون نقلك ونظرتك للأشياء مخالف الحقيقه

فتذكر الآيات إن مصدر إفساد شأن الإنسان وقواه هو الكذب الذي يصور المعدوم موجودا والعكس فيفسد صورته وعلمه فالكذب هو رأس الفجور فالمروق والبدع والكبر والرياء والحسد والحقد كلها من الكذب في أقواله وأفعاله وأحواله فهو عندما يستحكم علي الإنسان الكذب فإنه يودي به الي هلاكه اي أن معول النقص الذي يكسر ويحطم كمال الإنسان هو الكذب فالصادق اذا كذب انكسر صدقه وافسدت قوه تصوره وتلوثت أخلاقه وتلونت لسانه وهو يبدأ من النفس ثم اللسان لأنها تعبر عما في القلب ثم تسري الي الجوراح والأعمال فالكذب اذا استحكم بأحوال الإ نسان وأقواله وأفعاله أفسده وادي به الي الهلاك وهو أساس الرياء والشرك والكبر والبطر والفجور والباطل ولهذا لا علاج له إلا الصدق ومجالسه الصادقين فالله يقول

يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

المفهوم الثالث

يقول الحق أن الصدق هو الذي يحقق للإنسان الانتفاع بنعمه العلم والايمان فهو أصل كل حال ومنه يتشعب الصبر والزهد والرضا والقناعه والإخلاص والاجلال والمحبه والخوف والتعظيم فيكون الانتفاع بالعلم والايمان لان الصادق يعرف نفسه بضعفها وافتقارها الي ربه ونقصها وجهلها فما فيها من الخير تابع لوجودها الذي ليس إليها ولا بها فهو يعرف ربه وبره وغناءه وجوده وإحسانه وان الخير كله في يده وهوملكه يوتي من يشاء ويمنع من يشاء ولهذا فإن علمه بنفسه يجعله يقف عند قدرها ولايتجاوزها الي ما ليس له فهو يدرك أن كل شي لله ولهذا يحمده ويثني عليه فنجد أن عيسي قال (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)

وبالتالي فإن الصادق لايغش نفسه ولايخدعها بل يحاول معالجه أمراضها وهو يكون منصف فلا يحسد ولايحقد و لايبغي ولايكون للنعمه ضدا ولاينطق الا بالحق ولهذا كان مناسبا هذا الجواب بعد رد عيسي الذي أظهر التذلل والا نكسار لله قبل ذكر براءته من الافتراءات لماذا لأنه صار علمه بربه وكماله وبره وغناءه وملكه وقدرته وعلمه بنفسه ووقوفه عند حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها قد صبغ نفسه صبغه في كيانه لا صبغه علي لسانه فقط بل في قلبه ولسانه وجوراحه فعلم أن الحمد والثناء كله لله والأمر كله لله والخير كله في يديه فهو المستحق الحمد و الثناء فراي نفسه أنها أولي بالذم واللوم يقول ابن القيم ان من فاته التحقق بهذين العلمين تلونت أقواله وأعماله وأحواله وتخبطت عليه ولم يهتد الي الصراط المستقيم الموصل الي الله فايصال العبد يتحقق بها تين المعرفتين علما وكالات وانقطاعه بفواتهما

وبهذه المناسبه يختتم الحق السوره بقوله (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهوعلي كل شي قدير) لبيان اهميه معرفه الإنسان بربه ومعرفته لنفسه وضعفه فاخبرنا تعالي أن له الملك والسلطان والتصرف والتدبير لما في الكون كله لله وحده فجاء بصيغه القصر (لله) فالموحو.ات كلها ملك الله فأراد بهذا أن يبين لك العلم بالله وبره وغناءه وملكه وقدرته فاللازم التسليم لله وأنه فعال لما يريد فهو سبحانه الجدير بالالوهيه والربوبيه والعبودية وان كل من في السموات والأرض مخلوقاته وفي قبضته وسلطانه وهو تعالي قادر علي كل شي فلا يعجزه شي

المراجع

١/تفسير ابن كثير

٢/تفسير السعدي

٣/التفسير الميسر للقراني

٤/تفسير المراغي

٥/تفسير الطبري

٦/تفسير القرطبي

٧/البيضاوي

٨/الكشاف

٩/في ظلال القران للسيد قطب

١٠/تفسير روح البيان

١١/تفسير المنار لمحمد رشيد رضا

١٢/تفسير القران بالقران

١٣/تفسير الخازن

١٤/تفسير سعيد حوي

١٥/تفسير ابو السعود

١٦/تفسير الشعراوي

١٧/أوضح التفاسير

١٨/زهره التفاسير

١٩/الالوسي

٢٠/التحرير والتنوير لابن عاشور

٢١/در النظم في تناسب السور

٢٢/الزجاج

٢٣/الشنقيطي

٢٤/تفسير الجلالين

٢٥/كتاب ماهيه العقل للمحاسبي

٢٦/كتاب الازمه الدستورية للشنقيطي

٢٧/بحوثات لحسن عبيد في مجله الامه

٢٨/رساله المسترشدين للمحاسبي

٢٩/التحولات وفقه الواقع لابي بكر العدني

٣٠/التفسير الموضوعي للقرآن ١

٣١/التفسير الموضوعي للقرآن ٢

٣٢ابن عطيه

٣٣/فتح القدير

٣٤/التيسير في التفسير

٣٥/كتاب الملل والنحل

٣٦/كتاب تزكيه النفوس ١+٢

٣٧/ كتاب الفةائد لابن القيم

٣٨/ابن تيمه

٣٩/فتح الباري في شرح صحيح البخاري

٤٠/كتاب الدفاع عن الاسلام

٤١/احياء لغه القران ابي بكر العدني

٤٢/الاعجاز العلمي للسيد قطب

٤٣/كتاب التوحيد

٤٤/مجالس الذكر لعبد الحميد بن باديس

٤٥/تفسير العز بن عبدالسلام

٤٦/كتاب اعرف الله

ومراجع اخري في اللغه والتفسير والحديث

اعداد المحامي/احمد عبد الرزاق مربوش العامري